شرح كتاب

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد

للإمام الحافظ

أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله

شرح فضيلة الشيخ

عبد الله بن محمد بن عبد الله الغنيمان

المدرس في المسجد النبوي

اعتنى به

عبد العزيز بن حمود البليهي

مدار القبس للنشر والتوزيع



شرح كتاب
الاعتقاد والهداية
إلى سبيل الرشاد

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

صف وتصميم وإخراج

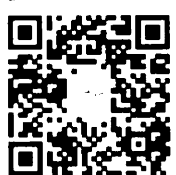


المملكة العربية السعودية - الرياض

+966 11 2681045

madarulqabas@gmail.com @madarulqabas

المتجر الإلكتروني:



بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الله بن محمد الغنيمان

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

المدينة المنورة

كلية الدعوة - الجامعة الاسلامية



Abdullah B. Mohd. Al-Ghunaiman

Profit Mohd. Mosque's Teacher

Madina Munawarah

Propaganda College

Iclamic League

التاريخ ١١/٢/١٤٢٤هـ

Date ....

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

وبعد فقد كنت شرحت الاعتقاد للبيهقي وقام بتفريغه

الشيخ عبد العزيز البليهي جزاه الله خيراً واستأذنني في طباعته

وقد أذنت له رجاء الانتفاع به والله الموفق قاله عبد الله بن محمد الغنيمان



مُقَدِّمةُ المُعتَني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذا شرح لكتاب «**الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرَّشاد** للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله»، وأصله دروسٌ علمية ألقاها فضيلة شيخنا عبد الله بن محمد الغنيمان ـ حفظه الله ـ في بعض الدورات العلمية[١]، فأفاد فيها وأجاد ـ جزاه الله خيرًا ونفع به ـ، ثم فُرِّغت هذه الدروس وجُمِعت ورُوجِعَت، وعُزِيَت فيها الآيات، وخُرِّجت الأحاديث، وعُزِيَت الأقوال إلى قائليها، وغير ذلك مما عهد في العناية العلمية، فللّه الحمد والمنَّة.

وقد قرأ شيخنا ـ حفظه الله ـ هذا الشرح كاملًا، وأضاف عليه، وحذف بعض المواضع المتكررة، وغير ذلك، وأذن بطبعه، نسأل الله أن ينفع بهذا الشرح كما نفع بأصله.

هذا، ونسأل اللهَ العليَّ القدير أن يغفرَ للإمام البيهقي، ويتغمَّدَه بواسع رحمته، كما نسأله ﷻ أن يجزيَ شيخنا خير الجزاء، وأن يبارك

---

(١) أُلقيت هذه الدروس في جامع عبد اللطيف آل الشيخ بالمدينة النبوية ـ «الدورة العلمية السادسة عشرة» ـ، ١٩ ـ ٢٤/ ٨/ ١٤٣٦هـ.

له في عمره وعلمه وعمله، ويصلح له ذريته، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وإنْ تَجِدْ عيبًا فَسُدَّ الخَلَلَا   فَجَلَّ مَنْ لا عَيبَ فيهِ وعَلا

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
عبد العزيز بن حمود البليهي
a.h.albalhe@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ أخبرنا القاضي الفقيه الإمام العالم الصدر الكبير، شيخ القضاة، بقية المشايخ، الزاهد العابد الورع، جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري أثابه الله الجنة، بقراءتي عليه في يوم الجمعة منتصف رمضان من سنة تسع وستمائة بزاوية الخضر من جامع دمشق.

۞ قلت له: أخبرك الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان المرادي قراءة عليه وأنت تسمع فأقر به، قال: أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي.

۞ قلت للقاضي: وأخبرك أبو عبد الله الفراوي إجازة فأقر به، قال: أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الحافظ قراءة، سنة خمسين وأربعمائة قال:

۞ الحمد لله الذي خلق الخلق كما شاء لما شاء، واختار من الخلق لرسالته والدعاء لمعرفته والتمسك بطاعته من شاء، وهدى إلى إجابة دعوته واجتناب معصيته بما أقام من البينات وأظهر من الآيات من شاء، ووعد لأهل طاعته ما أعد لهم في الجنة من الثواب كما شاء، وأوعد أهل معصيته بما أعد لهم في النار من العقاب كيف شاء، لا معقب لحكمه، كما قال جل ثناؤه في محكم كتابه الذي أنزله على نبيِّنا محمد ﷺ وعلى آله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾

[القصص: ٦٨]، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ إلى قوله: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٥]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣١ ـ ١٣٣]، وقال: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام: ٤٨، ٤٩].

۞ فالحمد لله على جميع نعمه، وصلى الله على كافة رسله، وخص نبيّنا محمدًا بأفضل الصلاة والتحية والبركة، وآتاه ما وعده من الوسيلة والفضيلة، والرفعة في الدنيا والآخرة، وبعثه يوم القيامة مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، وجمع بيننا وبينه في جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بفضله ورحمته إنه أرحم الراحمين، وخير الغافرين.

۞ **أما بعد، فإني بتوفيق الله** ﷻ صنفت فيما يفتقر أهل التكليف إلى معرفته في أصول العلم وفروعه، ما قد انتشر ذكره في

بعض البلاد، وانتفع به من وفق لسماعه وتحصيله من العباد، غير أن جل ما يحتاج إلى معرفته من ذلك للاعتقاد على السداد مفرقة في تلك الكتب، ولا يكاد يتفق لجماعتهم الإتيان على جمعها والإحاطة بجميعها.

فأردت والمشيئة لله تعالى أن أجمع كتابًا يشتمل على بيان ما يجب على المكلف اعتقاده والاعتراف به، مع الإشارة إلى أطراف أدلته على طريق الاختصار، وما ينبغي أن يكون شعاره على سبيل الإيجاز، فاستخرت الله ﷻ في ذلك وفي جميع أموري، وابتدأت به مستعينًا بالله عز اسمه على إتمامه، وأسأله أن يجعلني والناظرين فيه ممن يخصه بجميل إنعامه وإكرامه، وجزيل إحسانه وامتنانه؛ إنه وليه والقادر عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الشَّرح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحابته، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، **وبعد**:

تمكَّن الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إتقان علومٍ شتَّى، وألَّف في جميع جوانب العلم ومؤلفاته منتشرة وكثيرة، وانتفع بها خلقٌ كثير، لكنَّه تخصَّص في الحديث أكثرَ من غيره، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١﴾ [الحديد: ٢١].

وقد ألَّفَ الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب في الصفات، عنوانه: «الأسماء والصفات»، وهو مجلدٌ كبيرٌ، وألَّف أيضًا هذا الكتاب الذي

بين أيدينا وهو كتاب «الاعتقاد»، وله كتاب في «شعب الإيمان»، و«القضاء والقدر»، و«إثبات عذاب القبر» و«الإيمان»، و«أحكام القرآن»، و«السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى»، و«الزهد الكبير»، و«معرفة السنن والآثار»، و«القراءة خلف الإمام»، و«دلائل النبوة»، و«مناقب الشافعي»، و«بيان خطأ من أخطأ على الشافعي»، و«الخلافيات بين الشافعي وأبي حنيفة»، و«الانتقاد على الشافعي» وغير ذلك من مؤلفاته الكثيرة جدًّا[١].

والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ترك قضيَّةً من قضايا الإسلام إلا وألَّف فيها، وقد خَدَمَ مذهب الشَّافعي، فألَّف في أدلَّتِه وألَّف في «الخلافيات» التي خالف فيها الإمام، وانتصر له.

والإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من العلماء الذين انتشرت كُتُبُهم في البلدان، وظهرت بين الناس، وهو من المحدِّثين؛ لهذا تجده ليس مثل الأشاعرة المحضة كالجويني والرازي، فقد فارقهم في أشياء كثيرة أثبتناها له موافقة لأهل السُّنَّة والجماعة، وذلك ببركة كونه اشتغل بعلم الحديث، ولكن بقي فيه من أثر الأشاعرة شيئًا أردنا أن نُنَبِّه عليه؛ لأنَّ طالب العلم قد يقرأ هذه الكتب، ثم يلتبس عليه بعض الشيء، أو يقع في خطأ.

وليس معنى هذا أن يُذَمَّ الإمام البيهقي أو يُسبُّ أو يُرمى بالبدع! فهذا الذي أدَّى إليه اجتهادُه، ولم يقصد بذلك مخالفةَ الحقِّ، وإنما رأى أنَّ هذا هو الواجب اعتقادُه؛ فقاله، فيكون مجتهِدًا والخطأ معفوٌّ عنه، ويؤجر على اجتهاده.

---

(١) ومن مؤلفاته أيضًا: كتاب الأسرى، والترغيب والترهيب، وتخريج أحاديث الأم، وحياة الأنبياء في قبورهم، والرؤية، والزهد الصغير، وفضائل الأوقات، وفضائل الصحابة، ومناقب الإمام أحمد، والمدخل إلى كتاب السنن، والمبسوط، ورسالة إلى أبي محمّد الجويني، والآداب، والأربعين الكبرى، والأربعين الصغرى، والجامع في الخاتم، وغير ذلك.

وهذا يقال في كلِّ العلماء الذين هذا طريقُهم، فما كانوا يقصدون مخالفة الحق، وردَّ كلام الله وكلام رسوله، وإنما تلَقَّوا هذه المعلومات عن مشايخ لهم يحسنون الظنَّ بهم، ويثقون بهم، فاستبعدوا أنهم يخالفون الكتاب والسُّنَّة، فصاروا يجتهدون في هذا المجال، ولكن الباطل يجب أن يُبين ويُردَّ على من قال، مثل ما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرَدُّ، إلَّا صاحب هذا القبر»[١]؛ وكان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في مسجد النبي ﷺ يشير إلى قبر النبي ﷺ، وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا جاء الحديث عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين، فنحن رجال وهم رجال»[٢]. وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا صَحَّ الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط»[٣]، وقال أيضًا: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سُنَّة عن رسول الله ﷺ لم يحل أن يدعها لقول أحد»[٤]، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا»[٥]، وهكذا الأئمة كلُّهم.

فالذي له العصمة هو الرسول ﷺ، فهو المعصوم فيما يُبلِّغُه عن الله ﷻ، ولا يمكن له أن يقع في الخطأ، أما غيره من الخلق فيقعون في الخطأ ولا بدَّ، يقول الشاعر:

ومن ذا الذي تُرضى سَجاياه كلُّها ... كفى المرءَ نُبلًا أن تُعَدّ معائبُهْ[٦]

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٦٠)، وكتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين (ص١٩٠).
(٢) تيسير العزيز الحميد (ص٤٧٤).
(٣) حاشية التوحيد، لابن قاسم (ص٢٧٩).
(٤) أعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢).
(٥) أضواء البيان، للشنقيطي (٧/ ٣٤٧).
(٦) لباب الآداب، للثعالبي (ص١٩٠)، ينسب هذا البيت ليزيد المهلبي، وينسب أيضًا لعلي بن الجهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما الصديقون والشهداء والصالحون فليسوا بمعصومين، وهذا في الذنوب المحضة، وأما ما اجتهدوا فيه: فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم، وخطؤهم مغفور لهم، وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلون فيهم؛ ويقولون: إنهم معصومون، وتارة يجفون عنهم؛ ويقولون: إنهم باغون بالخطأ. وأهل العلم والإيمان: لا يعصمون، ولا يؤثمون»[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس لأحدٍ أن يتبعَ زلَّاتِ العلماء، كما ليس له أن يتكلَّمَ في أهل العلمِ والإيمانِ إلا بما هم له أهلٌ، فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عمَّا أخطأوا، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قال الله: «**قد فعلت**»[(٢)]، وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء، وأمرنا أن لا نطيع مخلوقًا في معصية الخالق، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فنقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية [الحشر: ١٠]، وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور، وتعظم أمر الله تعالى بالطاعة لله ورسوله، وترعى حقوق المسلمين لا سيما أهل العلم منهم كما أمر الله ورسوله...»[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكيف يُعصَمُ من الخطإِ مَنْ خُلِقَ ظلومًا جهولًا، ولكن من عُدَّتْ غلَطَاتُهُ أقربُ إلى الصَّوابِ ممَّنْ عُدَّتْ إصاباتُهُ»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦٩).
(٢) رواه مسلم (١٢٦)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٣٩).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٤٨٢).

والميزان عندنا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، والكتاب والسُّنَّة فيهما مجال للاستنتاج، وقد يَتِيه الإنسان فيه، كما قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧] ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾؛ أي: على بعض الناس، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

فالحقَّ يجب أن يُقبل ممن قاله، وإن كان عدوًّا أو كافرًا؛ فعن حذيفة رضي الله عنه أن اليهود، قالوا لأهل الإسلام أو لقومٍ من أهل الإسلام: نِعْمَ القوم أنتم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وما شاء محمد، فبلغَ ذلك النبي ﷺ فقال: «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(١).

فالحقُّ يجب أن يُقبَل ممن قاله، والباطل يجب أن يُردَّ على من قاله، وإن كان قريبًا حبيبًا، فالحقُّ هو أعلى وأولى.

وكتاب «الاعتقاد» كتابٌ جامعٌ لأنواعِ كثيرةٍ من مسائل العقيدة، ومع ذلك لا يخلو من مآخذ وملاحظات؛ لأنه رحمه الله أخذ العلم عمَّن كان متأثِّرًا بالمذهب الأشعري، ولم يزلْ على ذلك؛ ولهذا سيأتينا في هذا الكتاب بعضُ الملاحظات مخالِفةً لعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، والتي لا بدَّ أن نتنبَّه لها، غير أنه في الجملة كتابٌ مفيدٌ ونافعٌ، وطالب العلم لا يستغني عنه.

وعليه؛ قد استعنَّا بالله وحده على شرح هذا الكتاب والتنبيه على ما ينبغي التنبيه عليه، واللهَ نسأل التوفيقَ والسداد.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٦٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، مختصرًا، وبتمامه أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، والبزار (٢٨٣٠).

باب أول ما يجب على العبد معرفته والإقرار به

﴿ «قال الله جلَّ ثناؤه لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال له ولأمته: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٤]، وقال: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآيةَ [البقرة: ١٣٦]، فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآية الاعتراف به والشهادة له بما عرفه، ودلت السُّنَّة على مثل ما دل عليه الكتاب.

﴿ أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل ببغداد، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، وعن أبي صالح، عن أبي هريرة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «أمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولُوا: لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ، فإذا قَالُوهَا عصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأَموالَهُمْ إلَّا بِحقِّهَا، وحِسابُهُمْ على اللهِ ﷻ»(١).

﴿ ورواه العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

عن النبي ﷺ، وفيه من الزيادة: «ويُؤْمِنُوا بِي وبِمَا جِئْتُ بِهِ»(١).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن معمر بن ربعي، ثنا عمر بن يونس الحنفي، ثنا عكرمة بن عمار، حدثني أبو كثير، حدثني أبو هريرة، فذكر حديثًا طويلًا قال فيه: عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أبَا هريرةَ ـ وأَعطَانِي نعليهِ ـ اذْهبْ بنَعلَيَّ هاتَينِ، فَمنْ لَقِيتَ مِنْ وراء هذَا الحائِطِ يَشهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ مُستَيْقِنًا بها قَلْبُهُ فبَشِّرهُ بِالجنَّةِ»(٢).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، ثنا عفان، حدثني بشر بن المفضل، عن خالد، عن الوليد أبي بشر، قال: سمعت حمران، يقول: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ ماتَ وهو يَعلَمُ أنْ لا إلٰه إلَا اللهُ دخلَ الجنَّةَ»(٣).

ﷺ أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن الفضل القطان بمدينة السلام، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كانَ آخِرُ كلامه لا إلٰه إلَّا اللهُ وجبَتْ لَهُ الجنَّةُ»(٤).

ﷺ قال الشيخ رحمه الله: ففي الحديث الأول بيان ما يجب على

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢١) واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم (٣١). (٣) أخرجه مسلم (٢٦).
(٤) أخرجه أبو داود (٣١١٦).

المدعو أن يأتي به حتى يحقن به دمه، وفي الحديث الثاني بيان ما يجب عليه من الجمع بين معرفة القلب والإقرار باللسان مع الإمكان حتى يصح إيمانه، وفي الخبر الثالث والرابع شرط الوفاة على الإيمان حتى يستحق دخول الجنان بوعد الله تعالى جده، وبالله التوفيق».

الشَّرح

قوله: «بابٌ: أَوَّلُ ما يَجِبُ على العَبدِ مَعرِفَتُهُ والإقرَارُ بِهِ». لفظ «**باب**» هنا مضاف إلى ما بعده، وإن جُعِلَ «بابٌ» بالتنوين فهذا خطأ في الطباعة، فالمفروض أن يكون البابُ بجوار القولِ؛ لأنه لا يصِحُّ إلا أن يضافَ، ولا يصحُّ أن يكون منوَّنًا كقولك: «بابٌ: القول في خلق الأفعال».

قوله: «بابٌ: أَوَّلُ ما يَجِبُ على العَبدِ مَعرِفَتُهُ والإقرَارُ بِهِ».

أقول: لا يكفي في ذلك المعرفةُ والإقرارُ، بل لا بدَّ من العمل معهما؛ بأن يعمل بما عَرَفَه وأقرَّ به، ولكن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ترك هذا؛ لأنَّ المعرفة تقتضي العملَ، أما معرفةٌ بلا عملٍ فهي مُضرَّةٌ لا تنفع، فالشيطان الذي هو أصلٌ من أصول الشرِّ يعلم أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ربُّه، ومع ذلك لا ينفعه علمه بذلك، وكثيرٌ من الكفار يعلمون أنَّ الرسل جاءت بالحق؛ لأنها أُيِّدتْ بالآيات البينات التي تُرغِمُ الناس على تصديقهم والإيمانِ بهم، ومع ذلك لما لم يُقِرُّوا بهم ويعملوا بما جاءوا به صاروا من أهل النار.

وأوَّل ما يجب على العبد أنْ يشهد أن لا إلٰه إلا الله، ومعلومٌ أنَّ الشهادة لا بدَّ فيها من المعرفة؛ لأن من يقول: «لا إلٰه إلا الله» وهو لا يعرف معناها، فلا فائدة له من ذلك، فلا بدَّ أن يعرف ما يقول ثم يعمل به، بأن يستقرَّ العلمُ في القلبِ، فيبعثُ القلبُ الجوارحَ على العملِ بهذا

العلم الذي استقرَّ فيه، وهذا هو معنى «**المعرفة والإقرار**»، ثم المعرفة والإقرار شرطُ العمل.

اتفق أهل السُّنَّة على أن الإيمان له أركانٌ ثلاثة:

الركن الأول: اليقين؛ وهو العلم الذي يكون مستقرًّا في القلب قبل النُّطق.

الركن الثاني: النطق بالشهادتين؛ وهي القول المراد من تعريف الإيمان بأنه «قولٌ وعملٌ».

الركن الثالث: العمل بالأركان والجوارح؛ ومنها: القلبُ، واللسان، واليدين، وغيرهم.

فلا بدَّ من تحقيق كلِّ هذه الأركان، فإذا فُقد ركنٌ واحدٌ من هذه الأركان الثلاثة، انسلخ الإنسان عن كونه مؤمنًا، ويكون من أهل النار، ثم لا بدَّ أنْ يستمرَّ على ذلك إلى أن يموت، وهذا إذا تحقَّق للعبد فقد نجا، ويكون في نعمةٍ عظيمةٍ تستوجِبُ شكرَ الله ﷻ.

الركن الأول: العلم باليقين الذي ذكره المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ على خلاف ما يقوله المتكلِّمون، فإنَّ المتكلِّمين يقولون: إن أوَّل ما يجب على العبد المعرفة باليقينِ، والمعرفة باليقينِ عندهم تكون بالنَّظر في المخلوقات! وذلك من طريق أنَّ المخلوقات لا بدَّ لها من خالقٍ، والخالقُ يجب أن يكون قادرًا عليمًا بصيرًا قديرًا متصفًا بكلِّ صفات الكمال.

وهذا في الواقع لا يكفي في الإسلام؛ لأنَّ الكفار يُقِرُّون بهذا، وإنما أنكروا العبادة التي تصدر منهم أن تكون لله وحدَه، وجعلوها له ولغيره، فكانوا بذلك مشركين.

والمشركون كانوا يؤمنون ويعتقدون بتوحيد الربوبية، أما توحيد العبادة لله وحده فيعرضون عنه؛ ولهذا بعضُهم ـ أو كثيرٌ من أكابرهم ـ

يفسِّرُ (الإلٰه) بأنه القادر على الاختراع، كما جاء عن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرِه من كبار المتكلمين، وهذا لا يكفي في الإيمان!

فالإلٰه هو المألوه الذي تَأْلَهُه القلوب، وتُحِبُّه عبادةً وذُلًّا وخُضوعًا، أمَّا كونه القادرَ على الاختراع، فالمشركون يُقِرُّون بذلك، ويفردون الخلق بالتصرُّف والإيجاد والإحياء والإماتة لله وحده، كما قال الله جَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]؛ أي: تعلمون هذه الأمور المذكورة في الآيات تمامًا؛ بأنَّ الله هو الذي خلقهم وخلق من قبلهم، وهو الذي خلق السماء وجعلها مرتفعةً فوقَهم، والأرضَ فراشًا لهم، يتمكنون من السير عليها والانتفاع بها، وهو الذي ينزل المطر ويُنبِت به النبات، ويحيي ويميت، هذا كله يتيقنونه يقينًا لا شكَّ فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧]، فهم يُقِرُّون بهذا ويعترفون به، ولم يكفِ هذا في كونهم يَنجُون مِنَ النَّار، بل لا بدَّ أن يُضافَ إلى ذلك إخلاصُ العبادة له جَلَّ، وطاعة الرسل ومتابعتهم.

ومن كونه جَلَّ هو الخالق المتصرِّف الكاملُ في تصرُّفِه؛ الإيمانُ بأسمائه وصفاتِه، فلهذا يكون الإيمان بالخلق والإيجاد والقدرة والتصرف، والإيمان بأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ قِسْمًا واحدًا.

الركن الثاني: «شهادة أن لا إله إلا الله»:

(لا): نافية للجنس، والجنس هو الذي يشمل كلَّ فردٍ يدخل تحت هذا اللَّفظ وهو (الإلٰه)، تعمل عملَ (إنَّ)، تدخل على المبتدأ والخبر،

تنصب المبتدأ ويكون اسمها، ويكون مبنيًّا دائمًا على الفتح؛ لأنها وضعت لنفي الجنس مطلقًا، فإذا قلت: (لا إلٰه) فهذا نفيٌ لأيِّ إلٰهٍ موجود في أيِّ مكان.

ثم إذا قلت: (إلا الله) أثبتَّ الإلٰهية لله وحدَه، وبَطَلَ كلُّ مألوهٍ.

والكفار يعلمون هذا تمامًا؛ لهذا لما قال لهم الرسول ﷺ: «**قولوا: لا إلٰه إلا الله تفلحوا**»[1]، أنكروا ذلك أشدَّ الإنكار، وقالوا: هذا يبطل ديننا، أجعل الآلهة إلٰهًا واحدًا؟! لأن عندهم الآلهة متعددة، وهذا الذي جعلهم من أهل النار مخلدين فيها.

المقصود: أنَّ معرفة أنَّ الله ﷻ هو الخالق المتصرِّف، الكاملُ في تصرُّفِه؛ لا يخفى على أحدٍ، فهو أمرٌ ظاهرٌ جَلِيٌّ؛ من إيجاد الخلق المشاهد، وكذلك التصرُّف من الإحياء والإماتة، وهبوب الرياح وتصرُّفها، وسَيْر السَّحاب ونزول الماء من السماء لإخراج النبات من الأرض، هذا كلُّه لا يمكن لو اجتمع الخلق كلُّهم على أن يُوجِدوا شيئًا منه ما استطاعوا؛ وهذا لا يخفى على أحد؛ ولذلك أقرُّوا إقرارًا مرغِمًا ومُلزِمًا بوجود الله.

وهذا هو الدليل الذي يُوجِبُ أنْ تكون العبادة لله وحدَه؛ ولهذا كان ربُّنا ﷻ يلزمهم في ذلك بتوحيده في عبادته، ولكنَّهم لم يلتزموا؛ وعليه، فأوَّل ما يجِبُ على العبد هو أن يشهد بأن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ الله هو المتصرِّف في كلِّ شيء.

ثم ذكر الآيات التي تدلُّ على هذا، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، جاء بـ(الفاء) ترتَّب على ما سبق

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣)، عن ربيعة بن عباد رضي الله عنه.

لها أنَّ العلم والمعرفة تكون أولًا ثم يكون العمل، والعمل كلُّه يدخل تحت قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾، واستدل البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآية وبوَّب عليها، قال: «بابُ العلم قبل القول والعمل؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾»، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل[1]، ثم إن العلمَ بلا عملٍ - كما سبق - لا ينفع، بل قد يكون زيادةً في العذاب؛ لأنه عَلِمَ الحق ثم خالفه.

وقوله: «﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٤﴾ [هود: ١٤]» كونهم يعلمون أن الله هو الذي يتصرف ويخْلُقُ حصل ضرورةً عندهم لن يكفي لإيمانهم، بل لا بدَّ أن يعلموا أنه لا إلٰه إلا هو الإلٰه الحق الذي يجب أن يُؤَلَّه، وتكون العبادة له وحدَه، فإن لم يكونوا كذلك فلم يُسلِمُوا، والرسل كلُّهم أرسلوا لهذا؛ لكونهم يجعلون التألُّه لله وحدَه فقط.

وقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦] هذا يدلُّ ضرورة أنه لا بد من القول؛ وهو قول: «لا إلٰه إلا الله»، كما جاءت الأحاديث في ذلك والتي ذكرها؛ كقوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»، فقوله ﷺ: «**عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا**» يدلُّ على أنَّ المشرك غير معصوم، فإذا قال: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ**» عصم دمه وماله؛ «**إلا بحقها**» يدخل فيه كلُّ حقٍّ يتعلق بالمال، ويتعلق كذلك بالأنفس، وقوله: «**وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»؛ يعني: أنهم إذا فعلوا ذلك ظاهرًا فهذا الذي أُمر به ﷺ يكفُّ عن قتلهم، وإذا كان باطنهم على ظاهرهم فَهُمُ المؤمنون حقًّا، وإن كانت قلوبهم تخالف أعمالهم وأقوالهم فحِسَابُهُمْ عَلَى الله.

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٤ - ٢٥).

وقوله لأبي هريرة: «اذهب بنعْلَي هاتين، فمَن لَقِيتَ وراء هذا الحائط **يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فقوله: «**مُسْتَيْقِنًا**» هذا شرطٌ لهذه الكلمة، بأن يكون عالمًا بها يقينًا، فإذا كان كذلك فلا بد من العمل، وكذلك الحديث الذي بعده: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**» فقوله: «**يَعْلَم**» مثل قوله: «**مُسْتَيْقِنًا**» لا فرق بينهما، فيدلُّ على أنه إذا كان على هذه الصفة ومات فهو سالمٌ من عذاب الله ﷻ وهذا هو المغنم العظيم الذي يجب أن يكون السعي له، والحرص عليه.

قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وجبت له الجنة»؛ أي: أنه يستمر على ذلك من قولٍ بيقين وعملٍ يصدقه إلى أن يأتيه اليقين من ربِّه ﷻ؛ أعني: الموت.

قوله: «قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ**. . .»** أو «قال الأستاذ الإمام»، أو «قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»، ونحو ذلك: هو كلام راوي الكتاب عن الإمام البيهقي.



باب ذكرِ بعض ما يستدلُّ به على حدوث العَالَمِ، وأنَّ محدِثَهُ ومدبِّرَهُ إلـهٌ واحدٌ قديمٌ لا شرِيكَ له ولا شَبِيه

«قال الله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤].

أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس بن يعقوب، ثنا أحمد بن الفضل الصائغ، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا أبو جعفر الرازي، ثنا سعيد بن مسروق، عن أبي الضحى، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال: لما نزلت هذه الآية عجب المشركون، وقالوا: إن محمدًا يقول: إن إلٰهكم إلٰه واحد، فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، إلى قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤][(١)]. يقول: إن في هذه الآيات لآيات لقوم يعقلون.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٦١)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٩)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١٠٣).

❁ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: فذكر الله عَزَّ وَجَلَّ خلق السماوات بما فيها من الشمس، والقمر والنجوم المسخرات، وذكر خلق الأرض بما فيها من البحار، والأنهار، والجبال والمعادن، وذكر اختلاف الليل والنهار وأخذ أحدهما من الآخر، وذكر الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وذكر ما أنزل من السماء من المطر الذي فيه حياة البلاد، وبه وبما وضع الله في الليل والنهار من تعاقب الحر والبرد يتم رزق العباد والبهائم والدواب، وذكر ما بث في الأرض من كل دابة مختلفة الصور والأجساد مختلفة الألسِنة والألوان، وذكر تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وما فيهما من منافع الحيوانات، وما في جميع ذلك من الآيات البينات لقوم يعقلون.

❁ ثم أمر في آية أخرى بالنظر فيهما، فقال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: ١٠١] يعني: والله أعلم من الآيات الواضحات، والدلالات النيرات، وهذا لأنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك، واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد.

❁ فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض مبسوطة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيأة للمطاعم والملابس والمآرب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب مستعملة في المرافق، والإنسان كالمملّك للبيت، المخول ما فيه، وفي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا تام القدرة بالغ الحكمة، وهذا فيما قرأته من كتاب أبي سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ».

الشَّـرح

قوله: «باب ذِكْرِ بعض ما يستدَلُّ به على حدوثِ العَالَمِ، وأنَّ محدِثَهُ ومدبِّرهُ إلهٌ واحدٌ قدِيمٌ لا شرِيكَ لهُ ولا شَبِيه».

هذا العنوان لا يتناسب مع الآيات! بل هذا العنوان بهذه الترجمة أقربُ ما يكون إلى طريقة المتكلمين الذين يستدلُّون بالمخلوقات وحدوثها على وجود الله ﷻ، وهذا لا شكَّ فيه، ولم تَكُن المجادلات بين الرسل وقومهم في هذا، وإنما كانت المجادلات والمخالفات في وجوب العبادة لله وحدَه.

أما كونهم يُقِرُّون بأن الله ﷻ موجودٌ بالدلائل الظاهرة من السماء والأرض التي هي أكبر المخلوقات المشاهدة، فهذا لا يَخفَى على أحدٍ عنده عقل يعقل، ويعلم أن السماء لم تُوجِدْ نفسَها، وكذلك الأرض، وأنه لا يمكن أن يكون أوجدها نظيرُها من المخلوقات، فلا بدَّ أن يكون الذي أوجدها قادرٌ متفردٌ بالقدرة والاختراع، والتصرف والكمال، فهذا أمرٌ ظاهرٌ جدًّا لا يخفى؛ ولهذا كثيرٌ من العلماء يقول: لا عذر للمشرك على أي حالٍ كان؛ لظهور هذه الأدلة على وجوب التوحيد وليس فقط على وجوب وجود الله.

أما كون الإنسان يُقِرُّ بأن الله ﷻ موجودٌ فهذا لا يكفي في كونه يكون مسلمًا، فضلًا عن أن يكونَ هو المطلوب الذي نزلت فيه الآيات، وجاءت به الرسل!

قوله: «قديم».

كلمة «قديم» لم تثبت في أسماء الله ﷻ، وهو يقول: «**إلهٌ واحدٌ قديم**»، لكن لو عبَّر بتعبير رسول الله ﷺ كقوله: «**كان الله ولم يكن شيء**

غيره»[١]، كان أحسن وأولى وأوجب؛ وذلك لأن القديم نسبيٌّ، وكلَّما جاء شيءٌ من جنسه صار ذلك الذي سبقه قديمًا.

وذلك كما قال الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس: ٣٩]؛ يعني: أن الهلال يكون كبيرًا، ثم يتمُّ ثم يصغر، ثم يصغر، ثم يكون كالعرجون قد انحنى، والعرجون هو الذي يمسك القِنْوان، والقِنْوانُ من النخلة ينمو ويستوي حتى يكون في متناول القاطف، فإذا جاء الذي بعده صار ذلك قديمًا.

وكما قال أبناء يعقوب: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف: ٩٥]، ﴿ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾؛ أي: الذي كان قبل هذا الوقت الذي كلموه فيه.

فالقديم ليس من الأسماء الحسنى، ولا يدخل في أسماء الله ﷻ ولكن تعبير المتكلمين في هذا أنَّ القِدَمَ أخصُّ أسماء الله عندهم، وهذا مخالفٌ لكتاب الله ﷻ ولما جاء به الرسول ﷺ من كون الله ﷻ له الأسماء الحسنى.

قوله: «لا شريك له ولا شبيه»:

«**لا شريك له**»: هذا النفي يجب أن يكون عامًّا، فلا شريك له في الخلق ولا شريك له في التصرُّف، ولا شريك له في العبادة، أما أن نقول: لا شريك له في الخلق فقط كما يقول المتكلمون فهذا لا يكفي؛ ولهذا عطف على ذلك: **قوله: «ولا شبيه»**.

قوله: «ولا شبيه».

التوحيد عند المتكلمين يكون بالعلم بأن الله ﷻ هو الخالق، وأنه

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

متفرِّدٌ بذلك، وأنه أيضًا لا قسيمَ له في نفسه، ولا شريك له في التصرُّف، وذلك كله يرجع إلى توحيد الربوبية، أما توحيد الإلٰهية فهم يغفلون عنه، ولا تجِدُ أحدًا منهم ـ إلا ما ندر ـ يُعرِّج على ذلك إلا قليلًا.

واستدلاله بالآيات هو استدلالٌ في غير محله، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] فالآية فيها وجوب العبادة والتأله لله ﷻ بأن يُعبد وحده، وكذلك فيها إثبات توحيد الأسماء والصفات، قال: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾؛ فـ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ اسمان من أسماء الله ﷻ المتفرِّد بهما، ولا يسمى أحدٌ من الخلق بواحدٍ منهما.

ثم في ضمن ذلك دلالة على صفات الله ﷻ؛ لأن الأصل هو الصفة، فقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وإن كان بلفظ الخبر فهو بمعنى الأمر؛ أي: تألَّهوا إلٰهًا واحدًا هو الرحمٰن الرحيم، وهذا هو معنى الآية الذي اتفق عليه أهل السُّنَّة والمفسرون وغيرهم، أما أن يُستدَلَّ بهذا بأنه هو الخالق وحده، فهذا أمرٌ مسلَّم به ولا شكَّ فيه!

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

قوله تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾؛ أي: دلائل كافية لمن عنده عقلٌ ونظرٌ، في وجوب عبادة الله وحده، وإلا كونه يعرف أن هذه الآيات دلَّت على الخالق فقط، فهذا لا يكفي.

قوله: «لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ عَجِبَ المشركونَ، وقالوا: إنَّ محمَّدًا

يقولُ: إنَّ إلهكم إلهٌ واحدٌ، فليأتنا بآيةٍ إنْ كانَ من الصَّادقِينَ، فأنزلَ الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]».

ذِكرُه لسبب النزول كأنه يقول: هذا المعنى يتفق مع سبب النزول؛ لأن الكفار أنكروا قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

والغالب أن أسباب النزول لا تثبت؛ لأنها كثيرًا ما تُذكَر في أحاديثٍ ضعيفة، وإن كان هذا السندُ الذي ذُكِرَ حسنًا ولا بأس به.

ولكن الدلالة على قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] أنها لما نزلت قالوا: (يأتي بآية مثل آيات الرسل السابقة)؛ مثل آية موسى، وعيسى وغيرهما من الرسل.

وفيما ذكره الله ﷻ عن وجود السماء والأرض وغيرهما من المخلوقات دلائل توجب عبادة الله وحده، وليس معنى ذلك أنها توجب على العباد أنهم يعرفون وجود الله، وأنه الخالق الذي خلق هذه الأشياء كما قرر فيما بعد، فهذا أمرٌ لا يحتاجون إليه، ولا يحتاج إليه كل مسلمٍ؛ لظهور ذلك وجلائه؛ ولهذا جعل هذا دليلًا على وجوب عبادة الله التي حصل فيها اللبس أو الإنكار؛ حيث جعلوا العبادة مشتركة بين الله ﷻ وبين خلقه فالأمر الذي ذكر واضح.

وقوله: «ثم أمر في آيةٍ أخرى بالنظر فيهما قال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]».

أي: انظروا: ماذا في السماوات والأرض؟ حتى تعبدوا الله وحده، وليس بأن تُقِرُّوا بأن الله ﷻ هو الخالق المتصرف في هذا فقط، فهذا لا يكفي منكم ولا يفيدكم بشيء دون عبادته؛ لأن هذا أمرٌ لو علمه أحدٌ واستمرَّ عليه لا يكون به مسلمًا.

* * *

۞ «قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم إن الله تعالى حضهم على النظر في ملكوت السماوات والأرض وغيرهما من خلقه في آية أخرى فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥] يعني بالملكوت: الآيات، يقول: أولم ينظروا فيها نظر تفكر وتدبر؟ حتى يستدلوا بكونها محلًّا للحوادث والتغيرات على أنها محدثات، وأن المحدث لا يستغني عن صانع يصنعه على هيئة لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، كما استدل إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمثل ذلك؛ فانقطع عنها كلها إلى رب هو خالقها ومنشئها، فقال: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]».

۞ الشَّرح ۞

هذا كلُّه محاولةٌ إلى أن يُثبِتَ أنَّ أول ما يجب على العبد هو النظر في المخلوقات! ويكون الحدوث (حدوث الأشياء) دليلٌ على أنَّ لها محدِثًا، والمحدِثُ لا بدَّ أن يكون متفرِّدًا بالإحداث.

والآية تدلُّ على وجوب العبادة لله وحده؛ لأنهم كانوا مُقِرِّين بالآيات ومن خلقها، ولم يكن ثَمَّ نزاعٌ يُذكَر، بل كلُّهم يُقِرُّون بأنَّ الله هو الذي خلقهم وخلق السماء والأرض، وأوجد الأشياء من المطر والنبات والمحدَثات التي تحدُث؛ لأنَّ الحدث عندهم هو الأصل الذي دل على وجود الخالق، قال الله ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]؛ أي: هل يمكن للمخلوق أن يخلق بلا خالق؟! بالطبع

لا يمكن، ولا يمكن أن يكون هو الذي خلق نفسَه، فهذا أمرٌ لا يخطر على بالِ أحدٍ.

المقصود بذلك: أن تكون العبادة للخالق وحدَه.

وكلُّ استدلال المصنف معكوسٌ، فليس هذا هو المقصود بالآيات، وليس المقصود من الآيات الاستدلال على أن الله ﷻ هو الخالق فقط كما سبق، فهذا لا ينفع ولا يفيد، ولكن هذه طريقة المتكلمين، والمؤلف رحمه الله متأثرٌ بنظرِ وفِكْر المتكلمين، مع أنَّ استدلاله كلَّه بآياتٍ وأحاديث صريحة وواضحة في أنها تدل على وجوب عبادة الله وحده، أما كونها تعني أنهم أقروا بأن الله هو الخالق والرازق؛ فهو أمرٌ لا يحتاج إلى استدلال.

* * *



﴿ «أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس، حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥].

﴿ يعني به الشمس والقمر والنجوم، لما رأى ﴿كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦]، حتى غاب، فلما غاب قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦، ٧٧]، حتَّى غابَ، فلمَّا غابَ قالَ: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنعام: ٧٧]، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: ٧٨]، حتى غابت، فلما غابت ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية [الأنعام: ٧٨، ٧٩]»(١).

الشرح

هذا الاستدلال يعني: أنَّ إبراهيم عليه السلام استدلَّ بحركة الكواكب على أنها مخلوقة، وأنها لا تصلح أن تكون إلـهًا، وهذا استدلال المتكلمين.

أما الصحيح في هذا، والذي عليه السلف، أنَّ هذه مناظرةٌ لإبراهيم عليه السلام مع قومه؛ لأن قومه كانوا يعبدون الكوكب، ويبنون لها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٤٩٨)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٦١٢).

الهياكل التي يزعمون بأن الرُّوحانيات تتنزل فيها، وهذه الروحانيات هي الشياطين التي تتنزل عليهم وتُضِلُّهم حين يخاطبونها، ويقولون: إنها روحانيَّات الكواكب.

نظر إبراهيم عليه السلام للكوكب وقال: «أهذا ربي؟» هذا لا يصلح أن يكون ربًّا؛ لأنه يذهب ويغيب، والربُّ يجب أن يكون رقيبًا مشاهِدًا لعبده دائمًا لا يَغِيب عنه.

فأما كون الإلٰه يتحرك فقط؛ فقالوا: إن الله ﷻ لا يتحرك، ولا يجوز أنه يتحرك، فنفوا مثلًا كونه يستوي، وكونه ينزل، وكونه يجيء يوم القيامة، على هذا الأساس جعلوا الحركة حدثًا، والحدث إذا اقترن بشيء صار محدَثًا، هذا هو وجه استدلاله بهذه الآيات؛ ولهذا نقول: إن هذا استدلالٌ على غير نهجِ أهل السُّنَّة.

الصحيح من هذا: أنَّ إبراهيم عليه السلام أراد أن يُبطِل عبادة هؤلاء، فلما رأى الكوكب قال: «أهذا ربي؟»، ثم القمر أكبر من الكوكب فقال: «أهذا ربي؟»، فلو كان ربًّا ما غاب وذهب، وكذلك الشمس؛ ولهذا لما قال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ [الانعام: ٧٨ ـ ٧٩] قال الله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾.

فتبين أن ما حدث كان مُحاجَّةً بين إبراهيم عليه السلام وبين قومه وليس للنظر في أنَّ الكواكب والشمس والقمر تتحرك، وأنَّ الذي يتحرَّك لا يصلح أن يكون إلـٰهًا!، كما زعم المتكلمون في هذا، فهذا على خلاف ما قاله الصحابة والمفسرون من السلف، وهو استدلال المتكلمين.

* * *

«قال الشيخ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: وحثهم على النظر في أنفسهم والتفكر فيها، فقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، يعني: لما فيها من الإشارة إلى آثار الصنعة الموجودة في الإنسان من يدين يبطش بهما، ورجلين يمشي عليهما، وعين يبصر بها، وأذن يسمع بها، ولسان يتكلم به، وأضراس تحدث له عند غناه عن الرضاع، وحاجته إلى الغذاء يطحن بها الطعام، ومعدة أعدت لطبخ الغذاء، وكبد يسلك إليها صفوه، وعروق ومعابر تنفذ فيها إلى الأطراف، وأمعاء يرسب إليها تفل الغذاء، ويبرز عن أسفل البدن، فيستدل بها على أن لها صانعًا حكيمًا عالمًا قديرًا».



الشَّرح

وهذا من العجب!!

كيف تكون هذه الآيات للدلالة على الخلق فقط؟!

هذا مما لا يخفى على أحدٍ، وإنما هذا المقصود به أن يُعلَم أن الذي فعل هذه الأشياء هو الذي يجب أن يُعبَد وحدَه.

* * *

ﷺ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا عباس بن محمد، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن محمد بن المرتفع، عن عبد الله بن الزبير، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، قال: سبيل الخلاء والبول(١).

ﷺ وأخبرنا يحيى بن إبراهيم، حدثني محمد بن محمد بن عبيد الله الأديب، ثنا محمود بن محمد، ثنا عبد الله بن الهيثم، ثنا الأصمعي، قال: سمعت ابن السماك، يقول لرجل: «تبَارَكَ مَنْ خلَقَكَ فجَعَلَكَ تُبصِرُ بِشَحمٍ، وتَسمَعُ بِعظْمٍ، وتَتكَلَّمُ بِلحمٍ»(٢).

الشَّرح

هذا كلُّه لا يدُلُّ على ما أراد؛ لأنَّ السلف يفسرون الآية بجزء معناها حسب الحاجة، وهذا الكلام الذي يقولونه، من أنه يجب أن تكون عبدًا لله لا لغيره، وإن كنت عبدًا لغيره معه فهذا هو الشرك الذي أُرسِلَت الرسل لإبطاله، وكون العبادة تكون لله وحده.

المقصود: أنَّ هذا استدلالٌ على وجوب العبادة، وليس استدلالًا على وجود الخالق المتصرف.

فكلُّ الكلام الذي يقوله لا حاجة للإنسان إليه؛ لأنه ظاهرٌ جليٌّ لا يخفى على من له بصر وعقل!

* * *

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٧)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١١٠).
(٢) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (١١٣).

﴿ «قلنا: ثم إنا رأينا أشياء متضادة من شأنها التنافر والتباين والتفاسد مجموعة في بدن الإنسان وأبدان سائر الحيوان، وهي الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، فقلنا: إن جامعًا جمعها وقهرها على الاجتماع وأقامها بلطفه، ولولا ذلك لتنافرت ولتفاسدت، ولو جاز أن تجتمع المتضادات، والمتنافرات، وتتقاوم من غير جامع يجمعها لجاز أن يجتمع الماء والنار، ويتقاوما من ذاتهما من غير جامع يجمعها ومقيم يقيمها، وهذا محال لا يتوهم، فثبت أن اجتماعها إنما كان بجامع قهرها على الاجتماع والالتئام وهو الله الواحد القهار.

﴿ وقد حُكي عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه احتج بقريب من هذا المعنى حين سأله المريسي عن دلائل التوحيد في مجلس الرشيد[١]، واحتج أيضًا بالآية التي ذكرناها في أول الباب وباختلاف الأصوات.

﴿ قلنا: وقد بيَّن الله تعالى في كتابه العزيز تحول أنفسنا من حالة إلى حالة وتغيرها؛ ليستدل بذلك على خالقها ومحولها، فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ

---
(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٨١).

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٥]».

الشَّرْح

إنَّ الإنسان إذا اتَّجه إلى شيءٍ معيَّن يُعمَى عن غيره، وهذه الآيات مع ظهورها وجلائها يجعلها دليلًا على أنَّ الله ﷻ هو المتصرف وحده، وهذا لا شكَّ فيه.

قولُه تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٤]؛ فيه إبطالٌ للشِّرْك، فكيف لك أن تُوقِّر الله ﷻ وتعبدَ معه مخلوقًا ضعيفًا مثلك؟ إنَّ هذا الذي يفعله ما رجى لله وقارَه، ولا قَدَر اللهَ حقَّ قدرِه، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، يعني: لما عبدوا معه غيره كانوا من أضلِّ الضالِّين؛ حيث يعلمون علمًا يقينيًّا بأنه هو الموجد لهم بهذه المنافع، أوجدهم وأوجد ما يحتاجون إليه مما في السماء والأرض، هم يعلمون ذلك تمامًا ثم يعبدون معه غيره!

المقصود من قوله تعالى: إبطال العبادة التي تصدر منهم، أما كونهم يُقِرُّون بأن الله وحدَه هو الموجد لهذه الموجودات فليس هناك من قال بغير ذلك، إلا ما جاء عن (الثانوية) الذين هم أضلُّ خلق الله، الذين يقولون: إن الذي يتصرَّف في الخلق إلٰهان: (إلٰه الخير وإلٰه الشر)، أو: (إلٰه النور، وإلٰه الظلمة)، ويجعلون النار أصلًا للنور؛ ولهذا عبدوها!

وعلى ما يقولون: إن إلٰه الخير يغلب إلٰه الشر، فإذا كان إلٰه الخير يغلب فالمغلوب لا يصلح أن يكون إلٰهًا، ولا يصلح أن يكون شريكًا للغالب، فيكون مقهورًا مغلوبًا.

المقصود: أن الإقرار بوجود الله، وبأنه الخالق المتصرِّف؛ أمرٌ ظاهرٌ جليٌّ لا يحتاج أن نستدل عليه بالآيات، فالآيات كلُّها تدلُّ على

إبطال الشرك، والشركُ الذي عندهم ليس في الربوبية، فما وجدنا أحدًا يقول: إن السماء اشترك اثنان في خلقها أو الأرض أو غيرها، أو اشترك اثنان في خلق الناس.

لم يقل أحد بذلك، وما عُرِف إلا من شواذ بني آدم، الذين شذُّوا وتمرَّدُوا على الخلق وعلى ربِّهم ﷻ مثل فرعون، الذي يقول: أنا ربكم وأنا إلٰهكم، و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فهذه سخافة وعناد وتكبر! ومن تكبره هذا أنه يقول لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] فهل يعقل هذا؟ وهل يقال من رجل عاقل؟ أيبني بناءً حتى يصل إلى السماء! لا يمكن أبدًا ولا يتصوره عقل عاقل، إنما هو تمويه ودَجَلٌ كعادة الجبابرة، والمتكبرين على الناس يجعلون المستحيلَ كأنه بين يديهم شيءٌ مستساغ!

المقصود: أن الاستدلال بالآيات كلِّها التي جاءت في كتاب الله تدلُّ على وجوب عبادة الله وحدَه، وليست في كون الله ﷻ هو المتصرِّفُ وحدَه، فإنَّ هذا صار هو الدليل على وجوب العبادة؛ لأنهم أقروا بها.

* * *



ﷺ «فالإنسان إذا فكر في نفسه رآها مدبّرة، وعلى أحوال شتى مصرفة، كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم لحمًا وعظمًا، فيعلم أنه لم ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال؛ لأنه لا يقدر أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي حال كمال عقله وبلوغ أشده عضوًا من الأعضاء، ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحة، فيدله ذلك على أنه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز، وقد يرى نفسه شابًا ثم كهلًا ثم شيخًا، وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى الشيخوخة والهرم، ولا اختاره لنفسه ولا في وسعه أن يزايل حال المشيب ويراجع قوة الشباب، فيعلم بذلك أنه ليس هو الذي فعل هذه الأفعال بنفسه، وأن له صانعًا صنعه، وناقلًا نقله من حال إلى حال، ولولا ذلك لم تتبدل أحواله بلا ناقل ولا مدبر، ثم يعلم أنه لا يتأتى الفعل المحكم المتقن ولا يوجد الأمر والنهي ممن لا حياة له، ولا علم، ولا قدرة، ولا إرادة، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، فيستدل بذلك على أن صانعه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، ثم يعلم استغناء المصنوع بصانع واحد...».

الشَرح

هذه المعلومة لا تخفى على أحد، كلُّ أحدٍ يعرف أنَّ الله خلقه، وهو الذي تفرَّد بذلك، ولكن هل هذا ينجيه من عذاب الله؟!

نقول: كلا، لا ينجيه ولا يجعله مسلمًا، فلا بد أن يكون هذا الاستدلال وهذه الآيات تدلُّ على وجوب عبادة الله التي بها النجاة للإنسان من عذاب الله، فإن لم يعبد ربَّه ﷻ وحدَه فهو من الهالكين.

المقصود: الاستدلال بأن الله هو الذي صنع وخلق هذا أمرٌ ـ كما سبق ـ مفروغٌ منه ومُقَرٌّ به، ولا يكون في الاستدلال عليه زيادةُ فائدةٍ أو زيادةُ علمٍ، وإنما جُعل هذا دليلًا على وجوب العبادة أن يكون المعبود هو الله وحده، فعكس ما يستدلون به هو المقصود.

وإن كنا نقول مثلًا: الاستدلال على الربوبية والخالق لا شكَّ أنه ظاهرٌ وجليٌّ، ولكن يراد بهذا أن يكون دليلًا على وجوب العبادة، وليس فقط على أن الله ﷻ هو الخالق الرازق! فهذا لا يكفي.

قوله: «... فيستدل بذلك على أن صانعه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم، ثم يعلم استغناء المصنوع بصانع واحد».

فإذًا استدلَّ على أن خالِقَه، وصانِعه ـ كما يقول ـ لأن كلمة (صانع) كثيرًا ما يعبر بها المتكلمون، وهي ليست أيضًا من أسماء الله، ولكن مخاطبة الناس بما يتعارفون عليه يكون من باب الخبر فقط وليس من باب التسمية، ولا يجوز أن يكون من باب التسمية.

نقول: إذا استدل بهذه الأشياء، وعلم أن خالقه حيٌّ عالمٌ، قديرٌ مُريدٌ، سميعٌ بصيرٌ متكلِّم، فلا يكفي؛ لأن معنى هذا أنه أقرَّ بتوحيد الربوبية فقط، وبقي التوحيد الذي صار فيه الخلل والانحراف لم يُذكَر، ولم يأتِ له أمرٌ في هذا، وهذا الذي سيقت الآيات من أجلِه؛ أن تكون العبادة لله وحده، أما هذا أمرٌ جُعل دليلًا، والدليل لا يكون هو المقصود، فالدليل يجب أن يكون المقصود به ما وُضع له وهو وجوب العبادة لله وحده.

تنبيه: كلمة «**متكلم**» ليست من أسماء الله تعالى أيضًا، فلا يقال «متكلم»؛ لأن أسماء الله ﷻ توقيفية تُوقَف على النص، تأتي بالوحي.

* * *

ﷺ «وعلو بعضهم على بعض أن لو كان معه آلهة، وما يدخل من الفساد في الخلق أن لو كان معه آلهة، فيستدل بذلك على أنه إله واحد لا شريك له، كما قال عزَّ من قائل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ٩١ ـ ٩٢]، وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]».

الشَّرح

الإله هو المخترع الموجد الخالق، وليس المقصود به المألوه الذي يُعبَد، وهذه طريقة المتكلمين التي لا تنفع ولا تُجدِي من شيء، فهو إلهٌ واحد لا شريك له؛ يُؤلَه ويُعبَد، أما أن يكون هو الذي يخلق ويرزق، ويحي ويميت ويتصرف في الخلق فقط، فلا يكفي.

قوله: «وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]».

هذه الآية يستدلُّ بها المتكلمون في طريقة التمانع في المخلوقات، والصحيح أن التمانع يكون في العبادة، فلو كان مع الله آلهة أخرى ـ حاشاه ذلك ـ لفَسَدَت السماوات والأرض.

وليس المعنى: أنه لو كان معه شريكٌ في الخلق والتصرف فلن تستقيم الأمور، هذا حقٌّ، ولكن الآية لم تأتِ لهذا المعنى؛ وإنما جاءت لإبطال الشرك والتألُّه مع الله ﷻ.

ولهذا لما زعم المشركون أن لهم شفعاء ولهم ما يعبدون من

دون الله، أخبر الله ﷻ بأنه لا شريك له يعلمه، والذي لا يعلمه الله لا وجود له، وهذا معنى قول الله ﷻ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [النجم: ٢٣]؛ أي: مجرَّد أسماء فقط، لا حقيقة لها، فهي ليست آلهة كما تزعمون، بل هي مجرَّد أسماء وضعوها من عندهم.

قوله: «وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾»، قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ لم يقل: (لم يكن فيهما خالقًا مدبرًا متصرفًا)، بل قال: ﴿ءَالِهَةٌ﴾، والآلهة هي التي تُؤلَّه، وهي التي يكون القلب متعلقًا بها، ليست الآلهة التي تخلق وتوجد وتتصرف بنفسها فقط، وإن كان يلزم من الإلٰه أن يكون قادرًا على كلِّ شيء، وإلا لا يصلح أن يكون إلـٰهًا، فهذه ألوهية باطلة.

فالآيات كلُّها في إبطال الشركِ وليس في دليل التمانع الذي يقوله المتكلمون، وكما يشير إليه المؤلف هنا!

* * *

ﷺ «ثم يعلم أن صانع العالم لا يشبه شيئًا من العالم؛ لأنه لو أشبه شيئًا من المحدثات بجهة من الجهات لأشبهه في الحدوث من تلك الجهة، ومحال أن يكون القديم محدثًا، أو يكون قديمًا من جهة حديثًا من جهة؛ ولأنه يستحيل أن يكون الفاعل يفعل مثله، كالشاتم لا يكون شتمًا وقد فعل الشتم، والكاذب لا يكون كذبًا وقد فعل الكذب؛ ولأنه يستحيل أن يكون شيئان مثلين يفعل أحدهما صاحبه؛ لأنه ليس أحد المثلين بأن يفعل صاحبه أولى من الآخر، وإذا كان كذلك لم يكن لأحدهما على الآخر مزية يستحق لأجلها أن يكون محدثًا له؛ لأن هذا حكم المثلين فيما تماثلا فيه، وإذا كان كذلك استحال أن يكون الباري سبحانه مشبهًا للأشياء، فهو كما وصف نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]».

الشَّرح

هذا كلُّه أيضًا مثلُ ما مضى على طريقةٍ واحدةٍ ونسقٍ واحدٍ، يريد المؤلف أن تكون هذه الأدلة أدلةً على أن الله ﷻ هو المدبِّر المتصرِّف وحدَه، وهو الخالق وحدَه، وهو الذي له الآخرة والأولى بالتصرُّف والإيجاد والإعدام، وهذا لا يكفي كما مضى، وليس هذا هو مقصود الآيات، فالمقصود: أن الله ﷻ يُبطِل عبادة غيره، ويجعل العبادة له وحده.

وقوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى: ١١]»

في ضمن ذلك وجوبٌ لعبادته ﷻ أنه ﷻ هو المستحقُّ للعبادة وحدَه، وهو الذي لا يخفى عليه شيء، وهو الذي له الكمال في ذاته، وفي تصرفه وفعله.

وقوله: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]» هذه صفاته ـ تعالى وتقدس ـ أنه أحدٌ يجب أن يوحَّد، وأن تكون العبادة له؛ لأنه هو الأحد الصمد.

و(**الصمد**): الذي يُصمَد إليه ويُقصَد، وهو الذي لا يمكن وجود شيء إلا به ﷻ، وكذلك **قوله**: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣] هذا نفيٌ مفصَّل لإبطالِ ما يقوله أعداء الله من المشركين: إنَّ الله اتخذ صاحبة أو إن له ولدًا!

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]؛ **يعني**: ليس له مكافئ ومماثل يماثِلُه، لا في الخلق والتصرُّف، ولا في ذاتِه ﷻ، ولا في أسمائه. وكذلك في حقِّه، فحقُّه يجب أن يكون خالصًا له وليس لأحدٍ فيه شيء.

* * *

۞ «حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، قال: أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، وأبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ، قالا: ثنا الحسين بن الفضل، ثنا محمد بن سابق، ثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه: أن المشركين، قالوا: يا محمد، انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تبارك لا يموت ولا يورث، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، لم يكن له شبيه ولا عِدلٌ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]»[(١)].

الشرح

قوله: «**ولا عِدلٌ**..»، ولا نظير له في التصرُّف، ولا في الذات، وهذا أمرٌ متَّفقٌ عليه في الذات، لا يخالف فيه أحد، ثم الأمر الثالث: «في حقه» الذي أوجبه، فيجب ألَّا يكون له نظيرٌ أو شبيهٌ فيه، فهو المعبود وحدَه، أما إذا جُعِلَ له نظيرٌ كان الإنسان مشركًا، وهذا الذي جاءت الرسل بالآيات لإبطاله.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢١٢١٩)، والترمذي (٣٣٦٤).

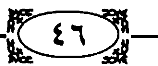
﴿ «أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم، أنا أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، قال: يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وفي قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، يقول: هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا؟»[1].

الشَّرح

أي: «شبيهًا» حتى في العبادة، هذا المقصود، وإلا الأمر الآخر الذي يستدلُّ له المؤلف فهو أمرٌ مفروغٌ منه، ولم يكن فيه خلافٌ، فكيف يُستدلُّ على الشيء المتَّفق عليه الذي لا خلاف فيه، ويُترَك الشيء الذي وقع فيه الخلاف، وقع فيه الخلل الكبير الذي هو العبادة؟!

* * *

(١) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (١٢١)، وفي «الأسماء والصفات» (٦١٠).



ﷺ «قلنا: وقد سلك بعض مشايخنا - رحمنا الله وإياهم - في إثبات الصانع، وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوة، ومعجزات الرسالة؛ لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها، ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلًا في وجوب قبول ما دعا إليه النبي ﷺ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل صلوات الله عليهم أجمعين».

الشَّرح



قوله: «وقد سلك بعض مشايخنا...».

من مشايخه المتكلمين ابنُ فُورَك، وهو من المتقدِّمين في هذا المجال، وكثيرًا ما تأثَّر المؤلف به، وأما الحليمي الذي هو شيخُه فهو مجانِبُ هذا المعنى، ولا يميل للمتكلِّمين مثل ما يميل البيهقي رَحِمَهُ اللهُ، وإن كان لا يخلو من التأثُّر في ذلك، والاستدلال بما جاء به النبي ﷺ هو الأسلم والأحكم.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ رَحِمَهُ اللَّهُ، أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا يوسف بن يعقوب، حدثنا نصر بن علي، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، حدثني الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعن عروة بن الزبير، وصلب الحديث عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن، عن أم سلمة، زوج النبي ﷺ قالت: إن النبي ﷺ لما فتن أصحابه بمكة أشار عليهم أن يلحقوا بأرض الحبشة. فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: فكلمه جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعني: النجاشي، فقال: «كُنَّا عَلَى دِينِهِمْ؛ ـ يعني: على دين أهل مكة ـ، حَتَّى بَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِينَا رَسُولًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَا إِلَى أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَنَخْلَعَ مَا يَعْبُدُ قَوْمُنَا وَغَيْرُهُمْ مِنْ دُونِهِ، وَأَمَرَنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَكُلِّ مَا يُعْرَفُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، فَتَلَا عَلَيْنَا تَنْزِيلًا جَاءَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَعَرَفْنَا أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَفَارَقْنَا عِنْدَ ذَلِكَ قَوْمَنَا وَآذَوْنَا.

﴿ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكُمْ مِمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ تَقْرَءُونَهُ عَلَيَّ؟ قَالَ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَرَأَ ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]. فَلَمَّا قَرَأَهَا بَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ، وَقَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ وَالْكَلَامَ الَّذِي جَاءَ بِهِ

مُوسَى عليه السلام لَيَخْرُجَانِ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ»[١].

الشَّرح

هذا الاستدلال أيضًا ليس في مكانه؛ ولهذا قال جعفر رضي الله عنه: «**أنْ نَعبُدَ الله وحدَهُ لا نشرك به شيئًا، ونخلَعَ ما يعبد قومنا وغيرهم من دونه**»؛ أي: نترك عبادة غيره، فهو جاء لهذا، وهذا الذي عادوهم لأجلِه، وهو الذي أخرجوهم من أجله، لا لأنهم قالوا: إن الله هو خالقنا، وهو مدبِّر الكون، وهو المتصرِّف فيه، لو كان هذا فقد كانوا يقولونها!

استدلالاتٌ عجيبة، يسير بها على طريقة المتكلمين، وهي طريقةٌ جهليةٌ بعيدةٌ عن الحقِّ وليس منها طوقُ نجاةٍ، بل المشركون يقرون بها ولا يختلفون عليها.

فعبادة الله وحده هي التي افترق الناس من أجلها واختلفوا عليها، والرسل ـ صلوات الله عليهم ـ جاءوا بأمر من الله أن تكون العبادةُ لله وحده؛ ولهذا جعل ﷻ دعوة الرسل كلَّها في هذا النطاق، فكلُّ رسولٍ يُبعَث يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وما قالوا: انظروا في ملكوت الأشياء، والسماوات والأرض، حتى تستدلوا على وجود الله ﷻ؛ لأنهم يعرفون هذا تمامًا.

العبرة في هذا قولُ النجاشيِّ: «**إنَّ هذا الكلامَ والكلَامَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى عليه السلام لَيَخرُجَانِ مِنْ مِشكاةٍ واحدةٍ**»: لماذا لم يقُلْ: عيسى، وقال: موسى؟ هذا أتى كثيرًا، وذُكر ذلك حتى في القرآن، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٠] ما قالوا: من بعد عيسى، فلماذا؟

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٢٦٠).

لأن عيسى عليه السلام جاء مكمِّلًا لشريعة موسى، ولم يأتِ بشريعةٍ مستقِلَّة، فشريعة بني إسرائيل كلُّها التوراة التي جاء بها موسى، وإنما جاء عيسى ليخفِّف عنهم بعض ما كان عليهم من الآصَار.

ثم قول النجاشي: «**إنَّ هذا الكلامَ والكلَامَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى** عليه السلام **لَيَخرُجَانِ مِنْ مِشكاةٍ واحدةٍ**»؛ أي: أنَّ الله جل جلاله يخرج منه الكلام، وأنه يتكلَّم، وذلك بخلاف ما يقوله المتكلمون؛ لذلك فصاحبنا هذا لا يُقِرُّ بأن الله يخرج منه الكلام، بل عندهم الكلام هو معنى واحد قائمٌ بذات الله جل جلاله.

* * *

﴿ «قلنا: فهؤلاء مع النجاشي وأصحابه استدلوا بإعجاز القرآن على صدق النبي ﷺ فيما ادعاه من الرسالة، فاكتفوا به وآمنوا به وبما جاء به من عند الله، فكان فيما جاء به إثبات الصانع وحدوث العالم».

الشرح

استدلوا بالإعجاز على صدق الأخبار التي جاء بها الرسول ﷺ، واستدلوا بها على أنَّ هذا كلامٌ لله، وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، ولم يستدلوا على أنَّ القرآن معجِزٌ في أنَّ الله هو الخالق المتصرف، فهذا الأمر لا يخفى على أحدٍ.

استدل المصنف بهذه الآيات التي أوردها على وجود الله، وأنه الخالق المتصرف على طريقة أهل الكلام.

والصحابة والنجاشي استدلوا بالآيات على وجوب عبادة الله وإبطال الشرك، وإن كان فيما ذكر دلائل على قدرة الله على كل شيء، من ذلك أن زكريا عليه السلام سأل ربه أنه يهب له غلامًا، وقد بلغ من الكبر عتيًّا، وكذلك كونُ مريم جاءها جبريل عليه السلام، وأن الله وهب لها ولدًا وجاءت به قومها... إلى آخره.

وما ذكره المصنف من الاستدلال على الصانع فهو أمرٌ ظاهر، ومع ذلك لا يكفي في استقامة الخلق ولا نجاتهم من عذاب الله تعالى.

* * *



ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، ثنا أبو النضر، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس ﷺ قال: كُنَّا نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَيسأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «صَدَقت»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَال: «اللهُ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللهُ»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ؟ قَالَ: «اللهُ»، قَالَ: فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ؟ قَالَ: «اللهُ»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَنَصَبَ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ، آللهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا؟ قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَدَقَةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلكَ، آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهِنَّ، فَلَمَّا مَضَى، قَالَ رسول الله ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»(١).

(١) أخرجه مسلم (١٢).

الشَّرح

انظر كيف كان الاستدلال؟!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوسٌ مع النبي ﷺ في المسجد، دخلَ رَجلٌ على جَمَلٍ، فأنَاخَهُ في المسجد ثم عقَلَه، ثم قال لهم: أيكم محمدٌ؟ والنبي ﷺ مُتَّكِئٌ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرَّجل الأبيض المتكئُ. فقال له الرَّجل: يا ابن عبد المطلب فقال له النبي ﷺ: «**قد أجبتُك**». فقال الرَّجل للنبي ﷺ: إني سَائلُك فمُشددٌ عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك؟ فقال: «**سَلْ عمَّا بدا لك**» فقال: أسألك بربك وربِّ من قبلك، آللهُ أرسلكَ إلى الناس كلهم؟ فقال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: أنشدُك بالله، آللهُ أمركَ أن نُصليَ الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: أنشدُك بالله، آللهُ أمرَكَ أن نَصومَ هذا الشهر من السَّنة؟ قال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: أنشدُك بالله، آللهُ أمرَكَ أن تأخذَ هذه الصَّدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». فقال الرَّجل: آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسولُ من ورائي من قومي، وأنَا ضِمَامُ بن ثعلبةَ أخو بني سعدِ بن بكرٍ(١).

قال الأعرابي: «إني سائلك ومشدِّدٌ عليك في المسألة»، فذكر الأمورَ الواضحة التي هي محلُّ الإقرار لكلِّ أحدٍ مثل خلق الجبال والسماء والأرض، فقال: بهذه الأشياء آلله أرسلك؟ فهو يقصِدُ بذلك إثباتَ الرسالة، وليس وجود الخالق، فلما أقرَّ الرسول ﷺ له بذلك، أمره رسول الله ﷺ أنْ يعبد الله وحده، وأن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، فهو يستدل بهذا الذي يقرون به، يؤمنون بها على الرسالة أنَّ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢).

أرسله، وأنَّ الله أمره بهذه الأشياء، هذا هو محل الاستدلال والكلام فيه.

أما على كونه يقول: إن الله ﷻ هو الخالق الرازق الصانع، فهذا هو الدليل الذي أدلى به رسولُه ﷺ بأن يكون مرسلًا، وأن يكون قد أمرَ بهذه الأوامر.

* * *

۞ «قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا السائل كان قد سمع بمعجزات رسول الله ﷺ، فكانت مستفيضة في زمانه، ولعله أيضًا ما كان يتلوه من القرآن فاقتصر في إثبات الخالق ومعرفة خلقه على سؤاله وجوابه عنه، وقد طالبه بعض من لم يقف على معجزاته بأن يريه من آياته ما يدل على صدقه، فلما أراه ووقفه عليه آمن به وصدقه فيما جاء به من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر بن إسحاق، أنا علي بن عبد العزيز، (ح).

۞ وأخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة، ثنا أبو علي حامد بن محمد الرفاء، أنا علي بن عبد العزيز، ثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أنا شريك، عن سماك، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: بِمَا أَعْرِفُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا الْعِذْقَ، فَجَعَلَ الْعِذْقُ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي الْأَرْضِ، فَجَعَلَ يَنْقزُّ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لَهُ: «ارْجِعْ»، فَرَجَعَ حَتَّى عَادَ إِلَى مَكَانِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَآمَنَ.

۞ تابعه الأعمش عن أبي ظبيان، ورواه أبو حيان عن عطاء، عن ابن عمر عن النبي ﷺ بمعناه»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٢٨).

الشَّرح



هذه هي آياتٌ على نُبُوَّة نبيّنا ﷺ، ولكنَّها لم يقصد بها الاستدلال على وجود الله ﷻ فإنَّ هذا أمرٌ مفروغٌ منه، كما مضى.

❁ ❁ ❁

باب ذكر أسماء الله وصفاته عزت أسماؤه وجل ثناؤه

﴿ «قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

﴿ وقال: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الحشر: ٢٢] إلى قوله: ﴿...لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

﴿ أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الفقيه رحمه الله، أنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

﴿ وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أخبرنا محمد بن أحمد بن الوليد الكرابيسي، ثنا صفوان بن صالح الدمشقي، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الْأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتعَالِ، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ»(١).

۞ وأخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل رَحِمَهُ اللهُ، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثني حميد بن الربيع، حدثني خالد بن مخلد، ثنا عبد العزيز بن الحصين، ثنا أيوب، وهشام، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة،

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧).

قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اللهُ، الرَّحْمٰنُ، الرَّحِيمُ، الْإِلٰهُ، الرَّبُّ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْحَلِيمُ، الْعَلِيمُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاسِعُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَنَّانُ، الْمَنَّانُ، الْبَدِيعُ، الْوَدُودُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْمَجِيدُ، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، النُّورُ، الْبَادِي، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْعَفُوُّ، الْغَفَّارُ، الْوَهَّابُ، الْقَادِرُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الْوَكِيلُ، الْكَافِي، الْبَاقِي، الْحَمِيدُ، الْمُغِيثُ، الدَّائِمُ، الْمُتَعَالِي، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمَوْلَى، النَّصِيرُ، الْحَقُّ، الْمُبِينُ، الْبَاعِثُ، الْمُجِيبُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْجَلِيلُ، الصَّادِقُ، الْحَافِظُ، الْمُحِيطُ، الْكَبِيرُ، الْقَرِيبُ، الرَّقِيبُ، الْفَتَّاحُ، التَّوَّابُ، الْقَدِيمُ، الْوِتْرُ، الْفَاطِرُ، الرَّزَّاقُ، الْعَلَّامُ، الْعَلِيُّ، الْعَظِيمُ، الْغَنِيُّ، الْمَلِيكُ، الْمُقْتَدِرُ، الْأَكْرَمُ، الرَّءُوفُ، الْمُدَبِّرُ، الْقَدِيرُ، الْمَالِكُ، الْقَاهِرُ، الْهَادِي، الشَّاكِرُ، الْكَرِيمُ، الرَّفِيعُ، الشَّهِيدُ، الْوَاحِدُ، ذُو الطَّوْلِ، ذُو الْمَعَارِجِ، ذُو الْفَضْلِ، الْخَلَّاقُ، الْكَفِيلُ، الْجَمِيلُ»(١).

❁ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: تفرد بالرواية الأولى مع ذكر الأسامي الوليد بن مسلم، عن شعيب بن أبي حمزة، وتفرد بهذه الرواية عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، عن أيوب السختياني، وهشام بن حسان، وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنَّ ذِكْرَ الأسامي

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٢)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (١٠).

في هذا الحديث من جهة بعض الرواة، وأن الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في ذكر عددها دون تفسير العدد، وهذه الأسامي مذكورة في كتاب الله ﷻ، وفي سائر الأحاديث عن نبيِّنا محمد ﷺ مفردة نصًّا أو دلالة، فذكرناها في كتاب «الأسماء والصفات»، وقوله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا» لا ينفي غيرها، وإنما أراد ـ والله أعلم ـ أن من أحصى من أسماء الله ﷻ تسعةً وتسعين اسمًا دخل الجنة، سواءٌ أحصاها مما نقلنا في الحديث الأول، أو مما ذكرنا في الحديث الثاني، أو من سائر ما دلَّ عليه الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع، وبالله التوفيق».

الشَّرح

سبق أنَّ طريقة البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في التوحيد هي طريقة المتكلمين وليست طريقة أهل السُّنَّة، ولهذا جعل الآيات التي في وجوب توحيد العبادة جعلها في توحيد الربوبية، وهذا ما يسلكه المتكلمون، فهُمْ يقرِّرون توحيد الربوبية ويُعرِضون عن توحيد العبادة نهائيًّا.

حين تقرأ أحد كتبهم لا تجد لتوحيد العبادة ذكرًا، أما توحيد الأسماء والصفات فهم يذكرونه حتى يؤولونه، ويأتون بتفسيراتٍ باطلةٍ تُصرِّف النصوص الظاهرة عن مراد المتكلِّم، وهذا خلافُ ما عليه أهلُ السُّنَّة.

قال: «باب ذكر أسماء الله وصفاته عزت أسماؤه وجل ثناؤه»: قوله: «أسماء الله وصفاته»، عطف الصفات على الأسماء، والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروفٌ، وهذا هو الأصل، **والفرق بين الأسماء والصفات:**

أن الأسماء هي ما دلَّت على المسمَّى، أو: ما دلت على الذَّات التي وُضعت لها هذه الأسماء.

أمَّا الصفات فهي المعاني التي تقوم بالذات؛ مثل: الرحمة، والعزة، والقوة، وما أشبه ذلك، وهذه هي الأصل؛ لأنَّ الأسماء أخذت من الصفات، لا العكس كما يزعمه بعض طلبة العلم، فإن هذا شيءٌ على خلاف ما اتَّفق عليه أهل السُّنَّة.

ولكن لظهور هذا، لا يُذكَر في كُتُب الأسماء والصفات؛ لأنه ظاهرٌ جدًّا، فالرحمٰن أُخِذَ من الرَّحمة، والعزيز من العِزَّة، والقوي من القوَّة، وهكذا، وليس معنى ذلك أنَّ الأسماء مستحدَثة وأنها حدَثتْ بعد الصفات كما قد يتوهَّمه من يتوهَّمه عندما يُقال: إنَّ أسماء الله مشتقَّة، فيذهب من أوَّل وهلةٍ إلى الاشتقاق اللُّغوي، وهذا باطلٌ!

المقصود: أنها ليست جامدةً كأسماء المخلوقين التي لا تدلُّ إلا على تمييز هذا مِنْ هذا؛ كعبد الله، وعبد الرحمٰن، وكلاهما عبدان مُعَبَّدان، ولكن وُضِعا للتمييز فغير بينهما، وإنما معنى الاشتقاق: أنَّ لها معاني عظيمة، وهي معنى كونها حسنى، فهي كاملةٌ تامَّةٌ لا يلحقها نقصٌ ولا عيبٌ، تعالى الله وتقدَّس.

أما قول أهل الكلام: هل الأسماء هي المسمى؟ فذلك من البدع التي أحدثها المتكلمون، **والناس في هذا على ثلاثة مذاهب:**

المذهب الأول: أنَّ الأسماء هي المسمى، وقد ذهب إلى هذا القول بعضُ أهلِ السُّنَّة.

المذهب الثاني: أن الأسماء غير المسمى.

المذهب الثالث: أنها لا هي المسمى ولا غيره، بل هي للمسمى.

والصحيح أنَّ الأسماء للمسمَّى، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ

ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأكثر أهل العلم يُنكِرون هذه المسألة، ويقولون: هذه مسائل البدع والضلال؛ لأن الأمر في هذا واضحٌ ولا يحتاج أن يقال: إنه غيره ولا هي هو، وإنما الأسماء وضعت للمسمى.

وأسماء الله ﷻ أزليَّةٌ قديمةٌ، فلم يحدث له شيءٌ بعد وجود الخلق كما هو معلوم، فهو له الكمال المطلق.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾؛ أي: اعبدوه بها، فهذا من الأمور الملزِمَة للمُوحِّد أن تكون عبادته بأسماء الله وصفاته تعالى وتقدَّس، وهو لا ينفك عن ذلك بحالٍ من الأحوال حتى في الأمور العادية؛ مثل الأكل والشرب ودخول البيت والنوم، وغير ذلك، يلزمه فيها أنْ يَذكُر الله ﷻ وهذا من عبادة الله ﷻ بأسمائه، وكذلك جعل الله ﷻ إباحة الذبيحة بذِكْر أسمائه، فلا بدَّ أن يقول: «بسم الله» عند الذبح[1]، وإلا لا تكون الذبيحة حلالًا، فهذا من عبادته ﷻ.

ثم هذا يختلف باختلاف الأفعال التي يفعلها المتعبِّد، العابد، فإذا أراد مثلًا طلب الرزق يسأل الله ﷻ بالاسم المناسب لذلك، فيقول: يا رزَّاقُ، وإذا طلب المغفرة يسأله بالاسم المناسب لهذا فيقول: يا غفور، يا رحيم، وهكذا.

قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: هذا وعيدٌ مِنَ الله ﷻ للمُلْحِد، والإلحاد هو الميلُ والعدول عن مقصود المتكلم، بأن يَعْدِلَ بها عن القصد الذي وُضعت له.

---

(١) حديث التسمية عند الذبح أخرجه البخاري (٩٨٥)، ومسلم (١٩٦٠)، عن جندب بن سفيان ﵁.

والإلحاد أنواعٌ خمسة ذكرها العلماء، كالتالي:

منها: تفسيرها بغير المراد، وهو المسمى بالتأويل، فالتأويل من الإلحاد.

ومنها: أن يُشتقَّ لأسماء المعبودات منها أسماء؛ كما قالوا: (الآلهة) على الصنم والحجر والشجر من (الإلـٰه) وهذا إلحاد وكفر، وكذلك تسميتهم الشجرة (العزى) من اسم الله (العزيز)، وسموا (اللات) من لفظ الجلالة (الله).

ومنها: أن يُزاد فيها ما ليس منها.

ومنها: أن يُجعل لله ﷻ اسمٌ مِن أسماء النَّقص تعالى وتقدَّس كما يقول اليهود: (إنَّ الله بخيلٌ)، (إن الله فقير)، (إنَّ الله تعب من خلق السماوات والأرض فاستراح يوم السابع) تعالى الله وتقدَّس عن قولهم وافتراءاتهم، فهذا من الإلحاد.

وأعظم الإلحاد، والذي وقع فيه كثيرٌ من الناس، هو التأويل ونَفْي المعاني التي وُضعت لها الأسماء؛ لأنَّ الأسماء قُصِدَ بها المعنى الذي وُضِع له، فهذا كثيرٌ جدًّا.

وقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ أي: ذرهم فإنهم بمرأى من الله ﷻ ومَسْمع، ومرجِعُهُم إليه، فسوف يجازيهم على هذا الكفر أتمَّ الجزاء، فهو وعيدٌ شديدٌ.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]: جاء في سبب النزول أنَّ الرَّسول ﷺ كان يقول: «يا الله يا رحمٰن» في صلاته، ويسمعه الكُفَّار، فقالوا: إنه يأمُرنا بعبادة معبودٍ واحدٍ، وهو يدعو اثنين، الله والرَّحمٰن،

فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠][1]؛ أي: أنَّ الله هو الرحمٰن، فأسماؤه حسنى، ومعنى الحسنى: الكاملة التامة التي لا يلحقها نقصٌ ولا عيبٌ، فكلُّ اسمٍ يحتمل الكمال والنقص لا يدخل في أسماء الله؛ لأنها ليست من أسمائه الحسنى.

ولله أسماء بعضُها يرتبطُ ببعضٍ، ولا يجوز أن يُفصَل جزءٌ منها عن الآخَرِ؛ لأنه إذا فصل عن الآخر صار يحتمل باطلًا؛ مثل (الضار)، فالضَّارُّ لا بدَّ أن يضاف إليه (النافع)، هذا المركب من الاسمين هو من الأسماء الحسنى، أما إذا أفرد فلا يدخل فيها.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤].

مقصود قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ كما سبق بيانه.

أما سرد الأسماء فالصحيح أنها مُدرجَة، وليست من كلام الرسول ﷺ.

المقصود: أنَّ هذا العدد أُخذ من الأحاديث ومن الآيات، ولهذا يختلف بعضها عن بعضٍ بالزيادة والنقص، واختلاف اللفظ أيضًا، ولا يُفهَم من قوله: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» أنَّ الأسماء محصورةٌ في هذا العدد التسعة والتسعين، ولكن المقصود الحكمُ الذي ذُكِر في هذا، وهو حكم الإحصاء، أنَّ من

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٨)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٨٢).

أحصاها دخل الجنة، وقد اختُلِف في معنى «أحصاها»، فقيل: أحصاها: حفظها، وقيل: أحصاها: عمل بها وقام بما توجبه(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة ـ وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح ـ: **المرتبة الأولى:** إحصاء ألفاظها وعددها، **المرتبة الثانية:** فهم معانيها ومدلولها، **المرتبة الثالثة:** دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾»(٢).

قال الله جَلَّ: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، يعني: أن لن تقوموا به كما أُمرتم، فالإحصاء يدخل فيه الحفظ والعلم والعمل، وهذا هو الصحيح، فمن قام بها على هذا الوجه دخل الجنة، ويكون من الموحِّدين لله جَلَّ، ولا يُفهم من ذلك حصرُها في هذه الأسماء، فأسماء الله لا حصرَ لها كما جاء في المسند وغيره، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ما أصابَ أحدًا قطُّ همٌّ ولا حزَنٌ، فقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي عبدُكَ، ابنُ عبدِكَ، ابنُ أَمتِكَ، ناصِيَتِي بِيدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكمُكَ، عدلٌ فيَّ قضاؤُكَ، أسأَلَكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ سمَّيتَ بهِ نفسكَ، أو علَّمتَهُ أحدًا من خلقِكَ، أو أنزَلتَهُ في كِتابِكَ، أو استأْثرتَ بهِ في علم الغيبِ عندكَ، أنْ تجعَلَ القرآنَ ربيعَ قلبِي، ونُورَ صدرِي، وجلاءَ حُزنِي، وذهابَ همِّي، إلَّا أَذهبَ الله همَّهُ وحُزنَهُ، وأبدَلَهُ مكانَهُ فَرحًا**»، قالَ: فقِيلَ: يا رسُولَ اللهِ، ألا نَتعلَّمُهَا؟ فقالَ: «**بلى، ينبغِي لِمن سمِعَهَا أنْ يَتعَلَّمَهَا**»(٣)، فجعل ﷺ الأسماء **ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: علَّمه مَن يشاء من خلقه، ولم يُنزِله في كتابه،

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٥٥٦). (٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، والحاكم (١٨٧٧)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٧)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لقوله: «**أو علَّمتَهُ أحدًا من خلقِكَ**» ويستدلُّ على هذا بقصة سليمان مع بلقيس ملكة سبأ، فإنه قال لمن معه من جلسائه: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠]، يقول العلماء: هذا الذي عنده علمٌ مِنَ الكتاب يعلم اسمَ الله الأعظم، فدعا الله به فحضر في لحظةٍ، هذا يدلُّ على أنه عَلِمَ ما لم يَعْلَمْه سليمان، فلو كان سليمان يعلم ذلك ما احتاج إلى أن يقول: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾، فالله يُعلِّم من يشاء من عباده ما شاء من أسمائه ﷻ.

القسم الثاني: أنزله في كُتُبه، لقوله: «**أنزَلتَهُ في كِتابِكَ**»، والكتاب اسم جنس للكتب.

القسم الثالث: لم يُنزِلْه في كتابه، ولم يُعَلِّمْه أحدًا من خلقه، بل استأثر به في علم الغيب عنده، لقوله: «**أو استأثرتَ بهِ في علم الغيبِ عندكَ**» فدلَّ على أنَّ أسماء الله لا حصرَ لها؛ ومن ذلك: قول المصطفى ﷺ: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**»[1]، والخلق كلهم لا يحصون ثناءً على الله، والثناء على الله بأسمائه وصفاته، وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**»[2]، إلى غير ذلك من الأدلة التي تدلُّ على أنَّ أسماء الله ﷻ ليست محصورةً في هذا العدد، وإنما هذا مثل ما يقول الإنسان مثلًا: عندي مائة كتابٍ أعددتها للإعارة أو للقراءة، هذا لا ينافي أن يكون عنده أكثر من المائة، ولكن هذه المائة أعدَّها لهذا الغرض.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦)، عن عائشة ﵂.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)، عن أبي هريرة ﵁.

قوله: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»؛ أي: هذه الأسماء التسع والتسعون من قام بعِلْمِها والعمل بها وحفظها دخل الجنة، فقصد هذا الحكم، وهو دخولُ الجنة المترتِّب على الإحصاء.

أما سرد الأسماء، فهذا معلومٌ في كتاب الله، وأكثره ظاهر، وقد يفوت بعض الشيء الموجود في كتاب الله، وقد استدرك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ على ذِكْر هذه الأسماء أشياءَ لم تذكر فيها[1]، وهي موجودةٌ في كتاب الله ﷻ، وفي أحاديث الرسول ﷺ، فدلَّ ذلك على أنَّ الأسماء وُضعتْ بالاجتهاد من بعض العلماء، والتي استنتجوها واستخرجوها من كتاب الله ﷻ وحديث رسولِه، ولكن لا يجوز أنْ نأخُذَ من كلِّ فعلٍ اسمًا لله ﷻ، فإنَّ أسماء الله حسنى تعالى وتقدَّس.

ثم اسم «**الْقَدِيمُ**» الذي جاء في الرواية الثانية، ليس من أسماء الله، ولا دليلَ عليه، لا من كتاب الله، ولا من سُنَّة رسوله، وإنما هذا من وضع المتكلمين؛ لأنه كما سبق أنَّ القِدَم عندهم أخصُّ أوصاف الله ﷻ، وهذا من الباطل الذي تفرَّدوا به، وهذا يدُلُّك على أن هذه الأسماء ليست مرفوعة إلى النبي ﷺ.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: «**وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنَّ ذِكْرَ الأسامي في هذا الحديث من جهة بعض الرواة... إلى آخره**».

هذا الأسلوب يدلُّ على التمريض، وأنَّ هذا قولٌ مرجوحٌ أو مرغوبٌ عنه، وهذا هو الصحيح في الواقع؛ لأنها مُدرَجَةٌ في الحديث، وليست من كلام النبي ﷺ.

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/٢١٦).

باب ذكر معاني الأسماء التي رويناها على طريق الإيجاز

۞ «(الله) معناه: من له الإلٰهية، وهي القدرة على اختراع الأعيان، وهذه الصفة يستحقها بذاته.

۞ (الرحمٰن): من له الرحمة.

۞ (الرحيم): الراحم، فعيل بمعنى: فاعل، على المبالغة.

۞ وقيل: (الرحمٰن): المريد لرزق كلِّ حيٍّ في الدنيا، و(الرحيم): المريد لإكرام المؤمنين بالجنَّة في العقبى، فيرجع معناها إلى صفة الإرادة، التي هي صفة قائمة بذاته».

الشَّرح

الذِّكْر الذي يقصده هنا؛ ذكرُ معانيها اللغوية، وهذا فيه خلاف بين العلماء.

قوله: «(الله) معناه: من له الإلٰهية، وهي القدرة على اختراع الأعيان، وهذه الصفة يستحقها بذاته».

الإلٰهية هي: العبادة، والتألُّه الذي هو عبادة القلب، وهو الحبُّ الذي يخصُّ الله، وليس الحبُّ مطلقًا؛ لأن **الحبَّ ينقسِم إلى قسمَين:**

القسم الأول: حبٌّ مشترك بين الخلق، وهذا لا يوصف الله ﷻ به؛ مثل حبِّ الألفة، وحبِّ الطبيعة، وحبِّ الحنو، وحبِّ التقدير، وما

أشبه ذلك، فهذا لا ضيرَ على الإنسان فيه، ولا يُوصَف الله ﷻ به.

القسم الثاني: الحب الذي يدلُّ على الذلِّ والخضوع والتعظيم، هذا لا يجوز أن يكون للمخلوق، هذا يجب أن يكون خاصًا بالله ﷻ، فالتألُّه مأخوذٌ من هذا.

قوله: «وهي القدرة على اختراع الأعيان، وهذه الصفة يستحقها بذاته».

ليس هذا معنى «الله»، هذا معنى «القادر» و«الرب» «الخالق» المتصرِّف، ولكن هذه طريقة المتكلمين ـ كما سبق ـ أنه سلك هذه الطريقة، وعدل عن طريقة أهل السُّنَّة، ولهذا يستدلُّ بالآيات التي في إبطال الشرك وإثبات توحيد العبادة على توحيد الربوبية، وكما سَبَقَ أنَّ المشركين لم يُنكِروا توحيد الربوبية، بل أقرُّوا به، واحتجَّ الله ﷻ به عليهم في وجوب توحيد العبادة لظهوره ووضوحه.

قوله: «الرحمٰن من له الرحمة».

بلا شكٍّ أنَّ «الرحمٰن» هو من له الرحمة، ولكن الرحمة تتعدَّى، وهم يجعلون ذلك من الفعل كما هو طريقة أهل الكلام، ولهذا قالوا: «**الرحمٰن**»؛ أي: رحمٰن الدنيا والآخرة، فالرحمة في هذا الاسم أعمُّ وأشملُ من «**الرحيم**»، ولهذا لما يكن اسم الله «الرحيم» للخلق كلهم، وإنما خُصَّ بالمؤمنين فقط، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، بخلاف اسم الله «**الرحمٰن**».

والرحمة صفةٌ تقوم بالموصوف، وهذه الصفة تكون في المخلوق، وتكون في الخالق، فالمخلوق الذي لا يَرحم لا يُرحم، ولكن رحمة المخلوق تناسِبُه وتليق بضعفه، ورحمة الله ﷻ تليق بعظمته وجلاله، فالمخلوق لا يشارك الله ﷻ في صفته، كما أن الله ﷻ لا يشارك

المخلوق في صفته، فالمخلوق له صفته الخاصة به، ورب العالمين ﷻ له صفته الخاصة به، وكون الصفة تتفق قبل الإضافة والتخصيص لا ضَيْرَ فيه ولا محظورَ منه، فإذا زالت الإضافةُ أو التخصص زال الاشتراك نهائيًّا، وهذا يجب أن نفهَمَه، وهذا الذي لم يفهَمْه المتكلمون فوقعوا في الخطأ، فزعموا أنَّ مجرد الاشتراك قبل الإضافة والتخصيص يدلُّ على التشبيه، فلم يقولوا بالصفات، هذا هو سبب إنكارهم للصفات.

قوله: «(الرحيم): الراحم، فعيل بمعنى: فاعل، على المبالغة».

جعل المؤلف الاسم من الفعل، والفعل عندهم هو المفعول، وهذا من التأويل الباطل.

و«**الرحيم**» يجب أن يطلق على ما هو عليه، فهو الذي قامت به الرحمة الخاصة، فهو رحيمٌ بالمؤمنين، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**الرحمٰن وهو الرقيق، الرحيم، وهو العاطف على خلقه بالرزق، وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر**»[(١)]؛ «رقيقان»؛ أي: كثير الرحمة، وأحدهما أكثر من الآخر في مفهومه، والمقصود بذلك اسم الله «الرحمٰن».

قوله: «وقيل: الرحمٰن: المريد لرزق كلِّ حيٍّ في الدنيا، والرحيم: المريد لإكرام المؤمنين بالجنة في العقبى، فيرجع معناها إلى صفة الإرادة التي هي صفة قائمة بذاته».

هذا كلام الأشاعرة، يجعلون «الرحمٰن، والرحيم»، وكل الأسماء ترجع إلى الإرادة، والإرادة عندهم إرادة واحدة لجميع المرادات، وهذا من أبطل ما يكون، وأبعده عما أراده الله ﷻ من عباده الذين كُلِّفُوا

(١) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (٨٢)، و«شعب الإيمان» (٢١٤٧).

بعبادة الله بأسمائه وصفاته، ولكن مثل هذا الكلام يُعَمَّى على كثيرٍ من الناس؛ لأن معناه باطل، لذا **قال**: «**الرحيم: المريد لإكرام المؤمنين**»: جعل الرحمة هي الإرادة، والرحيم هو المريد لإكرام المؤمنين بالجنة للعقبى.

وبهذا التأويل يُرجِع معناهما إلى صفة الإرادة، وكل الصفات كذلك يُرجِعونها إلى الإرادة؛ لأنهم يقولون: الرحمة رِقَّةٌ تكون في قلب الرَّاحم، فيحدث الميلَ إلى المرحوم، وهذه صفة المخلوق ولا يجوز أن نُثبِتَها، هذا اعتلالهم.

فيقال لهم: هذا الذي تقولون هو صفة المخلوق، وأما صفة الله ﷻ فهي خاصَّةٌ به، وتليق بعظمته وجلاله، لا يشارك المخلوق في صِفَته، كما أنَّ المخلوق لا يشاركه في صفته.

ثم يقال أيضًا مرَّة أخرى: الإرادة هي: الميل إلى المراد، والميلُ عندكم إلى المراد فيه نقصٌ، فكيف تقولون؟! فعلى مذهبكم يجب أن تؤولوها أيضًا مرة أخرى إلى معنى آخر، يكون أبطل وأبعد عن الحقِّ، فالتأويل يؤول إلى ما هو أبطل من الأمر الذي فروا منه، فيقعون فيما هو أعظم محذورًا.



﴿ «(الملك): هو التَّام الملْك، والمالك: هو الخاص الملك، وحقيقتهما في صفة الله ﷻ أن يكون قادرًا على الإيجاد، وهذه صفة يستحقها بذاته».


الشَّرح

قوله: «... وحقيقتهما في صفة الله ﷻ أن يكون قادرًا على الإيجاد».

قادرٌ على الإيجاد! وهكذا يؤول معاني الأسماء إلى أمور تكون عائدة إلى الفعل فقط، كما هي طريقة الأشاعرة!

* * *

ﵟ «(القدوس): هو الطاهر من العيوب، المنزَّه عن الأولاد والأنداد، وهذه صفةٌ يستحِقُّها بذاته».

الشَّرح

قوله: «(القدوس): هو الطاهر من العيوب، المنزَّه عن الأولاد والأنداد...».

هل المنزَّه عن الأولاد والأنداد فقط؟! هذا مشكلة عنده؛ لأنَّ قولَه: «المنزَّه عن الأولاد والأنداد»، يضاف إليها أيضًا «الأحداث»، فلا بدَّ في صفة الله أن يستحقها بذاته، لا يشاركه فيها غيره.

واسم الله «القدوس» يدخل فيه نفي التأويلات الباطلة التي تُبطِل المعاني التي وُضعت لها هذه الأسماء، فهو يتقدَّس عن قولهم في تأويلاتهم؛ لأن معنى «القدوس»: هو الطاهرُ المنزَّه عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، ويتضمَّن هذا إثباتَ الكمال المطلق لله ﷻ من كلِّ وجهٍ، وهم لا يقولون بهذا.

* * *

ﷻ «(السلام): هو الذي سَلِم من كلِّ عيبٍ وبَرِئ من كلِّ آفةٍ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته، وقيل: هو الذي سَلِم المؤمنون من عقوبته».



الشَّرح

قوله: «(السلام): هو الذي سَلِم من كلِّ عيبٍ وبَرِئ من كلِّ آفةٍ...».

يدخل في اسم الله «السلام» هذا وذاك؛ سلامة الخلق من الظُّلم بأن يوضع عليهم ما ليس من أعمالهم، وأن ينقص من أجورهم شيئًا يستحقونه، وكذلك هو السلامة من كلِّ عيبٍ ونقصٍ، وفي ضمن هذا إثباتُ الكمال المطلق، وهكذا كلُّ أسمائه ﷻ تدلُّ على هذا المعنى.

* * *

۞ «(المؤمن): هو الذي صدَّق نفسَه وصدَّق عباده المؤمنين، فتصديقه لنفسه: علمُه بأنه صادق، وتصديقه لعباده: علمه بأنهم صادقون، وقيل: المؤمن: الموحِّدُ لنفسِه، وهو من صفات ذاته، وقيل: المؤمِن: الذي يُؤمِّنُ عبادَه المؤمنين يوم القيامة من عقوبته».

الشَّرح

إن اسم الله «**المؤمن**» أشملُ ممَّا ذَكَرَ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، فـ«المؤمن» هو الذي له الأمن التَّامُّ من جميع عيبٍ أو نقصٍ يلحق المخلوق تعالى وتقدَّس، وهو الذي صدق رسله بالآيات التي جعلها ظاهرةً مشاهَدةً، لا تغيب عن أحد، وهو كذلك الذي يَصْدُق وعدُه الذي وعَدَه عباده من الوعد والوعيد، وغير ذلك، وهو الذي أمَّن عباده من أن يلحقهم شيءٌ ممَّا لا يستحقُّونه، فدخل فيه العدلُ، والحكم، وغير ذلك.

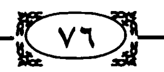
* * *

﴿ «(المهيمن): هو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قولٍ أو عملٍ، وهو من صفات ذاتِه، وقيل: هو الأمين، وقيل: هو الرقيب على الشيء والحافظ له».

الشَّرح

اسم الله «**المهيمن**»: يدخل فيه هذا كله، فهو الذي أحاط بكلِّ شيء، وعَلِمَ كلَّ شيء، وكلُّ شيءٍ في قبضتِه تعالى وتقدَّس، وهو الذي لا يخفى عليه شيء من أعمال خَلْقِه، سواءٌ كانوا من المكلَّفين، أو من غيرهم، وهو كذلك الذي أمَّنَ خلقَه أن يلحقهم ظلمٌ، أو أن يبخَسُوا من حقوقهم شيئًا تعالى الله وتقدَّس.

* * *



﴿ «(العزيز): هو الغالب الذي لا يُغلَب، والمنيع الذي لا يُوصَل إليه، وقيل: هو القادر القوي، وقيل: هو الذي لا مِثْل له، وهو من صفات الذات».



الشَّرح

هذه الأسماء لا يجوز لاسم أن يكون بمعنى الثاني؛ لأنَّ أسماء الله كلها حسنى، وكونها حسنى تتضمن معاني عظيمة، وتتضمَّن تنزيه الله وإثبات الكمال له، كلها لها ذات الحكم، فكونه يفسر اسمًا بمعنى الآخر، فهذا من القصور.

* * *

ﷺ «(الجبَّار): هو الذي لا تناله الأيدي، ولا يجري في ملكه غير ما أراد، وهو من الصفات التي يستحقُّها بذاتِه، وقيل: هو الذي جَبَر الخلق على ما أراد، وقيل: هو الذي جَبَر مفاقِر الخلق، وهو على هذا المعنى من صفات فعله».

الشَّرح

قوله: «(الجبَّار): هو الذي لا تناله الأيدي، ولا يجري في ملكه غير ما أراد، وهو من الصفات التي يستحقُّها بذاتِه...».

اسم الله «الجبار» ليس من الصِّفَات، اسم من أسماء الله ﷻ، ولكنَّ المتكلمين ـ الأشاعرة ـ ليس عندهم فرقٌ بين الأسماء والصفات، هذه كلُّها عندهم صفات لا أسماء، غير أنهم لا يثبتون من الصفات إلا سبعًا، ثم يعودون عليها بالإبطال كما هو معلومٌ من طريقتِهم، فهم من أبعَدِ النَّاس عن الإيمان بأسماء الله وصفاته، غير أنهم أحسن من المعتزلة.

وبعض العلماء يقول عن الأشاعرة: هم أشرُّ من المعتزلة بكثيرٍ؛ لأنهم لبَّسوا على الناس وزعموا أنهم من أهل السُّنَّة، مع أنهم بعيدون عن هذا المعنى، بخلاف الذي يرُدُّ الصفات رأسًا، أو ينفي معاني الأسماء رأسًا، فإن هذا لا يخفى أمرُه على أحدٍ فيكون ضررُه أقلَّ، وسبق أنَّ التأويل بالباطل يدخلُ في الإلحاد في أسماء الله ﷻ، وهذا لا شكَّ فيه.

فقوله: «الجبار: هو الذي لا تناله الأيدي».

اسم الله «**الجبار**» هو الذي جَبَر خَلْقَه على ما يقومون به ويعلمون،

وهو ﷻ الذي له القوة التامة والقدرة العظيمة، وهو الذي لا يُعجِزُه شيء تعالى الله وتقدَّس.

قوله: «ولا يجري في ملكه غير ما أراد»: هذا من بعض معانِيه.

قوله: «وهو على هذا المعنى من صفات فعله»: كيف هذا الاسم صار صفة؟! هكذا كل الأسماء يجعلها من صفات الذات، وصفات الذات عندهم من الأمور التي تكون ملازمةً لذاتِه ﷻ، فلا يكون متعديًا.

قوله: «وقيل: هو الذي جَبَر الخلق على ما أراد، وقيل: هو الذي جَبَر مفاقِرَ الخلق، وهو على هذا المعنى من صفات فعله».

إذا قال: **«من صفات فِعْلِه»**؛ فهذا عندهم ـ أي: الأشاعرة ـ بمعنى المفعول، ولا فرق عندهم بين فعلٍ ومفعولٍ، بل كلُّ فعلٍ يفسِّرونه بالمفعول، فيكون المفعول شيئًا خارجًا عن ذات الله ﷻ وليس قائمًا به، فهذا لا يجوز، هذا من الإلحاد في أسماء الله ﷻ.

* * *

﴿«(المتكبر): هو المتعالي عن صفات الخلق، وهذه صفة يستحقُّها بذاتِه، وقيل: هو الذي يتكبَّر عن عُتَاةِ خلقه إذا نازعوه العظمة فيقْصِمَهم».

الشَّرح

قوله: «المتكبر» مِن أظهر ما يكون من أسماء الله بأن له الكبرياء والعظمة والجلال، وأنه لا يلحقُه في ذلك شيءٌ من النقصِ تعالى الله وتقدَّس، كما يلحق عباده، فدخل فيه الكمال المطلق في هذا.

* * *

❁ «(الخالق): هو المبدع المخترع للخلق على غير مثالٍ سبقَ».

الشَّرح

«**الخالق**»: الذي له صفة الخلق إذا أراد الشيء فيقول: «كن فيكون»، وهذا من التفرُّد، بل كلُّها تدلُّ على التفرُّد بهذه المعاني، وأنَّ الخلق لا يشاركونه في شيءٍ من ذلك.

قوله: «**الخالق: هو المبدع...**»: الإبداع هو إيجاد الشيء على غير مثالٍ سابقٍ، **يعني**: يُسمى الاختراع عند الناس اليوم، يقال: اخترع كذا؛ لأنه ما سُبِقَ إليه، مع أنَّ الخلقَ كلُّ أفعالِهم وما يحدث منهم شيءٌ محصورٌ محدودٌ جدًّا، أما أسماء ربِّنا ﷻ ومعانيها فلا يدخل فيها ما يكون للمخلوق، فله الكمال المطلق، ومعنى على غير مثالٍ سبق، **يعني**: أنه يحدث الشيء بصفتِه وذاتِه من غير أن يكون له مثلٌ سبقه، وهذا معنى الاختراع.

❁ ❁ ❁

❁ «(البارئ): هو الخالق، وله اختصاص بقلب الأعيان».

❁ الشَّرح ❁

«**البارئ**»: هو الذي ﷻ خلق النِّسَمَ وغايَرَ بينها، فتجِدُ هذا يختلف عن هذا في ذاتِه، وفي صفاته وفي كلامه، وفي كلِّ ما يتعلَّق به، فلهذا فُسِّر اسم الله «البارئ» بأنه الذي استخرج (النَّسَم) من المخلوقات من جنسها ومن غير جنسها[1]، وجعل لها خاصِّيَّةً لا تشارك الأخرى بها، ويتميَّز بها كلُّ مخلوقٍ عنِ الآخَر.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٩٢)، وأضواء البيان، للشنقيطي (٩/ ٤٩)، وفتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٣٩١)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥)، لشيخنا حفظه الله.



﴿ «(المصور): هو الذي أنشأ خَلْقَه على صورٍ مختلفة».

الشَّرح

قوله: «**المصور**»: هو الذي أنشأ خَلْقَه وصورهم على صُوَرٍ مختلفة، والصورة هي البدن والجسد، سواءٌ كانت حيَّةً أو غير حيَّة، وهذا من خصائص الله ﷻ التي يجب أن ينفرد بها؛ ولهذا جاء وعيدُ المصوِّرين؛ بأن يُقال لهم يوم القيامة: «**أَحْيُوا ما خَلَقْتُم**»[1]، فكلُّ مصوِّرٍ يكلَّف أن ينفخ الرُّوح في الصورة التي صوَّرها، وليس بنافخٍ، وكلُّ مصوِّرٍ يُجعَل له صورةٌ يُعذَّب بها في النَّار، والأحاديث في هذا كثيرةٌ، وفيها كما في الصحيحَين أنَّ الله ﷻ يقول في الحديث القدسي: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذَرَّةً أو ليخلقوا حبة أو شعيرة**»[2]، والذرَّة تتحرَّك وتذهب وتأتي، فيها حياة، والشعيرة فيها حياة، ولكن لا تتحرك وإنما تبدأ حياتها حين تُنبِت، هذه لا أحد من الخلق يستطيع إنباتها، الحبَّة التي تنبت لا يستطيع أحد أن يوجد حبة تكون فيها حياة النبات، فهذا من أعظم الظلم.

وقد انتشر في الخلق اليوم، حتى أصبح التصوير أمرًا عاديًّا لا يُؤبَه له، حتى صار في المساجد وفي مسجد رسول الله ﷺ، مع أنَّ الوعيد يدخل فيه كلِّ صورة، غير أن نقل الصورة عن الفيديو لا شيء فيه؛ لأنه ليس من التصوير؛ لأن هذا نقل الواقع الموجود.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، (٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

۞ «(الغفَّار): هو السَّتَّار لذنوب عباده مرَّةً بعد أخرى».

الشَّرح

اسم الله «**الغفار**» معناه أكثر من هذا، فاسْم الله «الغفار» **يعني**: كثير المغفرة، وعظيمها، وهو الذي يستر عباده ويحميهم ممَّا يؤذيهم.

* * *



﴿ «(القهَّار): هو القاهر على المبالغة، وهو القادر، فيرجع معناه إلى صفة القدرة التي هي صفة قائمة بذاتِه. وقيل: هو الذي قَهَرَ الخلق على ما أراد».



الشَّرح

قوله: «(القهَّار): هو القاهر على المبالغة، وهو القادر، فيرجع معناه إلى صفة القدرة التي هي صفة قائمة بذاتِه...».

قوله هذا ليس بصحيح، فكلُّ اسمٍ له معنًى يدلُّ عليه، ولا يرجع إلى المعنى الثاني، وهذا معنى كونها أسماءً حسنى، وهو قهر كل شيء، فلا يخرج عن إرادته، وهو المسيطر على كل شيء.

* * *

۞ «(الوهَّاب): هو الذي يجود بالعطاء، الكثير من غير استثابة.

۞ (الرزَّاق): هو القائم على كلِّ نفسٍ بما يُقِيمُها من قُوتِها، وما مكَّنها من الانتفاع به من مباح وغير مباح رُزِقَ لها».

الشَّرح

قوله: «(الرزَّاق): هو القائم على كلِّ نفسٍ بما يُقِيمُها من قُوتِها...».

ترك المعنى الذي هو أكبر من هذا وأعظم، **فالرزق ينقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: رزقٌ يقتاتُ به، وهذا سواء كان مباحًا ولا غير مباح الذي يقتات به الأبدان، وهذا يشمل الخلق كلهم.

القسم الثاني: رزقٌ يكون بدَعْم الرُّوح المعنوية؛ كرزق الإيمان والسعادة الأبدية، وهذا خاصٌّ لا يعطيه الله ﷻ إلا من شاء برحمته، وهذا عامٌّ مطلقٌ، فلا يوجد رزقٌ أو شيءٌ يُنتفع به إلا من الله ﷻ، فهو داخلٌ في الرزَّاق.

* * *



۞ «(الفتَّاح): هو الحاكم بين عبادِه، ويكون الفتَّاح الذي يفتح المنغلق على عباده من أمورهم دينًا ودنيا، ويكون بمعنى الناصر.

۞ (العليم): هو العالم على المبالغة، والعلم له صفة قائمة بذاته.

۞ (القابض الباسط): هو الذي يُوسِّع الرزقَ ويُقتِّره، يبسُطه بجودِه ورحمته، ويقْبِضُه بحكمته، وقيل: القابض الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد، والباسط الذي يبسط الأرواح في الأجساد.

۞ (الخافض الرافع): فالخافض هو الذي يخفض من يشاء بانتقامه، والرافع الذي يرفع من يشاء بإنعامه».

الشَّرح

قوله: «(الخافض الرافع): فالخافض هو الذي يخفض من يشاء بانتقامه، والرافع الذي يرفع من يشاء بإنعامه»: ليس هذا فقط، بل الخافض الذي يمنع فضلَه من لا يستحِقُّه فينخفض، كما قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾ [التين: ٥]، فهو خلق الإنسان بأحسن تقويم، ثم يُرَدُّ إلى أسفل سافلين، فيكون أخبثَ من الكلاب، والكلابُ خيرٌ منه وأفضلُ؛ لأنه لم يتزكَّ ولم يزكِّه الله ﷻ؛ لذلك يكون منخفضًا، وكذلك في الجزاء، كما قال الله ﷻ: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ٣]؛ أي: تخفض أهلَ الفساد والفسق والكفر، وترفع أهل الإيمان والصلاح، كلُّ ذلك عائدٌ إلى الله ﷻ.

* * *

۞ «(المعز المذل): يعزُّ من يشاء، ويذلُّ من يشاء، لا مُذِلَّ لمن أعزَّه، ولا مُعِزَّ لمن أذلَّه.

۞ (السميع): من له سمعٌ يدرك به المسموعات، والسمعُ له صفة قائمة بذاته.

۞ (البصير): من له بصرٌ يرى به المرئيات، والبصر له صفة قائمة بذاته.

۞ (الحَكَم): وهو الحاكم، وحُكْمُه خبرُه، وخبرُه قولُه، فيرجع معناه إلى صفة الكلام، وقد يكون بمعنى حُكْمِه لواحدٍ بالنعمة ولآخرَ بالمحنة، فيكون من صفات فعله».

الشَّرح

قوله: «(الحَكَم): وهو الحاكم، وحُكْمُه خبرُه، وخبرُه قولُه، فيرجع معناه إلى صفة الكلام، وقد يكون بمعنى حُكْمِه لواحدٍ بالنعمة ولآخرَ بالمحنة، فيكون من صفات فعله».

ليس معنى «**الحَكَم: وهو الحاكم، وحُكْمُه خبرُه...**» فقط، فالحكم هو الذي له الحكم التَّامُّ، كما قال المصطفى ﷺ[1]، وهو الذي يرجع إليه الأمرُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، فله الحكمُ في الدنيا والآخرة، ولا حكمَ لأحدٍ معه ﷻ، ويدخل في معناه أيضًا أنه ﷻ مسيطِرٌ على كلِّ شيء، وهو القادر على كلِّ شيء.

(١) وهو حديث: «**إن الله هو الحكم، وإليه الحكم**»، أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وابن حبان (٥٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٤٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١١)، عن هانئ بن يزيد ﷺ.

قوله: «**(الحَكَم): وهو الحاكم، وحُكْمُه خبرُه**» كيف يكون حكمُه خبرَه؟!

الحاكم هو الذي يحكم بين خلقِه بالحقِّ ﷻ، ولا يفوتُه في ذلك شيء.

قوله: «**وخبرُه قولُه، فيرجع معناه إلى صفة الكلام**»، ثم يعود مرَّةً أخرى، ويُرجع الكلام إلى المعنى القائم بذاته! وكلُّ هذا باطلٌ خلافَ ما عليه أهلُ السُّنَّة.

* * *

۞ «(العدل): هو الذي له أن يفعل ما يفعل، وهذه صفة يستحقُّها بذاته».

۞ الشَّرح ۞

قوله: «**العدل**»: الذي لا يجور في حكمه تعالى وتقدَّس، وهو الذي يَضَعُ الأشياء في مواضعها التي تستحقُّها، وتستوجب ذلك.

* * *

۞ «(اللطيف): هو البرُّ بعباده، وهو من صفات فعلِه، وقد يكون بمعنى العَالِم بخفايا الأمور، فيكون من صفات ذاته.

۞ (الخبير): هو العَالِم بكُنْهِ الشيء، المطَّلِع على حقيقته، وقيل: الخبير المخْبِر، وهو من صفات ذاته.

۞ (الحليم): وهو الذي يؤخِّر العقوبة على مستحقِّيها، ثم قد يعفو عنهم».

الشَّرح

قوله: «**الحليم**»: الذي يحْلَم على خلقِه، قال ﷻ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، ولكن بِحِلْمِهِ يُؤخِّرُ هؤلاء الظَّلَمةِ فلا يُعاجِلهم بالعقوبةِ[١]؛ وهم يستحقُّون العقاب، فلولا حلمُه ﷻ لفسدت الأرض كلُّها وزالت كذلك السماء، ولكنه يمسكها بحِلْمِه ﷻ على خلقِه، وإلا فالخلقُ يأتون بأمورٍ تكاد السماوات تتفطَّر منها، وتكاد الجبالُ أن تنهدَّ، ولكنَّ حلمَ الله يمنع ذلك.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١].

* * *

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٢٥٩).

﴿ «(العظيم): هو المستحِقُّ لأوصاف العلوِّ والرفعة، والجلال والعظمة، والتقديس من كلِّ آفةٍ، وهو من الصفات التي يستحقُّها بذاته.

﴿ (الغفور): هو الذي يكثر من المغفرة.

﴿ (الشكور): هو الذي يشكر اليسيرَ من الطاعة، ويُعطِي عليه الكثيرَ من المثُوبَة، وشكرُه قد يكون بمعنى ثنائِه على عبده، فيرجع معناه إلى صفة الكلام التي هي صفةٌ قائمةٌ بذاته».

الشَّرح

قوله: «(الشكور): هو الذي يشكر اليسيرَ من الطاعة، ويُعطِي عليه الكثيرَ من المثُوبَة، وشكرُه قد يكون بمعنى ثنائِه على عبده، فيرجع معناه إلى صفة الكلام التي هي صفةٌ قائمةٌ بذاته»: وهذا باطِلٌ، فالكلام ليس هو صفة قائمة بذات الله، بل تقوم بمشيئته تعالى وتقدَّس، ولكن هذا مذهب الأشاعرة؛ حيث يجعلون الكلامَ معنًى يقوم بذات الربِّ ﷻ، وليس الكلام هو الذي يُسمَع ويشتمل على الحروفِ، والأصوات التي تُسمَع! هذا عندهم من المُحَالِ، فصار الحق الظاهر عندهم مُحالًا، والباطلُ هو الحقُّ، تعالى أن يكون هذا مقصود من يشتغل بالكتاب والسُّنة!

* * *



۞ «(العلي): هو العالي القاهر، وقيل: هو الذي علا وجلَّ من أن يَلْحَقَه صفات الخلق، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته».

﴿ الشَّرح ﴾

قوله: «(العلي): هو العالي القاهر...» جعله يرجع إلى الفعل فرارًا من إثبات العلوّ لله ﷻ على طريقة أهل الباطل.

قوله: «... وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته» يعني: هناك صفات لا يستحقها بذاته، بل بفعله!

* * *

۞ «(الكبير): هو الموصوف بالجلال وكِبَر الشأن، فصَغُرَ دون جلالِه كلُّ كبيرٍ، وقيل: هو الذي كَبُر عن شبه المخلوقين، وهذه صفة يستحقُّها بذاته.

۞ (الحفيظ): هو الحافظ لكلِّ ما أراد حفظَه ومن أراد، وقيل: هو الذي لا يَنسَى ما علم، فيرجع معناه إلى صفة العلم.

۞ (المقيت): هو المقتدر، فيرجع معناه إلى صفة القدرة، وقيل: المقيت الحفيظ، وقيل: هو معطي القوت، فيكون من صفات الفعل.

۞ (الحسيب): هو الكافي، وقيل: هو بمعنى المحاسب.

۞ (الجليل): هو من الجلال والعظمة، ومعناه ينصرف إلى جلال القدرة وعِظَم الشأن، فهو الجليل الذي يَصْغُرُ دونه كلُّ جليلٍ، ويتَّضِع معه كلُّ رفيعٍ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته.

۞ (الكريم): هو المنزَّه عن الدناءة، وهذه صفة يستحقُّها بذاته، وقيل: الكريم الكثير الخير، وقيل: المحسن بما لا يجب عليه، والصفوح عن حقٍّ وجبَ له، وهو على هذا المعنى من صفات فعله.

۞ (الرقيب): هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، فيرجع معناه إلى صفة العلم.

۞ (المجيب): هو الذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه».

الشَّرح

قوله: «المجيب: هو الذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه...»: هذا فيه قصور؛ وهو قصورٌ كبيرٌ، المجيب الذي يستجيب لعبادِه مطلقًا ما هو بالمضطر ولا الملهوف، فإنَّ هذا من الخاصِّ؛ لأنَّ المضطرَّ والملهوف لا يشترط فيه الإيمان، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، فلهذا جعل الله ذلك دليلًا على إبطال شرك المشركين، فهو يجيب عباده إلى ما يكون به حياتُهم من الأمور التي ينتفعون بها في أبدانهم، ومن كذلك ما يعود عليهم بالسعادة في الآخرة، فيدل على معنًى أعمَّ ممَّا ذُكِر.

وسبق أنه يجعل الأسماء صفات، ثم يعود عليها بالتأويل الباطل، لتتفق مع باطل الأشعرية، وهذا من الكفر بأسماء الله وصفاته، فهم شاركوا أهل الكفر في ذلك.

* * *

۞ «(الواسع): هو العالم، فيرجع معناه إلى صفة العلم، وقيل: هو الغني الذي وَسِعَ غناه مفاقِرَ الخلق.

۞ (الحكيم): هو المُحْكِمُ لخلقِ الأشياء، وقد يكون بمعنى المصيب في أفعاله.

۞ (الودود): هو الذي يَوَدُّ عبادَه المؤمنين، ويوَدُّه عبادُه المؤمنون، ومحبة الله عبادَه إرادَتُه رحمتَهم ومدْحَهم، فيرجع معناه إلى صفة الإرادة والكلام، وقد يكون بمعنى إنعامه عليهم، ومن إنعامِه عليهم أن يُودِّدَهم إلى خلقه، وهو على هذا المعنى من صفات فعله».

الشَّرْح

قوله: «(الودود): هو الذي يَوَدُّ عبادَه المؤمنين، ويوَدُّه عبادُه المؤمنون، ومحبة الله عبادَه إرادَتُه رحمتَهم ومدْحَهم، فيرجع معناه إلى صفة الإرادة والكلام».

هذا التفسير من أبطل ما يكون.

قوله: «ومحبَّة الله عبادَه إرادَتُه رحمتَهم»؛ يعني: صارت المحبة هي الإرادة كما سبق من كلام الأشاعرة؛ لأنهم لا يثبتون المحبة، كما أنهم لا يُثبِتون الرحمة، فلهذا جعلها عائدةً إلى الإرادة فقط، والكلام فسره بأنه المعنى الواحد القائم بذات الرب، فكلُّ هذا تفسيرٌ باطلٌ.

و«**الودود**» هو صافي الوُدِّ والحبِّ وخالصه، هكذا يفسره السلف.

قوله: «وقد يكون بمعنى إنعامه عليهم، ومن إنعامه عليهم أن يُودِّدَهم إلى خلقِه...».

يعني: أنَّ الإنعام شيءٌ مخلوقٌ، فكيف يكون من صفاته؟! وهذا معنى أن يكون من صفات فعله؛ أي: أن يكونَ مخلوقًا ليس قائمًا بالربِّ ﷻ.

وغالب تفسيره لهذا الأسماء غير صحيح، وإنما يريد أن تتفق مع المذهب الباطل!



﴿ «(المجيد): هو الجليلُ الرَّفيعُ القدر، المحسِنُ الجزيلُ البِرُّ، فالمجدُ في اللُّغة قد يكون بمعنى الشرف، وقد يكون بمعنى السَّعَة، وهو على المعنى الأول صفة يستحقها بذاته.

﴿ (الباعث): هو الذي يبعث عبادَه بعد الموت للجزاء، وقد يبعثُ من شاء منهم عند السَّقْطَة، ويُنْعِشُه عند الصرعة.

﴿ (الشهيد): هو الذي لا يغيب عنه شيء، وقيل: هو العَالِم الرائي، فيرجع معناه إلى صفة العلم وصفة الرؤية.

﴿ (الحق): هو الموجود حقًّا، وهذه صفة يستحِقُّها بذاته».

الشَّرح

قوله: «(الحقُّ): هو الموجود حقًّا، وهذه صفةٌ يستحِقُّها بذاته».

والموجود ليس من أسماء الله تعالى، وإنما يُخبر عنه بذلك.

«**الحقُّ**» في اللغة: هو الشيء الثابت الذي لا يتغيَّر، لهذا سمى الجنة حقًّا، وسمى الآخرة حقًّا، وسمى الأنبياء حقًّا وهكذا، فهو ﷻ القائم بنفسه، والكامل الذي له الكمال المطلق من أيِّ وجهٍ كان، فوجوده حقٌّ، وقوله حقٌّ، وصفاته حقٌّ، ووعده حقٌّ، وجزاؤه حقٌّ، وله الحقُّ، ويقول بالحق تعالى وتقدَّس، كما قال المصطفى ﷺ: «**أنْتَ الحقُّ ووَعْدُكَ الحقُّ، ولِقَاؤُكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ**»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩)، عن ابن عباس ﵄.

﴿ «(الوكيل): هو الكافي وهو الذي يستقلُّ بالأمر الموكول إليه، وقيل: هو الكفيل بالرزق والقيام على الخلق بما يصلحهم.

﴿ (القوي): هو القادر، وهو أن يكون تامَّ القدرة لا يستولي عليه عجز في حالة من الأحوال، ويرجع معناه إلى صفة القدرة.

﴿ (المتين): هو الشديد القوة الذي لا تنقطع قوته، ولا يمسُّه في أفعاله لُغوبٌ، ويرجع معناه أيضًا إلى صفة القدرة.

﴿ (الولي): هو الناصر، وقيل: المتولِّي للأمر والقائم به.

﴿ (الحميد): هو المحمود الذي يستحقُّ الحمد، وقيل: من له صفات المدح والكمال، وهذه صفة يستحقُّها بذاته.

﴿ (المحصي): هو الذي أحصى كلَّ شيء بعلمه، فيرجع معناه إلى صفة العلم.

﴿ (المبدئ): هو الذي أبدأ الإنسان؛ أي: ابتدأه مخترعًا.

﴿ (المعيد): هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات، ثم يعيدهم بعد الممات إلى الحياة».

الشَّرح

قوله: «المبدئ»: هو الذي يُوجد ما يُريد ويُظهره.

قوله: «المعيد هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة...»؛ أي: يعيدهم بعد الممات إلى الحياة.

* * *

❁ «(المحيي): هو الذي يحيي النطفة الميتة، فيُخرِج منها النَّسَمة الحية، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة، ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق.

❁ (المميت): هو الذي يميت الأحياء، ويوهن بالموت قوة الأقوياء.

❁ (الحي): في صفة الله ﷻ: هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، فالحياة له صفة قائمةٌ بذاته.

❁ (القيوم): هو القائم الدَّائم بلا زوالٍ، فيرجع معناه إلى صفة البقاء، والبقاءُ من صفة الذات، وقيل: هو المدبِّر والمتولِّي لجميع ما يجري في العالم، وهو على هذا المعنى من صفات الفعل».

الشَّرح

«**الْحَيّ**» هو كامل الحياة، ولهذا ترجع صفات الذات كلها إلى هذا الاسم، فلهذا صار من الأسماء العظيمة، وإذا اجتمع معه اسم الله «**القيوم**» كان لهما فضل عظيم، فـ (**الحي القيوم**) جاء أنه اسم الله الأعظم[1]، الذي رجعت إليه الصفات كلُّها، فـ«**الحي**» ترجع إليه صفات الذات و«**القيوم**» ترجع إليه صفات الفعل.

قوله: «(القيوم): هو القائم الدَّائم بلا زوالٍ، فيرجع معناه إلى صفة البقاء، والبقاءُ من صفة الذات، وقيل: هو المدبِّر...».

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥)، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

قوله: «**القيوم**...»: كلُّ الذي ذُكِر يشملُ هذا، أما كونه يردد «قيل، وقيل»، فهذا مِنَ الصيغ التي قد تدلُّ على التمريض، وغيرها أولى منها، هذا لا يجوز أن يُقال في مثل هذا، فأسماء الله حسنى تشمل المعاني العظيمة كلِّها.

* * *

۞ «(الواجد): هو الغني الذي لا يَفتَقِر، والوَجْدُ الغِنَى، وقد يكون من الوجود، وهو الذي لا يؤودُه طلبٌ، ولا يحُولُ بينَه وبين المطلوب هربٌ، وقد يكون بمعنى العالِم.

۞ (الماجد): هو المَجِيد، وقد مضى ذِكر معناه.

۞ (الواحد) هو الفرد الذي لم يزل وحدَه بلا شريك، وقيل: هو الذي لا قسيمَ لذاتِه، ولا شبيه له ولا شريك، وهذه صفةٌ يستحِقُّها بذاته».

الشَّرح

قوله: «(الواحد) هو الفرد الذي لم يزل وحدَه بلا شريك، وقيل: هو الذي لا قسيمَ لذاتِه، ولا شبيه له ولا شريك، وهذه صفةٌ يستحِقُّها بذاته».

هذا كلام المتكلمين وتفسيرهم، لا شريك له لا في ذاته ولا في فعله، ولا شريك له في جميع ما يستحِقُّه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وكذلك في ذاته، تعالى الله وتقدَّس، هو المتوحد في كمال.

* * *

﴿ «(الصمد): هو السيد الذي يُصمَدُ إليه في الأمور، ويُقصَد في الحوائج، وقيل: هو الباقي الذي لا يزول، وهو من صفات الذات.

﴿ (القادر): هو الذي له القدرة الشاملة، والقدرة له صفة قائمة بذاته.

﴿ (المقتدر): هو التَّامُّ القدرة، الذي لا يمتنع عليه شيء.

﴿ (المقدم المؤخر): هو المنزل الأشياء منازلها، يقدم ما شاء ومن شاء، ويؤخر ما شاء ومن شاء.

﴿ (الأول): هو الذي لا ابتداء لوجوده، (الآخر): هو الذي لا انتهاء لوجوده، وهما صفتان يستحقهما بذاته.

﴿ (الظاهر): هو الظاهر بحُجَجِه الباهرة، وبراهينه النيِّرة، وشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته وصحة وحدانيته، وقد يكون الظهور بمعنى العلوِّ والرفعة، وقد يكون بمعنى الغلبة.

﴿ (الباطن): هو الذي لا يستولي عليه توهُّمُ الكيفية، وقد يكون (الظاهر) بمعنى (العالِم) بما ظهر من الأمور، و(الباطن) بمعنى المطلع على ما بطن من الغيوب، وهما من صفات الذات).

الشَّرح

هذه الأسماء الأربعة متقابلة، فـ «**الأوَّل**» يقابله «**الآخِر**»، و«**الظاهر**» يقابله «**الباطن**»، وهذه لا يمكن أن تكون من صفات المخلوق، فمن كان أوَّلًا لا يكون آخِرًا، ومن كان ظاهرًا لا يكون باطنًا، وبالعكس.

وقد فسَّره الرسول ﷺ بكلام وجيزٍ بليغٍ هذه الأسماء، كما في صحيح مسلم، فقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فليسَ قبلَك شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بَعدَكَ شيءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فوقَك شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ**»[1]، فهذا التفسير الذي يجب أن نقولَ به ولا نَعْدِل عنه إلى كلام المتكلِّمين.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

۞ «(الوالي): هو المالك للأشياء والمتولِّي لها، وقد يكون بمعنى المُنعِم عودًا على بدءٍ.

۞ (المتعالي): هو المنزَّه عن صفات الخلق، وهذه صفة يستحقُّها بذاته، وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه بالقهر.

۞ (البَرُّ): هو المحسِنُ إلى خلْقِه، عَمَّهم برزقِه، وخصَّ من شاء منهم بولايتِه، ومضاعفة الثواب له على طاعته، والتجاوز عن معصيته.

۞ (التوَّاب): هو الذي يتوب على من يشاء من عبيده ويَقبَل توبتَه.

۞ (المنتقم): هو الذي ينتصر من أعدائه ويُجازِيهم بالعذاب على معاصِيهم، وقد يكون بمعنى المُهلك لهم.

۞ (العفو): من العفو على المبالغة، ثم قد يكون بمعنى المحْوِ، فيرجع معناه إلى الصَّفْح عن الذَّنب، وقد يكون بمعنى الفضل فيعطي الجزيل من الفضل.

۞ (الرؤوف): هو الرحيم، والرأفة شدَّةُ الرَّحمة، ورحمةُ الله إرادتُه إنعامَ من شاء من عبادِه، فيرجع معناه إلى صفة الإرادة، ثم قد تسمى تلك النعمة رحمة».

الشَّرْح

قوله: «(الرؤوف): هو الرحيم، والرأفة شدَّةُ الرَّحمة، ورحمةُ الله إرادتُه إنعامَ من شاء من عبادِه، فيرجع معناه إلى صفة الإرادة، ثم قد

تسمى تلك النعمة رحمة»: هذا باطِلٌ، هذا من التأويل الباطل، لكن هذا مذهب الأشاعرة، لا يُثبِتون الرحمة ولا يثبتون المحبة، ولهذا قال: «**الرؤوف هو الرحيم**»، والرؤوف من الرَّأفة وهي أبلغ من الرَّحمة.

قوله: «**ورحمةُ الله إرادتُه إنعامَ من شاء من عبادِه**»: يسمون الرحمة إرادة؛ لأنهم يَفِرُّون من إثبات الرحمة، فيفسرونها بالإرادة كما يفسرون المحبة بالإرادة، وهكذا يبطلون الصفات، ويرجعونها إلى شيءٍ واحد، ولو قيل لهم: ما هي الإرادة؟ قالوا: إرادة الله هي إرادة واحدة للأشياء كلِّها، وهذا من أبطل ما يكون، كما سبق.

* * *

❁ «(مالك الملك): ومعناه: أن المُلْكَ بيده يؤتيه من يشاء، وقد يكون معناه: مالك الملوك، وقد يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدَّعي الملك مُدَّعٍ، ولا يُنازِعُه فيه منازعٌ، واستحقاقه لذلك صفة يستحِقُّها بذاته».

الشَّرح

«**مالك الملك**»: دائمًا وأبدًا في الآخرة وفي الدنيا، ولا أحَدَ ينازِعُه في مُلكِه، فمن نازعه في ملكِه فإنه يُعذِّبُه، تعالى الله وتقدَّس، فهو يملك القلوب، ويملك الأبدان، ويملك كلَّ شيء، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابعه، تعالى وتقدَّس، يصرفها كيف يشاء، فله الملك التامُّ في كلِّ شيء.

❁ ❁ ❁

﴿ «(ذو الجلال والإكرام): أي: هو مستحقٌّ أن يُجَلَّ ويُكرَم فلا يُجْحَد، فتكون صفة يستحقُّها بذاتِه، وقد يكون الإكرامُ بمعنى إكرامِه أهلَ ولايته في الدنيا بمعرفته، وفي الآخرة بجنَّتِه، فيكون من صفات الفعل.

﴿ (المقسط): هو العادل في حكمه.

﴿ (الجامع): هو الذي يجمع الخلائق ليوم لا ريب فيه، وهو من صفات الفعل، وقيل: هو الذي جمع أوصاف المدح، وهذه صفة يستحقها بذاته.

﴿ (الغني): هو الذي استغنى عن الخلق، وقيل: المتمكن من تنفيذ إرادته في مراداته، وهذه صفة يستحقها بذاته.

﴿ (المغني): هو الذي جبر مفاقر الخلق، وقد يكون بمعنى الكافي من الغناء وهو الكفاية.

﴿ (المانع): هو الناصر الذي يمنع أولياءه؛ أي: يحوطهم وينصرهم، وقيل: هو الذي يمنع العطاء عن قومٍ، والبلاء عن آخرين.

﴿ (الضار): هو مُوصل الضرر إلى من أراد.

﴿ (والنافع): هو موصل النفع إلى من يشاء.

﴿ (النور): هو الهادي، وقيل: هو المنوِّر، وهو من صفات الفعل، وقيل: هو الحقُّ، وقيل: هو الذي لا يخفى على أوليائه بالدَّليل، وتصحُّ رؤيته بالأبصار، وهذه صفة يستحِقُّها الباري تعالى بذاته».

الشَّرح

«**النور**» من أسماء الله ﷻ، وله معانٍ كثيرةٌ[١]، كأسمائه الأخرى ولا تنحصر فيما ذكر.

* * *

(١) ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ١٧١ ـ ١٧٧)، لشيخنا حفظه الله.

ﷺ «(الهادي): هو الذي بهدايته اهتدى أهل ولايته، وبهدايته اهتدى الحيوان لما يصلحه واتقى ما يضره.

ﷺ (البديع): هو الذي فطر الخلق مبدعًا له لا على مثالٍ سبق، وهو من صفات الفعل، وقد يكون بمعنى لا مثل له، فيكون صفة يستحقها بذاته.

ﷺ (الباقي): هو الذي دام وجوده، والبقاء له صفة قائمة بذاته، وفي معناه الوارث.

ﷺ (الرشيد): هو المرشد، وهو الهادي، وقد يكون بمعنى الحكيم ذي الرشد لاستقامة تدبيره، وإصابته في أفعاله.

ﷺ (الصبور): هو الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة، وهو قريب من معنى (الحليم)، وصفة الحليم أبلغ في السلامة من عقوبته.

ﷺ وأما الأسماء التي وردت في رواية عبد العزيز بن الحصين مما ليس في رواية الوليد بن مسلم فمنها:

ﷺ (الرب): ومعناه: السيد، وقيل: معناه: المالك، وقيل: هو المُبلِّغُ كلَّ ما أبدعَ حدَّ كمالِه الذي قدَّره له، فهو على هذا المعنى من صفات فعلِه، وعلى ما قبله من صفات ذاته».

الشَّرح

قوله: «(الرب): ... وقيل: معناه المالك»: المتصرِّف الذي يملك الشيء ويتصرَّف فيه كيف يشاء، ليس معناه «**السيد**»؛ لأنَّ السيد يدخل في معانيه السيدُ هو الذي ساد كلَّ شيء، ورجع إليه كلُّ شيء، وهو يرب خلقه بالإيجاد وما يلزم لوجودهم وغير ذلك.

﴿ «(الحنَّان): معناه: ذو الرحمة.

﴿ (المنَّان): هو الكثير العطاء.

﴿ (البادئ): معناه: المبدئ.

﴿ (الأحد): الذي لا شبيه له ولا نظير.

﴿ (الواحد): الذي لا شريك له ولا عديل، وعُبِّر عنه بعبارةٍ أخرى فقيل: الأحد، هو المنفرد بالمعنى لا يشاركه فيه أحدٌ، والواحد المنفرد بالذات لا يُضَامُه أحدٌ، وهما من الصفات التي يستحقها بذاته.

﴿ (الكافي): الذي يكفي عبادَه المهمَّ، ويدفع عنهم الملمَّ.

﴿ (المغيث): هو الذي يدرك عباده في الشدائد فيخلصهم.

﴿ (الدائم): هو الموجود، لم يزل ولا يزال، ويرجع معناه إلى صفة البقاء.

﴿ (المولى): هو الناصر المعين.

﴿ (المبين): هو البَيِّن أمره في الوحدانية، وهذه صفة يستحقها بذاته.

﴿ (الصادق): هو الذي يصدق قوله، ويصدق وعده، وهو من صفات الذات.

﴿ (المحيط): هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، والقدرة له صفة قائمة بذاته، والعلم له صفة قائمة بذاته.

ﷻ (القريب): معناه: أنه قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بإجابته.

ﷻ (القديم): هو الموجود لم يَزَل، وهذه صفة يستحقُّها بذاته».

الشَّرح

كما سبق، «**القديم**» ليس من أسماء الله ﷻ.

* * *

﴿ (الوتر): هو الفرد الذي لا شريك له ولا نظير، وهذه أيضًا صفة يستحقها بذاته.

﴿ (الفاطر): هو الذي فطر الخلق؛ أي: ابتدأ خلقهم.

﴿ (العلام): بمعنى: العليم، وبناء الفعال بناء التكثير، والعلم لله صفة قائمة بذاته.

﴿ (المليك): هو المالك على المبالغة، وقد يكون بمعنى المَلِك، وقد مضى معناهما.

﴿ (الأكرم): هو الذي لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير، وقد يكون بمعنى الكريم.

﴿ (المدبر): هو العَالِم بأدبار الأمور وعواقبها، ومقدر المقادير ومجريها إلى غاياتها، يدبر الأمور بحكمته، ويصرفها على مشيئته.

﴿ (ذو المعارج): والمعارج: الدرج، وهي المصاعد التي تعرج عليها الملائكة.

﴿ (ذو الطَّول وذو الفضل): ومعناه: أهل الطول والفضل، و(ذو) حرف النسبة كقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

﴿ (الجميل): هو المجمل المحسن.

﴿ (الرفيع): قد يكون بمعنى: (الرافع)، يرفع درجات من يشاء، فيكون من صفات الفعل، وقد يكون معناه: هو الذي لا أرْفَعَ قدرًا منه، وهو المستحقُّ لدرجات المدح والثناء، وهي أصنافها لا مستحقَّ لها غيره، فيكون من صفات الذات».

الشَّرح

لم يذكر العلو! لأنهم ينفون العلوَّ لله ﷻ!

«**الرفيع**»؛ أي: العالي الذي فوق كلِّ شيء.

* * *

❁ «قال الشيخ ﵀: وقد قيل في معاني هذه الأسماء غير ما ذكرنا، قد ذكرنا بعضها في كتاب «الأسماء والصفات»، وبعضها في كتاب «الجامع»، وهذه الوجوه التي ذكرنا في معانيها كلُّها صحيحٌ، وربنا ﷻ وتقدَّست أسماؤه متَّصِفٌ بجميع ذلك، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى لا شبيه له في خلقه، ولا شريك له في مُلكه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١]».

الشَّرح

تفسير المؤلف لأسماء الله ﷻ تفسيرٌ على طريقة المتكلمين، وكثيرٌ منها خطأ، لا يجوز أن نقول بقولهم.

كذلك قوله أن: «أسماؤه صفاته» ـ كما سيأتي ـ، فالصفات غير الأسماء.

ومحقق الكتاب أيضًا يُخطئ في هذا، فيقول: إنَّ صفاته تؤخذ من الأسماء، كما سبق أن نبَّهْنا على هذا، وأنَّ هذا من الخطأ الشائع عند كثيرٍ من طلبة العلم، فالأصل في ذلك الصفات.

الصحيح: أنَّ الأسماء فيها معنى الصفة؛ فالرحمٰن اسم في معناه الرحمة؛ ولهذا سُمِّي الرحمٰن لكثرة رحمته، أما أن تكون الأسماء هي الأصل، ويشتقُّ منها الصفات، فهذا خطأٌ محضٌ.

وكذلك قول المؤلف: إن هذه «صفات زائدات على الذات» فهذا باطلٌ، فالذات بالصفات وبالأسماء معًا، ولا يجوز أن نقول: إنها زائدة على الذَّات أو أنَّ الذاتَ ذاتٌ مجردة لا يقوم بها صفة، ولا يقوم بها فعلٌ من الأفعال، هذا من البدع والضلالات التي ضلُّوا فيها، في شأن ربِّهم ﷻ.

بابُ بيانِ صفة الذات وصفة الفعل

❁ «قال الله جل ثناؤه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤]، فأشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذَّات من أسماء الفعل، على ما نبيِّنه إلى سائر ما ذُكِر في كتابِه من أسماء الذَّات وأسماء الفعل، فللَّه ـ عزَّ اسمُه ـ أسماءٌ وصفاتٌ، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه، وهي على قسمين: أحدهما: صفات ذات، والآخر: صفات فعل».

الشَّرح

في هذا الباب، ذكر المؤلف الآيات التي في أسماء الله ﷻ، ولم يذكر الصفات، مما يدلُّ على أنه يقصد بذلك التقسيمَ العقليَّ عندهم.

والآيات لا تدلُّ على ما قال.

ثم كذلك، التقسيم الذي قاله في صفة الذات وصفة الفعل، هذا التقسيم عندهم، وقسموا أيضًا صفات الذات إلى صفة تَثبُتُ بالعقل، وصفة تَثبُتُ بالسَّمع، وهذا التقسيم تقسيمٌ باطلٌ، وأهل السُّنَّة يُثبتون الصفاتِ بالخبرِ، بالأخبار التي جاءت عن الله وعن رسوله، أمَّا العقل

فلا دخل له في ذلك؛ ولهذا اتَّفقوا على قاعدة، يقولون فيها: «إنَّ أسماء الله ﷻ وصفاتِه توقيفيَّةٌ».

فأسماء الله وصفاته توقيفية على الوحي، وليس على العقول، **وذلك لأمرين ظاهرين:**

أحدهما: أنَّ الله غيبٌ، ولا أحدَ يعلم عن الله شيئًا حتى يخبر ﷻ عن نفسِه بالوحي، ما ليس لأحد أن يشاهِدَه.

الثاني: أنَّ الله ﷻ لا نظيرَ له ولا مِثْلَ له حتى يقاس، والقياس هو مجال العقل، فهذا من الأمور التي خالف فيها أهل السُّنَّة.

هذه الآيات كلُّ الذي فيها أسماءٌ حسنى لله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، يعني: أن هذه الأسماء من أسماء الله الحسنى التي تعبَّد عبادُه بها وتعرَّف إلى عبادِه بها، فهو يُعرف ﷻ بأسمائه التي تعرَّف بها، وكذلك بأوصافه وأفعاله، وإلا ما أحدٌ يشاهِدُه ولا أحدٌ يدركه في عقله؛ لأنه لا مثلَ له، ولا نِدَّ له، ولا سَمِيَّ له، ولم يكن له كفوًا أحد ـ تعالى وتقدَّس ـ، ولكن ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

هذه الآياتُ كلُّها أسماء، ولكن الأسماء أُخذت من الصفات، هذا الذي يشير إليه المصنف، وهذه طريقته التي اختارها، وهي طريقة الأشاعرة، فهذا غير الذي سلكه أهل السُّنَّة، الذين يتَّبعون كتابَ الله ﷻ وسُنَّة رسوله ﷺ.

قوله: «فأشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذَّات من أسماء الفعل على ما نبيّنه إلى سائر ما ذكر»: لا فرق فيه؛ يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] هذه كلُّها أسماء.

قوله: «فأشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذَّات من أسماء الفعل على ما نبيِّنه، إلى سائر ما ذُكِر في كتابِه من أسماء الذَّات وأسماء الفعل...».

كيف تكون أسماء الذات من صفات الفعل؟! ثم الفعل عندهم المنفصل عن الله ﷻ الذي هو المفعول، فلا فرق عند الأشاعرة بين الفعل والمفعول، والمفعول يكون مخلوقًا، فهل صفات الله ﷻ وأسماؤه تكون مخلوقة؟! تعالى الله وتقدَّس.

قوله: «أسماء ذات وأسماء الفعل»: هذا من تقسيمهم الباطل الذي لا يدلُّ عليه، فالتقسيم الذي يقوله أهل السُّنَّة يكون في الصفات، وليس في الأسماء، فإنَّ الصفات هي التي يقولون فيها: صفات ذات وصفات فعل.

وصفات الذات: التي تكون ملازمةً له دائمًا لا تنفكُّ عنه بحالٍ.

أمَّا صفات الفعل: فهي التي تتعلَّق بمشيئته، إذا شاء أن يفعلَها فعلَها، وإن شاء ألَّا يفعل لا يفعل، فهذا هو التقسيم الذي يقوله أهلُ السُّنَّة، وأما هذا التقسيم الذي ذكره، هو من طريقة المتكلمين الفاسدة.

وقوله: «فللَّه ـ عزَّ اسمُه ـ أسماء وصفات، وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه» هذا غير صحيح. و«**أسماؤه صفات**»؛ أي: أنها تدل على الصفات، وكذلك صفاته.

وقوله: «وأسماؤه صفاته، وصفاته أوصافه»: هذا خطأ، ليست أسماؤه صفاتِه، بل فرقٌ بين الأسماء والصفات، فالأسماء ما دلَّت على المسمى، والصفات ـ هي المعاني القائمة بالذات ـ، فأسماء الله «الرحمٰن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن.. إلى آخره»، أما «الرحمة، والعزة، والقوة، والقدرة» هذه من صفاته ﷻ،

ففرقٌ بين الصفات والأسماء، فلا تكون الصفات هي الأسماء، ولا الأسماء هي الصفات!

صفات الفعل يرجعونها إلى القدرة، وإلى الإرادة.

وماذا يريدون بالإرادة؟ يريدون بالإرادةِ الإرادةَ الكونية القدرية، أما الإرادة الدِّينية التي تتضمن المحبة والرضا والأمر، فهي ليست عندهم ولا يقولون بها، وإنما يقول بها أهلُ السُّنَّة، ومع ذلك يسمون أنفسهم أهل السُّنَّة.

* * *

ﷺ «فصفات ذاته ما يستحقه فيما لم يزل ولا يزال، وهو على قسمين: أحدهما: عقلي، والآخر: سمعي. فالعقلي: ما كان طريق إثباته أدلة العقول مع ورود السمع به، وهو على قسمَين: أحدهما: ما يدلُّ خَبَرُ المخبَر به عنه، ووصف الواصف له به، على ذاته...».

الشَّرْح

وما قيمة العقل إذا ورد السمع؟ ليس للعقل قيمةٌ، ولكن هذه التي يذكرها يسمونها صفات المعاني، وصفاتُ المعاني أمرٌ مخترَعٌ عندهم.

قوله: «... وهو على قسمَين: أحدهما: ما يدلُّ خَبَرُ المخبَر به عنه، ووصف الواصف له به، على ذاته».

الخبر ما يكون من الأسماء، ولا يكون من الصفات، فالخبر بابه أوسع من التسمية، وأوسع من الوصف، فقوله: «قديم، موجود، شيء» ليس من أسماء الله، ولكن من الأمور التي يُخبَر بها عنه، ولا يُسمَّى بها، ولا يُوصَف بها، فالخبر كما مضى، فمثلًا يقول ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤]، وربنا لا يُسمى «زارعًا»، ولكن يُخبر عنه به، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهو ﷻ لا يسمَّى (شيء) ولا يوصف به، ولكن يُخبر به، وكذلك (الموجود)، نعم، تقول: الله موجود، ولكن لا نسمِّيه موجودًا؛ لأنَّ الأسماء والصفات يجب أن تكون ثابتةً بالنصِّ، لا هي في العقل، ولا في القياس.

هذه من القواعد التي يقولها أهل السُّنَّة، أن الأسماء والصفات

توقيفيةٌ على النصِّ، فإذا ثبت النصُّ قلنا به، وإذا لم يثبت النصُّ فلا يجوز إثبات شيءٍ لم يثبته الله ﷻ لنفسه، ولم يثبته رسوله ﷺ.

أمَّا التقسيم العقلي والسمعي فهذا لا قيمةَ له؛ لأنَّ ما ثبت في السمع وجب إثباتُه والعقل لا دخلَ له في ذلك، فهذا من طريقتهم.

وأن يكون العقل موافقًا للسمع فهذا من التقوية فقط، وإلا فالعقل لا يحكم على الله ﷻ بشيء.

وقوله: «ووصف الواصف له به»: ولهذا يمثلوا وصف الواصف بأنه حيٌّ، هذا عندهم (صفات العقل) بأنه حيٌّ، قادرٌ، متكلِّمٌ إلى آخره، والله لا يُوصَف بأنه متكلِّم؛ لأن هذا لم يَرِدْ، ولا نقول: إنه حيٌّ فقط، نقول: له الحياة ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، كما قال ﷻ، ثم يأخذونه من هذا صفة يسمونها صفة المعنى، فهذا مقصودُه بالتقسيم، فهو تقسيمٌ أشعريٌّ ولا يقول به الأشعريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما يقول به أتباعُه الذين لا يقولون بقوله، فهو رجع إلى أهل السُّنَّة والتزم طريقهم، وإنما يقولون بقولِه لما كان على طريقة ابن كُلَّاب.

* * *

﴿ «... كوصف الواصف له بأنه شيء، ذات، موجود، قديم، إلٰه، ملك، قدوس، جليل، عظيم، متكبر».

الشَرح

لا يُسمَّى ربنا بـ (الشيء) ـ تعالى الله وتقدس ـ، فهذا اختراعٌ من عندهم، وهذه الأمور يجب أن نتنبَّه لها؛ لأنَّ هؤلاء يُدخِلُون من آياتِ الله وأحاديث رسوله ﷺ لتأييد مذهبَهم ما يريدون من النُّصوص لتكون دليلًا لهم، فيتعسَّفون فيها، وهي ظاهرةٌ جليَّة لا إشكال فيها، ولكن طالب العلم قد يخفى عليه هذا؛ لأنه لم يعرف مغزاهم، ولم يعرف مذهَبَهم.

تقدَّم أنَّ الـ «**قديم**» ليس من أسماء الله تعالى.

نقول نحن أهل السُّنَّة والجماعة: إن الأسماء ليست كما يقول أهل الباطل بأنها أسماء جامدة، فيقولون: عالمٌ بلا علمٍ، سميعٌ بلا سمعٍ، بصيرٌ بلا بصرٍ، فيجعلونها مجرَّد ألفاظٍ لا معانيَ لها!

وأسماء الله الحسنى لها معانٍ عظيمة، ولكن هل المعاني العظيمة أُخذتْ من المعاني القائمة بذات الربِّ ﷻ، ثم كونهم مثلًا يقولون: هذه الأسماء للذَّات تكون زائدةً على الذات، فأضيفت لها كلمةٌ زائدةٌ، وهذا من الكلام المبتدع؛ لأنها تحتمل حقًّا وتحتمل باطلًا، وكل احتمالٍ ـ حقًّا كان أو باطلًا ـ لا يدخل في أسماء الله وأوصافه.

* * *

❁ «والاسم والمسمى في هذا القسم واحد».

الشَّرح

قوله: **«الاسم والمسمى»**: أصلُ الاسم والمسمَّى مِنَ الأمور المخترعة، فأهلُ السُّنَّة ينكرون هذا، ولكن إذا ابتلي الإنسانُ بهذا لا بدَّ أن يُرجِعَ الأمرَ إلى كتابِ الله، وكتابُ الله ﷻ دلَّ على أنَّ الاسم للمسمَّى، وليس هو المسمَّى ولا غير المسمَّى، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فله الأسماء الحسنى، ثم أسمائه وصفاته ما وضعها الخلق بل هو الذي سمى نفسه ـ تعالى وتقدَّس ـ، واتَّصف بصفاتٍ ولم يزل كذلك ولن يزال، ولم يزدد شيئًا لم يكن له بوجود الخلق ـ تعالى الله وتقدَّس ـ؛ لأنه أوَّل كاملٌ بلا بدايةٍ كما أنه آخِرٌ بلا نهاية، بكماله المطلق، فله الكمال من كلِّ وجهٍ ـ تعالى وتقدَّس ـ.

❁ ❁ ❁

❁ «والثاني: ما يدلُّ خبر المخْبِر به عنه، ووصف الواصِفِ له به، على صفات زائدات على ذاته قائمات به...».

الشَّرح

الواصفُ لا يُوجِدُ لله شيئًا، وإنما الوصف يجب أن يكون لله ولرسوله ﷺ الذي يثبت لله، أما الخلق فلا يثبتون لله شيئًا ولا ينفون، وهم عبادٌ يجب أن يمتثلوا أمرَ ربهم ﷻ وإلا يكونون منازِعِين لله ـ تعالى وتقدَّس ـ.

* * *

«... وهو كوصفِ الواصف له بأنه حيٌّ، عالمٌ، قادِرٌ، مريدٌ، سميعٌ، بصيرٌ، متكلِّمٌ، باقٍ».

الشَّرح

قوله: «**متكلم، باق**»: هذان الاسمان لم يأتيا بهما كتابٌ ولا سُنَّة، وإنما هما من مخترعاتهم، وكذلك: «**مُريد**».

* * *

﴿ «فدلَّت هذه الأوصاف على صفاتٍ زائدةٍ على ذاته قائمة به؛ كحياته، وعلمه، وقدرته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه، وبقائه، والاسم في هذا القسم صفةٌ قائمةٌ بالمسمى لا يقال: إنها هي المسمَّى، ولا: إنها غير المسمى».

الشَّرح

هكذا يقولون في جميع صفات الله تعالى!

ولكن نحن نقول: إن هذه الصفات التي ذكَرَ، هي من مخترعاتهم، والله ﷻ ما سمى نفسه متكلمًا، ولا سمَّى نفسَه باقيًا، ولا سمى نفسه شيئًا، ولا سمَّى نفسه موجودًا، وكما سبق أن باب الخبر أوسع من باب التسمية والوصف، فيخبر عنه بالشيء ولا يُسمَّى به ولا يُوصَف به، فيقال: إنه شيء، وإنه موجود، ولكن لا نسمِّيه بهذا، ولا نَصِفُه بذلك؛ لأنَّ التسمية والوصف يجب أن يكون ثابتًا عن ربِّنا ﷻ، وعن نبيِّه ﷺ، أو عن أحدهما بالوحي لا بالاختراع والعقل، والعقل قاصرٌ ما استطاع أنْ يعرفَ نفسَه حتى يعرف رب العالمين ﷻ ويحيط به، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، ـ تعالى وتقدَّس ـ.

وقوله: «والاسم في هذا القسم صفةٌ قائمةٌ بالمسمَّى لا يقال: إنها هي المسمَّى، ولا إنها غير المسمَّى»: كذلك الذي سبق، أنها هي المسمى ولا غير المسمى!

هذا منَ الكلام الباطل، لا يقال: إنَّ هذا من المسمَّى ولا من غير المسمى، بل هي أسماء للمسمَّى ـ كما سبق ـ.

* * *

﴿«وأما السمعيُّ: فهو ما كان طريقُ إثباته الكتابَ والسُّنَّة فقط؛ كالوجه واليدين والعين، وهذه أيضًا صفاتٌ قائمةٌ بذاتِه لا يقال فيها: إنها هي المسمَّى، ولا: غير المسمَّى، ولا يجوز تكييفُها».

الشَّرح

سيأتي تأويله لهذه أيضًا، ويُثبِتُ شيئًا على خلاف المفهوم من النصوص التي جاءت لذلك.

قوله: «وهذه أيضًا صفاتٌ قائمةٌ بذاتِه، لا يقال فيها: إنها هي المسمَّى، ولا: غير المسمَّى».

شاملة للمسمَّى داخلةٌ فيه، وهذا حتى في المخلوق نفسه؛ فإذا قلتَ: (النخلة)، فالنخلة فيها كربٌ، وفيها عُسْبَان، وفيها قِنوان، وفيها لِيفٌ، هل نقول: إن هذه الأمور التي فيها منفكَّة عنها، أو أنها غيرها، أو أنها هي هي؟ بل هي هي جُمْلَتُه بهذه الأوصاف والأسماء، وكذلك المخلوق له سمعٌ، وله بصرٌ، وله علمٌ، وله قدرةٌ، وله يَدٌ، وله رِجْلٌ، وله رأسٌ، هل نقول: هذه الصفات منفكَّة عنه أم ماذا؟!

كلُّ هذا من المخترعات والأمور التي لا يحتاج إليها؛ لأن المسمَّى بصفاته وبأسمائه، ولا يقال: إن هذه منفكَّة عنه أو غيره، فكل هذا من البدع.

قوله: «ولا يجوز تكيِيفُها».

كلُّ صفات الله وأسمائه لا يجوزُ تكييفها، ولكن هؤلاء لهم طريقةٌ خاصَّةٌ بهم؛ ولهذا اختاروا من الصفات سبعَ صفاتٍ، وقالوا: هذه اتَّفق عليها السمعُ والعقلُ، والبقية يجب أن تؤول، أو تفوض.

فمن الذي أوجب التأويل والتفويض؟! ثم إن التأويل أو التفويض كلاهما باطل! وهل الباطل يكون واجبًا؟! نسأل الله السلامة.

﴿ «فالوجه له صفةٌ وليست بصورة، واليدان له صفتان، واليدان له صفتان وليستا الجارحتين».

الشَّرح

ما الذي دعاه لهذا الشيء: الوجه له صفة وليس صورة؟!

كما يقول أيضًا: «**واليدان له صفتان وليستا جارحتين**»، ولا نسمِّيها جارحةً، والجارحة يَقصد بها: أيدي المخلوقين، الله ﷻ ليس كمثله شيء لا في ذاتِه ولا في أوصافِه، ولا في أسمائه الحسنى - تعالى وتقدَّس -، ولا في أفعاله التي يفعلها.

قوله: «**وليستا الجارحتين**»: هذا من كلام أهل البِدَع، ولا يقال: جارحتين أو غير جارحتين، و«**اليدان**»: خُوطبنا بها لأنها شيء نعرِفه ونعلَمُه؛ ولهذا جاء إثبات الأصابع لليد، والقبض والبسط، وهم ينفون هذا؛ لأنهم يقولون ليست بجارحة، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧]، ولكن لا يؤمنون بهذا، لا بدَّ أنهم يعودون عليه بالتأويل؛ لأنهم لا يجرؤون على ردِّه بخلاف المعتزلة فإنهم يردونه.

والذي يُرَدُّ أمره أسهل من الذي يُؤوِّل، ويقول: إن هذا مراد الله، وهذا مراد رسوله ﷺ، فيغترّ بذلك كثيرٌ من الناس.

* * *

﴿«والعين له صفةٌ وليست بحدقة، وطريق إثباتها له صفاتُ ذاتٍ وردّ خبر الصادق به».

الشَّرح

قوله: «ليست بحدقة»: هذا من الكلام الباطل، ولا نحتاج إليه، والعين معروفة باللغة العربية.

وعن سُليم بن جُبيرٍ مولى أبي هريرةَ، قال: سمعتُ أبا هريرةَ يقْرَأُ هذه الآيةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] إلى قولهِ تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨] قالَ: «رأيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يضَعُ إبهَامَهُ علَى أُذُنِهِ، والتي تَلِيهَا على عَيْنِهِ»، قَال أبو هريرةَ: «رأَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يَقرَؤُهَا ويَضعُ إصبَعَيْهِ»، قال ابن يُونُسَ: قالَ المُقرِئُ: يعنِي: إنَّ الله سمِيعٌ بَصِيرٌ، يعنِي: أنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصرًا. قالَ أبو داودَ: «وهذا ردٌّ على الْجَهْمِيَّةِ»[1] إشارةً إلى أنَّ السمع والبصر حقيقيَّان، فليس من باب التشبيه إثباتُ الحقيقة، ولكن إذا كانوا ينفون العلوَّ الذي فُطِرَ الخلق عليه، فكيف بغيره؟!

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨).

﴿ «وأمَّا صفات فعله: فهي تسميات مشتقَّة من أفعاله، وردّ السمع بها مستحقَّة له فيما لا يزال دون الأزل؛ لأنَّ الأفعال التي اشتقت منها لم تكن في الأزل».

الشَرح

الواصفُ لا يُحدِثُ شيئًا يصف الله به، الوصفُ يجب أن يكون راجعًا إلى ربنا ﷻ، هو الذي يَصِفُ نفسه، وإذا لم يكن كذلك فهو مردودٌ.

ثم عرفنا أنَّ مقصوده بصفاتِ الفعل أنه الفعل المنفكُّ عن الله ﷻ؛ أي: المفعول، فعندهم الفعل والمفعول شيء واحد، وسيأتي إيضاحُ ذلك من قوله هو.

* * *

ﷺ «وهو كوصف الواصف له بأنه خالقٌ، رازقٌ، محيٍ، مميتٌ، منعمٌ، مفضِّل، فالتسمية في هذا القسم إن كانت من الله ﷻ فهي صفةٌ قائمةٌ بذاته، وهو من كلامه لا يقال: إنها المسمى، ولا غير المسمى».

الشَّرح

المعنى: أنَّ الباب مفتوح لمن يصف؛ ولهذا **قال**: «**إنْ كانت من الله ﷻ فهي صفة قائمة بذاته**»، وهذا مفهومه: أنها قد تكون من غير الله، يعني: أنَّ المخلوق يَصِفُ الله بهذه وتكون صفات لله، ـ تعالى الله وتقدَّس ـ، ثم **يقول**: «**وهو من كلامه**»، والكلام عندهم كما يقولون: هو المعنى القائم بذات الربِّ ﷻ.

وأهل الكلام يقسمون الكلام إلى نوعين:

النوع الأول: كلامٌ له صوتٌ يُسمَع، وهذا من المُحَال على الله أن يتكلَّم به.

وهذا عندهم؛ مثل: الأكل والشرب، والنوم، ـ تعالى الله وتقدَّس ـ.

والنوع الثاني: هو المعنى الواحد القائم بذاتِ الربِّ ﷻ.

أي: أنه لا يُسمَع، وإنما هو المعنى، فإذا قيل: إن الله يُشرِّع وإنَّ الله يُنزِل الكُتُب، قالوا: هذا عبارة عن كلام الله![1]، فمن الذي عبَّر؟! فجعلوا الله ﷻ بمنزلة الأخرس الذي لا يتكلَّم، ولكن عُرِفَ ما في نفسِه فعبّر عنه، وهذا لازم لهم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (ص١٤١)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٣٤٥).

ﷺ «وإن كانت التسمية من المخلوق فهي فيها غير المسمَّى، ومِنْ أصحابِنا من ذهب إلى أن جميع أسمائه لذاته الذي له صفات الذات وصفات الفعل، فعلى هذا: الاسمُ والمسمَّى في الجميع واحدٌ، والله أعلم، وعلى هذه الطريقة يدلُّ كلام المتقدِّمين من أصحابنا».

الشَّرح

قوله: «من أصحابنا»: يعني: الأشاعرة.

والمخلوق ليس له أن يسمِّيَ الله ﷻ، ولا يجوز له أن يخترع لله اسمًا، وإنما الأسماء يجب أن تكون ثابتةً بالوحي الذي يثبت بنقلِه أو تواتُرِه عن الرسول ﷺ، وما عدا ذلك يكون مردودًا على من يقوله.

قوله: «فعلى هذا: الاسمُ والمسمَّى في الجميع واحدٌ، والله أعلم، وعلى هذه الطريقة يدلُّ كلام المتقدِّمين من أصحابنا».

المتقدمون أحسنُ من هؤلاء المتأخِّرين من أصحابه؛ مثل الباقِلَّاني، وأبي إسحاق الإسْفِرَايِينِي، ونحوه من متقدِّمي الأشاعرة، فإنهم يُثبِتون عُلُوَّ الله ويثبتون وجْه الله، واليدين، ويثبتون الصفات الخبرية لله ﷻ، أما هؤلاء فهم يُؤوِّلونها، ـ كما سبق ـ.

* * *



ﷺ «أخبرنا أبو عبد الرحمٰن السُّلَمي، أنا الحسن بن رَشِيق، إجازةً، ثنا سعيد بن أحمد بن زكريا اللَّخْمي، ثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: سمعتُ الشافعيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: إذا سمعتَ الرَّجلَ يقول: الاسم غيرُ المسمَّى؛ فاشهد عليه بالزندقة»[١].

الشَّرح

مقصود الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هذا أمرٌ مخترعٌ.

لما سئل الطَّبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا، قال: هذا مِنَ الكلام المختَرَع الذي لم يُسبَق إليه، ونحن في غُنْيةٍ عنه[٢]، فهذا هو الحقُّ، وإن كان بعض أهل السُّنَّة كالبغوي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيرِه، قالوا: إنَّ الاسم هو المسمى[٣]، وغيرهم قال: غير المسمى.

كلُّ ذلك من التلبيسات التي أقيمت الشُّبَهُ لها، ويستدلُّ بقوله ﷻ: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم: ٧]، ثم قال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ١٢]، فنادى الاسم، وهل الاسم يكون مستقلًّا حتى يكون هو المسمى أو غير مسمى؟!

يستدلون بمثل هذا الآية: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، هل الذي يُسبَّح هو الاسم؟! كلَّا، بل يقول: سبحان ربي الأعلى؛ لأنه يُسبَّح ويُذكر اسمه ﷻ.

* * *

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧٩٣).
(٢) انظر: صريح السُّنَّة، للطبري (ص٢٦).
(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٥٠)، و«شرح السُّنَّة» له (٥/ ٢٩).

﴿ «قال الشيخ: وقد قال الشافعيُّ في كتاب (الإيمان) ما دلَّ على أنه لا يقال في أسماء الله تعالى: إنها أغيارٌ، قد نقلنا كلامَه فيها في مواضع، وبالله التوفيق».

الشَّرح

كلمة «**أغيار**» من الكلام المبتدع الذي جاء به المتكلمون، والشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ لا يقول بشيء مما يقوله هؤلاء الذين يزعمون أنهم على مذهبِه، فهُمْ في الحقيقة على غير مذهبه في العقيدة، فهم على مذهب الأشعرية، فالشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ برَّأه الله ﷻ من الباطل.

ولهذا قال: «لا يقال: إنها أغيار»؛ أي: لا يقال: (إنها غيره ولا هي هو)!

* * *

﴿ «ومن قال بهذا احتجَّ بقول الله تعالى: ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، فأخبر أن اسمه يحيى، ثم قال: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ﴾ [مريم: ١٢]، فخاطب اسمه فعلم أن المخاطب يحيى، وهو اسمه واسمه هو».

الشَّرح

المخاطَب يخاطَبُ باسمه، فالاسم وُضِعَ على المسمَّى.

المشكلة من المتأخِّرين الذين اغترُّوا بمثل هذا الكلام، فقالوا: (الاسم هو المسمَّى وعينُه).

* * *

﴿ «وكذلك قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ [يوسف: ٤٠]، وأراد المسميات».

الشَّرْح

المعنى: أنهم لو سَمُّوا الحجر آلهةً، والشجرة آلهةً، والأصنام آلهةً، فهي مجرَّد أسماء فقط اخترعوها، وليست لها من الألوهية شيء، فالأسماء شيءٌ والمعنى شيءٌ آخر.

* * *

«وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، كما قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١]، وكما قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]».

الشَّرح

لأن الاسم للمسمى، فيُذكر الله ويُدْعَى باسمه - تعالى وتقدس -.

قوله: «كما قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الفرقان: ١]، **وكما قال:** ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]». البركة يجعلها الله ﷻ في أسمائه، فإذا ذُكر اسمُه على شيء بارَكه وكَثَّره وزاده ونمَّاه، والبركة التي يجعلها هذه مخلوقةٌ، ليست هي ذاتَه ولا هي صفتَه ولا هي اسمَه، أما كلمة (تبارك) فهذه معناها: (تعاظم وتعالى)، ولا يجوز أن تطلق على مخلوقٍ؛ لأنَّ هذه من صفاته، فلا يقال: (تباركوا، تبارك بكذا)، كما يقول بعض العامة: (تباركوا بالنواصي والأماكن)، هذا خطأ وضلالٌ.

* * *

﴿ «ورُوِي عن النبي ﷺ ثم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ»[١].

الشَّرح

هذا لا يدلُّ على مقصوده، بل هو بعيدٌ عنه!

* * *

(١) الحديث المرفوع أخرجه أحمد (١١٤٧٣)، وأبو ادود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، والنسائي (٨٩٩)، وابن ماجه (٨٠٤)، وأثر عمر رضي الله عنه أخرجه مسلم (٣٩٩).

﴿ «كما قال النبي ﷺ في الدعاء بعد السلام: «تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[(١)].

الشرح

التباركُ صفةٌ، والبركة التي تحدث للمخلوق باسمه، إذا ذكر عليه شيء آخر (فهو) مخلوق.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٥٩١).

﴿ «وقال في دعاء القنوت: «تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[١]، قال أبو منصور الأزهري: معنى تباركَ: تعالى وتعظَّم، وقيل: هو تفاعَل من البركة، وهي الكثرة والاتِّساع».

الشَّرح

التعالي لله ﷻ، ثُمَّ هو لا يُقِرُّ بكلمة تَعَالى، كما سبق أنه أوَّلَها وأرْجَعَها إلى الإرادة فرارًا من إثبات العلو لله ﷻ.

فكلمة «تعالى» لها معانٍ ثلاثة:

المعنى الأول: عُلُو القَدْر. وهذا يُقِرُّون به.

المعنى الثاني: القَهْر. يُقِرُّون به، ولكن في قلوب الذين يعرفونه ﷻ.

المعنى الثالث: فينكرونه، وهو عُلُوُّ الذَّات، كونه مستويًا على عرشه ـ تعالى وتقدَّس ـ.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٨)، وأبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨).

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم البغوي، ببغداد، ثنا محمد بن العباس الكايلي، ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، ثنا مالك بن أنس، وغيره عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة ؓ، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»[(١)]، غَيْرَ أَنَّ مَالِكًا لَمْ يَقُلْ: «فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ»».

الشَّرح

هذا الحديثُ من آداب النَّوم، فيه أنَّ ذِكْرَ الله ﷻ يُتعبَّد به، وكذلك يُعتصَم به من شرور الشياطين وغيرهم.

وقوله: «إذا أتى أحدُكم فراشَه...» لم يكن عندهم كهرباء أو سرجٌ، إنما يكون البيتُ مظلمًا باللَّيل؛ فلهذا **قوله: «فلينْفُضْه بصَنِفَة ثوبِه»** صَنِفَة ثوبِه: أسفل الرِّدَاء من داخلٍ، يأخذُ الرِّداء، ويمسح الفراش؛ لئلَّا يكون فيه عقربٌ ولا فيه شيء يُؤذِي، ثُمَّ يعتصم باسم الله ﷻ، ليس المراد الاسم فقط، إنما المراد المسمَّى الذي يُدعى بالاسم وينادَى به، ويُتعبَّد به ـ تعالى وتقدَّس ـ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٣).

۞ «وروينا في حديث أبي ذر وحذيفة رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أخذ مَضْجَعه قال: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ»[1].

الشَّرح

قوله: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ»؛ أي: على اسمك أحيا وأموت؛ لأنَّ النوم نوعٌ من الموت، فهو أخو الموت، وسواء يحيى الحياة التي تكون بعد النوم أو الحياة التي تكون بعد الموت الحقيقي، فهذا من العبادة التي يَتعبَّد بها رسول الله ﷺ، وهو أسوةُ المسلم وقدوته.

* * *

(١) حديث أبي ذر أخرجه البخاري (٦٣٢٥)، وحديث حذيفة أخرجه البخاري (٦٣١٢).

ﷺ «كما قال في رواية أبي هريرة في الدعاء عند الصباح: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نمُوتُ»[(١)].

الشَّرح

كل هذه الأخبار حق وظاهرها مفهوم ومعلوم، ولا تدل على المذهب الباطل.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٨٦٤٩)، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، والنسائي (٩٨٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٩).

❁ «وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا زيد بن الحباب، حدثني عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، حدثني عمير بن هانئ، قال: سمعت جنادة بن أبي أمية، يقول: سمعت عبادة بن الصامت، يذكر عن رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام جاءه وهو يُوعك، فقال: «أُرْقِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ كُلِّ حَسَدِ حَاسِدٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ، وَاسْمُ اللهِ يَشْفِيكَ»(١).

❁ قال الشيخ رحمه الله: ولو كان اسمه غيره، أو لا هو المسمى لكان القائل إذا قال: عبدت الله والله اسمه أن يكون عبد اسمه، إما غيره، أو ما لا يقال: إنه هو، وذلك مُحالٌ».

الشَّرح

قوله: «قال الشيخ رحمه الله: ولو كان اسمُه غيرَه، أو لا هو المسمَّى»، يعني: الاسم.

قوله: «لكان القائل إذا قال: عبدتُ الله، والله اسمه، أن يكون عَبَد اسمَه، إما غيره»: كل هذه الأقوال فاسدة باطلة، فإذا قال: عبدت الله، لم يقصد مثلًا كلمة (الله) فقط، يقصد هذا الاسم الكريم الذي وُضِع لله جل جلاله لا يشارِكُه فيه أحدٌ، وماذا يريد أن يقول: عبدت ذات الله ليس لها اسمٌ، ـ تعالى الله وتقدس ـ.

كلُّ هذه أمورٌ لا يحتاج لها العاميُّ الذي فطره الله جل جلاله على المتابعة

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٥٩)، وابن ماجه (٣٥٢٧).

والإيمان، وسَلِمَ مِن ورطات المتكلمين؛ لأن هذا مثلُ ما قال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لأَنْ يُبتَلى المَرءُ بِكُلِّ ذَنْبٍ نَهى اللهُ عَنهُ، ما عدَا الشِّرْكَ به، خَيرٌ لَهُ من الكلامِ**»[1]، فهؤلاء ابتُلوا بالكلام في الله ﷻ، نسأل الله العافية.

* * *

(١) آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم (ص١٣٧)، و«مناقب الشافعي»، للبيهقي (١/ ٤٥٤).

ﷺ «وقوله: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»[١]، معناه: تسميات العباد لله؛ لأنه في نفسه واحدٌ».

الشَّرح

قوله: «تسميات العباد لله»: كيف للعباد أن يسمُّوا الله؟! فالله ﷻ هو الذي سمى نفسَه، ولا يجوز أنْ يُثبَتَ لله اسمٌ لم يُسَمِّ به نفسَه ـ كما سبق ـ.

* * *

(١) تقدم تخريجه.



﴿ «قال الشاعر:

.... إلى الحَولِ ثُمَّ اسمُ السَّلامِ عَلَيكُمَا[(١)(٢)].

﴿ قال أبو عبيد: أراد: ثم السلام عليكما؛ لأن اسم السلام هو السلام».

الشَّرح

قوله: «قال الشاعر...»:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَرْ

قوله: «**قال الشاعر...**»: دليلٌ على المذهب الباطل.

وهو لا يدل على ما يريد، فالمعنى ابكيا عليه حولًا ثم اكتفيا بذلك.



(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص٥١).

(٢) قال شيخ الاسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٢٠٢): «وما ذكرُوهُ من قولِ لَبِيدٍ: إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما فمُرادُهُ ثمَّ النُّطقُ بهذا الاسمِ وذكرَهُ وهو التَّسليم المقصود؛ كأنَّهُ قال ثمَّ سلَامٌ عليكم ليسَ مُرادُهُ أنَّ السَّلامَ يحصلُ عليهما بدونِ أنْ ينطِقَ به ويَذكُرَ اسمَهُ. فإنَّ نَفْسَ السَّلام قولٌ فإنْ لم يَنطِق به ناطِقٌ ويذكُرهُ لم يَحصُل» اهـ.

باب ذكر آيات وأخبار وردت في صفات يستحقها الباري ﷻ بذاته سوى ما ذكرنا في البابين قبله

الشَّرح

قوله: «باب ذِكْرِ آياتٍ وأخبارٍ وردت في صفاتٍ، يستحقُّها الباري ﷻ بذاتِه، سوى ما ذكرنا في البابين قبله»: يريد المؤلف رحمه الله أن يحمِّلَ النصوصَ الشيء الذي هو من مذهبِه، والنصوصُ لا تتحمَّل هذا!

* * *

﴿«قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٢٦﴾ [لقمان: ٢٦]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]، وقال: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النور: ٢٥]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود: ٧٣]، وقال: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: ٩]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٦٥﴾ [ص: ٦٥]، وقال: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [الأنفال: ٤٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥]، وقال: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝١٣٩﴾ [النساء: ١٣٩]، وقال خبرًا عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢﴾ [ص: ٨٢]، وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ٣٧].

﴿ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن صالح بن هانئ، ثنا الحسين بن الفضل البجلي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، (ح).

﴿ قال: وأخبرنا أبو عبد الله، ثنا علي بن حمشاذ، ثنا الحسن بن علي بن زياد، ثنا سعيد بن منصور، ثنا حماد بن زيد، ثنا

معبد بن هلال العنزي، قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه، فذكر حديث الشفاعة. ثم ذكر معبد عن الحسن بن أبي الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثمَّ أقومُ في الرَّابعة فأحْمَدُه بتلك المحامِد، ثم أخِرُّ له ساجدًا، فيقال لي: ارفع رأسك، وقُلْ يُسْمَعْ لك، وسَلْ تُعْطَ، واشفعْ تُشفَّع، فأقولُ: ائذنْ لي فيمن قال: لا إلٰه إلا الله، فيقال لي: ليس ذلك لك - أو: ليس ذاك إليك - وعزَّتي وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجَنَّ منها من قال: لا إلٰه إلا الله»[1]، وفي رواية سليمان بن حرب: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي».

ﷺ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، ببغداد، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن عبد الملك بن مروان، ثنا يزيد بن هارون، أنا عاصم، عن أبي الوليد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان النبي ﷺ يجلس بعد الصلاة إلا قدر ما يقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[2].

الشَّرح

قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾: العزة صفة، وقال: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ فهذه من الصفات، ولكن قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: فالوجه أيضًا صفةُ ذاتٍ من صفات الله ﷻ.

قال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾: «**ذي**»: صفةٌ لـ«**ربك**» بخلاف الأُولى، فإنها صفة للوجه، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: «**وجه**»: فاعلُ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٢) تقدم تخريجه.

البقاء، وأضيف إلى «**ربك**»، فقال «**ذو**» بعدها، فهل تقول: «**ذو**» صفةٌ لربك؟ لو كان صفةً لقال: «**ذي الجلال**»، ولكنه قال: «**ذو**»، فصار وصفًا للوجه، فصارت الآية تدلُّ على إثبات الوجه لله حقيقةً، خلافَ الآيةِ الأخرى التي في آخر السورة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾، صار «**ذِي**» وصفًا للربِّ ـ تعالى وتقدَّس ـ.

فالمقصود: أنَّ الكبرياء من الصفات، والجلال والإكرام من الصفات، فهذه الصفات التي يثبتها أهل السُّنَّة، أما الأشاعرة فلا يثبتون إلا سبعًا، ليست هذه منها؛ ولهذا سيأتي كلامه عليه.

فالسَّبْع التي يثبتونها: (السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والكلام)، يقولون: إنه اتفق عليها العقل والسمع.

ثم يعودون عليها فيؤوِّلون شيئًا، ويحدِّدون شيئًا، حتى تكون متَّفِقة مع المذهب، فهم يُسخِّرون الآياتِ حتى تكونَ موافقةً لما يعتقدونه، وهذا من الباطل؛ لأنَّ العبد يجب أن يكون متَّبِعًا، يجعل آيات الله ﷻ دالَّةً عليه، وإلا لا يكون عنده التسليم والانقياد.

ولكن هؤلاء المتكلِّمَة قامت عندهم الشُّبَه وتربَّوْا على هذه الأمور؛ وأخذوها عن مشايخهم الذين يحسنون بهم الظَّنَّ، فصَعُبَ عليهم التخلُّصُ منها، فصار منهجهم أنهم يتأوَّلون النصوص حتى تتفق مع ما تَلَقَّوه ممَّن يحسنون بهم الظنَّ، والله المستعان.

من الأمور التي ينبغي أن ينبَّه عليها أيضًا: أنَّ طالب العلم قد يقرأ الكُتب وهذا المطلوب، ولا يتقيد بشيء معيَّن، يجب أن يتوسَّع في علمِه وفي إدراكه.

قد يقرأ أحدٌ كُتُبَ ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا سيما كتاب «**الفِصَل**»، وهو

كتابٌ جيدٌ، ولكن فيه محاذير؛ حيث إنه لما أتى إلى الصفات أنكرها، وقال: هذا من مخترَع المتكلمين!

ولكن يجب أن يكون عند طالب العلم الفرقان بين الحق والباطل، ويعلم أن الواجب اتباع كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ ويحذر ضلال المتكلمين، وألا يكون أعمى، فهذا المصنف ما نفعه اشتغاله بالحديث.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، حدثني معاوية بن صالح، عن عمرو بن قيس، عن عاصم بن حميد، عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ، قال: «قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ. قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةً سُورَةً»[1].

الشرح

قوله: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، صفات من صفات الله ﷻ سيأتي الكلام عليها.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١٠٤٩)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٢٧٦).

۞ «ورُوِينا في حديث ابن عبَاسٍ عن النَّبِيِّ ﷺ في الدُّعاءِ بعد الرُّكُوعِ: أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ»[١].

الشَّرح

قوله: «أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ»، يعني: أنَّ الثناء لله ﷻ.

والثناء معناه: تثنية أسمائه، وتمجيده بها، وتحميده بها، وكذلك صفاته.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٤٧٨).

❁ «قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الصفات من كمال أوصاف الإلٰهية، فوجب إثبات كل مدح له، ونفي كلِّ نقصٍ عنه».

الشَّرح

هذا حقٌّ، يجب إثباته لله جَلَّ جَلَالُهُ، بشرط ألا تتضمَّن نقصًا، فللَّه الكمالُ المطلق.

* * *



باب ذكر آيات وأخبار وردت في صفات زائدات على الذات قائمات به

۞ «قال الله - جل ثناؤه -: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فهو حيٌّ، وله حياةٌ يباين بها صفة من ليس بحيٍّ».

الشَّرح

قوله: «ذكر آيات وأخبار وردت في صفات زائدات على الذات قائمات به»: لا يجوز أن نقول مثل هذا، حيث إن هذا من الباطل ومن البدع التي نزَّه الله ﷻ أهل السُّنَّة عنها.

والصفات لا تكون زائدة على الذَّات، ولا تكون هناك ذاتٌ مجرَّدةٌ ليس لها صفات، حتى إنه لا يوجد مثل هذا في المخلوق القاصر، فالإنسان لا يكون مجرَّدًا عن أوصافه وأسمائه، كذلك الجماد، فالصَّفا - وهو الحجر - يوصَف بأنه صلبٌ وأنه قويٌّ، هل هذا زائدٌ على ذاته؟!

ليس المقصود بقول المؤلف هنا إثبات مجرَّد الحياة فقط، وأن له صفة الحياة.

بل المقصود بهذا: إثبات كمال الحياة وما يلزم منها؛ ولهذا يقول علماء أهل السُّنَّة: إن هذين الاسمين ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ يتضمنان صفات الكمال كلَّها، فـ «الحيُّ» يتضمن صفات الذات كلَّها؛ لأن له الحياة

الكاملة، والحياة الكاملة تستلزم العلم والسمع والبصر، وغير ذلك، و«القيوم» هو القائم بنفسه الذي لم يحتَجْ إلى غيره، الغنيُّ بذاته عن كلِّ ما سواه، المقيم غيرَه، ولا قيام لأحدٍ إلا به، فترجع صفات الأفعال كلُّها إلى هذا الاسم؛ ولهذا قيل: إنَّ هذين الاسمين مجتمعَين هما الاسم الأعظم، كما جاءت الآثار في ذلك؛ ومنها: عن النبي ﷺ: أنَّ اسم الله الأعظم في ثلاثِ آياتٍ، يقول بعض السلف: تتبعتُ ذلك وجدْتُها في سورة البقرة، وآل عمران، وطه، وهو «**الحي القيوم**»[1].

* * *

(١) تقدم تخريجه.

﴿ «وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ [الأنعام: ٦٥] فهو قادرٌ، وله قدرة يباين بها صفة من ليس بقادر، وقال: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فهو عالم وله علمٌ يباين به صفة من ليس بعالمٍ».

الشَّرح

هذا من أبلغ الأدِلَّة على إبطال مذهب المعتزلة الذين ينكرون العلم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ يعني: أنَّ علمَه بكلِّ شيء متعلِّقٌ بكلِّ شيء ـ تعالى وتقدَّس ـ، ولها نظائِرُ كثيرةٌ في كتاب الله ﷻ، فيُثبت الاسم وحكمه وما دل عليه، على ظاهره، مع العلم بأن ذلك من خصائص الله تعالى، فلا شريك له ذلك، وفي غيره.

* * *

۞ «وقال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢]؛ أي: علمُه أحاط بالمعلومات كلِّها كما قدْرَتُه عمَّت المقدورات كلَّها».

الشَّرح

هذه الآية تعلَّقتْ بما قبلها؛ قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، يعني: تأمَّلوا مخلوقات الله وانظروا فيها، واستدِلُّوا بها على عظمته وعلمه بكلِّ شيء، وإحاطته بكلِّ شيء.

* * *

ﷺ «وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] والقوة: القدرة».

الشرح

قوله: ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾ اسمه ﷻ.

قوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾: المتين صفةٌ للقوَّة له قوة تامَّة، وموصوفة بالمتانة لإثبات الكمال المطلق لله ﷻ، فهي من الصِّفات، كما قال: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

والرزق ـ كما سبق ـ **أنه ينقسم إلى قسمين:**

رزقٌ تتغذَّى به الأبدان. ورزقٌ تتغذَّى به الأرواح؛ كرزق الإيمان الذي به السعادة وهذا يكون خاصًا، أما الأوَّل، وهو رزق الأبدان يكون عامًّا لكلِّ حيٍّ لا يستثني أحدًا، وليس كما يقول بعض الضالين: إن الله لا يرزق الحرام، رزقُه حلالٌ فقط، ولو أكل الإنسان حرامًا، قالوا: هذا أكَلَ من غير رزق الله! ويقولون: إنَّ القاتل قطع على المقتول رزقَه وبقيَّة عمرِه، ولو تركه لعاشَ، وأكل بعض رزقه!

كلُّ هذه التقديرات فاسدة، حتى أنَّ العقل لا يستسيغها.

ليست القوة هي القدرة، ولكن القدرة تُوصَفُ بالقوة؛ لأنه ﷻ قويٌّ، وتوصف أيضًا بالمتانة، والقدرة صفة، والقوة صفة.

* * *

﴿ «وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤﴾ [الحج: ١٤]، وقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود: ١٠٧]».

الشَّرح

هذه من خصائص الله: بأنه ﷻ ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝١٤﴾.

«**وقال**: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾: «فعَّالٌ»: صيغة مبالغة للفعل، فلا أحدَ يحولُ بينه وبين إرادته، أمَّا المخلوق قد يستطيع فعل الشيء وقد لا يستطيع فعله، وقد يحول بينه وبين بغيته حوائلُ، وقد ينصرِفُ ذهْنُه ويقل عزمه عليه وينتقض، كما سُئل بعضُ العرب: بما عرَفتَ ربَّك؟ قال: بنقضِ العزائم؛ ومعنى «نقض العزائم»: كونُ الإنسان يعزم على الشيء ثم ينتقض العزم.

وهذه الآية من أدلَّة أهل السُّنَّة على دوام الأفعال، وأنها لا مبدأ لها، أفعال الله ﷻ، خلاف قول المتكلمين بأنه: صار يفعل بعد أن لم يكن يفعل! إذًا قبل أن يفعل، ماذا كان؟! هل كان معطَّلًا لا يفعل شيئًا؟! تعالى الله وتقدَّس، فهو الفعَّال لما يريد دائمًا، لكنَّ عقولَ الناس قاصرةٌ لا تحيط بقدرة الله وبأفعاله.

إنما نحن نشاهِدُ المخلوقات التي تُتَاح لنا رؤيتُها فقط، أما ما كان قبلها من مخلوقات فلا نعرِفُها ولا نحيطُ بها علمًا.

الله ﷻ يقول: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾: هذه المسألة تُسمَّى مسألة التسلسل.

لكن لماذا يبقى الإنسان في حيرة من شبهة تواجهه؟! لا بدَّ لطالب العلم أن يحاوِل أن يزيل الشُّبَه عنه، ولا سيَّما في أسماء الله ﷻ، وليس فيها والحمد لله مشتبهات.

وللناس في ذلك ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: تسلسُل الحوادث له مبدأ في الماضي، ولا نهايةَ له في المستقبل؛ لقولِ الله ﷻ في أهل الجنة وأهل النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧].

المذهب الثاني: أنه ممنوعٌ في الماضي والمستقبل، فحكموا على نهاية الجنة والنَّار، وبعضهم يقول: تنتهي الحركات، كما يقول أبو الهذيل العلَّاف، وغيره من أهل الضلال.

المذهب الثالث: قول أهل السُّنَّة؛ أنها لا مبدأ لها في الأوَّل والآخِر، **وهذا هو الصحيح**

والتسلسل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: تسلسلٌ في الحوادث.

القسم الثاني: تسلسلٌ في المحدِثِين، وهذا باطلٌ بالإجماع، فتسلسلُ المحدِثِين يجب أن ينتهي إلى خلَّاقٍ عليمٍ قادرٍ على كلِّ شيء، وكلُّ محدَثٍ بعده قد حَدَث ووُجِد بعد أن لم يكن.

فالصحيح: أنَّ الله ﷻ يفعل ما يريد كما قال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾؛ في الماضي وفي المستقبل وفي الأبد، إذا أراد شيئًا فعَلَه ولا يحُولُ بينه وبين ذلك فاعلٌ، والفعل من الكمال، وليس ترك الفعل من الكمال، وربنا ﷻ له الكمالُ المطلق.

* * *

﴿«وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، والمشيئة والإرادة عبارتان عن معنى واحد».

الشَّرح

عند المتكلِّمة أن المشيئة والإرادة عبارة عن واحدٍ؛ أي: هي الإرادة الكونية، هذا صحيحٌ إذا نظرنا إلى الإرادة الكونية مع المشيئة، فالمشيئة هي الإرادة الكونية، لكن ليس هذا قصدهم.

والإرادة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة دينية أمريه شرعية: وهذه تخصُّ المسلمين فقط؛ كما قال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٦، ٢٧].

والله يحكم ما يريد، والحكم إذا أريد منه التحليل والتحريم، يكون ذلك مِنَ الإرادة الدِّينية الأمريه، فالإرادة الدِّينية تتضمَّن الأمر، والرضا، والحب.

القسم الثاني: الإرادة الكونية: لا يلزم منها أن يكون مرادُها محبوبًا، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وهذه **الإرادة الكونية التي هي المشيئة.**

والكلام ينقسم كذلك إلى هذين القسمين:

القسم الأول: كلامٌ كونيٌّ وقدريٌّ.

القسم الثاني: كلامٌ أمريٌّ شرعيٌّ، وغير ذلك من صفات الله ﷻ.

ﷺ «فهو مريدٌ، وله إرادة يُبايِن بها صفة من يكون ساهيًا أو مغلوبًا أو مُكرَهًا».

الشَّرح

الله ﷻ مريدٌ لما يريد، ولكن هم يُقصِرون الإرادة على شيء معيَّن، فلهذه الأشياء التي ذكرها، لا يجوز أن نفسر إرادة الله بأشياء محصورة، فهو كما سبق: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾.

* * *

﴿«وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٤﴾ [النساء: ١٣٤]، وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: ١]، فهو سميعٌ بصيرٌ، وله سمعٌ وبصرٌ يدرك بأحدهما جميع المسموعات وبالآخر جميع المبصرات».

الشَّرح

قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ١٣٤﴾: (كان) فعلٌ ماضٍ ناقصٌ، لكنه في حق الله تعالى كما جاء في التفسير عن ابن عباس: «أي: لم يزل كذلك»[(١)]؛ أي: كان ولا يزال سميعًا بصيرًا.

جاءت صفة السمع من صفات الله ﷻ متصرفةً وليست جامدة فتأتي على صور شتى من أفعال ومصادر ومشتقات أخرى، فمنها: (السميع، ويسمع، وسَمِعَ)، هذا معنى التصرُّف.

هنا قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾: و(سمع) فعل ماضٍ، وقد جاء أيضًا في قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١].

قوله: «فهو سميعٌ بصيرٌ، وله سمعٌ وبصرٌ يدرك بأحدهما جميع المسموعات...»، يعني: يدرك بالسمع جميع المسموعات، وإن خفيتْ فإنه يسمع دبيب النمل على الصفاء الأسود في ظلمة الليل ـ تعالى الله وتقدَّس ـ.

والسمع هو إدراك المسموع، والله سبحانه يوصف بهذا، ولكنَّ السمع صفةٌ قائمةٌ بالسامع، والبصر كذلك.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ١٢٨).

﴿ «وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فهو متكلمٌ، وله كلامٌ يباين به صفة الأخرس والسَّاكت».

الشَّرح

قال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]: لا يعني ذلك: أنْ نسمي الله (المتكلم)؛ لأن هذا لم يرد في أسماء الله ﷻ.

ونأخذ من ذلك: أنه إذا جاءت صفة لله تعالى فليس لنا أن نخترع منها اسمًا لله؛ لهذا قال أهل السُّنَّة: إن أسماء الله وصفاته توقيفية، تُوقَف على النَّصِّ فقط.

قوله: «فهو متكلمٌ، وله كلامٌ يباين به صفة الأخرس والسَّاكت».

نعوذ بالله من هذا القول!، فما معنى قوله: (كلام يباين به صفة الأخرس والساكت)؟ هل صفته سبحانه بأنه يتكلم، حتى يباين النقص الذي في الأخرس والساكت فقط؟!

إنَّ الله سبحانه له كلامٌ يُسمَع مشتملٌ على الحروف والأصوات، وهذا ممنوعٌ عندهم، هداهم الله.

وكلام الله تعالى ـ عن المؤلف ـ: هو المعنى الواحد القائم بذات الرب!

* * *



❁ «وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وقال: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقيل في معنى ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ أنه الدائم».

الشَّرح

قوله: «القيوم» ليس بمعنى «**الدائم**»، فـ«**القيوم**»: هو القائم بنفسه، الغنيُّ عن كلِّ ما سواه، المقيم لغيره، فلا قيامَ لأحدٍ إلا بإقامته ﷻ.

❁ ❁ ❁

ﷺ «وقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، فهو باقٍ وله بقاءٌ، ومعنى وصْفِه بذلك أنه واجبُ الوجودِ فيما لم يَزَلْ، مستمرُّ الوجود فيما لا يزال».

الشَّرح

الوجه عند أهل الكلام هو الذَّات، فقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ عندهم يعني: ذاته، فهم لا يُثبِتون الوجه لله ﷻ.

قوله: «ومعنى وصْفِه بذلك أنه واجبُ الوجودِ فيما لم يَزَلْ، مستمرُّ الوجود فيما لا يزال». ليس هذا المقصود. فهو ﷻ ذكر بقى الوجه، ولا يقصد الوجه فقط، ولكن الوجه هو أشرف ما في المذكور والباقي تبعٌ له.

معنى ذلك: أنَّ لله ﷻ وجهًا حقيقةً، بدليل أن الله ﷻ جعل النظر إلى وجهه أعظمَ نعيم أهل الجنة، والمصطفى ﷺ يقول: «**وأسْأَلُك لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**»[(١)].

وليس معنى رؤية وجه الله أنه يحاط به، فالله تعالى لا يحيطُ أحدٌ به علمًا ونظرًا وذاتًا.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي (١٣٠٥).

﴿ «أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رَحِمَهُ اللَّهُ، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أبو الأزهر، ثنا ابن أبي فديك، عن إبراهيم بن الفضل، عن المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا اجتهد في الدعاء قال: «يَا حِيُّ يَا قَيُّومُ»[(١)].

﴿ قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: ورُوِينا في الحديث الثابت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»[(٢)].

﴿ وقال سعد بن عُبَادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الإفك، بين يدَي رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لعمرُ اللهِ لا تقْتُلُه، وقال أُسَيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لعمر الله لنقْتُلنَّه، فحلَفَ كلٌّ واحدٍ منهما بحياة الله وبقائه، والنبي ﷺ يسمع»[(٣)].

الشَّرح

المقصود بقوله: «لعَمْر الله»؛ أي: حياته جَلَّ جَلَالُهُ، والله جَلَّ جَلَالُهُ لا يلحقه نقصٌ في ذلك، كما أن الحلف لا يكون إلا بالله أو بصفةٍ من صفاتِه ـ تعالى وتقدَّس ـ، وهذا حقٌّ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٤٨)، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).

(٣) سيأتي تخريجه.

بمناسبة حديث الأفك، لمَّا طال الأمرُ، «**قامَ رسولُ اللهِ ﷺ من يومِهِ، فاستعذَرَ من عبد الله بنِ أُبيٍّ ابنِ سلُولَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «منْ يَعذُرُني منْ رجُلٍ بلغَنِي أذَاهُ في أهلِي، فواللهِ ما عَلِمتُ على أهلِي إلَّا خيرًا، وقد ذكَرُوا رجُلًا ما علِمتُ عليهِ إلَّا خيرًا، وما كانَ يدخُلُ على أهلِي إلَّا معي»، فقامَ سعدُ بنُ معاذٍ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أنا واللهِ أعذُرُكَ منهُ إن كانَ من الأوسِ ضرَبنَا عُنُقهُ، وإنْ كانَ من إخوانِنَا من الخزرَجِ أمرتَنَا، ففَعلنَا فيهِ أمرَكَ، فقامَ سعدُ بنُ عُبادَةَ - وهو سيِّدُ الخزرَجِ، وكانَ قبلَ ذلِكَ رجُلًا صالِحًا ولكنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ - فقالَ: كذبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، لا تَقتُلُهُ، ولا تَقدِرُ على ذلكَ، فقامَ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ فقالَ: كذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، واللهِ لَنَقتُلَنَّهُ، فإنَّكَ مُنافِقٌ تُجادِلُ عن المُنافِقِينَ، فثَارَ الحَيَّانِ الأوسُ، والخَزرَجُ حتَّى همُّوا، ورسُولُ الله ﷺ على المِنبَرِ، فنَزَلَ، فخَفَّضَهُمْ حتَّى سكَتُوا**»[1]، ثم بعد ذلك نزل الوحي ببراءة عائشة.

فائدة: لمن يقول: إن الرسول يعلم الغيب، لماذا لم يعلم ببراءة عائشة أُم المؤمنين رضي الله عنها إلا بالوحي؟

وعبد الله بن أُبيٍّ ابن سلُولَ هو رأس المنافقين، فهو الذي كان يفشي فِرْية الإفك، ويظهره ويُنمِيه، وهو الذي قال الله ﷻ عنه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

﴿«أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا إسماعيل بن إسحاق، ثنا القعنبي، عن عبد الرحمن بن أبي الموال، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأَمْرِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ لَنَا: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ وَتُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ الَّذِي تُرِيدُ خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَمَعَادِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ شَرًّا لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَمَعَادِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - مِثْلَ الْأَوَّلِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»، أو قال: «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ»[1].

﴿ قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وفي هذا الحديث الصحيح إثباتُ صفة العلم وصفة القدرة، واستخارة النبي ﷺ بهما، وقد ذكرنا شواهده في كتاب «الأسماء والصفات»».

الشرح

في هذا الحديث يحثُّ رسول الله ﷺ المسلم على أمر فيه التقرب إلى الله وعبادته جل جلاله.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٩٠).

وجاء هذا الحديث إلغاءً وتحريمًا لما كان يفعله أهل الجاهلية من الاستقسام بالأزلام، بحيث يضرب بالأقداح التي كُتب فيها واحدٍ منها (يفعل)، والثاني (لا تفعل)، والثالث ليس فيه كتابة، فإذا خرج الذي فيه «لا تفعل» توقَّفوا، وإن خرج الذي ليس فيه كتابة، أعاد الضرب.

فكانت صلاة الاستخارة محوًا لهذه الشركيات وعبادةً لله ﷻ، واستسلامًا له، وطلبًا للخير منه ﷻ، والسؤال والتوسل بعلم الله وبصفات.

وإذا استخار المسلم ربَّه، طالبًا للخير منه، وتوسَّل بأسماء الله التي وردتْ تقرُّبًا له، مستسلمًا إليه ﷻ، فإنَّ الله ﷻ يهدِيه، ويرشده إلى ما فيه الخير، وصلاة الاستخارة تكون في كلِّ أمر تقدم عليه.

وصلاة الاستخارة ركعتان من غير الفريضة، يأتي بهما تطوُّعًا.

أين يكون الدعاء في الركعتين؟

إذا انتهى من التشهُّد يدعو قبل أن يسلِّم، وإن دعا بعد ذلك فلا بأسَ، ولكن الأحسن قبل التسليم، وإذا كان الدعاء بعد السلام يرفع يديه، أما إذا كان في الصلاة فلا يجوز.





﴿ «أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد الفقيه، أنا أبو بكر القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، قال: ثنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة ﷺ، قال: وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَقُولُ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، وَارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ؛ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا مُكْرِهَ لَهُ»[1].

﴿ قال الأستاذ: وفي هذا إثبات المشيئة له تعالى ﷻ، وأنه يفعل ما يشاء وله شواهد كثيرةٌ».

الشَّرح

كان لهمام بن مُنبِّه صحيفة يحدِّث منها، وكانت صحيحةً؛ ولهذا كثيرًا ما يرويها مسلمٌ في صحيحه، والبخاري أيضًا يروي منها بعضَ الشيء.

قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، وَارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ؛ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا مُكْرِهَ لَهُ».

أي: لا يجوز لأحد أن يعلِّق الدعاء بالمشيئة؛ ـ لأن هذا يتضمن **أمرين:**

الأمر الأول: كأنَّ الدَّاعي غير مضطرٍّ لهذا الشيء، وهذا لا يجوز، فيجب أن يكون الداعي عنده افتقارٌ وعزمٌ، وعنده الإلحاح في هذا الشيء، والله يحب الملِحِّين في الدُّعاء، وهو فقيرٌ إلى هذا، ما يستطيع

(١) أخرجه البخاري (٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

أن يستغنيَ، فإنْ صار عنده هذا الشيء فهذا كفرٌ بالله، نسأل الله العافية.

الأمر الثاني: كأنَّ التعليق بالمشيئة يدلُّ على أنَّ الله قد يفعل شيئًا يكرَهُه؛ ولهذا قال الرسول: «**إنه لا مُكرِهَ له**»؛ أي: إنَّ الله يفعل ما يشاء، ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١]، فالإجابة بمشيئته، إن شاء كشف العذاب، وإن شاء لم يكشفه، فلا يجوز أن يعلِّق بالمشيئة.

وذلك خلاف ما سيفعلُه الإنسان من أمور بالمستقبل، فلا بأس أن يقول: «إن شاء الله»، أما لو كان أمرًا قد قضي وانتهى فلا يجوز تعليقه بالمشيئة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

قوله: «قال الأستاذ: وفي هذا إثبات المشيئة له تعالى ﷻ، وأنه يفعل ما يشاء وله شواهد كثيرة».

هذا لا شك فيه.

* * *

۞ «أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبيد الله الحرفي، ببغداد، ثنا أحمد بن سلمان النجاد، ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان، ثنا عباس النرسي، ثنا جعفر بن سليمان، عن الجريري، عن أبي نضرة، قال: ينتهي القرآن كله إلى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود: ١٠٧]»[(١)].

۞ ورواه سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر وأبي سعيد ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أو بعض أصحاب النبي ﷺ بمعناه، وفيه إثباتُ الإرادة لله ﷻ، وأن ما أوعد عليه عبادَه فيما دون الشرك إلى مشيئته، كما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]».

الشَّرح

قوله: «ينتهي القرآن كله إلى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾»: يقصد أنَّ كل ما جاء في القرآن من الصفات ينتهي إلى هذه الصفة أنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾، وذلك لكونهم يُرجعون الصفات إلى الإرادة، وليس هذا صحيحًا، فالصفات لها معانٍ لا ترجع كلها إلى الإرادة، فالمحبة يرجعونها إلى الإرادة، والرحمة يرجعونها إلى الإرادة، والغضب يرجعونه إلى الإرادة، وغير ذلك!

قوله: «وفيه إثباتُ الإرادة لله ﷻ، وأن ما أوعد عليه عبادَه فيما دون الشرك إلى مشيئته، كما قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]».

لكن ليس كما يقول بأنَّ الصفات كلَّها ترجع إلى الإرادة، أما

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٩٨)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٣٣٦).

كونه ﷻ يفعل ما يشاء بإرادته فلا شكَّ في ذلك؛ ومن ذلك المغفرة، وعدم العذاب فإنه يغفر لمن يشاء ما عدا الشرك، إذا أراد ﷻ بمشيئته، قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: ما دون الشرك يكون مغفورًا بمشيئة الله، أما الشرك فلا بدَّ من العذاب، والصحيح أن الشرك الأصغر يدخل في الشرك عامة؛ لأن قوله: ﴿لَا يَغْفِرُ﴾؛ أي: أنه يعاقب عليه، ولا يلزم أن يكون كافرًا، أو يكون خالدًا في النار، وقد يكون العقاب في الدُّنيا، وقد يكون في القبر، فإذا ما كفى ذلك يعاقب في الموقف، فالموقف فيه شدائد عظيمة، فإن لم يكفِ ذلك عُوقِب في النَّار، ثم أُخرج فصار مآله إلى الجنة.

الشرك الأكبر هو أن يجعل شيئًا من العبادة لغير الله، أما الشرك الأصغر فلا يمكن أن نُعرِّفه لكثرته؛ لأنه بحرٌ لا ساحلَ له، يقع في النيات، ويقع في الأقوال، ويقع في الأفعال، فهو كثيرٌ جدًّا؛ ولهذا ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عرَّفه بالأمثلة، قال: «كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، والحلف به وخوفه ورجائه...»[1]، مع أنَّ الحلف بغير الله قد يكون شركًا أكبر بحسب ما يكون من نية الحالف.

أما قولهم[2]: إنَّه كلُّ عملٍ أو فعلٍ يكون وسيلةً إلى الشرك الأكبر، هذا غير مضطرد؛ لأنَّ الصلاة لله عند القبر لا تكون شركًا، ولكنها وسيلةٌ للشِّرك، فليست من الشِّرك الأصغر، بل وسيلةٌ للشرك.

* * *

(١) إغاثة اللهفان (ص٥٩)، ومدارج السالكين (١/ ٣٥٢).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «حد الشرك الأصغر هو: (كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة) اهـ». «القول السديد شرح كتاب التوحيد» (ص٥٤).

﴿ «وأخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، رَحِمَهُ اللهُ، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ تَشْكُو إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، وفي هذا إثبات السَّمعِ لله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

الشَّرح

هذا لا شك فيه، وإثباته في آيات كثيرة، ليس في هذا الحديث فقط، وفي رواية تقول: «**لقد جاءَتْ خَولَةُ إلى رسُولِ اللهِ ﷺ تَشْكُو زَوجهَا، فكانَ يَخفَى عليَّ كَلامُهَا**»، فأنزل الله جَلَّ وَعَلَا من فوق سبع سماوات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾(٢). سمع الله قولها من فوق سبع سماوات.

لكنَّ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ينكر العلوَّ ويتأوَّله!

والعلوَّ أمرٌ فطريٌّ مُجمَّع عليه، أجمعت عليه كُتُب الله ورسُلُه، قال فرعون لوزيره: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢٠٦٣).
(٢) انظر: التخريج السابق.

[النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وغير ذلك[1].

* * *

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في «الفتاوى» (٥/ ١٢١): «قد وصَفَ اللهُ نَفسهُ في كتابهِ وعلى لسانِ رسولِهِ بالعلوِّ والاستواءِ على العرشِ والفوقِيَّةِ في كتابهِ في آياتٍ كثيرةٍ، حتَّى قالَ بعضُ كِبارِ أصحابِ الشَّافعيِّ: في القرآنِ ألْفُ دليلٍ أو أزيدُ تدُلُّ على أنَّ الله عالٍ على الخلقِ وأنَّهُ فوقَ عِبادِهِ. وقالَ غيرُهُ: فيهِ ثلاثمِائةِ دليلٍ تدُلُّ على ذلكَ» اهـ.

ﷺ «وأخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن عبيد الله بن المنادي، ثنا يونس بن محمد، ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في حديث الإيمان قال، يعني السائل: «يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[١]

ﷺ قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وفي هذا إثباتُ الرؤية لله عز وجل، والرُّؤية والبصرُ بمعنىً واحدٍ».

الشَّرح

هذا الحديث فيه إثبات الرؤية، وفيه إثبات الإحسان الذي هو نهاية العمل وأقصاه الذي يمكن أن يستطيعه الإنسان، بأن يعبد الله كأنه يشاهِدُه، فهذه درجةٌ عاليةٌ، فإن لم يصل إلى هذه الدرجة، كان إلى الدرجة الأدنى منها، وهي العلم اليقيني بأن الله ينظر إليه، فهذا أيضًا من الإحسان، ولكن ليس كالدرجة الأولى، فإذا علم الإنسان علمًا يقينيًّا أن الله يشاهده استحيا منه جل وعلا، وقام بالأمر على الوجه الذي يستطيعه، والناس يتفاوتون في هذا، ولهذا تفاوتتْ درجاتهم ومنزلتهم عند الله جل وعلا حسب تفاوُتِ علمِهم، وقيامهم بأمر الله جل وعلا.

قوله: «والرُّؤية والبصرُ بمعنىً واحدٍ».

ليس الرؤية والبصر بمعنى واحد! ولكن البصر تحصل به الرؤية، وسيأتي الكلام عنها، فهم يثبتونها ولكن يتأوَّلونها!

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

والعجب في كونهم ينفون العلوَّ، والرؤية يلزمها إثبات العلوِّ، فمن أين يرون الله ﷻ؟ لا بد أنهم يرونه من فوقهم كما جاءت النصوص في هذا، ولكن المؤلف يقول: يرونه من كلِّ جهة!

* * *



ﷺ «وروينا في حديث الحرِّ والبردِ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ أَلْقَى اللهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالَ اللهُ ﷻ لِجَهَنَّمَ: إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي اسْتَجَارَ بِي مِنْكِ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ»، وقال في اليوم الشديد البرد معناه»[1].

الشَّرح

قوله: «وقال في اليوم الشديد البرد معناه»؛ أي: إذا قال: (لا إلٰه إلا الله، ما أشدَّ بردَ هذا اليوم، اللَّهُمَّ أجرني من زمهرير جهنم).

* * *

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٦)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٣٨٧)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٤٨).

ﷺ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ويحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا بحر بن نصر، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن يزيد بن أبي حبيب، وأبيه الحارث بن يعقوب، حدثاه، عن يعقوب بن عبد الله بن الأشج، عن بشر بن سعيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها، أنها سمعتْ رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»[١].

الشَّرح

قوله: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ...»: هذه يجوز أن يوصف بها الكلماتُ الكونية القدرية، ويجوز أن يكون المرادُ بها الكلمات الأمرية الشرعية الدينية، ويجوز أن تكون كلها مُرادَة.

وفي الحديث دليلٌ على الاستعاذة بصفات الله؛ لأنَّ كلماتِ الله من صفاتِه؛ حيث يتكلم بها؛ ولهذا استدلَّ العلماء بهذا الحديث على ردِّ قول الجهمية، الذين يقولون: (القرآن مخلوق)؛ والمخلوق لا يجوز الاستعاذة به، فالاستعاذة به شركٌ، فجاء هذا الحديث ردًّا عليهم وهدمًا لمعتقدهم، موضِّحًا أنَّ الرسول ﷺ استعاذ بكلمات الله ﷻ.

وجاء في حديثٍ آخر: «**أعوذ بكلمات التَّامَّات التي لا يجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ**»[٢]؛ والمجاوزة هنا عصيان مُرَادِ الكلمات، أما عصيان مراد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٤٦١)، والنسائي (١٠٧٢٦)، ومالك (١٠)، وابن أبي عاصم =

الكلمات الدينية فهذا واقعٌ، فأكثر الناس عصوها، وخالفوها، أما الكونية فلا يمكن لأحد أن يجاوزها، فإذا أراد الله ﷻ شيئًا كونًا فلا بدَّ من وقوعِه، ولو اجتمع الخلق كلُّهم على منع ذلك ما استطاعوا، وعليه فعدم المجاوزة في الحديث تكون خاصَّة بالكلمات الكونية.

* * *

= في «السُّنَّة» (٣٧٢)، عن خالد بن الوليد ﷺ.

﴿ «وفي رواية يحيى: «بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ»، وفي هذا إثبات صفة الكلام لله ﷻ، وإنما قال بكلماتٍ على طريق التعظيم».

الشَّرح

قوله: «وإنما قال بكلماتٍ على طريق التعظيم»: «على طريق التعظيم»؛ أي: أنَّ كلماتِه واحدة - كما قالوا - ليس متعددًا، فجاء بالجمع على طريق التعظيم، فهذا مقصوده، وهذا من المقاصد الفاسدة؛ حيث يُرجِع النصوصَ إلى المذهب فقط، نسأل الله العافية.

* * *

ﷺ «وروينا في حديث الشفاعة، عن النبي ﷺ: «وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا»[١].

الشَّرح

قوله: «عَبْدًا آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ...»؛ أي: كتب له التوراة.

قوله: «وكلَّمه تكليمًا»: تكليمًا: مصدرٌ لا يحتمل إلا الحقيقة؛ لأنك إذا قلتَ: (ضربتُ زيدًا هذا)، يحتمل أنك ضربتَه بكلامٍ أو بإيلامٍ، أما إذا قلتَ: (ضربتُه ضربًا)، فهذا لا يكون إلا باليد أو العصا، وكذلك الأمر في قولك: (كلمتُ فلانًا)، يحتمل أنَّ يكون الكلام بإشارة تُفهم أو رسائل تُقرَأ، أما إذا قلتَ: (كلَّمتُه تكليمًا)، فلا يكون إلا كلامًا حقيقيًّا؛ ولهذا جاء أحدٌ من المعتزلة ـ ممن يقول بخلق القرآن ـ إلى أبي عمرو بن العلاءِ ـ أحدِ القُرَّاءِ السَّبعة ـ فقال: أُرِيدُ أنْ تَقرأَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾، بِنَصبِ اسمِ اللهِ، ليكونَ مُوسَى هو المُتَكَلِّمَ لا اللهُ! فقال أبُو عمرٍو: هَبْ أنِّي قرأْتُ هذه الآيةَ كذا، فكيفَ تَصنَعُ بقولهِ تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فبُهِتَ المُعتزِليُّ![٢].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (ص١٧٠)، والصواعق المرسلة، لابن القيم (٣/ ١٠٣٧).

۞ «وفي حديث عَدِيٍّ بن حاتم، عن النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ»[(١)].

۞ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو جعفر الرزاز، ثنا عبد الله بن محمد بن شاكر، ثنا أبو أسامة، ثنا الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمٰن، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره»[(٢)].

الشَّرْح

قوله: «وفي حديث عَدِيٍّ بن حاتم، عن النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ...» هذا الحديثُ في الصحيحَين، والمؤلف ـ غالبًا ـ لا يذكر درجة الحديث في هذا الكتاب، ولا يتكلَّم عليه مع أنه كتابُ عقيدة، يجب أن تكون الأحاديث فيه ثابتة، ولا فرق بين العقيدة وبين العمل عند أهل السُّنَّة، فكلُّها يجب أن تكون بنصوصٍ ثابتة، وإنما تساهلوا في الفضائل، وقالوا: يجوز أن يُعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ولكن بشروطٍ؛ منها: أن يكون الضعفُ غير شديدٍ، وألا يكون مخالفًا لما هو أصحُّ منه، ولا يكون مخالفًا لقاعدةٍ من قواعد الشَّرْع، ولا مخالفًا لكليَّاتٍ من كليات الشرع[(٣)].

ومن هذه الأحاديث التي وردت في فضائل الأعمال: (فضل قيام

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٣، ١٤١٧، ٣٥٩٥، ٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) المجموع، للنووي (٤/ ٥٤)، ونهاية المحتاج (٢/ ١١٩)، وعون المعبود (٤/ ١٧٦ ـ ١٨٣)، والمغني، لابن قدامة (٢/ ١٣٢)، والتلخيص الحبير (٢/ ٧)، وشرح الكوكب المنير، لابن النجار (٢/ ٥٦٩).

النصف من شعبان)، كل الأحاديث التي وردت فيها ضعيفة، ولكن بعض العلماء قامها وصامها؛ لأنها من الفضائل[1].

المقصود: أن الأعمال الواجبات أو المستحبات، وكذلك العقائد، يجب أن تكونَ بحديثٍ ثابتٍ عن رسول الله ﷺ، أمَّا التفرقة بين الأصول والفروع، فهذا مذهب المعتزلة.

والحديث السابق في «الصحيحين» ولفظه: قال ﷺ: **«مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»**، وفي رواية: **«وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**[2]؛ وذلك لأن النار محيطة بالناس في ذلك الموقف من جميع الجوانب، أعاذنا الله منها.



(١) قال ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص١٤٥): «أن قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه، وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام» اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

باب ذكر آياتٍ وأخبارٍ
وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين

ﷺ «وهذه صفاتٌ طريق إثباتها السمع، فنثبتها لورود خبر الصادق بها ولا نكيفها».

الشَّرح

قوله: «بابُ ذكرِ آياتٍ وأخبارٍ وردتْ في إثبات صفة الوجه واليدين والعين»؛ أي: والعينين؛ لأن الله ﷻ له عينان، وهذه الصفات كلها صفاتٌ حقيقيةٌ، قائمة به ﷻ، يجب أن تُثبت لله مع نفي المماثلة بالمخلوقين تعالى الله وتقدَّس، ولا يجوز أن تؤوَّل بحالٍ من الأحوال، ولا يزاد على ذلك ولا يُنقَص، الزيادة بذلك تُخرج الخبر عما أريد به.

قوله: «وهذه صفاتٌ طريق إثباتها السمعُ»: كلُّ الصفات طريقُها السمع كما مضى، أمَّا العقل فهو يَعْضُدُ السمعَ، والسمعُ يُرشِدُه ويَدُلُّه، وإلا فهو لا يستقلُّ بشيء، هذا عند أهل السُّنَّة، وهذا هو الواجب، أما عند غير أهل السُّنَّة فيجعلون العقل حاكمًا على الشرع، ويقدِّمونه على النصوص، وهذا هو أصل ضلالهم الذي ضلُّوا به، فضلُّوا السبيل ولم يهتدوا إلى ما أرشد الله إليه بالوحي.

قوله: «فنثبتها لورود خبر الصادق بها...»: وهذا هو الواجب، إذا ورد الخبر الصادق وجب أن تُثبَت ويُعتَقدَ صحةُ مدلولها ويُؤمَن بها.

قوله: «ولا نكيفها»: التكييف ممنوعٌ في جميع صفاتِ الله ﷻ،

والتكييف هو طلب الكيفيةِ، والكيفيةُ تتوقَّف على المشاهدة والإحاطة، وهذا لا يمكن، فالممنوع المنفي هو عِلْم الخلق بالكيفية، ونفي الكيفية يكون نفيًا للعلم بها؛ لأنها تتطلب المشاهدة والإحاطة، وهذا ممتنعٌ بالنسبة لله ﷻ.

* * *

۞ «قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، فأضاف الوجه إلى الذَّات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾».

الشَّرح

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٧]: ﴿وَجْهُ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، فهنا الوجهُ أضيف إلى الذَّاتِ، ثم قال: ﴿ذُو﴾ فصار هذا وصفًا للوجه؛ لأنَّ الوجه مرفوعٌ، وهذا مرفوعٌ لأن الوصف يتبع الموصوف، ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾؛ أي: صار الجلالُ والإكرام صفةً للوجه.

* * *

۞ «ولو كان ذِكْرُ الوجهِ صلةً، ولم يكن للذَّات صفةً، لقال: ذي الجلال والإكرام، فلما قال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، علمنا أنه نعتٌ للوجه، وهو صفة للذَّات، وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. بتشديد الياء من الإضافة، وذلك تحقيقٌ في التثنية.

۞ وفي ذلك منعٌ من حملِهما على النعمة أو القدرة؛ لأنه ليس لتخصيص التثنية في نِعَم الله ولا في قدرتِه معنًى يصحُّ؛ لأنَّ نِعَم الله أكثر من أن تُحصَى، ولأنه خرج مخرج التخصيص، وتفضيل آدم عليه السلام على إبليس، وحملهما على القدرة أو على النعمة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها، ولا يجوز حملها على الماء والطين؛ لأنه لو أراد ذلك لقال: لِمَا خلقتُ مِن يَدِي، كما يقال: صِغْتُ هذا الكوز من الفضَّة أو من النحاس، فلما قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾، علمنا أنَّ المراد بهما غير ذلك.

۞ وقال الله ﷻ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩] وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

۞ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، رحمه الله، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا سعدان بن نصر، ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه، يقول: لما نزَل على النبي ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال: أعوذُ بوجهكَ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: أعوذُ بوجهكَ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ

﴿شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: هاتان أهونُ وأيسر»[١].

الشَّرح

قوله: «ولو كان ذِكْرُ الوجهِ صلةً»: «**صلة**»: زائدًا، ثم عبَّر بالصلة تأدُّبًا مع كلام الله ﷻ؛ لئلا يكون فيه شيءٌ زائدٌ لا معنى له، وهذا لا يوجد في كلام الله، فليس صلةً بل هو أصلٌ في هذا، ولم يكن صفة للذات، لقال: ﴿ذِى الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ لأنَّ النعت يكون نعتًا لـ«ربك»، فلما قال: ﴿ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ علمنا أنه نعتًا للوجه، وهو صفة للذَّات، وقال الله ﷻ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

قوله: ﴿بِيَدَىَّ﴾ هنا مثنى؛ أي: أنَّ الله خلق آدم بيدَيْه كلتيهما تعالى وتقدَّس، ويدلُّ على أنَّ ذلك بطريقةٍ مباشِرةً؛ أي: أنه باشر خلقَه بيدَيه تعالى وتقدَّس، وجاء أنه باشر ثلاثة أشياء بيديه: «**خَلَقَ ثلاثةَ أشياءَ بِيَدِهِ: خَلَقَ آدمَ بِيَدِهِ، وكَتَبَ التَّوراةَ بِيَدِهِ، وغَرَسَ الفِردَوسَ بِيَدِهِ**»[٢].

قوله: «... ﴿بِيَدَىَّ﴾. بتشديد الياء من الإضافة، وذلك تحقيقٌ في التثنية»؛ أي: مثنَّاة.

قوله: «وفي ذلك مَنْعٌ من حملِهما على النعمة»: ومن التأويل عندهم أن يقول: ﴿بِيَدَىَّ﴾؛ أي: بنعمتي، بدليل أنك تقول لفلان: عندي يَدٌ عليك؛ أي: عندي نعمة عليك.

قوله: «... أو القدرة»: المقصود باليد القدرة، ولكن إذا قيل: النعمة، فالنِّعَم كثيرةٌ لا حصرَ لها، فإذا أضيفت عمَّتْ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

(٢) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (٦٩٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٣)، عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه.

تنبيه: إذا خلق آدم بقدرة الله لأصبح مخلوقًا ليس له ميزة عن غيره، فإبليس مخلوق بقدرة الله، والملائكة كذلك، فيكون في تأويلهم هذا إبطالٌ للتخصيص والتفضيل، وهو باطل؛ لأنه **قال**: «**لأنه ليس لتخصيص التثنية في نِعَمِ الله ولا في قدرته معنًى يصِحُّ**»: وذلك إذا جُعل بالقدرة أو النعمة؛ «**لأنَ نِعَم الله أكثر من أن تُحصَى، ولأنه خرج مخرج التخصيص**»؛ أي: أنَّ الله ﷻ يقول لإبليس: أنا خلقت آدم مباشرة بيديَّ، فكيف أنت تتكبر عن السجود له؟!

قوله: «**لاشتراكهما فيها**»؛ أي: اشتراك آدم وإبليس بالخلق بالقدرة، بل الخلق كلُّهم خلقهم الله تعالى بقدرته، ولكنه خصَّص خلق آدم تكريمًا له فباشَرَه بيديه.

وقوله: «﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾، **قال**: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾»: العين المضافة لله تعالى وردت في القرآن إما مفردةٌ وإما مجموعةٌ، ولم تأتِ مُثنَّاة، والسبب في هذا أنَّ في اللغة الفصحى إذا أضيف المفرد إلى الضمير المفرد فإنه يُفرد مجانسةً له، وإذا أضيف إلى ضمير الجمع جُمِعَ.

قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩]؛ أي: تُربَّى بنظري وكلاءتي وحفظي؛ لأنَّ هذا هو حكم الخطاب وإلا فهو نصٌّ في ثبوت العين لله ﷻ، وليست عينًا واحدةً وإنما هما عينان، كما سيأتي في الحديث.

قوله: ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: ليس المقصود منها أعينًا مجموعةً، وإنما ـ كما سبق ـ لما أضاف العين إلى ضمير التعظيم جمَعَها مجانسةً لذلك.

قوله: «**لما نزَل على النبي ﷺ**: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾، **قال**: **أعوذُ بوجهك**»، ولا يستعاذُ بمخلوقٍ، وإنما يستعاذ بالله أو بصفة من صفاته، فدلَّ على أنَّ الوجه صفة من صفات الله؛ إذ لو لم يكن كذلك ما جاز الاستعاذةُ به، هذا وجه الدليل.

﴿ «أخبرنا أبو محمد الأصبهاني، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، ثنا روح بن عبادة، حدثنا هشام بن أبي عبد الله، عن قتادة، عن أنس ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ الْمَلَائِكَةَ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا»[١]، وذكر الحديث».

الشَّرح

هذا حديثٌ طويلٌ، يقول فيه رسول الله ﷺ: **«يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ»**، وفي رواية الإمام مسلم: **«يُلْهَمُونَ ذَلِكَ»**[٢].

قوله: «فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا»: «اسْتَشْفَعْنَا»؛ أي: طلبنا من يشفع لنا؛ لأنَّ «استشفعنا» مادة استفعالٍ، وهو طلب من يشفع، وهذا الذي أُلهِمُوه، أراد ﷻ رحمتهم وإراحَتَهم، فأَلْهَمَهم أن يطلبوا الشفاعة، فطلبوها ممن حضر من الأنبياء، فذهبوا إلى آدم ﵇، فردَّهم إلى نوحٍ ﵇، فردَّهم إلى إبراهيم ﵇، فردَّهم إلى موسى ﵇، فردَّهم إلى عيسى ﵇، ثم دلَّهم عيسى ﵇ إلى محمد ﷺ.

ومقصوده: أنه سبحانه علَّم الخلق.

وقولهم: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ»؛ أي: خلَقَك الله بيدِه، فهذا يدلُّ على أن الله باشَرَ خلقَ آدم بيده تعالى وتقدَّس.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٣).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، ثنا جعفر بن أبي عثمان الطيالسي، ثنا أبو عمر الحوضي، ثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ، أَلَا وَإِنَّهُ أَعْورُ، وَإِنَّ ربَّكُمْ لَيْسَ بأَعْورَ»[(١)].

الشَّرح

قال النبي ﷺ: **«مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ، أَلَا وَإِنَّهُ أَعْورُ»**:
في رواية: **«أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»**[(٢)].

الشاهد **قوله: «وَإِنَّ ربَّكُمْ لَيْسَ بأَعْورَ»**.

والعَوَر في اللُّغة[(٣)]: فَقْدُ إحدى العينين، وذَهاب نورها ونظرها، فدلَّ ذلك على إثبات العينين لله ﷻ، أما حديث: **«إذا قَامَ العَبْد إِلَى الصَّلَاة فَإِنَّهُ بعَيْني الرَّحْمٰن فَإِذا الْتفت قَالَ لَهُ الرب: أإلى من هُوَ خير مني»**[(٤)]، فهو حديثٌ ضعيفٌ[(٥)]، لا يثبتُ به الحُكم، فلهذا أعرضَ عنه ولم يذكره.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١، ٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٠٢)، ومسلم (١٦٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤/ ١٨٥)، ولسان العرب (٤/ ٦١٢).

(٤) أخرجه في «مشكل الحديث وبيانه» (١/ ٢٥٨)، وأخرجه البزار (٩٣٣٢)، وأبو داود (٩٠٩)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٨) بنحوه، عن أبي هريرة. للاستزادة ينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٥)، لشيخنا حفظه الله.

(٥) رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٧٠)، ولفظ البزار: **«بين يدي الرحمٰن»**، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٨٠) (٢٤٢٦): «رواه البزَّارُ وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو ضعيف» اهـ.

والدَّجَالُ أُخِذَ من الدَّجل وهو التغطية واللُّبْس[1]؛ لأن الدجال يأتي ومعه آياتٌ وأمور عجيبة، فلبَّس الحقَّ بالباطلِ ودعا إليه، وادَّعى أنه الربُّ، وأعطاه الله ﷻ شيئًا مما يُلبس به، فلهذا صار فتنةً لخلق كثير.

* * *

(١) تهذيب اللغة (١٠/ ٣٤٤)، ولسان العرب (١١/ ٢٣٧).

❁ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللهُ: وفي هذا نفيُ نقصِ العَوَر عن الله سبحانه، وإثبات العين له صفةً، وعَرَفنا بقوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١].

❁ وبدلائل العقل أنها ليست بحَدَقَةٍ، وأنَّ اليدين ليستا بجارحتين، وأنَّ الوجه ليس بصورة، وأنها صفاتُ ذاتٍ أثبتْنَاها بالكتاب والسُّنَّة بلا تشبيهٍ، وبالله التوفيق».

❁ الشَّرح ❁

قوله: «وفي هذا نفيُ نقصِ العور عن الله سبحانه»؛ أي: أنَّ عينَيه ـ تعالى وتقدَّس ـ كاملتان تامتان، لا يلحقهما نقصٌ ولا عيبٌ.

قوله: «وإثبات العين له صفةٌ، وعرفنا بقوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، وبدلائل العقل أنها ليست بحَدَقَةٍ، وأن اليدين ليستا بجارحتين، وأن الوجه ليس بصورة...»: هذا من كلام أهل البدع، الذي يجب أن يُعرَض عنه.

والصواب ألَّا يقال: بحَدَقَةٍ أو بغيرها، ولا بصورة أو بغيرها، بل نقول كما قال ربُّنا ﷻ، وقال رسولُنا ﷺ، ونكتفي بذلك مع معرفة أنَّ هذا خاصٌّ بالله ﷻ، وأنَّ المخلوق لا يشارِكُه في شيء، كما قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، والإتيان بمثل هذه الأمور يدلُّ على مرضٍ في القلوب، وإلا لماذا يأتي بهذه الأشياء؟!

هل له سلفٌ في هذا؟

نقول: نعم له سلفٌ من أهل الكلام الذين قالوا ذلك، أمَّا أهلُ

السُّنَّة فهم بعيدون عن هذا؛ لأن هذا من الباطل الذي قد يكون فيه لَبسٌ، فمقتضى كلامهم هذا أنَّ نصوص الكتاب والسُّنَّة تدل على التشبيه! وهذا باطلٌ، بل الكلام واضح ولا يحتاج إلى تعليق.



بابٌ في ذكرِ صفة الفعل

﴿«قال الله ﷻ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]، إلى سائر ما ورد في الكتاب في معنى هذه الآيات».

الشَّرح

قال: «بابٌ في ذكر صفة الفعل»: عند أهل الكلام الفعلُ والمفعول شيءٌ واحدٌ، والفعل يطلق على المصدر الذي هو الأثر ويطلق على نفس الصِّفَة، فقول الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الأنعام: ١]: والخلقُ يكون بقدرة الله ﷻ؛ لأنه قال لها: (كوني) فكانت، لكنَّ السماء مخلوقةٌ والأرضَ مخلوقةٌ، فهل السماء والأرض هي الخلق أم المخلوق؟

المفعولات كلُّها صدرت عن قدرة الله ﷻ وإرادته، والقدرة صفةٌ قائمةٌ به ﷻ.

والخلق في لغة العرب يطلق على شيئين:

الأول: إبداع الشيء وإيجاده.

الثاني: تقدير الشيء.

ولهذا قال كثيرٌ مِنَ المفسِّرين في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم

مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٩]: هذا تقدير لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠] في قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٢]؟

الدَّحْو هو تمهيد الأرض للحياة بإخراج مائها ومرعاها وإرساء جبالها، فكان هذا بعد خلق السماء.

السؤال: هل يتَّفق هذا مع قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ لأنَّ الجبال والماء وغيرها يدخل في هذا؟

قالوا: أولًا: خلق بمعنى قدَّر تقديرًا، وليس هو الفعل، وذلك كقول الشاعر(١):

ولأنْتَ تَفْرِي ما خَلَقْتَ وبَعـ ـضُ القَومِ يخْلُقُ ثمَّ لا يَفْرِي

أي: يَمْدَح: إنَّك إذا قدَّرْت الشيء فعلْتَه، وغيرك يُقَدِّر الشيء ولا يَفْعَلُه.

هل المقصود هنا هو الفعل أم المفعول؟

الفعل والمفعول عند الأشعرية واحدٌ لا فرق بينهما، وإذا قالوا: (صفة الفعل)، يقصدون بها: (المفعول).

ومعلومٌ أنَّ المفعول مخلوقٌ؛ أي: منفصلٌ عنِ الله ﷻ؛ لهذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، فدَلَّ على أنَّ المقصود هو المفعول، ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ولكن كلُّ شيءٍ وُجِدَ بصفة القدرة، بكونه قال له: (كن) فكان.

---

(١) البيت للشاعر زهير بن أبي سلمي يمدح به هرم بن سنان، والبيت في «ديوانه» (ص٩٤)، وتفسير الطبري (١٩/١٩)، وتفسير ابن عطية (١/١١٤).

وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾؛ أي: أنه ﷻ جعل كلَّ شيء له قدْرٌ معينٌ ووقتٌ معينٌ لا يكون إلا في هذا؛ لأنَّ هذا يدخل فيه جميعُ المخلوقات مِنْ أوَّلها إلى آخِرِها، والمخلوقات ما جاءت دفعةً واحدة، جاءت مقدَّرةً، بعضُها تِلْوَ بعضٍ، فصار هذا معنى: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾، ثم كذلك يدلُّ على النَّوع أنَّ كلَّ نوعٍ من الخلق أعطاه صفته الخاصَّة به، وهذا معنى اسم الله: «الخالق، البارئ».

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: المقصود: أنَّ هذه أمورٌ ظاهرةٌ لا خلاف فيها، ولكن الخلاف في كون المخلوقِ هو الخلقُ.

ولا يجوز أن نخْلِطَ بينهما، بل يجب علينا أنْ نعرف ونقرَّ بأنَّ المخلوق شيءٌ منفصِلٌ عنِ الله، مفعولٌ له وليس هو صفتَه ولا فِعْلَه، وإنما هو مفعولُه، تعالى الله علوًّا كبيرًا وتقدَّس.

* * *

﴿«أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا عمر بن حفص بن غياث، ثنا أبي، ثنا الأعمش، ثنا جامع بن شداد. (ح).

﴿وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، أنا بشر بن موسى، ثنا معاوية بن عمرو، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَيْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ قَالَ: «كَانَ اللهُ عز وجل وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»[١].

﴿قال الأستاذ الإمام رحمه الله: قوله: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ»: يدلُّ على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، وكل ذلك أغيارٌ، وقوله: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» يعني به: ثم خلق الماء وخلق العرش على الماء.

﴿وبيان ذلك في حديث أبي رزين العقيلي عن النبيِّ ﷺ حين قال: «ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ[٢]».

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٠، ٣١٩١، ٤٣٦٥، ٤٣٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٦١٨٨)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجه (١٨٢).

الشَّرح

حديثُ عِمرَان بن حُصَينٍ رضي الله عنه هذا رواه البخاريُّ في ثلاثة مواضِعَ من «صحيحه»، وكلُّ موضعٍ غايرَ بينه وبين الآخر، **وجاء بألفاظٍ ثلاثة:**

أحدها: ما ذكره هنا؛ حيث قال: **«وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرَهُ»**(١) واختار هذا اللفظ لأمرٍ ما، تبيَّن لنا بعدُ.

واللفظ الثاني: قوله ﷺ: **«ولم يكن شيءٌ معه»**(٢).

واللفظ الثالث، وهو الراجح: قوله ﷺ: **«ولم يكن شيءٌ قبله»**(٣)؛ لأنَّ هذا هو الذي يتفق مع القرآن، وهو قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، ومع قول الرسول ﷺ: **«اللَّهُمَّ أنت الأوَّلُ فليس قبلَكَ شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدَك شيءٌ، وأنت الظَّاهِرُ فليس فوقَك شيء»**(٤).

ولفظ الحديث، عن عمران بن حُصينٍ رضي الله عنه، قال: إنِّي عندَ النَّبيِّ ﷺ إذْ جاءهُ قومٌ من بنِي تميم، فقال: **«اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيم»**، قالُوا: بَشَّرتنَا فأَعطِنَا، فدَخَلَ ناسٌ مِنْ أهلِ اليَمنِ، فقالَ: **«اقْبَلُوا البُشْرَى يا أَهْلَ اليَمَنِ، إذْ لَمْ يَقْبَلْها بَنُو تَمِيم»**، قالُوا: قَبِلْنَا، جِئنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ في الدِّينِ، ولِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هذا الأمرِ ما كانَ، قالَ: **«كانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ، وكانَ عَرشُهُ على الماءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرضَ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ»**، ثُمَّ أَتانِي رجُلٌ، فقالَ: يَا عِمْرانُ أدرِكْ نَاقَتَكَ فقَد

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أقف على هذه الرواية عند البخاري، وقد تكون موجودة في أحد النسخ والله أعلم، وقد عزاها شيخ الاسلام ابن تيمية للبخاري في «الصفدية» (٢/ ٢٢٤)، وأيضًا ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/ ٣٦٣)، وعند أحمد في مسنده (١٩٨٧٦)، بلفظ: **«كان الله قبل كل شيء»**.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٤) تقدم تخريجه.

ذَهَبَتْ، فانطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فإذا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونهَا، وايْمُ اللهِ لَوددْتُ أَنَّها قَد ذَهَبَتْ ولَمْ أَقُمْ»[(١)].

المقصود: قولهم: «لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ»: «هذا» للإشارة إلى هذه المخلوقات؛ من السماء والأرض وما بينهما؛ فلهذا قال ﷺ: **«كانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ، وكانَ عَرشُهُ على الماءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرضَ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ»**.

فهذا الأمر هو عن الشيء المشاهد المعيَّن الذي هو السماوات والأرض، ولهذا جاء الجواب مطابقًا لذلك، ولا يدلُّ على أنه هو مبدأ المخلوقات نهائيًّا كما يشير إليه كلامُ المؤلف؛ لأن معنى ذلك: أن ربَّنا ﷻ قبل أن يخلق الماء والعرش والسماوات والأرض لا يفعل شيئًا؛ لا يخلق ولا يأمر ولا ينهى، وإذا كان كذلك فإنه يكون معطَّلًا عن الفعل، وهذا نقصٌ، تعالى الله عنه وتقدس.

وعليه يكون السؤال عن الشيء المعروف المعين، أما قبل هذا فعِلْمُنا يقصر عنه ولا نستطيعه، ولكن الله ﷻ لم يزل يفعل ما يريد، كما قال الله ﷻ: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦].

قوله: **«ولم يكن شيءٌ غيرُه»**: هذا الذي اختاره المؤلف من الروايات، ومعلومٌ أنَّ هذا كلَّه في مجلسٍ واحدٍ، ولا يمكن أن يقولَ الرسول ﷺ: **«لم يكن شيئًا قبله، لم يكن شيئًا غيره، لم يكن شيئًا معه»** في وقت واحد! وعليه فلا بدَّ أن نختار واحدةً من هذه الألفاظ؛ لأن الحديث واحدٌ.

وتمام الحديث: يقول الراوي: «ثُمَّ أَتانِي رجُلٌ، فقالَ: يَا عِمْرانُ

---

(١) سبق تخريجه.

أَدرِكْ نَاقَتَكَ فقَد ذَهَبَتْ، فانطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فإذا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونهَا، وايْمُ اللهِ لَوددْتُ أَنَّها قَد ذَهَبَتْ ولَمْ أَقُمْ».

وليس هناك ما يفيد أنه ﷺ جلس مجلسًا طويلًا حتى يعيدَ فيه الكلام بأكثر من صيغة!

فلا بدَّ أنَّ الذي قاله الرسول ﷺ أحدُ هذه الألفاظ الثلاثة، والمختار أنه قال: «قبله»، ولم يَقُلْ: «غيره»؛ لأنَّ اختيار «غيره» يفيد عدم وجود فعلٍ يفعَلُه أصلًا، وهذا يُؤوَّل إلى تعطيل الله ﷻ عن الأفعال.

قوله: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»: اختلف الناس في أول المخلوقات المعلومة لنا؛ منهم من يقول: القلم، كما في حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه: «**أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القلمَ، قال له: اكتبْ**»، أو نقول: «**أَوَّلُ ما خلقَ اللهُ القلمُ، قال له: اكتبْ**»، أو نقول: «**أَوَّلُ ما خلقَ اللهُ القلمُ**»، ثم نقول: «**فقال: اكتب**»، بحيث تكون جملةً أخرى، «**فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**»[1].

وعليه؛ بهذا النص يكون القلمُ هو أول المخلوقات من هذا العالم، وقالوا: إنه خُلق من نورٍ، وقالوا غير ذلك، فلو كان تَعيِينُه فيه مصلحةٌ لنا لعُيِّنَ.

والصحيح أنَّ أوَّل المخلوقات المعلومة لنا: العرشُ وليس القلمَ؛ بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب مقادِيرَ الأشياء قبل خَلْقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرْشُه على الماء**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

فقوله: «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» جملةٌ حاليَّةٌ؛ أي: وقت الكتابة كان عرشُه على الماء، فصار نصًّا ودليلًا على وجود العرش قبل القلم؛ لأنَّ كتابة كلِّ شيء تكون بالقلم.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو زكريا العنبري، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنا عبد الرزاق، عن عمر بن حبيب المكي، عن حميد بن قيس الأعرج، عن طاوس، قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فسأله فقال: مِمَّ خُلق الخلقُ؟ قال: من الماء والنور والظلمة والريح والتراب، قال الرجل: مِمَّ خُلِقَ هؤلاء؟ فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

﴿ قال: فأخبرنا ابن عباسٍ أنَّ الماء والنور والظلمة والريح والتراب مما في السماوات وما في الأرض[(١)].

﴿ وقد أخبر الله عز وجل أن مصدر الجميع منه؛ أي من خلقه وإبداعه واختراعه، فهو خالقٌ كلَّ شيء، خلقَ الماء أولًا، أو الماء وما شاء من خلقِه لا عن أصلٍ ولا على مثالٍ سَبَق، ثم جعله أصلًا لما خلق بعده، فهو المبدع وهو الباري لا إلهَ غيرُه، ولا خالقَ سواه».

الشَّرح

قوله: «جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فسأله فقال: مِمَّ خُلق الخلقُ؟...»: المعروف لدى الجميع أنَّ ما من مخلوقٍ إلَّا وله مادَّةٌ خُلِقَ منها، فآدَمُ عليه السلام خُلِقَ من الطين كما هو ظاهر الآيات، وبنوه خلقوا من ماء مهين.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤١٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨٧)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٨٢٩).

والله ﷻ نوَّع خلقَه إلى أربعةِ أنواعٍ؛ ليبيِّنَ قدرتَه على كلِّ شيء؛ **هذه الأنواع بيانها كالتالي:**

النوع الأول: خَلْقُ آدمَ من طينٍ.

النوع الثاني: خَلْقُ حواء من ضلعِ آدم الأيسر.

النوع الثالث: خَلْقُ ذكرٍ من أنثى بلا ذكرٍ، وهو عيسى عليه السلام.

النوع الرابع: خلق الناس من ذكرٍ وأنثى.

وإذا شاء الله يخلق ما يشاء مما يشاء، ولكن كلُّ هذا يدلُّ على أنَّ المخلوق لا بدَّ له من مادَّة يُخلق منها، والسماء أخبرنا ﷻ أنه خلقها من دخانٍ، والدُّخَان خُلِقَ من الماء حيث تصاعد منه بخارٌ، فصار دخانًا، فخلقَ منه السماوات، كما قال ابنُ عباس رضي الله عنهما، وهو ظاهرٌ مِنَ الآيات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**إنَّ الماء والنور والظلمة والريح والتراب مما في السماوات وما في الأرض**»: خُلقتْ من هذا.

وقوله: «وقد أخبرنا الله ﷻ أن مصدر الجميع منه، من خلقِه وإبداعِه واختراعِه...»: (من) هنا للتبعيض، ولهذا فسَّرها فقال: «**أي: من خلقِه وإبداعِه**» حتى لا يتوهَّم الأول.

قوله: «... فهو خالقُ كلَّ شيء، خلقَ الماء أوَّلًا، أو الماء وما شاء من خلقِه لا عن أصلٍ»، فالظاهر أنَّ كلَّ شيء خلقه من أصلٍ.

قوله: «ولا عن مثالٍ سبق...»: وهذا معنى الخلق ومعنى الاختراع.

قوله: «فهو المبدع وهو البارئ»: فالمبدع الذي يخلق الشيء من غير أن يُسبَق له مثالٌ، أو له صورة، أو شيء من ذلك، أما البارئ فهو الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقَه، فالحمار غير الفرس، والمرأة غير الرَّجل، وزيد غير بكرٍ، لكلِّ صورَتُه التي تميز بها طبعه، فهذا معنى كونه الباري، بَرَأ كلَّ شيءٍ وميَّزه: «**لا إله غيره، ولا خالق سواه**».

بابُ القولِ في القرآن

﴿ «القرآن كلامُ الله ﷻ، وكلامُ الله صفةٌ من صفات ذاتِه، ولا يجوز أن يكون شيءٌ من صفاتِ ذاتِه مخلوقًا ولا مُحْدَثًا ولا حادِثًا.

﴿ قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]، فلو كان القرآن مخلوقًا لكان الله سبحانه قائلًا له: (كن)، والقرآن قولُه، ويستحيل أن يكون قولُه مَقُولًا له؛ لأن هذا يوجب قولًا ثانيًا، والقول في القول الثاني وفي تعلُّقِه بقولٍ ثالثٍ كالأول، وهذا يُفضِي إلى ما لا نهايةَ له، وهو فاسدٌ، وإذا فَسَدَ ذلك فَسَدَ أن يكون القرآنُ مخلوقًا، ووجب أن يكون القولُ أمرًا أزليًّا متعلقًا بالمكوِّنِ فيما لا يزال، كما أنَّ الأمر متعلِّقٌ بصلاة غدٍ، وغدٌ غيرُ موجودٍ، ومتعلِّقٌ بمن يخلق من المكلَّفين إلى يوم القيامة، إلا أن تعليقه بهم على الشرط الذي يصحُّ فيما بعد، كذلك قولُه في التكوين، وهذا كما أنَّ علم الله ﷻ أزليٌّ متعلق بالمعلومات عند حدوثها، وسمعه أزليٌّ متعلِّقٌ بإدراك المسموعات عند ظهورها، وبصره أزليٌّ متعلِّقٌ بإدراك المرئيات عند وجودها من غير حدوثِ معنًى فيه، تعالى عن أن يكون محلًّا للحوادثِ، وأن يكون شيءٌ من صفاتِ ذاتِه محدثًا...».

الشَّرح

قوله: «القول في القرآن»؛ يعني: في صفة القرآن، أو في ذِكْرِ مذاهب الناس في القرآن، والمذاهب فيه متعدِّدةٌ، ولكنَّ الحقَّ واحِدٌ لا يتعدَّد.

قوله: «القرآن كلام الله ﷻ»: هذا لا شكَّ فيه ولا ريبَ، ومن يشكُّ في هذا أو يتردَّدُ لا يكون مؤمنًا.

قوله: «وكلام الله صفةٌ من صفات ذاته»: هذا يجبُ أن نتوقَّف عنده، فقوله: «**كلام الله صفة من صفات ذاته**»: المقصود بذلك: أنَّ القرآن يكون معنًى قائمًا بذاتِه، وليس كذلك، فالقرآن كلامُه ﷻ، وكلامُه يتعلَّق بمشيئته لا بذاتِه، ومعنى ذلك كما هو معلوم: الذي يتعلق بالذات؛ هذا معنى لا ينفكُّ عن الذات بحالٍ من الأحوال ولا يفارقها، بحيث يكون دائمًا ملازمًا للذَّات، بخلاف الذي يكون بالمشيئة فإنه يكون حسب مشيئته، إذا شاء قال، وإذا شاء لم يقل، وهذه صفة الكمال.

لكن الكلام من حيث هو يكون صفةَ ذاتٍ وصفةَ فعلٍ، فإذا كان متَّصِفًا بالقدرة على التكلُّم فهو صفةُ الذات، ولهذا يقولُ أهلُ السُّنَّة: جنسُ الكلامِ أزليٌّ قديمٌ، أما نوعُه وآحاده فهي تتجدَّد، والقرآن من هذا القبيل؛ لأنَ الله أنزله آخر الكتب، أنزل التوراة وأنزل الإنجيل وأنزل الزبور وغيرها في وقت معين، وهو أيضًا قيل في وقتٍ معيَّن، كما في قصة المجادِلَة: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١]، متى قال ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾؟ هل في الأزل ثم لم يزل ذلك في ذاته يقول؟ أم أنه في وقتٍ معينٍ عند ذلك السبب؟

هذا الانفصال والفرق عن مذهب المتكلمين الفاسد من مذهب أهل السُّنَّة، الذي لا بد فيه من التفصيل في هذا، ولكن حدث من قِبَل اليهود

والمجوس والنصارى الذين أرادوا أن يفسدوا عقيدة المسلمين، لمَّا لم يستطيعوا صدَّ جيوش الإسلام، فعند ذلك اجتمعوا على إفساد عقيدتهم التي اجتمعوا عليها، فبدأت المؤامراتُ والاغتيالات، فقتلوا أولًا عمرَ رضي الله عنه، ثم قتلوا عثمان رضي الله عنه، ثم قُتِلَ عليٌّ رضي الله عنه، كلهم قُتلوا بأيدي الغدر، ثم أرادوا إفساد العقيدة فأنشئوا الجمعيات السِّرِّية، وإذا ما وجدوا إنسانًا عنده جرأة جعلوه في الواجهة، وقالوا: قل كذا وكذا، فأوَّل من تكلَّم مَعبَدُ الجهني؛ حيث نفى القدر، فقُتل، ولم ينتهِ الأمر؛ لأن وراءه من يُنمي هذا البلاء، فجاء الجعدُ بن درهم، وقال: إنَّ الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، ثم أخذ عنه الجهم بن صفوان، ولما قُتِلَ لم تنتهِ ضلالاتُه، فهذا هو أساسُ القول بخلق القرآن، فصار بلاءً وفتنةً، أثيرت على أثرِها المجادلات والمهاترات والحروب الكلامية التي مزقت الأمة، ولا تزال، وصارت طوائف؛ منها: الكُلَّابية، والمعتزلة، والأشعرية، وصار كلٌّ فريق يقاتل الآخر، وهذا هو مقصودهم، ولهذا توقَّفت الفتوح، ونجحوا كما هو الواقع الآن، كيف يقضون على كلِّ حركة يرون فيها شيئًا من الرجوع إلى الإسلام، نهائيًّا؟

والحرب لا تزال بين الحقِّ والباطل[(١)]، كما قال الله جل جلاله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، ولو شاء ما اختلفوا، ولكن هذه مشيئة الله جل جلاله؛ لأنه لا بد من الاختلاف، يقول جل جلاله في آدم عليه السلام: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣]، فمن هم الذين بعضهم لبعضهم عدوٌّ؟ ليس كما يقولون: (إبليس والحية وآدم)[(٢)]، فإبليس

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١ ـ ٢٦)، لشيخنا عبد الله الغنيمان حفظه الله.

(٢) تفسير الطبري (١/ ٥٢٦)، وتفسير القرطبي (١/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٤٣).

نصَّ الله ﷻ على أنه عدوٌّ لآدم وليس من جنسه، ولكن المقصود من قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾؛ أي: بنو آدم بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلى قيام الساعة.

فكانت بذلك الحرب بين أهل الحق وأهل الباطل دائمة إلى قيام الساعة، ومن العجب في وقتنا هذا أن صار يُدعَى إلى وحدة الأديان والاختلاط والتعايش؛ أي: يُدعَى إلى إبطال الإسلام حتى يكونوا كلهم كفارًا؛ لأن الكفار لن تستجيب للمسلمين ولن يتبعوا دينهم، ولكن لا بأس إن صرفوا المسلمين عن دينهم ويكونوا مثلهم.

قوله: «ولا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقًا...»: صفاتُ أفعاله تكون مخلوقةً هذا مفهومه! فصفات الأفعال تكون مخلوقة عندهم؛ لأنَّ الأفعال كما سبق عندهم هي المفعول، وهذا باطل.

فالله ﷻ لا يكون من صفات ذاتِه ولا من صفات أفعاله شيءٌ مخلوقٌ؛ لأن الصفة تكون صفةَ ذاتٍ وصفةَ فعلٍ، وصفةُ الفعلِ الذي يتعلق بمشيئته، وصفةُ الذَّات التي لا تنفكُّ عن ذاته؛ مثل: الحياة والعلم والسمع والبصر، وما أشبه ذلك، فيجب أن نعرف مثل هذه التقسيمات، حتى لا نقعَ في الضَّلالِ.

قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠]: فالله يكَوِّنُ الأشياء بإرادته وبقوله الكوني القدري، فقوله تعالى يكون قدريًّا كونيًّا ويكون أمريًّا شرعيًّا.

والأمر الشرعي هو الذي فيه الكلام: هل هو مخلوقٌ أم غير مخلوق؟

من قال: إنه مخلوقٌ، اتفق العلماء على أنَّ الذي يقول: (القرآن مخلوقٌ) أنه كافرٌ، وهذا بالإجماع، كما يُحكَى عن ابن القيم وغيره أنه

قضى بكفر من قال بخلق القرآن خمسُمائةٍ من العلماء[١].

قوله: «والقرآن قوله، ويستحيل أن يكون قولُه مقولًا له»؛ أي: يستحيل أن يكون القول مخلوقًا ثم المخلوق يكون خالقًا، ثم ذلك الخالق يكون خالقًا... إلخ، فيكون التسلسل بذلك فاسدًا، هذا معنى كلامه.

ولكن نقول: إنَّ القرآن هو قولُ الله، وقولُه صفةٌ له ﷻ، ولا يجوز أن تكونَ صفتُه تعالى وتقدَّس مخلوقةً، وهذه صفةٌ ـ أي: القرآن ـ تتعلق بمشيئته، وليس كما يقول: تتعلق بذاته.

* * *

(١) القصيدة النونية، المسماة «الكافية الشافية» (ص٤٢)؛ حيث يقول:

ولقد تقلد كفرهم خَمسُونَ في عشر من العلماء في البلدَانِ

❁ «ولأنَّ الله ﷻ قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٣] فلمَّا جمع في الذِّكْر بين القرآن الذي هو كلامُه وصفتُه وبين الإنسان الذي هو خلقُه ومصنوعُه، خصَّ القرآنَ بالتعليم، والإنسانَ بالتخليق، فلو كان القرآنُ مخلوقًا كالإنسان لقال: خَلَقَ القرآنَ والإنسانَ، وقال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرقٌ بين خلقِه وأمرِه بالواو الذي هو حرفُ عطف للفصل بين الشيئين المتغايرين، فدلَّ على أنَّ قولَه غيرُ خلقِه، وقال ﷻ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]، يعني: من قبل أن يخلُقَ الخلقَ، ومن بعد ذلك، وهذا يُوجِبُ أنَّ الأمرَ غيرُ مخلوقٍ».

الشَّرح

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾: بيَّن بأنَّ هناك فرقًا بين خلق الإنسان وتعليم القرآن، فالقرآن يُعلِّم ويُعلَّم، وليس مخلوقًا، وقال الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] استدلَّ البخاريُّ رحمه الله بهذه الآية على إبطال القول بخلق القرآن[١]؛ لأن خلق الله لا يُبدَّل؛ كما قال الله ﷻ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، أما الكلام يُبدَّل، ويُزاد فيه ويُنقص، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

قوله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾: العطف يقتضي المغايرة، وعليه

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد، للبخاري (ص٢٩).

يكون الأمرُ غيرَ الخلقِ، والأمر يكون من الآمِرِ بالقول، فهو قولُه، فدلَّ على أنَّ الخلقَ غيرُ الأمرِ؛ لأنَّ الخلقَ يوجد بالأمر، والأمر نهيٌ وإيجابٌ وإباحةٌ.

قوله: «ففرقٌ بين خلقِه وأمره بالواو الذي هو حرف الفصل بين الشيئين...»: أي: تفصل بين هذا وذاك، وإن كانت الواو أيضًا تدلُّ على التسوية، فليس هذا المعنى مراد هنا، والتسوية في الشيء، كأن تقول: إن من عبيد الله عبد الله وعمر وعثمان وعلي، صاروا بذلك متساوِين في العبودية فقط، ولكن كلُّ واحدٍ منهم غير الآخر.



﴿ «وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصافات: ١٧١]، وقال: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨]، والسَّبقُ على الإطلاق يقتضي سبقَ كلِّ شيءٍ سواه».

الشَّرح

قوله: «وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾، **وقال:** ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾...»:

هذا سبقٌ في التقدير المعين، فلما كتب كلَّ شيء في الذِّكْر كتبَ أنَّ عباده هم الغالبون، فهذا السبق ليس بالسبق المطلق الذي لا نهاية له؛ لأن هذا يجب أن يأتي الدليل به.

* * *



«وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]».

الشرح

قوله: ﴿تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾: مصدر مأخوذ من الفعل (كَلَّم)، وإذا جاء المصدر بلفظ الفعل دلَّ على الحقيقة، لا يمكن أن يكون مجازًا.

* * *

﴿ «ولا يجوز أن يكون كلامُ المتكلِّم قائمًا بغيره، ثم يكون هو به متكلِّمًا مُكلِّمًا دون ذلك الغير، كما لا يجوز ذلك في العلم والسمع والبصر، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]».

الشَّرح

قوله: «ولا يجوز أن يكون كلامُ المتكلِّم قائمًا بغيره، ثم يكون هو به متكلِّمًا مُكلِّمًا دون ذلك الغير»؛ أي: أن الكلام يجب أن يكون مضافًا إلى الذي ابتدأه وأنشأه وقاله، ولا يكون لمن بلَّغه وحمَلَه وحَفِظَه.

ولكن القرآن له **مقاماتٌ أربعة:**

يكون محفوظًا، ويكون مسموعًا، ويكون مكتوبًا، ويكون متلُوًّا، هذه أربعةُ أمورٍ، وكلُّها لا تُخرِج القرآن عن كونِه كلامَ الله، فهو وإن كُتِبَ فهو كلام الله ليس بمخلوق، أما الكتابة مِنَ المداد والوَرَق فمخلوقَةٌ.

وكذلك القراءة؛ إذا قرأ القارئ القرآن فحركة اللسان والشفتين وصوت القارئ، كل هذا مخلوقٌ، ولكن المصوَّت به المسموعَ هو كلام الله ﷻ.

وهكذا الحفظ، إذا حُفِظَ فالمحفوظ هو كلامُ الله، ولكن الحفظَ الذي يكون في الصَّدْر الذي وعاه هذا مخلوقٌ لله ﷻ.

فلا تُخرج هذه الأمور القرآنَ عن كونه قرآنًا، وهذه أمورٌ أُشكِلَتْ على بعض الناس حتى البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «شعب الإيمان»؛ قال: «وكلامهُ مَقروءٌ في الحقيقة بِقراءتِنا، محفوظٌ في قُلوبِنَا، مكتوبٌ في

مصَاحِفنَا غيرُ حالٌّ فيها»[١]، والواجب أن يقول: القرآن كلام الله، على كل تقدير وإن كتب، وما هو بحالٍّ فيه، فقوله يعني أن المصحف من الورق والجلد وغير ذلك، يكون كله قرآنًا، هذا باطل.

يقولون: «القرآن عبارة عن كلام الله»، ثم يستدلون على هذا بمثل قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٢]، يستدلون بالآية الأولى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ أضاف الله القرآن للرسول، ومعنى ذلك: أنَّ الرسول هو الذي عبَّر عنه!

فيقال لهم: من الرسول في الآية الكريمة؟

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠] فالرسول هنا هو جبريل عليه السلام، والقول يضاف إلى من قاله وأنشأه، فإذا سمعنا مثلًا قائلًا يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ...**»[٢] فإننا نقول: هذا قول الرسول ﷺ، ولكنَّ المتكلم به مبلِّغٌ عنه، وكذلك إذا قال قائل[٣]:

قِفا نَبْكِ من ذِكرَى حَبِيب ومنزِلِ بِسَقطِ اللِّوى بينَ الدَّخُولِ فحومَلِ

نقول: هذا قول امرئ القيس، فالقول يضاف إلى من قاله مبتدئًا منشئًا، لا إلى من قاله مبلِّغًا مؤدِّيًا.

فالأمر واحدٌ، فقوله تعالى: ﴿رَسُولٍ﴾ يعني: لأنه بلَّغه، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]

---

(١) شعب الإيمان، رقم الحديث (١٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).
(٣) ديوان امرئ القيس (ص١٤).

هو لا يسمع كلام الله من الله، بل يسمعه من المبلغ الذي يبلغه أيًّا كان، سواء الرسول أو غيره، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ يعني: طلب أن تُجيرَه ﴿فَأَجِرْهُ﴾ يعني: احْمِه، اجعله مُجارًا، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أنه يسمعه ممن يبلغه إياه ويعلمه إياه، ليس من الله، فلا يخرجه هذا عن كونه كلامَ الله ﷻ، ولكن هم يقولون: إنَّ الكلام معنى واحدٌ ليس فيه أجزاء، فإذا كان معنى واحدًا صارت التوراة والإنجيل والزبور وجميع الكتب شيئًا واحدًا، وصارت مثلًا آية الدَّين هي آية الكرسي، و﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ هي ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ لا فرق بينهما؛ لأنهما واحدٌ! ولهذا يقولون: هو عبارة عن الأمر والنهي، والخبر والاستخبار؛ أي: الطلب، فكلُّ هذا من الكلام الباطل.

* * *

۞ «فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقًا في شيء مخلوقٍ لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى؛ لاستواء جميع الخلق في سماعه من غير الله ووجودهم ذلك عند الجهمية مخلوقًا في غير الله، وهذا يوجِبُ إسقاطَ مرتبة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين».

۞ الشَّرح ۞

الجهمية يقولون: إن الله يتكلم، فهم يثبتون كلام الله، ولكن يقولون: إنه يخلق الكلام، فيقولون: إنه خلقه في الهواء أو في الشجرة لما كلَّم موسى؛ أي: مخلوق في الشجرة، وموسى سمعه من الشجرة، فعلى هذا: قالت الشجرة: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ على زعمهم! وهذا من أبطل ما يكون، ولكن الذين تفرَّعوا على الجهمية، صاروا فرعًا عليها، وهم الذين قالوا: (القرآن عبارة عن الكلام المعنوي القائم بالذات).

* * *

ﷺ «ويجب عليهم إذا زعموا أنَّ كلام الله لموسى خلَقَه في شجرةٍ، أن يكون من سَمِعَ كلام الله من ملَكٍ أو من نبيٍّ أتاه به من عند الله أفضل مرتبة في سماع الكلام من موسى؛ لأنهم سمعوه من نبيٍّ ولم يسْمَعْه موسى عليه السلام من الله، وإنما سَمِعَه من شجرةٍ...».

الشَّرح

الأنبياء سَمِعوا الوحي من جبريل عليه السلام، فيكون الأنبياء بذلك أفضل من موسى، فكلُّ الأنبياء يسمعون من جبريل عليه السلام، وجبريل عليه السلام هو الواسطة بين الرسل وبين رب العالمين الذي يبلغ رسالته، فموسى عليه السلام على قولهم أخذ من الشجرة فقط، والشجرة لا تكون أفضل من جبريل!

* * *

﴿ «. . . وأن يزعموا أنَّ اليهود إذا سمعتْ كلامَ الله من موسى نبيِّ الله أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران صلى الله عليه وعلى نبيِّنا وسلم؛ لأنَّ اليهود سمعَتْه من نبيٍّ من الأنبياء، وموسى صلى الله عليه وعلى نبيِّنا وسلم سمِعَه مخلوقًا في شجرةٍ».

الشَّرح

لما قال الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥] اختارهم لسماع كلام الله، ولكنَّهم ما قنعوا بهذا، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، قال الله ﷻ: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣] أخذتهم الصاعقة وماتوا.

قوله: «لأنَّ اليهود سمعَتْه من نبيٍّ من الأنبياء، وموسى صلى الله عليه وعلى نبيِّنا وسلم سمِعَه مخلوقًا في شجرةٍ».

يقولون: لمَّا جاء موسى عليه السلام من مَدْيَنَ ضلَّ الطريق وصار الوقت باردًا من الليل، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠] فرأى النار في الشجرة، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾ [طه: ١١] ناداه الله وكلَّمه، قال له: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤] هذه المرة الأولى، ولكن في المرة الثانية هذا ما سَمِعه من الشجرة، بل سَمِعَه من الله، مخلوقًا في الهواء، زعموا!

* * *

ﷺ «ولو كان مخلوقًا في شجرةٍ لم يكن الله ﷻ مكلِّمًا لموسى من وراء حجابٍ؛ ولأنَّ كلام الله ﷻ لموسى عليه السلام لو كان مخلوقًا في شجرة كما زعموا لَزِمَهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أنَّ مخلوقًا من المخلوقين كلَّم موسى، وقال له: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]، وهذا ظاهر الفساد، وقد احتجَّ علي بن إسماعيل رحمه الله بهذه الفصول واحتج بها غيره من سلفنا رحمهم الله».

الشَّرح

قد يقول قائلٌ: ما الفائدة في هذا الكلام؟ فالجهمية ذهبوا وهلكوا، فلماذا نبحث هذه المسائل الكفرية التي تُفرِّق المسلمين وتُشتِّتُهم، والواجب أنْ نُعرِض عنها؟

نقول: هذا في الجملة، فالحمد لله ذهبت دولة المعتزلة إلى غير رجعة إن شاء الله، ولكن بَقِيَتْ آثارُها موجودة عند بعض الناس، فلا يزال من المسلمين من يقول: (القرآن مخلوق)؛ مثل الإباضية وغيرهم، حتى إنَّ العلمانِّيين ـ كما يدَّعون ـ وهم ليسوا بعلمانيِّين وإنما هم جهلةٌ، يذهبون إلى مثل هذه المذاهب أو إلى بعضها، ويوجد من أساتذة الكليات والمعلمين من يعتنق هذا المذهب تمامًا، ويدافع عنه ويسعى إلى نشر الكتب التي كتبها من كتبها من هؤلاء، فنُشر الكثير منها (كتب المعتزلة)، ولا يزالون يتلهَّفون ويتأسَّفون على المفقود منها، يبحثون عنه ويحقِّقونه وينشُرُونه؛ إحياءً لهذه الأفكار الخبيثة.

* * *

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الرحمٰن السلمي، أنا الحسن بن رشيق؛ إجازةً، ثنا محمد بن سفيان بن سعيد، ثنا محمد بن إسماعيل الأصبهاني بمكة، قال: سمعتُ الجارودي، يقول: ذكر الشافعيُّ إبراهيم بن إسماعيل بن عُلَيَّة فقال: أنا مخالفٌ له في كلِّ شيء، وفي قوله: لا إلٰه إلا الله، لستُ أقولُ كما يقول، أنا أقول: لا إلٰه إلا الله الذي كلَّم موسى من وراء حجابٍ، وذاك يقول: لا إلٰه إلا الله الذي خلق كلامًا أسمَعَه موسى من وراء حجابٍ»[(١)].

الشَّرح

هذا قول الجهمية ومن وافقهم.

* * *

(١) لم أقف عليه سوى للمصنف في هذا الموضع.

﴿ «قلنا: ولأنَّ الله قال مخبرًا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ٢٥]، يعْنُونَ القرآن، فمن زعم أنَّ القرآن مخلوقٌ فقد جعله قولًا للبشر، وهذا مما أنكره الله على المشركين؛ ولأنَّ الله تعالى قال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩] فلو كانت البحارُ مِدَادًا يُكتَب به لنَفِدَت البحار وتكسَّرت الأقلام ولم يَلْحَق الفناء كلماتِ الله ﷻ، كما لا يلحق الفناء عِلْمَ الله؛ لأنَّ مَن فَنِي كلامه لَحِقَتْه الآفات وجرى عليه السكوتُ، فلما لم يَجْرِ ذلك على ربِّنا ﷻ صحَّ أنه لم يزل متكلِّمًا ولا يزال متكلِّمًا، وقد نَفَى النَّفَاد عن كلامِه كما نَفَى الهلاكَ عن وجهِه».

الشَّرح

قوله: «لم يزل متكلِّمًا...»؛ أي: الكلام بمشيئته ﷻ، وليس الكلامُ منه مستمرًّا دائمًا؛ لهذا قال الرسولُ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضيِّعُوها، وحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وحَرَّم أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ غَيْرَ نِسْيان فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا**»[1]، فهو يتكلَّم إذا شاء، وهذا هو الكمال؛ أن يكون الكلامُ متعلقًا بالمشيئة، الكلامُ صفةٌ لله ﷻ، وصفةُ الله لا تنفد ولا تنتهي، فكلامُه إذا أراد ﷻ استمرَّ، ويسكت إذا شاء تعالى.

* * *

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٨٩)، والدارقطني «في سننه» (٤٣٩٦).

ﷺ «وأمَّا قول الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [التكوير: ١٩]، معناه: قولٌ تلقَّاه عن رسولٍ كريم أو سَمِعَه من رسولٍ كريم، أو نزل به رسولٌ كريمٌ، فقد قال: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فأثبت أنَّ القرآن كلامُ الله ﷻ، ولا يكون شيءٌ واحدٌ كلامًا للرسول ﷺ وكلامًا لله، دَلَّ أنَّ المراد بالأوَّل ما قلنا».

الشَّرح

أي: لا يكون شيئًا واحدًا؛ كلامٌ لله وكلامٌ للرسول في نفس الوقت، بل هو كلامٌ لله ﷻ.

وسبق أن معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ يعني: أنه بلغه، والقول يُضاف لمن قالَهُ مُنْشِئًا.

* * *

۞ «وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، معناه: سميناه قرآنًا عربيًّا وأنزلناه مع الملَك الذي أسمعناه إيَّاه حتى نزل به بلسان العرب ليعْقِلُوا معناه، وهو كما قال الله ﷻ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]، يعني: يَصِفُون لله ما يكرهون ولم يُرد به الخلق».

الشَّرح

قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]؛ أي: يخلقون!

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

فـ (جعل) تأتي متصرِّفةً لمعانٍ، والمعنى الذي يحدِّد هو المقام والسياق، هو الذي يحدِّد المقصود وما يقترن بالكلام.

* * *



«وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢] يحتمل أن يكون معناه ذكرًا غير القرآن، وهو كلامُ الرسول ﷺ ووعْظُه إيَّاهم بقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥]...».

الشَّرح

قوله تعالى: ﴿مُّحْدَثٍ﴾؛ أي: جديد، وليس معنى ﴿مُّحْدَثٍ﴾: مخلوقًا، والقرآن مثل ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللهِ**»[١]، فقوله: «**أحدث**»؛ أي: أنه حديثٌ جديدٌ، وليس (أحدَث) بمعنى (أخلق) أو (أنه مخلوق).

فالمقصود من قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣]؛ أي: يأتيهم ذكرٌ جديدٌ نزلَ بعد أن لم يكُنْ نازلًا، فهو طريٌّ جديدٌ عندهم، وليس معنى ذلك أنه غيره، قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٥).

﴿ «... ولأنه لم يقل: لا يأتيهم ذكرٌ إلا كان محدَثًا، وإنما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء: ٢]، فدلَّ على أنَّه ذكر غير محدث ثم إنه إنما أراد ذكر القرآن لهم وتلاوته عليهم وعلمه به، وكلُّ ذلك محدثٌ».

الشَّرح

كل هذا ليس له داعٍ، ويكفي أن نقول «محدث»؛ أيْ: جديد.

قوله: «**... وكلُّ ذلك محدَثٌ**»: يقصد بذلك أنَّ ذِكْرَ الذَّاكر وإحداثَ المحدِثِ ليس هو نفس المسموعِ من كلام الله ﷻ.

* * *

﴿ «والمذكور المتْلُو المعلوم غيرُ محدَثٍ، كما أنَّ ذكرَ العبد لله وعِلْمَه به وعبادَتَه له محدَثٌ، والمذكور المعلوم المعبود غيرُ محدَثٍ، وحين احتُجَّ به على أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، قال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه: قد يحتمل أن يكون تنزيلُه إلينا هو المحدَث لا الذِّكْرُ نفسُه محدَثٌ»[١].

الشَّرح

ومعلومٌ أن هذا ليس المراد، لا هو بذِكْرِ العبدِ ولا بإحداثِ العبدِ، وإنما المقصود: هو الذي أتى من الله، ففرقٌ بين هذا وذاك، فهذا تأويل غير مقبول.

قوله: «قد يحتمل أن يكون تنزيلُه إلينا هو المحدَث»؛ أي: التنزيل هو الجديد، وليس محدَثًا أنه مخلوقٌ، هذا لم يأتِ في آيةٍ واحدةٍ، بل جاء في عدَّة آيات، فالرسول ﷺ يقول: «**إنَّ الله يُحدِثُ في أمرِه ما يشاء**»، كما في حديث ابن مسعود، لمَّا أتى من الحبشة وسلم على النبيِّ ﷺ وهو في الصلاة، فلم يَرُدَّ عليه السلام، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: فأخذني ما تقدَّم وما تأخَّر، فبعد أنْ سلَّمَ ﷺ قال: «**إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن الله جلَّ وعزَّ قد أحدث من أمره أن لا تكلموا في الصلاة**»[٢]، لما روى البخاريُّ هذا الحديث، قال: «**وأن حدثه لا يُشبِه حَدَثَ المخلوقين**»[٣]، فهو يُحدِثُ ولا يُشبِهُهُ أحدٌ.

---

(١) انظر: مسائل حرب الكرماني (٣/ ١١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٩)، ومسلم (٥٣٨)، وبهذا اللفظ أخرجه أبو داود (٩٢٤).

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٥٢).

قال الله ﷻ: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ [الطلاق: ١]، فالأمر من الله لا يكون مخلوقًا، فلا داعِيَ إلى هذه التأويلات البعيدة.

* * *

﴿ «قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الذي أجاب به أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ ظاهرٌ في الآية، وإتيانه تنزيلُه على لسانِ الملَكِ الذي أتى به، والتنزيلُ محدَثٌ، وقد أجاب أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ بالجوابِ الأول.

﴿ وأما تسمية عيسى بـ(كلمة الله) فعلى معنى أنه صار مكوَّنًا بكلمة الله من غير أبٍ كما صار آدم مكوَّنًا بكلمة الله من غير أبٍ ولا أمٍّ.

﴿ وقد بيَّنه بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]».

الشَّرح

قال الله تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]؛ أي: أنه خُلق بتلك الكلمة التي قالها تَعَالَى له؛ حيث قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، فهو مخلوقٌ من الله جَلَّ وَعَلَا.

أما أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة الله وروح منه؛ فهذا مثل قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، فليس معنى ذلك «من» هنا للتبعيض، وإنما هو الذي خلقه ابتداءً لكم، فعيسى من جملة المخلوقات، ولكن النصارى يستدِلُّون بالشُّبَه كغيرِهم، لمَّا رأوا الأمرَ متشابِهًا قالوا: هذا معناه: أنه جزءٌ منه، فيكون عيسى جزءًا من الله، أو أنه ابنُ الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

* * *

ﷺ «وقد روينا في الحديث الصحيح عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ أنه قال: «وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»[١]، والقرآن فيما كُتِبَ في الذِّكْر؛ لقوله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وفي ذلك دلالةٌ على قِدَمِ القرآنِ ووجوده قبل وقوع الحاجة إليه».

الشَّرح

قوله: «وفي ذلك دلالةٌ على قِدَمِ القرآن ووجوده قبل وقوع الحاجة إليه»: يعني: أنه ما تكلَّم به في الحال، إنما تكلَّم به في الأزلِ ثُمَّ أنزلَه، وهذا غير صحيحٍ، بدليل أن الله تكلَّم في إحدى الوقائع التي نزلت، لما جاءت المجادِلة، أنزلَ الله من فوق سبع سماوات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١]، وكذلك لما حدَثَ ووقع الإفكُ؛ أنزل الله ﷻ براءة عائشة أم المؤمنين، بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١] إلى آخره، إلى ثلاثة عشرَ آية، فكونُه كُتِبَ في الذِّكْر لا يُنافِي كونَه تكلَّم به في مناسباتٍ.

كما جاء أيضًا عن ابن عباسٍ ﵄، أنه قال: **«نزل القرآن جملة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان إذا أراد الله أن يحدث منه شيئًا أحدثه»**[٢]؛ يعني ذلك: أن الله كتب ذكره، والله ﷻ يقول في رسوله: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، لكنَّ المكتوب ذكرُه وصفَتُه، أمَّا الذي في اللَّوح المحفوظ فهو مكتوبٌ وموجودٌ فيه، فتكلَّم الله به بعد ذلك أيضًا، وليس معنى ذلك: أنه تكلَّم به في الأزل ثم لم يَعُدْ يتكلَّم، هذا لا يجوز في حق الله تعالى وتقدَّس.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٦٥٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٣٦).

ﷺ «ومما يدلُّ على ذلك الحديث الصحيح الذي أخبرناه محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، وأبو الفضل بن إبراهيم، قالا: حدثنا أحمد بن سلمة، حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، حدثنا أنس بن عياض، حدثنا الحارث بن أبي ذباب، عن يزيد بن هرمز، وعن عبد الرحمٰن الأعرج، قالا: سمعنا أبا هريرة رضي الله عنه يقول، قال رسول الله ﷺ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عليه السلام، **فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ اللهُ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وُجِدَتِ التَّوْرَاةُ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: وَجَدْتَ فِيهَا** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: ١٢١]؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَعْمَلُهُ بِعِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً»، قال رسولُ الله ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[(١)].

ﷺ قال الشيخ: وهذا التاريخ يرجع إلى إظهاره ذلك لمن شاء من ملائكته، وفي ذلك مع الآية دلالةٌ على وجوده قبل وقوع الخطيئة من آدم عليه السلام».

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢).

الشَّرح

هذا ليس صحيحًا، هذا الواقع الاحتجاج والملامة من موسى لآدم على المصيبة وليس على الخطيئة، والمصيبة: هي الخروج من الجنَّة، ولهذا قال: أنزلتَ الناسَ، أخرجتهم من الجنة، فاحتجَّ آدم بأنَّ هذا مكتوبٌ عليه قبل وجوده وقبل خلقه.

فمعنى ذلك: أنه لا بدَّ منه، ثم وقع وانتهى، فلهذا صار حُجَّةً، وعلى هذا: فالحجة في القدر تكون على المصائب التي تقع ولا يمكن لها أن تُرَدَّ، أما الذُّنوبُ والخطايا فلا يجوز أن يُحتجَّ بها؛ لأنَّ الذنوب لها مخرجٌ وهو التوبة والاستغفار، أما المصائب فلا يمكن لها أن تُرَدَّ، فيحتج بها على القَدَر، ولو كان المقصودُ أنَّ موسى احتجَّ على آدم بالذَّنبِ لقال له آدم: أنت قتلت نفسًا، لماذا تقتل النفس؟ ولكن يعلم أنه تاب من ذلك، ولا يجوز الاحتجاج عليه بهذا، كما أنَّ موسى يعلم أن آدم تاب، وأن الشيء الذي تاب منه لا يجوز إعادته ولا الكلام فيه، ولا يقال لصاحبه: إنك فعلت؛ لأنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يُعيَّر به، فصار يلزم أن يكون احتجاج موسى على آدم بالمصيبة لا بالذَّنب، فلهذا حجَّه آدمُ بأنَّ هذا شيء مكتوبٌ ولا حيلةَ في رَدِّه ولا يمكن أن يتغيَّر.

* * *

﴿ «وكلام الله تعالى موجود فيما لم يزل، موجود فيما لا يزال، وبإسماعه كلامه من شاء من ملائكته ورسله وعباده متى شاء، صار كلامه مسموعًا له بلا كيف، والمسموع كلامه الذي لم يزل ولا يزال موصوفًا به، وكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، كما لا يشبه سائر أوصافه أوصاف المخلوقين، وبالله التوفيق».

الشَّرح

هذا مذهبُ أهلِ الكلام!

قوله: «وكلام الله تعالى موجود فيما لم يزل، موجود فيما لا يزال، وبإسماعه كلامه من شاء من ملائكته ورسله وعباده متى شاء، صار كلامه مسموعًا له بلا كيف»: هذا شيءٌ غير معقولٍ ولا يمكن له أن يُعقَل!

يعني: أنه قديمٌ أزليٌّ، ومعنى ذلك: أن الله تكلَّم في الأزَلِ الكلامَ كلَّه؛ لأنَّ الكلام عندهم شيء واحدٌ، ولهذا سيقول: ذِكْرُ الجمعِ والمقصود واحدٌ، وهذا مذهبٌ فاسدٌ.

فسبق التعليق على الكلام عند أهلِ السُّنَّة: أنه قديمُ النَّوعِ، متجدِّدُ الآحادِ، وأنه يتعلَّقُ بمشيئته، أنه إذا شاء أن يتكلَّم تكلَّم، ليس تكلُّمه في الأزل وحسب، بل بَقِي كلامُه أيضًا يتكلَّم فيما لا يزال، فهذا شيء غير معقول، وهو خلاف المفهوم من كلام الله، وخلاف الواقع!

فالله ﷻ يُكلِّم من يشاء، وسيكلِّم عباده يوم القيامة أفرادًا وجماعات، فهل يكون هذا كلامه بما يأتي أنَّ كلامه في الأزل؟! يأتون بأشياء خلاف الأمر الواقع.

قوله: «وكلامُهُ لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقِينَ»: فهذا حقٌّ، كما أنَّ

صفاتِه كلَّها لا تُشبِه صفات المخلوقين؛ لأنَّ الصفة تبعُ الموصوف، والموصوفُ تعالى لا يُشبِه أحدًا من الخلق، وكذلك صفاته لا تُشبِه صفات أحدٍ منَ الخلق.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن شاذان ببغداد، أنا حمزة بن محمد بن العباس، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا محمد بن كثير العبدي، أنا إسرائيل، ثنا عثمان بن المغيرة، عن سالم ـ يعني: ابن أبي الجعد ـ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قالَ: لمَّا أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺ، أَنْ يُبلِّغَ الرِّسالَةَ جعلَ يقولُ: «يَا قَوْمِ، لِمَ تُؤْذُونَنِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»، يعني: القرآنَ»[1].

الشَّرح

هذا على خلاف ما ذهب إليه، فإنَّ كلام الله ﷻ أنزله على رسولِه، وأمرَه أن يبلِّغَه.

قوله: «لِمَ تُؤْذُونَنِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»: هذا يدل على أمرٍ أتى إلى النبي ﷺ، فهو أمرٌ جديدٌ، لم يكن في الأزل، بل في الحالة التي كانت في وقته ﷺ، وذلك يدلُّ على خلاف ما قال.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٤٥٦)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٢٧)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١٥٧).

﴿«أخبرنا الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري، أنا محمد بن بكر، ثنا أبو داود، ثنا العباس بن عبد العظيم، ثنا الأحوص بن جواب، ثنا عمار بن رزيق، عن أبي إسحاق، عن الحارث، وأبي ميسرة، عن علي ﵁، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول عند مضجعه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ، اللَّهُمَّ لا يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ»[1]».

﴿«قال الأستاذ الإمام ﵀: فاستعاذ رسول الله ﷺ في هذا الخبر وغيره بكلمات الله كما استعاذ بوجهه الكريم، فكما أن وجهه الذي استعاذ به غير مخلوق فكذلك كلماته التي استعاذ بها غير مخلوقة، وكلام الله واحد لم يزل ولا يزال، وإنما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم كقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وإنما سماها تامة؛ لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه عيب أو نقص كما يكون ذلك في كلام الآدميين».

الشَّرح

قوله: «فَاسْتَعَاذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْخَبَرِ وَغَيْرِهِ بِكَلِمَاتِ اللهِ كَمَا اسْتَعَاذَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَكَمَا أَنَّ وَجْهَهُ الَّذِي اسْتَعَاذَ بِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ،

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٠٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٩٧٧)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٤٠٨).

فَكَذَلِكَ كَلِمَاتُهُ الَّتِي اسْتَعَاذَ بِهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ»: هذا الكلام صحيحٌ وحقٌّ، أنه لا يستعاذُ بمخلوقٍ، وكلماتُ الله غيرُ مخلوقَةٍ، بل هي صفةٌ من صفاتِه، ولهذا استدلَّ الأئمَّةُ بهذا الخبر على إبطال مذهب الجهمية والمعتزلة، الذين يقولون بخَلْقِ القرآن.

قوله: «وكلامُ الله واحدٌ لم يزَل ولا يَزالُ»: هذا كلامٌ باطلٌ، وقوله هذا حتى يتَّفِقَ مع المذهب الذي يقول: (كلامُ الله عبارةٌ عن معنًى واحدٍ، قام في ذاتِ الرَّبِّ ﷻ)، وهذا شيء غير معقول، بل مِنْ أبطلِ ما يكون!

قوله: «وإنما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم»: لفظ الجمع على معنى التعظيم هو «إنَّا، نحن»، كما في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾، فـ(إنا): الغالب فيها أنَّها موضوعةٌ للجماعة، وكذلك (نحن)، ولكن العظيم الذي له جنودٌ وأتباعٌ يمتثلون بأمرِه، قد يقول: (إنَّا فعلنا كذا، وأَمَرْنا بكذا، وهذا لا شكَّ فيه، ولكن لا يدلُّ على مقصوده، بل يدلُّ على خلافِه، فمقصودُه فاسدٌ.

وقوله: وإنما سماها تامة؛ لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه عيب أو نقص...»: هذا حقٌّ؛ فكلام الله لا عيبَ فيه ولا نقْص، ولكن هذا ليس معنى «**تامَّة**».

«الكلمات التامَّة»: إما أن تكون كلمات أمريَّة شرعيَّة، فتمامها بالصِّدقِ والعَدْل، كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وإما أن تكون كلماتُه كونيَّةً قدريَّةً فتامَّةٌ، لا بدَّ من نفاذِ مرادها، ولا أحدَ يمكن أن يغير شيئًا منها، ولهذا جاء وصْفُها بقوله ﷺ:

«**الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ**»[١]، فهي التي لا يجاوِزُها بَرٌّ ولا فاجِرٌ؛ لأنَّ المجاوزة هي العصيانُ، عصيانُ المرَادِ، وكلُّ ذلك لا يدلُّ على الباطل، بل يدلُّ على الحقِّ.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

ﷺ «أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمداباذي، ثنا حامد بن محمود، ثنا إسحاق بن سليمان الرازي، قال: سمعت الجراح الكندي، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١).

ﷺ قال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أجلسني هذا المجلس، وكان يقرئ القرآن، قال: «وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه، وذلك بأنه منه».

ﷺ قال الشيخ: «قوله: وذلك بأنه منه»، يريد به أنه من صفاته».

الشرح

يعني منه: إما أنْ يريد أنه من صفاتِه، أو يريد أنه خرج منه، كما جاء في الحديث: «**إنَّكم لن ترجِعُوا إلى الله بِشيءٍ أفضلَ ممَّا خَرجَ مِنهُ**»(٢)؛ أي: من الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة: ١٣]، ويقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٨٠]، تنزيل من الله العزيز الحكيم، فهو منه ﷻ كلامٌ صدَرَ منه، وتكلَّم به، وليس معنى ذلك أنه قاله في الأزَلِ، وأنه بَقِي أيضًا يقولُه إلى الأزلِ، أو أنه قال في الأزَلِ، ثم صار أيضًا إلى الأزل، وهذا مما لا يعقل!

يقول: «**خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»: لا دخل لهذا الحديث

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٣٢)، والترمذي (٢٩١٢)، وعن جبير بن نفير رضي الله عنه.

في استدلاله، القرآن يُتعلَّم ويُدرَّس ويُحفَظ ويُقرَأ ويُكتَب، وهو كلامُ الله ﷻ، مهما تُصرِّف فيه، فهو لا يُغيِّره ذلك عن كونه كلامَ الله، ولكن يجب أن يُفرَّق بين الخالق والمخلوق، وبين ما هو صفةٌ لله وصفة للمخلوق.

* * *

﴿ «وأنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو أسامة الكلبي، ثنا شهاب بن عباد، ثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عز وجل: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[1]».

الشرح

وليس في هذا شيء ممَّا يدلُّ على أنَّ القرآن قديمٌ، بل هذا في فضل قراءته وتعلُّمِه والعمل به، وهذا هو المقصود، أما قراءة وتعلُّمٌ بلا عملٍ تكون حُجَّة على الإنسان، ويكون زيادةَ عذابٍ عليه.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، والدارمي (٣٣٥٦)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥٠٧).

﴿«قال الأستاذ رَحِمَهُ اللهُ: قال أصحابنا: لما كان من فضل الله على خلقه أنه قديم غير مخلوق، كان من فضل كلامه على كلام خلقه أنه لم يزل غير مخلوق».

الشَّرح

ليس هذا هو الفضل فقط، فالله جَلَّ لا شكَّ أنه قديمٌ أزليٌّ، فهو أوَّلٌ بلا بدايةٍ، وقد تقدَّم أنَّ كلمة (قديم) ليست من أوصاف الله؛ لأنَّ القِدَم أمرٌ نسبيٌّ، فلا يدلُّ على القِدَم الذي يقصدونه، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف: ٩٥]، فضلاله القديم في هذا الوقت يقصدون به قولهم السابق: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ [يس: ٣٩].

ولكن عند المتكلِّمين (القِدَمُ) هو أخصُّ صفات الله، وهذا من المخترعات المبتدَعَة التي لم يأتِ عليها مِن دليلٍ، بل أدلة اللغة على خلاف ذلك.

وقوله: «لما كان من فضل الله على خلقه أنه قديم...»؛ يعني: أنَّ الله قديمٌ.

فنقول: هذا ليس من صفات الله، وإنما هو من مخترعات المتكلِّمين، وإنما الذي من صفاته أنه الأوَّل قبل كلِّ شيء، كما أنه الآخِرُ بعدَ كلِّ شيء، تعالى وتقدَّس.

قوله: «كان من فضل كلامه على كلام خلقه أنه لم يزل غير مخلوق»: أنه يبقى إلى الأبد غيرَ مخلوق، وهذا بلا شكٍّ، أنَّ كلامَ الله

غيرُ مخلوقٍ، ولا يأتي عليه وقتٌ يكونُ فيه مخلوقًا، ولكن هذا لا يجعلنا نصفه بأنه أزليٌّ قديمٌ.

أما إذا أراد الجنس: فالله ﷻ لم يزل يتكلَّمُ إذا شاء، أما القرآن لا يجوز أنْ نَصِفَه بأنه قديمٌ؛ لأن الله تكلَّم به في وقت محدَّد، بعدها لم يتكلَّم به.

* * *

ﷺ «أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ثنا أبو معمر الهذلي، عن سريج بن النعمان، حدثني عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير، عن نيار بن مكرم، أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ عليهم قوله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ١ ـ ٢]، فقالوا: كلامك هذا، أم كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله عز وجل»(١).

ﷺ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا إبراهيم بن موسى، ثنا ابن أبي زائدة، عن مجالد، عن عامر ـ يعني: الشعبي ـ، عن عامر بن شهر، قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ فَقَرَأَ ابْنٌ لَهُ آيَةً مِنَ الْإِنْجِيلِ، فَضَحِكْتُ، فَقَالَ: أَتَضْحَكُ مِنْ كَلَامِ اللهِ عز وجل؟(٢).

ﷺ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو زكريا العنبري، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنا جرير، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن فروة بن نوفل الأشجعي، قال: كُنْتُ جَارًا لِخَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ، فَخَرَجْنَا مَرَّةً مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِيَدِي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٩٤)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٧)، وعبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (١١٦)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥١٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥٣٦)، وأبو داود (٤٧٣٦)، وابن حبان (٤٥٨٥، ٦٨٦٤)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥١٢).

فَقَالَ: يَا هَنَاهُ، تَقَرَّبْ إِلَى اللهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ، وَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ»[(١)]».

الشَّرح

هكذا جاء، وقد ورد مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ولفظه: «**وَمَا تَقَرَّبَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ**»[(٢)].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٦)، وابن أبي شيبة (٣٠٠٩٨)، والحاكم (٣٦٥٢)، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٦)، والترمذي (٢٩١١)، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا ابن نمير، ثنا سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن عابس، حدثني أناس، عن عبد الله بن مسعود، أنه كان يقول في خطبته: إِنَّ أَصْدَقَ الحدِيثِ كلامُ اللهِ ﷻ»[١].

الشَّرح

المقصود: أنَّ كلام الله يسمى حديثًا، وكلامًا وخبرًا.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٥٥٢)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥١٥).

﴿ «أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ، أنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عيسى الصفار، ثنا أبو عوانة، ثنا عثمان بن خرزاذ، ثنا خالد بن خداش، حدثني ابن وهب، أنا يونس بن يزيد، عن الزهري، قال: قال عمر رضي الله عنه: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ»(١). وروي أيضًا عن أبي الزعراء، عن عمر رضي الله عنه.

﴿ أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أنا أبو محمد بن حيان، ثنا محمد بن العباس بن أيوب، ثنا أبو عمر بن أيوب الصريفيني، ثنا سفيان بن عيينة، ثنا إسرائيل بن موسى، قال: سمعت الحسن، يقول: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا طَهُرَتْ مَا شَبِعْنَا مِنْ كَلَامِ ربِّنَا، وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ(٢).

﴿ قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وروينا في كتاب «الأسماء والصفات»، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: مَا حَكَّمْتُ مَخْلُوقًا، مَا حَكَّمْتُ إلا الْقُرْآنَ(٣).

﴿ وعن عكرمة، قال: صلى ابن عباس رضي الله عنهما على جنازة، فقال رجل من القوم: «اللَّهُمَّ رَبَّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ اغْفِرْ لَهُ»، فقال ابنُ

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٣٩٨)، والآجري في «الشريعة» (١٥٥).

(٢) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٢٠٣١).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٣١)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥٢٥).

عبَّاسٍ: ثَكَلَتكَ أُمُّكَ، إنَّ القرآنَ مِنْهُ، إنَّ القُرآنَ مِنهُ»[١]، يعني: أنه من صفاته».

الشَّرح

قوله: «... إنَّ القُرآنَ مِنهُ، يَعنِي: أَنَّهُ من صِفاتِهِ»؛ أي: أنه خرج منه، وتكلَّم به، وفي رواية أنَّ الرجل قال: «اللَّهمَّ رَبَّ القرآن اغفِر له، فوَثبَ إليه ابن عبَّاسٍ فقالَ: «مَهْ، القرآنُ مِنْهُ، القرآنُ كلامُ الله ليس بِمربُوبٍ، مِنهُ خرَجَ وإليه يعُودُ»[٢]؛ لأنَّ المربوب معناه: المخلوق.

* * *

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٣٧٦)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥١٩).
(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٣٧٦).



﴿ «أخبرنا أبو منصور الفقيه، أنا أبو أحمد الحافظ، أنا أبو عروبة السلمي، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، ثنا الحكم بن محمد، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال: سمعت مشيختنا، منذ سبعين سنة يقولون: قال أبو أحمد، وأنا محمد بن سليمان بن فارس، واللفظ له، أنا محمد ـ يعني: ابن إسماعيل البخاري ـ، قال: قال الحكم بن محمد أبو مروان الطبري: حدثناه سمع سفيان بن عيينة، قال: أَدْرَكْتُ مَشْيَخَتَنَا مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ[1].

﴿ قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللهُ: هكذا وقعت هذه الحكاية في «تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ»[2]، عن الحكم بن محمد، عن سفيان: «أَدْرَكْتُ». ورواه غيره عن الحكم عن سفيان، عن عمرو أنه قال: سمعت. وكذلك رواه الحميدي وغيره، عن سفيان، عن عمرو أنه قال: «أَدْرَكْتُ». ومشايخ عمرو بن دينار جماعة من الصحابة ثم أكابر التابعين، فهو حكاية إجماع منهم.

﴿ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد، ثنا أحمد بن عثمان الآدمي، ثنا ابن أبي العوام، ثنا موسى بن داود الضبي، عن معبد أبي عبد الرحمن، عن معاوية بن عمار، قال: سمعت جعفر بن محمد فقلت: إنهم يسألوننا عن

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦/٢)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥٣١).

(٢) أخرجها البخاري في «التاريخ الأوسط» (٣٢٧/٢).

القرآن، أمخلوق هو؟ قال: «لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلا مَخْلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلامُ اللهِ ﷻ»(١).

﴿ قال رحمه الله: وكذلك رواه سويد بن سعيد، عن معاوية بن عمار، عن جعفر الصادق، وكذلك رواه قيس بن الربيع، عن جعفر، فهو عن جعفر صحيح مشهور. وقد روي ذلك عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين. وروي عن الزهري، عن علي بن الحسين، ورويناه من أوجه عن مالك بن أنس، وهو مذهب كافة أهل العلم قديمًا وحديثًا.

﴿ وقد ذكرنا أسامي أئمتهم وكبرائهم الذين صرحوا بهذا ورأوا استتابة من قال بخلافه في كتاب «الأسماء والصفات»».

الشَّرح

قوله: «ورأوا استتابة من قال بخلافه»: يعني: أنَّ الذي يقول: بخلْقِ القرآن يكون كافرًا مرتدًّا، ويستتابُ، فإن تاب وإلا قُتِل، هذا لمن كان يحكم بحكم الله، أما إذا كان يحكم بالقوانين فلا.

* * *

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٢/ ٦١)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥٣٧).

❁ «وروينا عن محمد بن سعيد بن سابق أنه قال: سألتُ أبا يوسف فقلت: أكان أبو حنيفة يقول: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ، وَلا أَنَا أَقُولُهُ»(١).

الشرح

هكذا يَكذِبون على الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ؛ حيث يقولون: إنه يقول: «القرآن مخلوق»، وقد نزَّهه الله ﷻ عن ذلك، وكم وُضع عليه من الأمور التي هي خلافُ ما قاله رَحِمَهُ اللهُ، فالإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ ابتُلِي بطائفة تغْلُو فيه، وترفَعُه فوق مقامه، وطائفة أخرى تنسب إليه كلامًا لم يَقُلْه، وهذا من حظِّه؛ لأنه قد يكتسب حسناتٍ لم يعملها بهذا السبب.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (٥٥٠).

۞ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا عبد الله بن محمد الفقيه، أنا أبو جعفر الأصبهاني، أنا أبو يحيى الساجي، إجازة قال: سمعت أبا شعيب المصري، يقول: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، يقول: «الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ».

۞ وبمعناه رواه الربيع بن سليمان، عن أبي شعيب، عن الشافعي رَحِمَهُ اللهُ[(١)].

۞ قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللهُ: وقد ذكر الشافعي رَحِمَهُ اللهُ ما دل على أن ما نتلوه من القرآن بألسنتنا ونسمعه بآذاننا ونكتبه في مصاحفنا يسمى كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ كلم به عباده بأن أرسل به رسوله ﷺ. وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل في كتابه «الإبانة»».

۞ الشَّرح ۞

قوله: «وأن الله عَزَّ وَجَلَّ كلم به عباده بأن أرسل به رسوله ﷺ»: عن طريق جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِعَه من الله جَلَّ جَلَالُهُ، وجاء به إلى محمد ﷺ كما سَمِعَه، فقال له كلَّ ما سمع، ولهذا قال له: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١].

عن أُبيِّ بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**قِيلَ لِي فَقُلْتُ**»[(٢)]، فهذا دليلٌ على أنه بلَّغ كلَّ ما سَمِعَه من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولم يترك حرفًا واحدًا، حتى الأمر الذي وُجِّه إليه قالَه.

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٧٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٧٦).

بعض الناس يكتب في إجازات الإقراء: أقرأني فلانٌ، عن فلانٍ، عن فلانٍ إلى أن يقول: أقرأني رسول الله ﷺ، ثم يقول: أقرأني جبريل عليه السلام، ثم يقول: وجبريلُ أخذَه من اللوح المحفوظ! وذلك حتى يتحاشى أنَّ الله ما تكلَّم به، ولا سمِعَه جبريلُ منَ الله جل جلاله، وإنما أخذه من اللوح المحفوظ!

بهذا يكون القرآن قديمًا أزليًّا تكلَّم به، وكُتِب في اللوح المحفوظ، ثم لم يتكلَّم بعد ذلك! وهذا باطلٌ.



﴿ «قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب الجزية»: من جاء من المشركين ـ قال: يعني: الإمام ـ أن يجيره حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه كان ذلك فرضًا على الإمام؛ لقول الله لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

الشَّرح

«**الإمام**»: هو كلُّ من كان يملِكُ الأمر، من الإمام ونائبه، أو من تقلَّد مَنْصِبًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: فإذا طلب المشرك الاستجارةَ وجبتْ إجارَتُه وحمايته.

المعنى: إن جاء مشركٌ يقول: احموني واحفظوني وامنعوا من يتعدَّى عليَّ حتى أسمع ما أُنزل إليكم، أو ما أُنزل إلى محمد ﷺ، أو أسمع وأعرف دينَكم، فهذا يجب أنه يُحمَى، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

* * *



﴿ «وقال في «كتاب الأيمان» فيمن حلف أن لا يكلم رجلًا، فأرسل إليه رسولًا: من قال يحنث ذهب إلى أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١].

﴿ وقال: إن الله تعالى يقول للمؤمنين في المنافقين: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤].

﴿ وإنما نبأهم من أخبارهم بالوحي الذي تنزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ، ويخبرهم النبي ﷺ بوحي الله، قال: ومن قال: لا يحنث، قال: إن كلام الآدميين لا يشبه كلام الله عز وجل، كلام الآدميين بالمواجهة».

الشرح

المقصود: أنَّ الإرسال كلامٌ، فإذا أرسل رسولًا يتكلم عنه فهو كلامُه، ويكون حانثًا، والحنث هو مخالفة المحلوف عليه.

ويقال: إنه لا يحنث إذا أرسل رسولًا، وهذا خلاف الصواب.

قوله: «كَلامُ الآدَمِيِّينَ بِالْمُوَاجَهَةِ»: الصواب: أنه بالمواجهة وبالرسالة أيضًا، وبالإشارة، كلُّه كلامٌ؛ لهذا قال عز وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١].

* * *

﴿ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: وذكر باقي المسألة: وهو فيما قرأته على أبي سعيد بن أبي عمرو في هذين الكتابين أن أبا العباس محمد بن يعقوب حدثهم قال: أنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، فذكره.

﴿ فقد سمى الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على القولين جميعًا ما نسميه من القرآن كلام الله، وأن الله كلَّم به عباده بأن أرسل به رسوله ﷺ، وأن كلام الآدميين وإن كان يكون بالمواجهة في الحكم في أحد القولين فكلام الله تعالى عباده قد يكون بالرسالة والوحي كما جاء به الكتاب، ويسمى ذلك كلامًا وتكليمًا، والله أعلم».



الشَّرح

يعني: لا يكون بالمواجهة، فهذا مراده، وذلك حتى لا يفيد أنه قد يتكلم بكلام فرديٍّ بعدما تكلَّم، فتتعدَّد معانيه، وفرارُه من هذا حتى يتَّفق على المذهب الباطل، والباطل لا يدل الحقُّ عليه، بل الحقُّ يُبطِلُه.

* * *

﷽ «وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل رحمه الله تعالى في كتابه: فإن قال قائل: حدثونا أتقولون: إن كلام الله ﷻ في اللوح المحفوظ؟ قيل له: نقول ذلك لأن الله قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾» [البروج: ٢١ ـ ٢٢]، فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وهو متلو بالألسنة، قال الله تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة: ١٦]، فالقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة كما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]»[1].

الشَّرح

قوله: «أبو الحسن علي بن إسماعيل»: هو الأشعريُّ؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ).

قوله: «في كتابه» وهو كتاب «الإبانة عن أصول الديانة».

قوله: «فالقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة مسموع لنا في الحقيقة».

هذه درجات القرآن الأربعة التي ذكرتُها من قبلُ، أن يكون

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٠٠).

محفوظًا، ويكون مكتوبًا، ويكون أيضًا متلوًّا، ويكون مسموعًا، ولا يخرجه ذلك كلُّه عن أنه كلامُ الله.

أما الكتابة والمِدَاد والوَرَق فهذه أشياءُ مخلوقةٌ، وكذلك حركة الصوت وحركة اللسان والشفتين، كل ذلك مخلوقٌ، ولكن المحرَّك به والمصوَّت به هو كلامُ الله ﷻ، فيجِبُ أن نفصِّلَ بين ما هو مخلوقٌ، وما هو صفةٌ للخالق تعالى وتقدَّس، حتى لا يلتبس الأمر؛ ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال: «إنَّ لفظي بالقرآن مخلوقٌ» فهو جهميٌّ، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدعٌ[1]، وذلك أنَّ اللفظ مصدرٌ، يصحُّ أن يُرَادَ به: الحركة والصوت، ويصحُّ أن يرادَ به: المصوَّت به والمتلفَّظ به، فلما كان فيه لَبْسٌ نهى أن يُطلَق عليه أنه مخلوق أو غير مخلوق.

فقال: من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق» فهو جهمي، ومن قال: «غير مخلوق» فهو مبتدعٌ[2]، مع أنَّ هذه اللفظة أَشكَلتْ على بعض العلماء؛ لأنهم ما فَهِمُوها، وقد ذهب ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الاختلاف في اللفظ» إلى عدم صحة نسبة هذا القول إلى الإمام أحمد[3]، ولكن قد صحَّ عن الإمام أحمد، ورُوِي من أوجه متعدِّدة عنه، وهو صحيحٌ؛ لأنَّ هذا هو المقصود، والواجب أن يُفصَّل، ولا تُذكَر الأمور المجملة التي تشتمل على حقٍّ وباطلٍ؛ حتى يُبيَّن الحقُّ ويُظهَر.

---

(١) انظر: الشريعة، للآجري (١/ ٥٣٥)، الإبانة الكبرى، لابن بطة (٥/ ٣٤٧)، وشرح السُّنَّة، للبربهاري (ص٩٥).

(٢) انظر: مسائل أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ (ص٤١٨).

(٣) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، لابن قتيبة (ص٥٩)، ونصه: «ومن عجيب ما حكي عنه مما لا يشك أنه كذب عليه إذ كان موفقًا بحمد الله رشيدًا أنه قال (ومن زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي، والجهمي كافر، ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة) فكيف يتوهم على أبي عبد الله مثل هذا القول». اهـ.



﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، في «التاريخ»، ثنا أبو بكر محمد بن أبي الهيثم المطوعي ببخارى، ثنا محمد بن يوسف الفربري، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت عبيد الله بن سعيد ـ يعني: أبا قدامة ـ، يقول: سمعت يحيى بن سعيد ـ يعني: القطان ـ، يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩][(١)]».

الشرح

ابتُلِي الإمام البخاري رحمه الله بهذه المسألة، ورُمي بأنه قال: إنَّ لفظي بالقرآن مخلوقٌ، ولم يَقُلْه، بل كَذَبُوا عليه في الواقع ظلمًا وحسدًا، حتى أُخرج من بلدِه، ثم تُوفِّي رحمه الله بعد ذلك.

* * *

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (٩٧)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٥٩٠).

ﷺ «قال الشيخ الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول لا يخالف قول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ. وقد روينا عنه في كتاب الأسماء والصفات أنه أنكر على تلميذه أبي طالب قوله: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وكره الكلام في اللفظ.

ﷺ قال: وسمعت أبا عمرو الأديب يقول: سمعت أبا بكر الإسماعيلي يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن ناجية يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: «مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، يُرِيدُ بِهِ الْقُرْآنَ، فَهُوَ كَافِرٌ»[1].

ﷺ قال الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإنما أنكر قول من تذرع بهذا إلى القول بخلق القرآن، وكان يستحب ترك الكلام فيه لهذا المعنى، والله أعلم».

الشَّرْح

قوله: «وهذا القول لا يخالف قول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ...»: يتَّفق معه ولم يُخالِفْه، يريد بذلك أن يفصل المخلوقَ عن الذي هو صفةٌ لله ﷻ، والبخاريُّ نفس المعنى الذي قالَه.

* * *

(١) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (٥٩٠)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٥٣٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٥/ ٣٤٧).

بابُ القولِ في الاستواء

«قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، والعرشُ هو السَّريرُ المشهورُ فيما بين العُقلاء».

الشَّرح

الواجب أن يقول: «الاستواء والعلو»؛ لأنه ذكر الأدلَّة على الاثنين؛ فهو يُثبِتُ الاستواء كما يقولُ أهلُ السُّنَّة، على خلاف كلام الأشاعرة، كذلك العلوُّ، ولكنه ليس على الإطلاق، كما سيأتي.

قوله: «والعرشُ هو السَّريرُ المشهورُ فيما بين العُقلاء»: العرشُ هو سَرير المَلِكِ الذي يجلس عليه، يسمَّى عرشًا، كما قال: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾ [النمل: ٢٣]، ثم قال: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، وذلك لأنه مرتفِعٌ عن الأرض، وكلُّ مرتفعٍ يُسمَّى عرشًا، ولكنه شيء خاصٌّ.

وعرشُ الله ﷻ هو أكبر المخلوقات على الإطلاق، وهو مخلوقٌ، خَلَقَه الله ﷻ ثم استوى عليه، وليس ذلك لحاجةٍ، فالله غنيٌّ عنِ العرشِ وعن غيره، والعرشُ فقيرٌ إليه، فهو يحمل العرش بقدرته تعالى وتقدَّس، ولا يحتاج إلى شيء، ولكنه خلقه واستوى عليه لحكمةٍ أرادها ﷻ، ولهذا ابتُلِي فيه كثيرٌ منَ الناس، وصاروا ينكرونه، وينكرون أيضًا ما يدلُّ عليه من حِكَمٍ.

* * *

۞ «وقال الله ﷻ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وقال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج: ١٥]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآيةَ [غافر: ٧]، وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، إلى سائر ما ورَدَ في هذا المعنى».

الشَّرح

قال الله تعالى: «﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]» هذه الآيات تدلُّ على صفة العُلُوِّ لله تبارك وتعالى.

والعلوُّ ثابتٌ بالأدلة السمعية والعقلية والفطرة، أما الاستواء فهو بالأدلة السمعية فقط.

* * *

﴿ «وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وأرادَ من فوقَ السَّماءِ، كما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، يعني: على جُذوعِ النَّخْلِ، وقال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، يعني: على الأرض، وكُلُّ ما علا فهو سماءٌ، والعرشُ أعلى السَّماوات، فمعنى الآية والله أعلم: أَأَمِنْتُمْ مَنْ على العرشِ، كمَا صرَّحَ بهِ في سائر الآياتِ».

الشَّرح

قوله: «وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾»: حرف الجر «**فِي**» هنا لا يدلُّ على الظرفية، وإنما جاءت بمعنى «**على**»، فيكون المعني بذلك: (مَنْ عَلَى السَّمَاءِ)، فأهل السُّنَّة لهم **مذهبان في هذا**:

أحدهما: أنَّ المراد بالسماء العلوُّ، فلا نحتاج إلى تقييدٍ وتقديرٍ، **ويكون المعنى**: (أأمنتم من في العلو)، وهذا أولى من أن يُقدَّر شيءٌ.

المعنى الثاني: أنَّ (**في**) بمعنى: (**على**) كما ذَكَر الأدِلَّة على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، ليس المعنى أنه أدْخَلَهم في وسَطِ الجذوع وصَلَبهم، ولا المعنى أنك تدخل الأرضَ وتسير فيها، بل تسير فوقها، وهذا واضح.

* * *

﴿ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا بكر بن محمد بن حمدان، ثنا محمد بن غالب، ثنا سعد بن عبد الحميد بن جعفر، ثنا فليح بن سليمان، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ في حديث ذَكَرَهُ: «فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ وَمِنْهُ تَتَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»[(١)].

الشَّرح

وفي رواية: «**جنة عدن سَقْفُهَا عرشُ الرَّحْمٰنِ**»[(٢)].

المعنى: فوقه، وهذا معناه: أنَّ الجنة مستديرة؛ لأنه لا يكون وسَطُ الشيء أعلاه إلا إذا كان كرويًّا، والفردوس هو أعلى الجنة ووسَطُها.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٧٣)، وابن أبي شيبة في «العرش وما رُوِي فيه»، وكتاب «العرش»، للذهبي (ص٣٣٣).



ﷺ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن خالد بن خلي، ثنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[(١)]».

الشَّرح

قوله: «فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»: يدلُّ على الارتفاع والعلوِّ، فالعرش هو أعلى المخلوقات، فأعلى المخلوقات بعد السماوات الجنة، ولكنْ فوقَ الجنة الماءُ، وفوقَ الماء العرشُ، كذلك الكرسي تحت العرش، والعرش فوقَه، والكرسي وسِعَ السماوات والأرض، أما العرش فلا يقدَّر قدْرُه، فهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأرفعها، وليس فوق العرش شيء إلا الله تعالى وتقدَّس، وما وضع عليه من هذا الكتاب الذي كتبه على نفسه، «**لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ...**» يعني: هو الذي كتب ذلك، ولا أحدَ يكتُبُه عليه، ولا يُملِي عليه.

قوله: «إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»، يعني: الرحمة وَسِعَتْ كلَّ شيء، والرحمة أوسع وأغلب وأكثر وأشمل.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٢٢، ٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

﴿ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأخبار في مثل هذا كثيرة، وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته في كل مكان».

الشَّرح

وهذا هو الحقُّ، وهو قولُ أهلِ السُّنَّة؛ أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا فوقَ عرشِه، ولكن هو محيطٌ بكلِّ شيء علمًا وبصرًا وسمعًا وقبضةً، ولا يخْفَى عليه شيءٌ، وسيأتي إشكالٌ على هذا، ثم يُبيَّن الصواب فيه.

* * *

﴿«وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، إنما أراد به بعلمه لا بذاته، ثم المذهب الصحيح في جميع ذلك الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف. وإلى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا: الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية، ووردت به الأخبار الصحيحة، فقبوله من جهة التوقيف واجب، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز».

الشرح

هذا هو الحق؛ من وجوب الإيمان به وقبوله، والتكييف معرفة الكيفية، لا يجوز البحث فيها؛ لأنه لا مطمع فيها للخلق؛ لأنها تتطلب المشاهدة، والمشاهدة حتى لو حصلت لا يمكن أن يحيط بالله ﷻ، ولا يحيط بشيء من علمه إلا بما شاء.

* * *

﴿﴾ «أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الحارث الفقيه، أنا أبو محمد بن حيان، ثنا أبو جعفر أحمد بن زيرك اليزدي قال: سمعت محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري، يقول: سمعت يحيى بن يحيى، يقول: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه، حتى علاه الرحضاء ثم قال: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يخْرجَ»[(١)]».

الشَّرح

قوله: «الرُّحضاء»: هو العرق، صار يتصبَّب عرقًا من شدَّةِ خوفِه من الله، ومن أنَّ هذا كلامٌ من المنكر العظيم الذي يجب أن يُنكَر، ولهذا قال هذا القول.

وهذا القول من الإمام مالك يقال في كلِّ صفةٍ من صفات الله، إذا قيل مثلًا: كيف ينزل؟ قيل: النزول معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عن الكيفية بدعة وضلالة، والذي يسأل مثل هذا يكون رجلَ سوءٍ ضالًا، يجب أنه يُبعَد عن مجالس العلم، ويُهجَر حتى يرجِعَ، حتى لا يُعدِي الناس ويُفسِدَ عليهم عقيدتهم.

وكذلك إذا قيل: كيف يده؟ وكيف وجهه؟ نقول: اليد معلومة، والكيف مجهول، والإيمان بها واجب، والسؤال عن الكيفية بدعةٌ وضلالةٌ.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٨٦٧).

فهذا الجواب من الإمام مالك يَصلُح لجميع صفات الله تعالى، ورُوي أنَّ هذا الجواب أيضًا قاله شيخُه ربيعةُ، بل رُوي أنه قالته أمُّ سلمة ـ أم المؤمنين ـ رضي الله عنها[1].

* * *

---

(١) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٨)، واللالكائي (٣/ ٣٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٣٣)، وابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).

ﷺ «قال الشيخ: وعلى مثل هذا، درج أكثر علمائنا في مسألة الاستواء وفي مسألة المجيء والإتيان والنزول، قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]».

الشرح

نعم؛ إن هذا حقٌّ على ظاهره، يأتي بنفسه ـ تعالى وتقدَّس ـ للفصل بين عباده، كما قال ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ [الزمر: ٦٩].

* * *

ﷺ «أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، ثنا أحمد بن سلمان، قال: قرئ على سليمان بن الأشعث، (ح).

ﷺ وأخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا القعنبي، عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، وعن أبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة، ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «يَنْزِلُ اللهُ ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(١)].

ﷺ قال ﷺ: وهذا حديث صحيح رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ، وأصحاب الحديث فيما ورد به الكتاب والسُّنَّة من أمثال هذا، ولم يتكلم أحد من الصحابة والتابعين في تأويله، ثم إنهم على قسمين:

ﷺ منهم من قَبِلَهُ وآمن به ولم يُؤَوِّلْهُ وَوَكَلَ علمه إلى الله ونفى الكيفية والتشبيه عنه.

ﷺ ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد. وقد ذكرنا هاتين الطريقتين في كتاب «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» في المسائل التي تكلموا فيها من هذا الباب».

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

الشَّرح

قوله: «منهم من قَبِلَهُ وآمنَ به ولم يُؤوِّلهُ وَوَكَلَ علمه إلى الله...»: يجب أن نحمل قوله: «**عِلْمَه**» على الكيفية، أما العلم المفهوم مِنَ النزول من الأعلى إلى أسفل فهو شيءٌ واضحٌ، مثلَ ما سبقَ في الاستواء عند الإمام مالك، أما الكيفيَّةُ: فلا يجوز الاشتغالُ بها ولا السؤال عنها؛ لأنها مجهولةٌ، فيكون هذا الكلامُ صحيحًا، ليس كما يقول المعلِّق.

وقوله: «ومنهم من قبله وآمن به وحمله على وجه يصح استعماله في اللغة ولا يناقض التوحيد...»: هذا يقصد به التأويل الذي يقول: العلوُّ هو القهرُ، علُوُّه قهرُه، ومجيئُه نزولُه، هو إما مجيء رحمته، أو أمره، أو ما أشبه ذلك، فهذا تأويلٌ فاسدٌ وباطلٌ، لا يجوز أن نقول به، ولهذا لم يقُلْه أحدٌ مِنَ السَّلفِ، بل آمنوا به.

* * *

﴿ «وفي الجملة يجب أن يعلم أن استواء الله سبحانه وتعالى ليس باستواء اعتدال عن اعوجاج ولا استقرار في مكان، ولا مماسة لشيء من خلقه، لكنه مستو على عرشه كما أخبر بلا كيف بلا أين، بائن من جميع خلقه، وأن إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان، وأن مجيئه ليس بحركة، وأن نزوله ليس بنقلة، وأن نفسه ليس بجسم، وأن وجهه ليس بصورة، وأن يده ليست بجارحة، وأن عينه ليست بحدقة، وإنما هذه أوصاف جاء بها التوقيف، فقلنا بها ونفينا عنها التكييف، فقد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]».

الشرح

كلُّ هذا الكلام كلامٌ بدعيٌّ، لا يقوله أهل السُّنَّة، بل هذا من كلام المتكلِّمين، الكلام الذي خالف الحقَّ وخالف المذهب الصحيح، فهذه الأوصاف واضحةٌ وظاهرةٌ؛ اليدُ والوجهُ والصورة، أما أن نقول: إنها ليست بكذا، ليست بكذا: فهذا لا يجوز، بل يجب أن تُطلَقَ كما أطلقها الله جل جلاله.

والمفهوم منها: الذي يليق بعظمة الله جل جلاله، وليس هو المفهوم من هذه الأسماء التي تكون للمخلوق، تعالى الله وتقدَّس، حتى نحتاج إلى هذا الكلام الذي يقوله البيهقيُّ رحمه الله، عفا الله عنا وعنه، فإنه اتَّبع في هذا أهلَ الكلام، وأهلُ الكلام خالفوا الفطرة في هذا، وخالفوا المفهوم من النصوص، وجاءوا بشيء لا يُحتاج إليه، بل هو فضلةٌ زائدٌ، والذي يدعو

إليه التوهُّمُ؛ أي: توهَّموا هذه الأوصاف كأوصاِف المخلوق، تعالى الله وتقدَّس عن ذلك.

ومعلومٌ أنَّ النزول هو نزولٌ مِنَ العلوِّ إلى أسفل، ولكن إذا نزل ﷻ لا يكون شيء فوَقه، وليس نزولُه كنزولِ المخلوق الذي نزلَ مِنَ العلوِّ، تعالَى وتقدَّس.

أما كونه سبحانه يحدد النزول بآخر الليل، أو بثلث اللَّيل الآخر، فهذا قد يَعسُر فهمُه على كثير من الناس، ولهذا رَدُّوه؛ لأنه قال: لو قلنا بموجِبِه للَزِمَنا أن نقول: إنه نازلٌ أربعًا وعشرين ساعةً؛ لأنه كلَّما انتهى آخر الليل من بلدٍ، بدأ ببلدٍ آخرَ، وهكذا حتى تدور على الأرض كلِّها؛ وعليه، فيبقى آخر الليل موجودًا أربعًا وعشرين ساعة.

فقالوا: يجب أن نؤوِّلَ هذا النزولَ الذي ذكرَه الرسولُ ﷺ.

فيقال لهم: هذا صحيحٌ لو كان النزولُ كنزول البشر الذي تعهدونه من أنفسكم، أما نزول ربِّ العالمين فلا يلزم هذا؛ لأنَّ أفعاله ليست كأفعال الخلق، ولهذا يستمع ﷻ لعباده كلِّهم في آنٍ واحدٍ، ولا يشغَلُه سماعُ هذا عن سماعِ ذاك، وكذلك محاسَبَتُه لهم يوم القيامة، يحاسِبُهم في وقتٍ واحدٍ، وكلٌّ واحدٍ يظنُّ أنه يحاسَبُ وحدَه، وهكذا كلُّ أفعالِ الله على خلاف أفعال المخلوق.

وعليه؛ فلا يكون في هذا معارضةٌ أو إشكالٌ، ثم يُرَدُّ حديث الرسول ﷺ الثابت؛ لأجل أنهم تصوَّروا أنَّ النزول كالنزول المعهود لهم، فردُّوا الحديث كما **قال المؤلف**: «**وأن نزوله ليس بنقلة**»، هذا كلامٌ باطِلٌ ولا نحتاجُ إليه.

* * *

﴿ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن بشر بن مطر، ثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فقالوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفِيَّةٍ»[1]».

الشَّرح

قوله: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ»؛ أي: أن الحقَّ منها واضحٌ ومفهومٌ، فلا تحتاجُ إلى تأويلٍ، ولا إلى تفسير الجهميَّة، الذين فسَّروها بالتأويل الفاسد، وليس معنى ذلك أنهم يقصدون التفويضَ، الذي يزعمه بعض الناس بأنه مذهب السلف.

والتفويض معناه: (غير معلوم)، فيفوِّض إلى قائلِه، ولا نستغرق فيه، وهذا جهلٌ، والله ما أنزل كتابَه ليفوِّض، أنزل كتابه ليُفْهَم، قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، فهذا أبطلُ من مذهب التأويل، التأويل أحسن من هذا المذهب الخبيث، الذي هو مذهبُ التفويض، الذي ينبغي أن يُسمَّى مذهب الجهل، فهو جهلٌ محضٌ، والجهل لا يكون طريقًا إلى المعرفة أو إلى السَّلامة، بل طريقٌ إلى النَّدامة والضَّلالة.

وهؤلاء هم الذين قالوا: إنَّ طريقة السَّلفِ أسلمُ، وطريقةَ الخلفِ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٨٧٥)، والآجري في «الشريعة» (٣١٤)، والدارقطني في «الصفات» (٦٧)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٩٥٥).

أعلمُ وأحكمُ، وهم يقصدون بالخَلَفِ هنا الأشاعرة ونحوهم، ويقصدون بقولهم: (أعلم) أنهم عيَّنوا المعاني بالتأويلات الفاسدة، أما السَّلَف عندهم ففوَّضوا وصاروا بمنزلة الذي يسمع الكلام ولا يفهَمُه.

* * *

﴿ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن يزيد، سمعت أبا يحيى البزار، يقول: سمعت العباس بن حمزة، يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: كل ما وصف الله من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه»[1].

الشرح

يعني: أنه واضِحٌ ظاهِرٌ فلا يُفسَّر ولا يحتاج إلى تأويل.

* * *

(١) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (٦٨٣، ٩٠٦).

ﷺ «قال الشيخ: وإنما أراد به والله أعلم فيما تفسيره يؤدي إلى تكييف، وتكييفه يقتضي تشبيهًا له بخلقه في أوصاف الحدث».

الشَّرْح

ليس الصواب كذلك، فالتكييف شيءٌ، والتفسير شيءٌ آخر، التكييفُ طلبُ الكيفية ومعرفتُها، والكيفيةُ هي الحالة التي يكون عليها الموصوف، فهذه لا أحدَ يطمع فيها، وهذه التي يُنهى عنها، أما التفسير فهو إيضاح الكلام وتبيِينُه لمن يجْهَلُه، فيفَسَّر ويوضَّح لمن يجهله، ولكن يدخل في التفسير التأويل؛ لأنهم سمُّوا التأويلَ تفسيرًا، وهذا مرادُ السَّلف، يقول: لا تفسر؛ أي: لا تُؤوِّل، يقصد بذلك: تفسير أهل الكلام.

* * *

۞ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا محمد بن بكر، ثنا أبو داود، ثنا القعنبي، ثنا يزيد بن إبراهيم، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ٧].

۞ قالت رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني أبو بكر محمد بن علي الفقيه القفال، ثنا عمر بن محمد بن بجير، ثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: قال لي محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله: لا يقال للأصل لِمَ، ولا كيف؟

۞ قال الشيخ: وقال في رواية الربيع بن سليمان عنه: الأصل كتاب، أو سُنَّة، أو قول بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أو إجماع الناس.

۞ أخبرناه أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان قال: قال الشافعي، فذكره».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

الشَّرح

هذا الحديثُ الذي ذكره الله ﷻ في كتابه: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، **(أُمُّ) يعني**: أصله الذي يرجع إليه، فإذا أرجع المتشابه إليه أزال الاشتباه، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، **يعني**: متشابهات على بعض الناس، وليس على الكلِّ.

ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧]، **يعني**: طلبًا للفتنة التي هي الضلالُ، ظَلُّوا يتعلقون بها حتى يستدِلُّوا بها على ضلالهم، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: يعني: أنهم يتأولونه على غير تأويله.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، من القراء من وقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وجعل هذا وقفًا لازمًا، ثم يبتدئ الكلام ويقول: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وهذا حقٌّ له معنى صحيحٌ، ومنهم من لا يقِفُ هنا، ويقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، **يعني**: أنَّ الراسخين في العلم يعلمون تأويله، كما قال ابن عباس ﵄: «**أنا ممن يعلم تأويله**»[1]، يعني: مِنَ الراسخين في العلم، الذين يعرفون تأويله.

والمقصود: أنَّ التشابُه أمرٌ نسبيٌّ؛ قد يكون متشابهًا عند إنسان، وغير متشابِهٍ عند آخر، فمن تشابَه عليه شيءٌ من ذلك وجبَ أن يَرُدَّه إلى البَيِّن الظاهر، كقول الله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، هذا أمرٌ واضِحٌ وظاهرٌ وبيِّنٌ، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠).

قد يتعلق بعضُ الناس بهذا، فيقول: الله في الأرض وفي السماء، فنقول: تُرجَع إلى الآية الأولى ويزول هذا الاشتباه، ونحو هذا من الأمور التي قد تَشْتَبه على بعض الناس.

فالحقيقة أنَّ الكلامَ كلامُ الله، لا يُناقِضُ بعضُه بعضًا، ولا بعضُه يدلُّ على باطلٍ أبدًا، كلُّه يدلُّ على حقٍّ، وكلُّه متَّفِقٌ ويُصدِّقُ بعضُه بعضًا، ولكن الاشتباه قد يكون بالمفاهيم، قد يغلط الإنسان، وما عَرَف المراد؛ مثل من يقول: (إنَّ الله في كلِّ مكانٍ)، ثم يتعلَّق بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

والواجب على العبد: أن يأخذ عقيدته من كتاب الله ﷻ، وأن يسير معه ويؤمن به، كما آمن به الصحابة والتابعون لهم بإحسان، أمَّا أنْ يأتي بخلاف ذلك فهذا ضلالٌ.



باب القول في إثبات رؤية الله ﷻ في الآخرة بالأبصار

«قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: ٢٢]، يعني: يوم القيامة، ﴿نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، يعني: مُشرِقةً، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]...»

الشَّرح

ثبت في مسألة الرؤية أنها بالأبصار، وليست بالبصائر، كما يقول البعض: بأنها زيادة علم، قال بذلك بعض الأشعرية؛ لأنهم ينكرون الرؤية بناء على نفي العلو، يقولون: إنَّ الله في كلِّ مكانٍ؛ ولهذا لما قالوا بالرؤية، سألهم المعتزلة: قالوا لهم: من أين يُرى الله؟ فقالوا: من كلِّ جهةٍ، فسخروا منهم، وقالوا: هذا شيءٌ غير معقول! فصاروا بعد ذلك مذبذبين في إثبات الرؤية، فاضطروا إلى أن يفسِّروها بزيادة العلم أو برفع الحجاب؛ ومعنى قولهم هذا: إذا زاد علم الإنسان يرى ربَّه في هذه الدنيا، أو يرفع له الحجاب.

البيهقي رحمه الله أثبتها كما أثبتها أهلُ السُّنَّة، ولم يسلك مسلك هؤلاء؛ لأنه مسلكٌ باطِلٌ، ولهذا صرَّح بقوله: «**رؤية الله ﷻ في الآخرة بالأبصار**»: قال: في الآخرة؛ لأنه لا يرى في الدنيا.

قالَ ﷺ يومَ حذَّرَ النَّاسَ الدَّجالَ: «**إنَّهُ مكتُوبٌ بين عَينَيهِ كافرٌ،**

يَقرؤُهُ منْ كرِهَ عَملهُ، أو يَقرؤُهُ كُلُّ مُؤمنٍ»، ثم قال: «لن يرَى أَحدٌ مِنكُمْ ربَّهُ ﷻ حتَّى يمُوتَ»(١).

قوله: «**بالأبصار**»: حتى لا يكون كما تأوَّلوه بزيادة علمٍ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩) واللفظ له، عن عبد الله بن عمر ﭬ.

ﷺ «وليس يخلُو النَّظرُ من وجُوهٍ:

ﷺ إما أن يكون الله ﷻ عنى به نظر الاعتبار كقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝﴾ [الغاشية: ١٧].

ﷺ أو يكون عنى به نظر الانتظار كقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩].

ﷺ أو يكون عنى به نظر التعطف والرحمة كقوله: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾.

ﷺ أو يكون عنى الرؤية كقوله: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد: ٢٠].

ﷺ ولا يجوز أن يكون الله سبحانه عنى بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٣] نظر التفكر والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار، وإنما هي دار اضطرار، ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأنه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، والآية خرجت مخرج البشارة، وأهل الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم، فهم ممكنون مما أرادوا وقادرون عليه، وإذا خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون الله أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٣] نظر الانتظار؛ ولأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجوه فمعناه: نظر العينين اللتين في الوجه كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

[البقرة: ١٤٤]، وأراد بذلك تقلب عينيه نحو السماء؛ ولأنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]، ونظر الانتظار لا يكون مقرونًا بـ «إِلَى» لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار: «إِلَى»، ألا ترى أن الله ﷻ لما قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٤٩] لم يقل: «إِلَى»؛ إذ كان معناه الانتظار، وقالت بلقيس فيما أخبر الله عنها: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝٣٥﴾ [النمل: ٣٥]، فلما أرادت الانتظار لم تقل: «إِلَى».

ﷺ قلنا: ولا يجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التعطف والرحمة؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم، فإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]: أنها رائية ترى الله ﷻ، ولا يجوز أن يكون معناه: إلى ثواب ربها ناظرة؛ لأن ثواب الله غير الله، وإنما قال الله ﷻ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ [القيامة: ٢٣]، ولم يقل: إلى غير ربها ناظرة، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، ألا ترى أنه لما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، لم يجز أن يقال: أراد ملائكتي أو رُسُلِي، ثم نقول: إن جاز لكم أن تدعوا هذا في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] جاز لغيركم أن يدعيه في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فيقول: أراد بها: لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه الأبصار، وإذا لم يجز ذلك لم يجز هذا».

الشَّرح

هذا من أجمل ما يقال في الردِّ على المنكرين للرُّؤية.

واستدلالُه بالآية من هذه الأوجه، وإبطالُ ما قاله الزمخشري[١]؛ حيث جعل «إلى» (آل)، حتى تتفق مع مذهبهم مذهب المعتزلة الفاسد الذي ينفي الرؤية لله تعالى في الآخرة.

ولا يجوز فيها معنى الانتظار، كما قال بعضهم أيضًا؛ لأنَّ الانتظار فيه تنقُّصٌ وتأكُّد، ولا يكون في الجنة انتظارٌ.

فالمقصود: أنَّ النظر إلى وجه الله ﷻ جاء صريحًا، وذاتَ مرَّةٍ ابتدأ الرسول ﷺ الصحابة بالكلام؛ فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**»[٢].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أن هذا الحديث صريح في دلالته؛ فالنبي ﷺ «لم يدع لمتأول فيه مقالًا»[٣]، فكلامُ رسول الله ﷺ في هذا واضحٌ جليٌّ.

وكذلك في القرآن آياتٌ متعدِّدةٌ؛ منها هذه الآيات التي ذَكَرها المؤلف، وذكر وجه الاستدلال منها، وذكر أنَّ تأويلها باطلٌ من كلِّ وجهٍ مِنَ الوجوه التي قالوها، فتعيَّن أن يكون هو النَّظَر، وفي حديث الرسول ﷺ يقول: «**أسألك لَذَّة النَّظر إلى وجهك الكريم**»[٤].

وقوله: «أراد بها: لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه الأبصار»: نقول: الرؤية غير الإدراك، يعني: يُرَى الشيء ولا يُدرَك، كما قال الله ﷻ في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢]، فنفى الإدراك مع الرؤية،

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٦١ ـ ٦٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.
(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٤٠٢).
(٤) تقدم تخريجه.

كلُّ فريقٍ شاهَدَ الآخر، فبنو إسرائيل شاهدوا فرعون وجنده، وفرعون يشاهد بني إسرائيل، هذا معنى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾؛ أي: كلُّ جمعٍ رأى الآخر، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾ فدل على أنه يُرى الشيء ولا يُدرك.

كما قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما لمن سألَهُ عن الرُّؤية وأوردَ عليه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فقال رضي الله عنه: «ألَسْتَ ترَى السَّماءَ؟ قالَ: بلَى. قالَ: أَفتُدرِكُهَا؟ قالَ: لا. قالَ: فاللهُ ـ تعالى ـ أعظمُ وأجَلُّ»[1]، فهو يُرى ولا يُدرك، والرؤية لوجهه ـ تعالى وتقدَّس ـ، وليست الرؤية تحيط به، فاستدلال المعتزلة بهذه الآية ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] استدلال باطلٌ، بل أهل السُّنَّة استدلوا بها على الرؤية، جعلوها دليلًا من أوجهٍ.

* * *

---

(١) الدرر السنية (٣/ ٢٩)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥١٣)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣١٠).

﴿ «ولا حجة لهم في قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإنه إنما أراد به: لا تدركه أبصار المؤمنين في الدنيا دون الآخرة».

الشرح

المقصود أن الرؤية في الآخرة، يرون الله ولا يدركونه.

* * *

❁ «ولا تدركه أبصار الكافرين مطلقًا، كما قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥]».

الشرح

أي: سيُحرَم الكافرون من هذه النعمة العظيمة.

❁ ❁ ❁



ﷺ «فلما عاقب الكفار بحجبهم عن رؤيته دل على أنه يثيب المؤمنين برفع الحجاب لهم عن أعينهم حتى يروه».

الشَّرْح

قال بعضُ الأشاعرة برفع الحجاب عن عيونهم، وأنَّ الرؤية هي رفعُ الحجاب فقط، ويكون هذا عندهم في الدنيا، وهذا عينُ التأويلات الباطلة.

فيكفينا أن نقول: إنَّ الإدراك غير الرؤية، والرؤية للمؤمنين لوجه الله ﷻ، وليست إحاطة بالله ﷻ، تعالى الله وتقدَّس، ولهذا أعرَفُ الناس وأعلَمُهم بالله يقول: أسأَلكَ لذّةَ النَّظر إلى وجهِكَ الكريم[1].

* * *

(١) تقدم تخريجه.

﴿ «ولما قال في وجوه المؤمنين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [القيامة: ٢٢]، فقيدها بيوم القيامة ووصفها، فقال: ﴿نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، ثم أثبت لها الرؤية فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، علمنا أن الآية الأخرى في نفيها عنهم في الدنيا دون الآخرة، وفي نفيها عن الوجوه الباسرة دون الوجوه الناضرة جمعًا بين الآيتين حملًا للمطلق من الكلام على المقيد منه».

الشَرْح

والجمع بين الآيتين هو ما سبق، لسنا بحاجةٍ إلى هذا الكلام الذي لا يصحُّ.

نقول: الجمع بين الآيتَين أنه لا مخالفةَ ولا معارَضَة بين الرؤية والإدراك، فتحصل الرؤية ولا يحصل الإدراك.

* * *

۞ «ثم قد قال بعض أصحابنا: إنما نفى عنه الإدراك دون الرؤية. والإدراك هو الإحاطة بالمرئي دون الرؤية، فالله يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا».

الشَّرْح

وهذا هو الصحيح، والغريب أنه كثيرًا ما يذكر القول الصحيح بلفظ التمريض، أو أنه قيل، أو قال كذا، بعدما يذكر القول المرجوح!

الأول مرجوح، والقول الأخير هذا هو الصحيح.

* * *

﴿ «ومما يدل على أن الله ﷻ يرى بالأبصار قول موسى الكليم ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولا يجوز أن يكون نبي من الأنبياء، قد ألبسه الله جلباب النبيين وعصمه مما عصم منه المرسلين، يسأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى ﷺ فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلًا، وأن الرؤية جائزة على ربنا ﷻ».

الشَّرح

يعني: أنَّ سؤال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لا يدُلُّ على أنَّ الناظر إليه يُحيط به، ولكن يدلُّ على أن الرؤية ممكنة عقلًا وليست واقعة فعلًا، فالرؤية في الدُّنيا ممكنة عقلًا غير واقعة فعلًا؛ لأنها لا تقع ولا يمكن لها أن تحدث؛ لأنه كما قال الله ﷻ: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فتعليق الرؤية على إمكان استقرار الجبل أمرٌ معقولٌ، فلما كشف الحجاب عن شيء قليلٍ، تدكْدَكَ الجبلُ وزَال، وعند ذلك خرَّ موسى صعقًا مغشيًّا عليه، ثم أفاق وقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ في أنه لا يمكن لهذه الأجسام في الدنيا أنْ ترى ربَّ العالمين، كما جاء في حديث أبي موسى ﷺ؛ حيثُ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ، قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[(١)]، وبصُره لا يمكن أنه يحجبه شيء.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

وتركيب الأبدان في هذه الحياة تركيبٌ ناقصٌ، جُعل عرضةً للأمراض والأسقام والعاهات والموت، فإذا رُكِّب التركيب الكامل يوم القيامة استطاع المؤمن أن يرى ربَّه ﷻ؛ ولهذا قال لنا رسولنا ﷺ: «**تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت**»[(١)].

ولكنَّ بعض الناس يستشكل برؤية المنام، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»[(٢)]؛ أي: في منامه.

ورؤية المنام ليست حقيقية، فإنها أمثالٌ تُضرَب، حتى أنَّ غير الرسول ﷺ قد يرى ربَّه في النوم، ولا يكون ذلك حقيقيًّا، وإنما هو أمثلةٌ، فيرى صورةً على حسب إيمانه، فلما كان إيمان الرسول ﷺ أحسن الإيمان، قال: «**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**»، فهي رؤية منامية، فمن كان إيمانه حسنًا رأى شيئًا حسنًا.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٣٤)، والترمذي (٣٢٣٤)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٤١).



ﵞ «ومما يدل على ذلك قول الله ﷻ لموسى ﵇: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلما كان الله قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًّا كان قادرًا على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى، فدل ذلك على أن الله قادر على أن يري نفسه عباده المؤمنين، وأنه جائز رؤيته».

الشَرح

نقول: جائزٌ عقلًا، أما أنه جائزٌ في الواقع وفي الشرع؛ فلا.

* * *

۞ «وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أراد به: في الدنيا دون الآخرة بدليل ما مضى من الآية؛ ولأن الله تعالى قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، واللقاء إذا أطلق على الحي السليم لم يكن إلا رؤية العين، وأهل هذه التحية لا آفة بهم؛ ولأنه قال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

۞ وقد فسر رسول الله ﷺ المبين عن الله ﷻ، فمن بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه، والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة أن الزيادة في هذه الآية النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى[(١)]، وانتشر عنه وعنهم إثباتُ رؤية الله ﷻ في الآخرة بالأبصار، ونحن ذاكرون أقوال بعضهم على طريق الاختصار، فقد أفردنا لإثبات الرؤية كتابًا، وبالله التوفيق».

الشَّرح

سبق أنَّ الرؤية التي تكون يوم القيامة ثابتةٌ بكتاب الله ﷻ وبسُنَّة رسوله ﷺ ثبوتًا قطعيًّا لا شكَّ فيه؛ لأنَّ الرسول ﷺ بيَّنها بيانًا واضحًا، فجاء بألفاظٍ لا يستطيع من أوتي الفصاحة والبلاغة أن يَأتِيَ بمثل ما أتى به من هذا البيان، فمثَّل ظهور الرؤية ووضوحها بما هو أوضح مثل الشمس في صحوة النهار صَحْوًا ليس فيها سحابٌ ولا قترٌ، وكذلك القمر أوضح ما يكون في ليلة بدر، قال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون**

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»[١]، وكذلك قال: «**القمر**»، وهذا كرره مرَّةً ابتداءً منه ﷺ، ومرَّةً جوابَ سؤالٍ سألوه وتكرَّر، ولهذا جاءت الأحاديثُ عن عدد لا بأس به من الصحابة في هذا، فهذا يدُلُّنا على أنه قاله في مجالس متعدِّدة، وفي القرآن كثيرٌ من الإخبار باللِّقاء؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

يقول العلماء: اللقاء في الآخرة يتضمن المعاينة، ولهذا ذكره **المؤلف هنا**: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، والآيات في هذا كثيرة، والذي أنكر الرؤية هم الضُّلَّال من المعتزلة ونحوهم، والسبب في هذا أمور متوهَّمةٌ مبنيَّةٌ على ظنونٍ كاذبةٍ، وهي أنهم يقولون: إن الرؤية لا يمكن أن تكون إلا إذا كان أمامَك شيءٌ يصطدم به النظر، والذي يصطدم به النظر لا بدَّ أن يكون جسمًا، فإذا أثبتم الرؤية لزمكم أن تثبتوا أن الله جسمًا ـ هكذا يقولون ـ وهذه تُرَّهات اخترعوها يردُّون بها النصوص الواضحة، والجسم لفظٌ مجمَلٌ لا يجوز إثباتُه ولا نفيه إلا بالتفصيل، ولما سئلوا ما هو الجسم؟ فاختلفوا فيه:

ـ منهم من يقول: ما صحَّت الإشارة إليه هنا أو هناك.

ـ ومنهم من يقول: ما شغل مكانًا.

ـ ومنهم من يقول: المتركب من أجزاء.

وكلُّ هذا ليس صحيحًا، فالجسم في اللغة هو البدن، كما قال ﷻ: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ولكن الله ﷻ مخالفٌ لخلقِه، ليس كمثله شيء، ولا يعلل هذا النفي هذا الأمر الذي أخبر به الرسول ﷺ بأمورٍ متوهَّمِة كاذبةٍ، وهذه عادتهم هكذا.

---

(١) تقدم تخريجه.

ولكن المؤلف سيأتينا كلامه في أنه يُؤوِّل كلامَه إلى إبطال الرؤية، وهذه مشكلةٌ في الواقع، هو أبطلها وأثبتها بالأدلة الصحيحة، وبالنَّظر الصحيح، ثم يعود مرَّةً أخرى ويقول: كلٌّ يراه من جهته التي هو فيها.

والسبب في هذا: أنَّ هذه المسائل تُبنَى على أدلة باطلةٍ، وهو أنه بنى هذا على نفي العلوِّ لله ﷻ، والعلوّ في هذا هو الأصل والأساس، ويجب على كلِّ مؤمنٍ أن يثبت أنَّ الله فوق في كلِّ موقف يقفه من عباداته، فإذا سجد يقول: «سبحان ربي الأعلى»، ولا يقول: سبحان ربي الأسفل، أو الذي معي، أو الذي عن يميني، أو عن شمالي، وإذا أراد أن يدعو رفع يديه إلى السماء.

وعليه؛ فإثبات العلوِّ أصلٌ في العقيدة التي لا بدَّ منها، فمن نفى العُلُوَّ صار متذبذبًا ما يدري كيف يعبد ربه ﷻ؟! ولهذا قال كثيرٌ من العلماء: إنَّ هذا كفرٌ بالله ﷻ، ولكن الناس الذين قامت عندهم شُبَهٌ، وتربَّوا عليها، لا يجوز أن نكفِّرَهم؛ لأنهم زَعَموا أنهم فَرُّوا من الكفر، وقالوا هذا تجنبًا الوقوع في الكفر في اعتقادهم؛ لأنهم يقولون: من قال: إنَّ الله ﷻ في مكانٍ، صار مُشبِّهًا لله ﷻ، وتشبيه الله كفرٌ، ومن أئمتهم في ذلك: إمام الحرمين الجويني.

المقصود: أن إثبات علو الله ﷻ أمرٌ ضروريٌّ لا بدَّ منه؛ وسبق أن قلت قبل ذلك: أن الاستواء ثبت بالنصوص، أما العلوُّ فثبت بالنصوص وبالعقل وبالفطرة، فكان ضروريًّا لا بد منه، فمن أنكره مع وجود الأدلة وانتفاء الشبه والعلل التي قد يتعلل بها يكون كافرًا.

* * *



﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان، وأبو الحسين بن بشران، في آخرين ببغداد قالوا: أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن صهيب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا لَمْ تَرَوْهُ. قَالَ: فَيَقُولُونَ: فَمَا هُوَ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ ﷻ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ. قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»[(١)]».

الشَّرح

هذا يكون تفسيرًا للآية، ودليل على النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا جاء له نظائر في كتاب الله، كما قال ﷻ لما ذكر أهل الجنة في سورة ﴿قٓ﴾ قال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

❁ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: ورواه هدبة بن خالد، عن حماد بن سلمة بإسناده ومعناه، إلا أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ وَلَا أَقَرُّ لِأَعْيُنِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[1].

❁ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو النضر الفقيه، ثنا محمد بن نصر المروزي، ثنا هدبة، ثنا حماد بن سلمة فذكره.

❁ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وروينا عن أُبي بن كعب، وكعب بن عجرة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمٰنِ»[2].

❁ أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا محمد بن الجهم، ثنا الفرّاء، حدثني أبو الأحوص عن أبي إسحاق (ح).

❁ وأخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو حامد بن بلال، ثنا أحمد بن منصور المروزي، ثنا عمر بن يونس، أنا محمد بن جابر، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «زيدوا النظر

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٤٣).

(٢) لم أقف عليه مرفوعًا إلا فيما رواه المصنف، وقد أخرجه الدارقطني في «رؤية الله» (ص١٥٧) موقوفًا على أبي موسى رضي الله عنه.
رواه الطبري في «التفسير» (١١/ ٧٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٧٨٠)، والفسوي في «التاريخ» عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

إلى ربهم»[١].

﴿ وفي رواية أبي الأحوص قال: «النظر إلى وجه الرب ﷻ»[٢]، قال ﷺ: تابعهما إسرائيل، عن أبي إسحاق، وروينا هذا التفسير عن حذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما[٣].

﴿ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا أبو الأشهب هوذة بن خليفة، حدثنا عوف، عن الحسن ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: الجنَّة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «النظر إلى وجه الرَّب ﷻ»[٤].

﴿ قال الأستاذ الإمام رحمه الله: وروينا عن سعيد بن المسيب وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وعبد الرحمٰن بن سابط، وقتادة، وغيرهم من التابعين معنى قول الحسن البصري في تفسير الزيادة في هذه الآية: بالنظر إلى وجه ربهم ﷻ»[٥].

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١١٧)، والدارقطني في «الرؤية» (ص٢٩٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٤)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٦٦٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٤٧٠)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٩).

(٣) أثر حذيفة رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٤، ٢٦٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩١)، والآجري في «التوحيد» (٦٣٢).
وأثر أبي موسى رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٥)، وابن خزيمة (٢٦٧)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٧٤).

(٤) رواه الإمام الطبري في «التفسير» (١١/ ٧٥).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٩٢٤).

الشَّرْح

كلُّ هذا متابعةً لرسول الله وتبليغًا عنه ﷺ وليس استنتاجًا وإنما هو نقلٌ عن الرسول ﷺ كما سبق في صحيح مسلم وغيره.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أبو نعيم، ثنا سلمة بن سابور، عن عطية، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: ٢٢]، يعني: حُسنها، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: «نظرت إلى الخالق»[(١)]».

الشَّرح

سبق أنْ بيَّن المؤلف أكثر من هذا في أول الباب؛ حيث قال: إذا جاء النظر بذكر الوجوه فلا يكون إلا بالنظر في الأعين، ولا يصحُّ أن يكون بمعنى الانتظار، ولا يصح أن يكون بالنظر إلى النعيم والآل كما يقوله الذين ينفون الرؤية، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: ٢٢] يعني: بهية جميلة حسنة من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] يعني: تنظر بأعينها إلى خالقها جل وعلا فيكون هذا أيضًا من الآيات الواضحة الجلية، وكلُّ تفسير يخالف هذا فهو تعسف وخروج عن المعنى المراد.

* * *

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٤٨٥)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٤).

﴿ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا عبد الرحمٰن بن الحسن القاضي، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: ٢٢] قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣] قال: تنظر إلى ربها ﷻ حسَّنها الله بالنظر إليه، وحُقَّ لها أن تُنَضَّر وهي أن تنظر إلى ربها[1].

﴿ قال ﷺ: وروينا في ذلك عن عكرمة وغيره من التابعين.

﴿ وأخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ، ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، ثنا مسدد، ثنا إسماعيل بن عُلية، ثنا أبو حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَتؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، وذكر باقي الحديث»[2].

الشَّرح

يستفاد من الحديث قول رسول الله ﷺ: «**وَلِقَائِهِ**»، واللقاء يتضمَّن المعاينة[3].

* * *

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٤٧٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٩)، وبيان تلبيس الجهمية (٨/ ٥٢).

۞ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واللقاء المذكور في هذا الحديث هو لقاء الله عَزَّ وَجَلَّ، فقد أفرد البعث بالذكر».

الشَّرح

يعني: أنه هو أفرد «البعث» في كتابٍ ألَّفه سمَّاه «كتاب البعث والنشور»، وهو مطبوعٌ موجودٌ.

* * *

۞ «وقال في حديث دعاء التهجُّد: «وَوَعْدُكَ حَقٌّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ»[(١)].

۞ وفي رواية أبي بكرة عن النبي ﷺ: «وَسَتَلْقَوْنَ ربَّكُم فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ»[(٢)].

۞ وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الأنصار أنَّ النبي ﷺ قال لهم: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ»[(٣)].

۞ وفي الكتاب: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

۞ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر الجراحي، ثنا يحيى بن ساسويه، ثنا عبد الكريم السكري، ثنا وهب بن زمعة، أخبرني علي بن الباشاني، قال: سألت عبد الله بن المبارك، عن قوله ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية [الكهف: ١١٠].

۞ فقال عبد الله: من أراد النظرَ إلى وجه خالقِه، فليعمل عملًا صالحًا، ولا يخبرْ به أحدًا»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٧)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤١)، واللفظ له، ومسلم (١٠٥٩).

(٤) أخرجه اللاكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٨٩٥)، والحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٦٥)، والعواصم والقواصم في الذب عن سُنَّة أبي القاسم (٥/ ١٩٧).

الشَّرح

قوله: «ولا يخبرْ به أحدًا»: الظاهر أنه: (ولا يشرك به أحدًا)، وليس: (ولا يخبر)، حتى يتَّفق مع الآية.

أما قوله: «ولا يخبر» قد يكون له وجهٌ صحيحٌ ولكنه بعيدٌ؛ والأحسن أن يقول: (ولا يشرك به أحدًا) فهو يعمُّ الرياء وغيره.

* * *

﴿«أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا الحسن بن محمد بن الصباح، ثنا وكيع بن الجراح، ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ ﷻ فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»[(١)]».

الشرح

هذا الحديث متَّفقٌ عليه عند البخاري ومسلم، **وقوله**: «**لا تَضامُون**» جاء بالتخفيف وفتح التاء، بخلاف «**تضامون**» من الضَّيْم؛ أي: لا يلحقكم ضيمٌ في رؤيته، بل كلُّ واحدٍ يراه رؤية فيها تمام التمكُّن ليس فيها خفاءٌ، ولا يلحقكم فيها ضيرٌ في هذا، وجاء «**لا تضامون**» بالتخفيف أيضًا فتح التاء وتخفيف الميم، ليس التشديد كما يقول المؤلف؛ لأنه سيفسرها تفسيرًا يتَّفق مع المذهب الأشعري، فمعنى: «**تَضامُون**» يعني: لا ينضمُّ بعضُكم إلى بعضٍ كشأن الذين يرون الرؤية الخفية مثل الهلال مثلًا، ينضمُّ بعضهم إلى بعض حتى يتساعدوا، أما هذا فإنَّ كلَّ واحد يراه مُخَلَّيًا به ظاهرًا ما يحتاج إلى مساعدة.

وجاء أيضًا «**تتضامون**» نفس الشيء السابق، وجاء في لفظٍ آخر سيأتي.

---

(١) تقدم تخريجه.

۞ «وأخبرنا أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي، ثنا أبو العباس الأصم، حدَّثني أحمد بن يونس الضبي، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا إسماعيل بن أبي خالد فذكره بإسناده ومعناه، زاد عند قوله: «وقبل غروبها» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾ [ق: ٣٩]»(١).

۞ الشَّرح ۞

هذا إشارة إلى قوله ﷺ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، يقول العلماء: إنَّ هذا إشارة إلى من حافظ على صلاة الفجر وصلاة العصر أنه يُجزَى برؤية الله بُكرةً وعشيَّةً، يعني: مثل هذه الأوقات(٢)، فلهذا قال هنا: ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] مناسبة ذكر هذه عند الرؤية، لا بد أن يكون لها تعلُّقٌ بها.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).
(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص٨٨٧)، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٢٥٠).

ﷺ «قال الشيخ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول فيما أملاه علينا في قوله: «لا تُضامّون في رؤيته» بضم التاء وتشديد الميم، يريد لا تجتمعون لرؤيته في جهته، ولا يُضم بعضكم إلى بعض لذلك، فإنه ﷻ لا يُرى في جهة كما يُرَى المخلوق في جهة، ومعناه بفتح التاء «لا تُضَامون لرؤيته» مثل معناه بضمها «لا تتضامون في رؤيته» بالاجتماع في جهة وهو دون تشديد الميم من الضيم معناه لا تظلمون في رؤيته برؤية بعضكم دون بعض، وأنكم ترونه في جهاتكم كلها وهو يتعالى عن جهة، قال: والتشبيه برؤية القمر ليقين الرؤية دون تشبيه المرئي ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ».

الشَّرح

هذا من أبطل الكلام وأبعَدِه عن المعنى الذي أراده الرسول ﷺ، ولكن هكذا الناس يتعسَّفون في كلام رسول الله ﷺ حتى يتَّفق مع مذهبه؛ أما كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ يجب أن يكون متفقًا مع مذهبهم وإلا يُرَدُّ.

سيأتي من يقول: إن معنى الرؤية رفع الحجاب عن الأبصار فيرون الله!

على هذا، يمكن أن يرفع الحجاب عن أبصارهم في الدنيا أيضًا ويرونه!

كلُّ هذا باطل لا حقَّ فيه؛ لهذا ضحك عليهم المعتزلة في هذه المسألة.

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدَّثني الحسين بن علي الدارمي، ثنا يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا يوسف بن موسى، ثنا عاصم بن يوسف اليربوعي، ثنا أبو شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»[١]».

الشَّرح

قوله: «عيانًا»؛ أي: معاينةً، وسبق أنه قال: «**سترونه كما ترون القمر ليلة البدر ليس بينكم وبينه سحاب ولا قتر**»[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «كُنَّا - مع النَّبِيِّ ﷺ في سفرٍ - فكُنَّا إذا صَعِدنا كبَّرنَا، وإذا نزَلنَا سَبَّحنَا»[٣].

معنى ذلك: أنَّ الارتفاع فيه شيء من العلوّ والتكبُّر؛ لهذا يكبر اللهَ جل جلاله، ومن السُّنَّة عند حريق النار أن يكبَّر عليها، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتُمُ الحرِيقَ فكبِّرُوا؛ فَإِنَّ التَّكبِيرَ يُطْفِئُهُ**»[٤]؛ لأنَّ الكبرياء والارتفاع لله، والنار تطلب العلوَّ، فيكبَّر عليها حتى تنخفض وتندحر، وكذلك التسبيح كونهم يسبحون إذا هبطوا تنزيهًا لله أن يكون في شيء من السُّفل، تعالى الله وتقدَّس عن قول هؤلاء.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٥)، واللفظ له، ومسلم (٦٣٣).

(٢) قال ﷺ: «**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**». والحديث أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢). وسيأتي بعد قليل بإسناد المصنف.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٣).

(٤) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٩٤).

ﷺ «أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، ثنا أبو سهل بن زياد القطان، ثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبرهما أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَلَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»[1]».

الشَّرح

وهذه تأكيداتٌ بليغةٌ؛ حيث أكَّد الرؤية بما هو أوضحُ وأظهر بالنسبة للعقل البشري وهو رؤية الشمس والقمر، ثم أكَّده بالفعل المضارع، وهو تأكيدٌ بعد تأكيدٍ: «**فإنكم سترونه**»، وسين الاستقبال أيضًا من التأكيدات، وهذا من أبلغ ما يكون.

قوله: «**تُمَارُونَ**»: التَّمارِي التشكيك؛ أي: هل تشكُّون في ذلك؟ أو ترتابون فيه، هذا لا شكَّ فيه ولا ريب، فكذلك رؤية المؤمنين لربهم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قالا: ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا محمد عبد الوهاب، أنا جعفر بن عون، أنا هشام بن سعد، ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟» قَالَ: قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهِ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»[1]».

الشرح

هذا تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح والجلاء والبيان، وليس تشبيهًا للمرئي بالمرئي.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ له.

﴿ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله «تُمَارُون» أصله تَتَمارُون، فأُسقِطَتْ إحداهما وهو من المِرْيَة، وهي الشَّكُّ في الشيء والاختلاف فيه، يقول: «ترون ربكم يوم القيامة بلا شكٍّ ولا مِرْية كما ترون الشمس والقمر في دار الدنيا بلا شكٍّ ولا مِرْية».

﴿ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم المزكي، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، ثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»[(١)].

﴿ قال الأستاذ الإمام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قوله: «رداء الكبرياء» هو ما يتصف به من إرادة احتجاب الأعين عن رؤيته، فإذا أراد إكرام أوليائه بها رفع ذلك الحجاب عن أعينهم بخلق الرؤية فيها ليروه بلا كيفٍ كما عرفوه بلا كيفٍ.

﴿ وقوله: ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ يعني: والناظرون في جنات عدن، ولهذه الأخبار الصحيحة شواهد من حديث علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وعُبادة بن الصامت، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).

عبَّاس، وعبد الله بن عمر، وعَدِي بن حاتم، وأبي رَزِين العقيلي، وأنس بن مالك، وبريدة بن الحصيب وغيرهم ﵃ عن النبي ﷺ».

الشَّرح

هذا أيضًا من الكلام الباطل، وهذا مبنيٌّ على نفي الحجاب، وأنه ليس له حجابٌ حقيقيٌّ، وإنما الحجاب حجاب الأعين فقط؛ لأنهم يقولون: إذا كان هناك حجابٌ حقيقيٌّ فله مكانٌ، الحجاب لا بدَّ أن يكون دون شيء يستره.

والحُجُب ثبتتْ في أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، وغيرهم، أنَّ لله حُجبًا وأنه يحتجب بالنور ويحتجب بالظلمة ويحتجب بغير ذلك كما في حديث أبي موسى الأشعري ﵁، قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ قال: «**إنَّ اللهَ تعالى لا يَنامُ، ولا يَنبغِي له أن يَنامَ، يَخفِضُ القِسط ويَرفعُهُ، يُرفعُ إليه عمَلُ اللَّيلِ قبلَ عَملِ النَّهارِ، وعَملُ النَّهارِ قبلَ عَمَلِ اللَّيلِ، حِجابُهُ النُّورُ لو كشَفهُ لأحرَقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ ما انتَهَى إليهِ بَصرُهُ من خَلقِهِ**»[1].

وفي قصة موسى ﵇ وطلبه الرؤية دليلٌ على كَشْفِ شيء من الحُجُب؛ حيث تجلَّى الله للجبل فتدكدك.

أما هؤلاء لا يثبتون الحجاب لله ﷻ، وذلك مِنَ المنكر؛ لأنَّ الثابتَ عن رسول الله ﷺ يجب الإيمان به، ولا يجوز تحريفُه وإخراجه عن مراد المتكلم وإلا يكون إلحادًا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فهذا من الإلحاد في أسمائه، نسأل الله العافية.

---

(١) تقدم تخريجه.

﴿ «وقال رضي الله عنه: ورُوِينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي موسى وغيرهم رضي الله عنهم، ولم يُرْوَ عن أحدٍ منهم نفيُها، ولو كانوا فيها مختلفين لنُقِلَ اختلافهم إلينا، كما أنهم لما اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام نُقِل اختلافهم في ذلك إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤيته بالأبصار في الدنيا نُقل اختلافهم في ذلك إلينا، فلما نقلت رؤية الله بالأبصار عنهم في الآخرة ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف؛ يعني: في الآخرة كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا عَلِمْنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة مُتَّفقين مجتمعين، وبالله التوفيق».

الشَّرح

أيضًا يقالُ مثل هذا القول في كونهم يرَوْنَه من فوقهم، لا تكون الرؤية كما يقول: رفع الحجاب عن أعيُنِهم فقط، فهذا يعني: لو كان حقًّا أو كان فيه شيء من ذلك، لذُكِر أو نُبِّه عليهم ولا يوجد كلمة واحدة لا بسندٍ صحيح ولا ضعيف، عن رسول الله ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين الذين اتبعوهم تدلُّ على ما يقوله هؤلاء.

* * *

﴿﴾ «أخبرنا أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي، سمعت جعفر بن محمد بن الحارث، يقول: سمعتُ الحسن بن محمد بن بحر، يقول: سمعت المزني يقول: سمعت ابن هرم القرشي يقول: سمعتُ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] قال: «فلما حجبهم في السخط كان هذا دليلًا على أنهم يرونه في الرضا»[(١)]».

الشَّرح

هذا استدلالٌ لفهم الآية؛ لأن هذا مقابلة في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥] يوم القيامة يُحجَب المطفِّفُون والفجار عن الله العلي العظيم، فدلَّ ذلك بالمقابلة على أنَّ المؤمنين يرونه لا يُحجَبون عنه.

* * *

(١) أخرجه اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٨٨٣)، والمصنف في «المعرفة» (٣٤٦).

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الرحمٰن السلمي، أنا علي بن عمر الحافظ قال: ذكر إسحاق الطحان المصري، ثنا سعيد بن أسدٍ قال: قلتُ للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تقول في حديث الرؤية؟ فقال لي: يا ابن أسَدٍ، اقضِ عليَّ حَيِيت أم مِتّ أنَّ كلَّ حديث يصحُّ عن رسول الله ﷺ فإني أقول به، وإن لم يبلغني»[١].

الشَّرح

هذا الحقُّ، والأئمة هكذا يقولون: إذا صحَّ الحديثُ عن الرسول ﷺ فنحن نقول به، وإذا كان لنا قولًا يخالفه فاضربوا به عرض الحائط؛ يعني: لا تُبالون به، وكذلك إذا صحَّ القول عن الصحابة، فإنه يجب اتباعُه، وإذا كان له مخالفٌ يجب أن يُرمى به.

المقصود: أن الرؤية ثابتةٌ عن رسول الله ﷺ، وثابتة في كتاب الله ﷻ، والرؤية تكون في الموقف للمؤمنين، في عَرَصَات القيامة ومواقفها، كما جاء في حديث الشفاعة الطويل الذي يرويه أبو هريرة وأبو سعيد: «**إذا تميَّز الناس** ـ أهل الكفر من أهل الإيمان ـ **يقال للكافرين: ماذا تريدون؟ فيقولون: عَطِشْنا، نريد الماء، فيقال لهم: ألا تَرِدُوا، فيرون جهنم كأنها سرابٌ** ـ السراب: انعكاس أشعة الشمس في وسط النهار على الأرض، فالذي يكون بعيدًا عنها يراها كأنها ماء يتحرَّك ـ **فيذهبون إليها ويتساقطون فيها، ويبقى المؤمنون وفيهم المنافقون، فيأتيهم الله ﷻ في صورة لا يعرفونه فيها، فيقول: ما الذي أبقاكم وقد ذهب الناس، فيقولون: تركناهم أحوج ما كنا إليهم، أما اليوم فلا نحتاج إليهم في**

---

(١) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

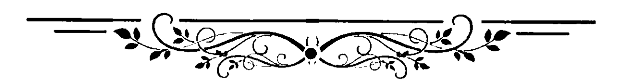
شيء؛ ولنا ربٌّ ننتظره، فيقول: أنا ربكم، فيقولوا: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه، فيقول: هل بينكم وبينه آية؟ فيقولون: نعم، الساق، فيكشف عن ساقه فيخرون له سُجَّدًا، ويبقى المنافق إذا أراد أن يسجُدَ خرَّ على قفاه، ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم: ٤٣، ٤٢]، ثم يُلقى عليهم الظُّلمَة، ثم يُعطَون الأنوار على قدر إيمانهم، فكلُّ واحدٍ له نورٌ يهتدي به في هذا الظلام قَدْرَ إيمانه ولا يستطيع أنه يهتدي بنور الذي بجواره، ويبقى المنافقون في ظلام لا يستطيعون أن يسيروا، فينادوا المؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، فيقال لهم: ارجعوا خلفكم - يعني: إلى المكان الذي قسمت فيه الأنوار - فاطلبوا نورًا، ثم يقولون: ألم نكن معكم؟! - يعني في الدنيا - يقولون: بلى، ولكنكم ارتبتم... ثم يقول: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣﴾ [الحديد: ١٣]»[(١)].

المقصود: أنَّ الرؤية تقع في الموقف، ثُمَّ إذا دخلوا الجنة تكون زيادةً في النعيم، وفي الموقف لا يلزم أن تكون من النعيم؛ لأن فيها امتحانًا.

الخلاصة: تبيّن لنا أنَّ الأشاعرة يقولون بالرؤية ظاهرًا، ولكن في الباطن يُنكِرونها، بناء على نفي العلوّ؛ فإنهم يقولون: كلُّ واحدٍ يراه من جهته التي ينظر إليها، وهذا إبطال للرؤية.

---

(١) تقدم تخريج حديث الشفاعة، وبهذا اللفظ أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٦٣٠)، والآجري في «الشريعة» (٦٠٧).



بابُ القولِ في الإيمان بالقدر

«قال الله ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]».

الشَّرح

قوله: «بابُ القولِ في الإيمان بالقدر».

الإيمان بالقَدَرِ هو أحدُ أركان الإيمان السِّتَّة، والقَدَر من قدرة الله ﷻ فهو من صفاته ـ تعالى وتقدَّس ـ، **وهو عبارة عن أربعة أمور:**

الأمر الأول: الإيمان بعلم الله الأزلي الذي عَلِمَ به كلَّ شيء، ولا يفوتُه شيء، فعَلِم ما سيكون إلى نهاية الكون.

الأمر الثاني: كتابته لعِلْمه ـ تعالى وتقدَّس ـ، فإنه كتب علمه بالأشياء كلها فلم يترك شيئًا من الكتابة، فكلُّ شيء مسطورٌ عنده ومُسجَّلٌ، ولهذا يخبر عن دقائق الأشياء أنها مكتوبة ﴿فِي إِمَامٍ﴾ (أي: كتاب).

الأمر الثالث: خلقُه لكلِّ شيء، هو الخالق لكلِّ شيء وليس معه خالقٌ.

الأمر الرابع: مشيئته الشاملة العامة، ما شاء كانَ، وما لا يشأ لا يكون.

هذه الأمور الأربعة هي الإيمان بالقَدَر، إذا آمن بها العبد فقد آمن بالقدر.

كان الذين أنكروا القدر في أوَّل الأمر أنكروا العلم، فرماهم

الصحابة بالكفر وأخبروهم أن هذا كفرٌ وتبرؤوا منهم، وقالوا: لو وجدناهم لقتلناهم، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لوددت أن عندي رجلًا من أهل القدر فوجأت[1] رأسه»[2]؛ لأنه كفرٌ بالله ﷻ، فلما علموا أنه كفرٌ رَجَعُوا، وآمنوا بعلم الله ﷻ، فكتابة الله ﷻ عِلْمَه أمرُها واضِحٌ فأخَلُّو بالخلق والمشيئة؛ ومنهم القدرية؛ قالوا: إنَّ الإنسان يخلق فعله، ولا يكون الله خالقًا لأفعال للكفر والمعاصي والفجور والزنا وغير ذلك، بل هذا من فعل الإنسان؛ لأننا لو قلنا ـ حسب كلامه ـ: إنَّ الله ﷻ كتب ذلك وقدَّره وشاءه لصار تعذيبهم على ذلك ظلمًا؛ فكيف يشاؤه ويقدِّره عليهم ثم يعاقبهم به، فيكون هذا ظلمًا ـ تعالى الله وتقدَّس عن افتراءاتهم هذه ـ ولهذا جاءوا بأصلٍ عندهم لأركان الإسلام مبتدَعٍ وضلالٍ، وهو وجوب العدل من الله.

وما علموا أنَّ المقصود بالكتابة أنها عبارة عن علم الله في هذا المخلوق، وأنه سوف يخلق ويعمل هذه الأعمال باختياره وقدرته، فليست الكتابة تُرْغِمُه وإنما الكتابة عبارة عن علم الله فيهم الذي عَلِم به كلَّ شيءٍ، فكتب ذلك وأقْدَرهم على الفعل، فلماذا بعضهم يؤمن وبعضهم يكفر؟ وبعضهم يتقي الله وبعضهم يفجر؟ لأن هذا باختيارهم والأمر إليهم، والأمر واضحٌ في هذا، فضَلُّوا بهذا وأضَلُّوا؛ ولهذا انقسموا **إلى قسمين**:

القسم الأول: قالوا: هذا ما سبق.

القسم الثاني: قالوا: العبد ليس له أيُّ اختيارٍ، بل هو بمنزلة الآلة التي تُدَار.

---

(١) وجأته بالسكين: ضربته، ووجأت عنقه وجأ: ضربته. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٨٠).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٠٥).

أي: عكس ما يقول أولئك الذين يقولون: إنَّ الإنسان يخلق فعلَه ويستقل بذلك، وهؤلاء قسم منهم يقول: بل العبد مجبورٌ لا اختيارَ له، وإنما الأفعال كلُّها لله، فلهذا كل فريق معه شيء من الحق، والباطل أغلب.

أما المشيئة العامة: فكذلك لم يؤمنوا بعمومها، بل قالوا: إن الله لا يشاء المعاصي والكفر، وإنما يشاء الخير، فضلُّوا في هذا، ولم يُفرِّقوا بين المشيئة التي هي الإرادة الكونية مع الإرادة الدينية الأمرية الشرعية، لا هؤلاء القدرية ولا حتى الأشعرية، ما فرَّقوا بين هذا وهذا، فلهذا ضَلُّوا.

قــولــه: «**قــال الله** ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس: ١٢]». قوله: ﴿إِمَامٍ﴾ **يعني**: كتاب. الإمَام هنا المقصود به: الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي كتب في اللوح المحفوظ.

* * *



ﷺ «وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]».

الشَّرح

قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾: في كلِّ شيء، ما أصاب من مصيبة إلا وقد كُتِبتْ قبل وجودكم، بل قبل وجود الأرض والسماء، وسجلت كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقادِيرَ الخلَائِقِ قبلَ أنْ يَخلُقَ السَّماواتِ والأَرضَ بِخَمسِينَ ألفَ سنةٍ، قَالَ: وعَرشُهُ على الماءِ**»(١).

قوله: ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾؛ أي: نخلُقُها.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

﴿«وقال: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]».

الشَّرح

في الآيات إخبارٌ عن علمِه الشامل الذي لا يفوته شيء.

قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾؛ أي: أنَّ كلَّ شيء مُقدَّر، ولكن ليست هذه واضحةً في التقدير؛ لأنه قد يقول: خلقناه على قدر معيَّن ومميَّز عن غيره، ولكن في الآيات ما هو أوْضَح وأبْيَن مِن هذا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٥١ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القمر: ٤٧ ـ ٥٢]، قوله: ﴿ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ أي: مزبورٌ مكتوبٌ، وأخبر أنه مسطورٌ، قال ﷻ: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨]، وآيات كثيرة في هذا.

* * *

﴿ «والقدر: اسمٌ لما صَدَر مقدَّرًا عن فعل القادر، يقال: قدَرْتُ الشيء وقدَّرْتُه بالتشديد والتخفيف فهو قدرٌ؛ أي: مقدورٌ ومقدَّر كما يقال: هدمتُ البناء، فهو هدمٌ؛ أي: مهدومٌ، وقبضت الشيء فهو قبضٌ؛ أي: مقبوضٌ، فالإيمان بالقدر هو الإيمان بتقدُّم علم الله ـ سبحانه ـ بما يكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات، وصدور جميعها عن تقديرٍ منه، وخلق لها خيرها وشرها».


الشَرح

تعبيرُه عن الأعمال بالأكساب له غرضٌ في هذا يعود على مذهب الأشاعرة.

* * *

۞ «أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو جعفر محمد بن عمر الرَّزاز، ثنا عيسى بن عبد الله الطيالسي، ثنا أبو عبد الرحمٰن المقري، ثنا كَهْمَس بن الحسن، قال: سمعتُ عبد الله بن بُرَيدَة يُحَدِّث أنَّ يحيى بن يَعْمُر قال: كان أوَّل من قال في القَدَرِ بالبصرة مَعْبَد الجهني، فانطلقنا حُجَّاجًا أنا وحميدُ بن عبد الرحمٰن، فلما قَدِمْنا قلنا: لو لقينا بعض أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء القوم في القدر؟ قال: فوافقنا عبد الله بن عمر في المسجد، فاكتَنَفْتُه أنا وصاحبي، أحدُنا عن يمينه، والآخر عن شماله، قال يحيى: فظننت أنَّ صاحبي يَكِلُ الكلام إليَّ، فقلتُ: يا أبا عبد الرحمٰن إنه ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن ويعرفون العلم، يزعمون أن لَّا قدَر، وإنما الأمرُ أُنُف، فقال عبد الله: «فإذا لقيتم أولئك فأخبروهم أني بريءٌ منهم، وهم مني بُرَآءُ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو كان لأحدهم مثلُ أُحدٍ ذهبًا فأنفقه؛ ما قَبِلَه الله ﷻ منه حتى يؤمن بالقدر كلِّه خيرِه وشرِّه».

۞ ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يومٍ إذا طلع رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثرُ السفر ولا نعرفه. حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتَيه ووضع كفَّيه على فخذَيه ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، ما الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت السبيل. فقال

الرجل: صدقت. قال عمر رضي الله عنه: فعجبنا له يسأله ويصدقه. ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإيمان، ما الإيمان؟ فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر، والقدر كلِّه خيرِه وشرِّه.

ﷺ فقال: صدقت، فقال: أخبرني عن الإحسان، ما الإحسان؟ فقال: الإحسان أنْ تعبدَ الله كأنك تراهُ، فإن لم تكن تراهُ فإنهُ يراك. قال: فحدثني عن الساعة، متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم مِنَ السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أنْ تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وأن ترى الحفاة العُرَاة العالة رعَاء الشَّاء يتطاولون في البناء.

ﷺ ثم انطلق. فقال عمر رضي الله عنه: فلبثت ثلاثة، ثم قال لي رسول الله ﷺ: يا عمر، ما تدري مَنِ السائلُ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: ذاك جبريل عليه السلام أتاكم يعلِّمُكم دينكم»[1].

الشَّرح

قول يحيى بن يَعْمُر: «**كان أوَّل من قال في القَدَرِ بالبصرة مَعْبَد الجهني...**» كان في البصرة، والبصرة كانت محلًّا للبِدَع والضلالات، كما أنها كانت محلًّا لأهل الزهد والتقى والعلم، فصار فيها المتناقضات، وهي محلٌّ لطلب العلم وطلب الحديث، ولهذا قال: إنهم يطلبون العلم، ويتقفَّرونه؛ أي: يحرصون على ذلك، ولكن في ضلال.

قوله: «**وإنما الأمرُ أُنُف**»: الأُنُف؛ أي: ما عُلم، وإنما يُستأنَف في المستقبل، فإذا وَقَع عَلِمَه الله، وقبل وقوعه لا يعلمه، وهذا ضلالٌ محض، وكفر بالله ﷻ؛ ولهذا تبرَّأ ابن عمر منهم وقال: «**فإذا لقيتم أولئك فأخبروهم أني بريءٌ منهم، وهم مني بُرَآءُ**»، والمسلم لا يتبرأ من

---

(١) تقدم تخريجه.

المسلم، بل يتبرأ من غيرِ المسلم، «**وهم مني بُرَآءُ**»، ثم أقسم بالله أنه: «**والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو كان لأحدهم مثلُ أُحدٍ ذهبًا فأنفقه؛ ما قَبِلَه الله** ﷻ **منه...**» لأنه كفرٌ بالله، والله لا يقبل من الكافرين شيئًا، هذا واضحٌ بأنَّ الصحابة يُكفِّرون الذين ينكرون عِلْم الله ﷻ، ومثل هذا القول قاله ابن عباس، وقاله أيضًا عبادة بن الصامت، وقاله حذيفة، وإجماع الصحابة على هذا.

وقوله: «**متى الساعة؟**» أي: أنَّ كلَّ ما أخبر الله ﷻ به وأخبر به الرسول ﷺ دينٌ يجب أن يُدَانَ الله به، ويتعلم ويؤمن به.

وذكر من الأمارات أمارتين:

الأولى: «**أن تَلِدَ الأمةُ ربَّتها**» هذه واحدة، والأم هي المملوكة، وفي رواية «**تَلِدَ ربَّها**»(١) والربُّ هنا المقصود به الذي يتصرَّف فيها، ويقول العلماء على ذلك: هذا إشارة إلى الفتوحات التي تكون بعده كما حصل للصحابة، فيكثر السبيُ، ويكون الإنسان مثلًا متخذًا أمَةً، ثم تَلِدُ عنده، فإذا ولدتْ صار ابنُها كأنه سَيِّدُها عَتَقَتْ به، فهو الذي أعتقها، فصار كأنه ربُّها الذي يملكها.

الثانية: أنَّ رُعاة الإبل والغنم البَدْوَ الذين في البراري يَصِيرُون في المدن، أو يُوجِدُون لهم مدنًا وقرًى يتطاولون بالبناء فيها.

فتطاول البناء عبارةٌ عن أنهم يتركون ما كانوا عليه في حالَتِهم من الارتحال وطلب الكلأ وغير ذلك، وربما يفقدون أيضًا مواشِيَهم، ويسكنون في البيوت التي يبنونها، فهاتان علامتان كلاهما قد وقع.

قوله: «... **أتاكم يعلِّمُكم دينكم**»: جعل هذا كلَّه دينًا.

---

(١) هذه الرواية أخرجها مسلم (١٠).

﴿ «وأخبرنا عليُّ بن بِشْران، أنا إسماعيل بن محمد الصفَّار، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا يَعْلَى بن عبيد، ثنا أبو سِنَان عن علقمة بن مرثد عن ابن بُرَيْدة قال: كنت أنا وابن يعمر جالسين في المسجد، فجاء ابن عمر، فذكر الحديث في سؤال الرجل رسول الله ﷺ عن الإيمان، وقال في جوابه: قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والحساب والجنة والنار، والقدر خيره وشره من الله ﷻ»[(١)].

﴿ أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو نعيم، ثنا سفيان (ح).

﴿ وأخبرنا أبو ذر بن أبي الحسين بن أبي القاسم المذكر، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الزاهد، ثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المؤدب، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سفيان، عن زياد بن إسماعيل السَّهْمي، عن محمد بن عباد المخزومي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٧ ـ ٤٩]»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩١)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٦).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أبو النضر الفقيه، ثنا محمد بن نصر، ثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي، قال: قرأت على مالك بن أنس عن زياد بن سعد، عن عمر بن مسلم عن طاوس قال: أدركتُ ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كلُّ شيءٍ بِقَدَرٍ»، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيء بقدَرٍ حتى العَجْزُ والكَيْسُ، أو الكَيْسُ والعَجْزُ»[(١)].

ﷺ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا محمد الصيرفي بمَرْوَ، ثنا عبد الصمد الفضل، ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا حَيْوَةَ، ثنا أبو هانئ أنه سمع أبا عبد الرحمٰن الحُبُلِيَّ قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدَّر اللهُ المقاديرَ قبل أن يخلقَ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[(٢)].

ﷺ الشَّرح ﷺ

قوله: «**قدَّر**» هذا لفظ، في صحيح مسلم: «**إن الله كتب مقادِيرَ الأشياء قبل خَلْقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرْشُه على الماء**»[(٣)]، فيكون «**قدر**» بمعنى: الكتابة والتقدير، والعلم بذلك كما سبق، وهذا يدلُّنا على أن وجود العرش والماء قبل وجود القلم والكتابة كما في حديث عُبادة بن الصامت ﷺ: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥).

لأنَّ بعض الناس يقول: إن أول المخلوقات القلم، وقد سبق أن قلنا: إن المخلوقات المشاهدة المعلومة لنا، لا يلزم أن ليس قبلها مخلوقٌ؛ لأن الله ﷻ لم يزلْ يفعلُ ما يشاء، وما كان معطَّلًا كما يقول أهل الضلال، نسأل الله السلامة، فالله ﷻ يقول: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦] فما أحدٌ يحُولُ بينه وبين ذلك، ولكن علمَ وعقلَ الإنسانِ قاصِرٌ لا يُحيط بمخلوقات الله، فكيف يُحيط بصفاتِه وبأسمائه وأفعاله ـ تعالى الله وتقدَّس ـ.

* * *

ﷺ «وأخبرنا الحسين بن محمد بن محمد بن علي الرُّذْبَاري، أنا أبو بكر بن دَاسَة، ثنا أبو داود، ثنا جعفر بن مسافر الهذلي، ثنا يحيى بن حسان، ثنا الوليد بن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي حفصة قال: «قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلقَ الله ـ جلَّ ثناؤه ـ القلمَ، فقال له: اكتب، قال: ربِّ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلِّ شيء حتى تقوم الساعة»، يا بُنَيَّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[1].

الشَّرح

هذا الحديث فيه اختلافٌ، هذا الاختلاف يكون من الرواة؛ لأنَّ الرسول ﷺ يتكلم بالشيء مرَّةً واحدةً.

على سبيل المثال: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، لما أرسله النبي ﷺ إلى اليمن الذي في رواية بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**»[2]، هذه رواية، والرواية الأخرى: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله** عز وجل»[3]، والرواية الثالثة: «**إلى أن يُوحِّدوا الله**»[4]، والرابعة:

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا، وهذه رواية أبي داود (٤٧٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).
(٤) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

«**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**»[١].

كذلك الحديث الذي مرَّ معنا؛ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ذكرتُ أنه جاء في البخاري في ثلاثة مواضع، وكلُّ موضعٍ يختلف عن الثاني: «**لم يكن شيء قبله**»[٢]، «**لم يكن شيء غيره**»[٣]، «**لم يكن شيء معه**»[٤].

إذًا التعبيرات المختلفة تكون مِنَ الرُّواة، مثل هذا الحديث الذي معنا؛ حديث عُبادة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب**»، وفي رواية: «**فقال له: اكتب**»، وفي رواية: «**فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**».

المقصود: أنَّ هذا ليس المقصودُ به الإخبارَ بأوَّلِيَّة خَلْقِ القلم، إنما المقصود: أنه أوَّل ما خُلِق أُمِرَ بالكتابة مباشرةً بدون فاصلٍ؛ وعليه فتكون الجملة واحدة: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة...**» ولا تقول: «**أوَّل ما خلق الله القلم**» وتسكت، فيكون المعنى خلافَ المقصود، ولا يكون مخالفًا لحديث عبد الله بن عمرو الذي في صحيح مسلم الذي يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب مقادِيرَ الأشياء قبل خَلْقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرْشُه على الماء**»، وقوله: «**عرشه على الماء**» جملة حالية؛ يعني: وقت الكتابة كان عرشُه على الماء، فهل يتفق هذا مع هذا؟

لا بدَّ، أن كلام الرسول لا يختلف ولا يتضارب، وعليه فالذي يقول: إنَّ أول المخلوقات هو القلم يُعترض عليه بهذا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.

يقال: كيف تقول بهذا؟ وقد قال ﷺ: «**وعرشه على الماء**» وقت الكتابة؛ لأن القلم لما خُلق هو الذي كتب في اللوح المحفوظ، ثم لما خَلَقَ القلم قال الله له: «**اكتب**» يجب أن يكون هذا على ظاهره، بأنه أمره بالكتابة، فكتب الشيء الذي يريده الله ﷻ ويعلمه.

* * *



﴿ «أخبرنا أبو الفتح بن محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببغداد، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، ثنا إسحاق بن الحسن، ثنا إبراهيم، ثنا سفيان عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقدِ في جنازة، فقال: «ما منكم أحدٌ إلا قد كُتب مقعدُه من النار ومقعده من الجنَّة»، قالوا: يا رسول الله: أفلا نتَّكل، قال: «اعملوا فكلٌّ ميسَّر»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]»[(١)].

﴿ قال الشيخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: «فكلٌّ مُيسَّر» يريد أنه مُيسَّر في أيام حياته للعمل الذي سَبَقَ له القدرُ به قبل وجوده وكَوْنِه، وأمر بالعمل الذي هو أمارة له ليكون راجيًا خائفًا».

﴿ الشَّرح ﴾

قوله: «وأمر بالعمل الذي هو أمارة له»: الضمير في «له» يعود على العمل الذي هو أمارة له.

الإنسان عند المتكلمين لا يعمل حقيقة وإنما يكتسب، فيكون ذلك أمارةً على العمل، هذه مخالفةٌ، الإنسان يعمل حقيقةً، وليس الكسب بين هذا وهذا كما يقول المتكلمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقالوا: عجائب الكلام ثلاثة: طفرة النظّام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري. وأنشدوا:

مـمّـا يُـقـال ولا حـقـيـقـة عـنـده ... مـعـقـولـة تـدنـو إلـى الأفـهـام
الكسب عند الأشعري والحال عند ... الـبـهـشـمـي وطـفـرة الـنـظـام[1]

وقال أيضًا: «ويقولونَ: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: طفرةُ النِّظامِ وأحوالُ أبي هاشمٍ وكسبُ الأشعرِيِّ[2]، ولهم في ذلك من الكلام ما يطول وصفه»[3]. وأما سائرُ أهل السُّنَّة فيقولون: إنَّ أفعال العباد فعلٌ لهم حقيقةً، وهو أحدُ القولين للأشعرِيِّ، ويقول جمهورهم الذين يُفرِّقون بين الخلق والمخلوق: إنَّها مخلوقة لله ومُفعولة له، ليست هي نفسُ فِعْلِهِ وخَلقِهِ الذي هو صِفتهُ القائمة به، فهذه الشَّناعاتُ التي يذكرُها هؤلاء لا تتوجَّهُ على قول جمهورِ أهل السُّنَّة، وإنما تُرَدُّ على طائفةٍ من المُثبِتةِ كالأشعرِيِّ وغيره...»[4].

* * *

(١) النبوات (ص٥٨١).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٨).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٤٤٤).
(٤) منهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٤٦٠).

ﷺ «أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد، أنا أبو جعفر محمد بن عمر الرزاز، ثنا سعدان بن نصر، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ ثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحدَكم يُجمَع خلقُه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ثم يؤمر بأربعٍ: اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي هو أم سعيد، والذي لا إله غيره، إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتابُ فيختمُ له بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب فيختمُ له بعمل أهل النار فيدخلها»[1].

الشَّرح

أي: أنه يعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، ويعمل بعمل أهل النار فيدخلها، لا أحَدَ يدخل بالكتابة، وإنما يدخل بعمَلِه.

ما هو المكتوب؟

المكتوب: أن هذا المخلوق سيعمل هذا العمل بإرادته وقدرته، لا أحد يحُولُ بينه وبينه، فليس في التقدير والكتابة إرغامٌ لأحدٍ وإلزامٌ له كما يزعم هؤلاء الضُّلَّال الذين رَدُّوا النصوص؛ حيث لم تتفق مع آرائهم وأفكارهم القاصرة.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

﴿ «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن طاوس، سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «احتجَّ آدم وموسى عليهما السلام، فقال موسى: أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنَّة، فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخطَّ لك التوراة، أتلومني على أمر قدَّره عليَّ قبل أن يخلقني، قال: فحَجَّ آدم موسى»(١)

﴿ قال رحمه الله: ورواه أيضًا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وأبو سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبي ﷺ.

﴿ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف المصري بمكة، ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي موت إملاءً، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا القَعْنَبي».

الشَّرح

قوله: «فحَجَّ آدم موسى»؛ أي: أنه غلبه بالحُجَّة.

ظاهر الحديث أنه احتجاجٌ بالقدر، لكنَّه ليس كذلك؛ لأنَّ موسى لام آدمَ على المصيبة، وليس على الذنب؛ لأنه تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد علم أن الله تاب عليه واجتباه وهداه، فكيف يلومُه على شيءٍ قد تبرأ منه وبَعُدَ عنه؟! كمن وقع في ذنبٍ ثم تاب منه توبةً صادقةً، لا يجوز لنا أن نعيِّرَه به أو أن نذكِّرَه به،

(١) تقدم تخريجه.

وموسى عليه السلام نبيٌّ كريمٌ لا يمكن أن يأتي بمخالفةٍ لأمرٍ شرعيٍّ أو أمرٍ عقليٍّ أيضًا.

إذًا؛ لا بد أن يتعين أنَّ اللَّوم كان على المصيبة، وهي الخروج من الجنة، لهذا صرَّح، فقال: «**فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟**»[1]، فالمصيبة هي التي تقع وتنتهي وتمضي، ولا حيلة في رَدِّها.

وعلى ذلك، فيحتج على المصائب بالأقدار، أما الذنوب والمعاصي فلا يجوز أن يُحتجَّ عليها بالقدر، بل يجب أن يتابَ منها؛ لهذا يقولون: القدرُ لا يُحتَجُّ به على الذُّنوب؛ لأنَّ الاحتجاج به يصير أخبثَ وأسوأَ من العمل، كما قال الشيطان: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]، وإبليس هو الذي اختار الغواية وهو الذي أرادها، لكنه كَذَبَ في هذا ليعتذرَ بذلك.

الخلاصة: أنه ليس فيه حُجَّةٌ على القدر؛ لأنَّ اللَّوم على المصيبة، وآدم عليه السلام غلب موسى؛ لأنه قال: هذا مكتوبٌ عليَّ قبل أنْ أُوجَد، فاحتجَّ بهذا فصار حُجَّة، هكذا إذا أصيب الإنسان بأن احترقَ مالُه، أو انصدمت سيارته أو أصيب بمرض، وما أشبه ذلك، فهل لأحدٍ أن يلومه على هذا المصاب؟!

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٢).

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفَّار، ثنا أبو السّريِّ موسى بن الحسن، ثنا عبد الله بن مسلمة القَعْنَبي، ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رقبة بن مسقلة، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن أُبي بن كعب رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الغلام الذي قتله الخضرُ عليه السلام طُبع كافرًا ولو عاشَ لأرهقَ أبويهِ طغيانًا وكفرًا»[1]».

الشَّرح

هذا فيه إشكالٌ عند كثير من الناس؛ لأنَّ الغلامَ لا ذنبَ عليه، كيف قَتَله؟

هذه مِنَ الأمور الغيبية، ولكن هكذا قال رسول الله: «**طُبع كافرًا**»؛ أي: أنَّ الله قدَّره لمَّا خَلَقه كافرًا، لكن لا يكفي كونه التقديرَ فقط؛ لأنه لا يؤاخذ بمجرد الكتابة، بل لا بد أن يعمل، والغلام لم يعمل ما يستحق القتل!

نقول: هذا أمرٌ في علم الله وحده؛ لأن الخضر عليه السلام لما فسَّر ذلك لموسى قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦١).

ﷺ «أخبرنا أبو الخير جامع بن أحمد الوكيل محمد أبادي، أنا أبو طاهر محمد بن الحسن محمد أبادي، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا عبد الرحمٰن بن المبارك، ثنا حمَّاد بن زيد، عن هشام بن حسَّان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «السعيد من سُعِدَ في بطن أمِّه»[(١)]».

الشَّرْح

السعيد من كُتب سعيدًا في الكتاب الأوَّل، ولكن ليست الكتابةُ التي يسعد بها الإنسانُ فقط، فالكتابة هي علم الله ﷻ في هذا المخلوق أنه سيسعد بأسباب العمل التي يعملها، فكتب ذلك وصار سعيدًا من أوَّل الأمر، ولهذا أخبر الله ﷻ آدم أنه قسمَ ذرِّيَّته إلى قسمين: (قسمٍ إلى الجنة، وقسمٍ إلى النار).

فليس الكتاب كافيًا، لا بدَّ أن يعملوا مُوجِبَ الجنَّة، أو مُوجِبَ النار.

والكتابة التي في البطن هي كتابةٌ بعد كتابةٍ، ليست أوَّل ما يُكتَب للإنسان، وهذه الكتابة تكون عند نفخ الروح فيه؛ حيث تكتب له أربعةُ أشياءَ، يُعَلِّمُها الملَكُ الذي وُكِّل بنفخ الروح فيه، فيَكتُبَ رزقَه وأجلَه وعملَه وشقيًّا أو سعيدًا، هذه الكتابة كانت موجودةً في اللَّوح المحفوظ قبل هذا الوقت بزمانٍ طويلٍ.

- كتابةٌ قديمةٌ أزليَّةٌ، والتي هي في اللوح المحفوظ.
- كتابةٌ عمريَّةٌ، والتي يكتبُها الملَكُ الموكَّلُ بنفخِ الرُّوح.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٤٦٥).

- كتابةٌ سنويَّةٌ، والتي يقول الله ﷻ فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣، ٤]، وفي هذه الليلة يُقدَّرُ كلُّ ما يقع في السَّنَة، وهذا تقديرٌ بعد تقديرٍ، وكتابةٌ بعد كتابةٍ.

- كتابةٌ يوميَّةٌ، كما جاء في تفسير قوله: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾ [الرحمٰن: ٢٩]؛ يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «**إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء**»(١).

ومن هذا القبيل ما مرَّ معنا في صفة القرآن أنه كان في اللوح المحفوظ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**أنزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا فوضع في بيت العزة**»(٢)، فقال ﷻ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، قال بعض المفسرين(٣): بدأ نزوله في هذه الليلة، وقال آخرون: نزل كله في هذه الليلة، لكنه نزل فيما بعدُ في المناسبات، وهذا كلُّه دليلٌ على قدرة الله ﷻ.

* * *

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١٦١٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٠٥).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٣٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٨١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٣/٤٤٦)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/٤٤١): «قال ابن عبَّاس وغيرُهُ: أنزلَ الله القرآن جُملةً واحدةً من اللَّوح المحفوظ إلى بيت العِزّة من السَّماء الدنيا، ثمَّ نزَلَ مُفصَّلًا بحسب الوقائعِ في ثلاثٍ وعشرِين سنةً على رسول الله ﷺ» اهـ.

❁ «قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ورواه يحيى بن عبيد الله التيمي، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ وزاد فيه: «والشَّقيُّ من شَقِي في بطنِ أمِّه»[(١)]».

❁ الشَّرح ❁

قوله: «والشَّقِيُّ مَن شَقِي في بطن أمه»: الحقيقة أنه شَقِيٌّ قبل هذا بوقتٍ طويلٍ جدًّا؛ لأنه كان في علم الله، وعلمه ليس له مبدأ - تعالى وتقدَّس -، فعلْمُه من صفاتِه الأزليَّة، ولا يزداد علمه بوجود الأشياء، قد علمها قبل وجودِها وكَتَبَها، ولا يوجد شيءٌ - حركةً كانت أو سكونًا - إلا وقد علمه الله في الأزل، حتى نبض العروق وتحرُّكها في البدن مكتوبٌ ومعلومٌ، ولا يقع دقيق ولا جليل إلا وهو مقدر في التقدير الأول.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٣٦٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١٤١٣).

﴿ «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفَّار، ثنا عباس بن عبد الله التَّرْقُفِيُّ، ثنا أبو عبد الرحمٰن المقرئ، ثنا نافع بن يزيد، وابن لَهِيعَة، وكَهْمَس بن الحسن، وهمَّام بن يحيى، عن قيس بن الحجَّاج.

﴿ عن حنش، عن ابن عباس، قال: كنتُ رَدِيفَ رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام أو يا بُنيَّ، ألا أعلِّمُك كلماتٍ ينفعكَ الله بهنَّ؟» فقلتُ: بلى، فقال: «احفظِ الله يحفَظْكَ، احفظِ الله تجِدْهُ أمامَك، تعرَّف إليه في الرخاء يعرِفْك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، قد جفَّ القلم بما هو كائنٌ، فلو أن الخلق كلَّهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيءٍ لم يَقْضِه الله لك لم يقْدرُوا عليه، وإن أرادوا أنْ يضرُّوك بشيء لم يَقْضِه الله عليك لم يقْدروا عليه فاعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أنَّ في الصبرِ على ما تكرَه خيرًا كثيرًا، وأنَّ النَّصرَ مع الصَّبرِ، وأنَّ الفرجَ مع الكربِ، وأنَّ مع العُسر يسرًا»[١].

﴿ قال الأستاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورواه اللَّيثُ بن سعدٍ، عن قيس بن الحجَّاج، وقال في الحديث «رُفِعت الصحفُ وجفَّت الأقلام»[٢]، ولهذا الحديث شواهدُ، عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحديث: «السعيدُ من

(١) بهذا اللفظ أخرجه أحمد (٢٨٠٣)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (١٢٦).
(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)

سُعِد في بطن أمِّه» لا يخالف الأحاديث الواردة في المقادير، وجريان القلم بما يكون فإنه إنما يسعد في بطن أمه مَنْ جرى القلمُ بسعادَتِه، وإنما جرى القلم بسعادة من كان في علم الله وفي تقديره سعادته».

الشَّرح

هذا الحديث الذي رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما فيه أمورٌ عظيمةٌ، وكلُّ كلمةٍ منه تحتاج إلى شرحٍ طويلٍ، ولكنَّ الشاهد هنا إثباتُ القدر؛ والقدر كما سبق عبارةٌ عن كتابةٍ علمِ الله في المخلوقات أنها ستوجد وتعمَلُ ما خُلِقَتْ مِن أجله، فلا يختلف الأمر في ذلك.

وقوله: «**احفظِ الله يحفَظْكَ**»؛ يعني: احفَظْ أوامر الله أن تضيعها، واحفظ نواهِيَه أن ترتكبها، والجزاء من جنس العمل، إذا حفظت ذلك حَفِظَك الله في نفسك وفي دينك وفي غير ذلك من حفظ الله الذي هو جزاء لما حفظت، وهذا أمر يجده الناس ظاهرًا فيه، فمن ضيّع الله ضاع، لا سيما في وقت الشباب، فإنَّ له ما بعده، ولهذا قد يرتكب الإنسان نواهِيَ الله جل جلاله فيرى العقاب في نفسه ظاهرًا، يقول ثابت البناني رحمه الله: «رأيت رجلًا يَضرِبُ أباهُ في موضعٍ فقيل له: ما هذا؟ فقال الأبُ: خلُّوا عنهُ فإنِّي كُنت أضرِبُ أَبِي في هذا الموضعِ فابتُلِيت بِابْنِي يَضرِبُنِي في هذا الموضِعِ»[1]، ولكن هذا من العقوق الذي تُعَجَّل عقوبَتُه، ربما يكون هذا.

وقوله: «**تعرَّف إليه في الرخاء يعرِفْك في الشدة**»: الدنيا ما تدوم ولا يمكن أن يكون الإنسان في رخاء دائمًا، لا بد أن يناله شدَّةٌ أو

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٧٣).

مرضٌ أو أمور أخرى، فإذا كان يعرف ربَّه ويعبده في حالة الصحة والرخاء، فإنه إذا وقع في كربٍ فإنَّ الله ﷻ يرحمه ويكشف ما به، ولهذا قال: «**يعرفك في الشدة**»؛ ومن الشدائد الموتُ وما بعده.

وقوله: «**إذا سألتَ فاسأل الله**»؛ أي: اجعل مسألتك لله وحدَه، مستغنيًا عنِ الخلق، فإنهم لا ينفعونك في شيء، وإذا لجأتَ إلى الخلق فسوف يضيع قلبُك بين شتاتِ الناس.

قوله: «**وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله**»: الاستعانة بالله عبادةٌ لا بدَّ منها، وإن لم يُعِنِ الربُّ ﷻ عبدَه فأوَّل ما يَجْنِي عليه اجتهادُه، وهي العبادة المأمور بها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

قوله: «**قد جفَّ القلم بما هو كائنٌ**»: إلى يوم القيامة؛ أي: أنَّ الأمور قد كُتِبتْ وانتهتْ، فكلُّ شيء سيقعُ ولا يمكن أن يتخلَّف، فعليك التسليمَ والرضا بما قدَّر الله والصبر على ما يصيبك فالاحتساب يكون في هذا، ولهذا قال: «**قد جفَّ القلم بما هو كائنٌ، فلو أن الخلق كلَّهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيءٍ لم يَقْضِه الله لك لم يقْدرُوا عليه**»: ولو كان شيئًا تافهًا، «**وإن أرادوا أنْ يضرُّوك بشيء لم يَقْضِه الله عليك لم يقْدروا عليه**»؛ هذا هو الشاهد مع قوله: «**جفَّ القلم**».

قال: «**فاعمل لله بالشكر**»: الشُّكر معناه: استشعار القلب بالذُّلِّ لله ﷻ وبنعمته التي أنعم عليك، والالتجاء إليه في الاعتراف له بالنِّعَم والاستعانة بها على عبادَتِه، هذا لا بدَّ منه، وبالشكر في اليقين؛ أي: اليقين أنَّ هذا شيءٌ من عند الله ﷻ وأنه إذا كان خيرًا فهو المانُّ به، وإذا كان غير ذلك فإنه لا يصيبك إلا جزاء عملِك، فلتَصْبِرْ ولتَحْتَسِبْ.

قال: «**واعلم أنَّ في الصبرِ على ما تكرَه خيرًا كثيرًا، وأنَّ النَّصرَ مع**

الصَّبرِ، وأنَّ الفرجَ مع الكربِ، وأنَّ مع العُسر يسرًا»: كلُّ جملةٍ من هذا الحديث تحتاج إلى وقوف طويل.

قوله: «رُفِعت الصحفُ وجفَّت الأقلام»؛ يعني: أنَّ الأمور قُضِيتْ وانتهَتْ، ولا يمكن أن يتغير شيءٌ منها.

وقوله في الحديث: «السعيدُ من سُعِد في بطن أمِّه»: لا يخالف الحديث، بل يتَّفق معه وكلُّه في ذكر المقادير التي سبقَ علمُ الله بها وكتابَتُه لها، وأنها تقع على حسب مشيئة الله وخلقه وإرادته.

وقوله: «إنما يسعد في بطن أمه مَنْ جرى القلمُ بسعادَتِه»: وسبق أنه ليس الأمر مقتصرًا على جريان القلم أو الكتابة فقط، إنما جريان القلم ما هو إلا كتابة عِلْمِ اللهِ في هذا المخلوق أنه سوف يعمل العمل الذي يكون سببًا للسعادة أو سببًا للشَّقاء، والله علَّام الغيوب.

* * *

۞ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق، قال: أنا الحسن بن علي بن زياد، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا سعيد بن عبد الرحمٰن قال: سمعت أبا حازم يقول: «إنَّ الله ﷻ عَلِمَ قبل أن يَكتُبَ وكَتَبَ قبل أن يخلُقَ، فمضى الخلقُ على علمه وكتابه»(١).

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا بحر بن نصر، ثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن ابن شهاب، أنَّ أبا خزامة حدَّثه أنَّ أباه حدَّثه أنه قال: يا رسول الله، أرأيت دواءً نتداوى به ورُقًى نسترقيها وتُقًى نتَّقِيه، هل يَرُدُّ ذلك من قَدَرِ الله من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه من قَدَر الله»(٢).

۞ قال الشيخ رَحِمَهُ الله: والذي يشهد لهذا الحديث بالصحة قولُه ﷺ: «كلٌّ مُيسَّر لما خُلِق له»(٣)، فهو إذا تداوى أو استرقى أو اتقى فبتقدير الله وتيسيره أمكنه ذلك، ولو لم يقدره لم يتيسر منه فعل ذلك، وبالله التوفيق».

الشَّرح

يعني: إنَّ المقادير التي قدَّرها الله ﷻ منها الأعمال التي يعملها الإنسان، وأنَّ الإنسان لا يخرج عن قدر الله ﷻ، وكونه مثلًا يتَّقِي الأمور التي قد يظهر له شيءٌ من أماراتها هو من القدر.

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٢٨)، والمصنف في «القضاء والقدر» (١٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٤٧٢)، والترمذي (٢٠٦٥)، وابن ماجه (٣٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

وذلك كما قال عمر ﷺ لما أخبروه عن الوباء، عن عبد الله بن عبَّاس ﷺ: أنَّ عمر بن الخطّاب ﷺ، خرَجَ إلى الشَّام، حتَّى إذا كان بِسرْغ لقِيَهُ أمرَاءُ الأجنادِ، أبو عبيدَةَ بن الجرَّاحِ وأصحابُهُ، فأخبرُوهُ أنَّ الوباءَ قد وقعَ بأرضِ الشَّامِ. قال ابن عبَّاسٍ: فقالَ عمر: ادعُ لي المهاجِرينَ الأوَّلِين، فدَعاهُم فاستَشارَهم، وأخبرَهُم أنَّ الوباءَ قد وقعَ بالشَّامِ، فاختلَفُوا، فقالَ بعضُهُمْ: قد خرَجتَ لأمرٍ، ولا نرَى أن ترجعَ عنْهُ، وقال بعضُهُم: معكَ بَقِيَّةُ النَّاس وأصحابُ رسولِ الله ﷺ، ولا نرَى أن تُقدِمَهُم على هذا الوباء، فقالَ: ارتفِعُوا عنِّي، ثمَّ قال: ادعُوا لي الأنصارَ، فدَعَوتُهُم فاستَشَارهُم، فسَلَكُوا سبِيلَ المهاجرِينَ، واختلَفُوا كاختِلافِهِم، فقال: ارتفعوا عنِّي، ثُمَّ قال: ادعُ لي من كانَ ها هُنَا من مَشيخةِ قُريشٍ من مُهاجرةِ الفَتحِ، فدَعَوتُهُم، فلَم يَختَلِف مِنهُم عليه رجُلانِ، فقالوا: نرَى أن تَرجِعَ بالنَّاس ولا تُقدِمَهُم على هذا الوباء، فنَادَى عمر في النَّاسِ: إنِّي مُصبِّحٌ على ظهر فأصبِحُوا عليه. قال أبو عبيدَةَ بنُ الجرَّاحِ: أفِرارًا من قدرِ اللهِ؟ فقال عمر: لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدَةَ؟ نعم نفِرُّ من قدَرِ الله إلى قدَرِ اللهِ، أرأَيتَ لو كان لكَ إبِلٌ هبَطَتْ واديًا له عُدوتَانِ، إحداهُمَا خصِبَةٌ، والأُخرى جَدبَةٌ، أليسَ إن رعَيتَ الخَصبَةَ رعَيتَهَا بِقدرِ اللهِ، وإنْ رعَيتَ الجَدبَةَ رعَيتَها بِقدَرِ الله؟ قال: فجَاءَ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عوفٍ - وكانَ مُتغيِّبًا في بَعضِ حاجتِهِ - فقالَ: إنَّ عندي في هذا عِلمًا، سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**» قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ»[١]، حَمِد الله على كونه وافَقَ ما قاله رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩).

الشاهد: أنه قال: فرَرْنا مِنَ القدر إلى القدر، وهذا حقٌّ، فالإنسان لا يترك الأسباب بل يجب عليه أن يأخذَ بها، ففيها الوقاية وفيها الخير الذي يتوقَّعه، وهذه الأسباب من القَدَرِ، قدَّرها الله ﷻ، وعلى هذا الذي جاء في الحديث أنَّ صلة الرحم تزيد في العمر؛ بمعنى: أن هذا الرجل يكون واصلًا لرحمه فيكون عمرُه زائدًا كذا وكذا قبل وجودِه، في كتابة الأشياء القديمة الأزلية التي كتبها الله ﷻ، وليس كما يقول بعض العلماء: إنَّ هذا مُقدَّرٌ له تقديرين؛ أحدهما أنه إذا لم يَصِلْ يكون عمرُه مثلًا خمسين سنة، وإذا وَصَلَ رَحِمَه يكون عمره مثلًا ثمانين سنة، فهذا غير صحيح، فالله تعالى علَّام الغيوب، لا يخفى عليه شيءٌ، علم أنه يفعل فكتب كتابته في الأزل أن عمره كذا بسبب أنه سيصل رحمه، فكلُّ شيء مقدَّرٌ تقديرًا، ولا تخالف الأسباب التقدير، بل الأسباب من التَّقدِير الذي قدَّره الله ﷻ، فلا بدَّ من الأخذِ بالأسباب والاجتهاد في ذلك، واتقاء المحاذير، ويكون ذلك من القدر.



باب القولِ في خلق الأفعال

❁ «قـــال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢] فدخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشرِّ»

الشَّرح

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: كلمة «**شَيْءٍ**» أنكرُ النكرات، فمعنى ذلك: أنَّ «**كلّ**» مضاف و«**شيء**» مضاف إليه، فـ«**كل**» عموم و«**شيء**» عموم، فصار عامًّا عمومًا مطلقًا، فلم يخرج عنه إلا ما خرج بالعقل أو بغير ذلك؛ أي: أن المتكلِّم لا يدخل في ذلك، وإنما يدخل غيره، ومعلومٌ أنَّ الله ﷻ تتبعه أوصافُه وأفعالُه؛ لأنها تتعلق بذاتِه ومشيئتِه فلا يكون فيه دليلٌ لأهل الباطل الذين يقولون: هذا دليلٌ على أنَّ القرآن مخلوقٌ؛ لأنه شيء، كما قال بشر المَرِيسِي لعبد العزيز الكناني في المناظرة المشهورة التي سمَّاها «الحيدة»، فقال بِشْرٌ: أخبرني، هل القرآن شيء؟ وذلك حتى يتوصل لباطِلِه، فقال: إن كنت تريد بالشيء الوجودَ والعيَن فهو شيءٌ من هذا القبيل، أما إذا كنت تريد بالشيء المفعولَ الذي يُخلق، فليس هو داخلٌ في هذا؛ لأنه من صفات الله ﷻ[1].

فكل الأعيان تقوم بنفسها وتُشاهَد، بخلاف الأفعال فالأفعال لا تقوم إلا بفاعلٍ يفعَلُها ويأتي بها، فيقول: دخل فيه الأعيان والأفعال من الخير والشر؛ يعني: أنه ما خرج من هذا شيء.

(١) انظر: الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن (ص٣٣).

۞ «وقال: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] فنفى أن يكون خالق غيره ونفى أن يكون شيء سواه غير مخلوق، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الآية.

۞ ومعلومٌ أنَّ الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله خالقَ الأعيان والناسُ خالقِي الأفعال لكان خلقُ الناس أكثرَ من خلقِه، ولكانوا أتمَّ قوَّةً منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه؛ ولأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر أنَّ أعمالهم مخلوقةٌ لله ﷻ».

الشَّرح

قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]؛ أولًا: الخالق هو الذي يجب أن يُعبَد؛ لهذا قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾؛ أي: خلقوا خلقًا ثم تَشَابَه الأمر عليهم؛ أي: ما يدرون: أيهما مخلوقٌ لله وأيهما المخلوقٌ هذا الذي لا وجود له؟! إذًا فهم في ضلالٍ عميقٍ وكبيرٍ جدًّا، كيف يعبدون من هو مثلهم أو أقل منهم ولا يخلق؟!

فالخالق هو الذي يجب أن يُعبَد، وهذا كثيرٌ في كتاب الله ﷻ ثم قال: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كما مضى، فنفى أن يكون خالقٌ غيرَه؛ المفروض أن يكون خالقًا غيره؛ لأن «غير» ظرف، والظرف يتقدَّم على العامل.

ونفى أن يكون «شيء» سواه غير مخلوق، فلو كانت الأفعال غير

مخلوقةً لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها، وهذا خلاف الواقع.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]؛ وهذه الآية تنازَعَها أهلُ السُّنَّة والقدريَّة، كلُّ فريقٍ منهم يزعُمُ أنها دليلٌ له؛ أهلُ السُّنَّة يقولون «**ما**» مصدريَّة، فيكون المعنى: خلقَكم وخَلَقَ عملكم، أما القدريَّة فيقولون: «**ما**» موصولة، فيكون المعنى: الله خلقَكُم والَّذي تعملونه.

وهم كانوا يعملون الأصنام بأيديهم، وقد جادلهم إبراهيم عليه السلام في ذلك، وأنهم يعبدون أصنامًا يصنعونها بأيديهم، فالذي يعملونه خشبٌ وحصًى، إما خشبٌ ينجُرُونه أو حصًى يعملونه.

تقول القدرية في ذلك: إنَّ الله خلق الحصى وخلق الخشب، أمَّا عمل الإنسان فهو الذي يخلقه، هذا وجه الدَّليل لهم.

وأهل السُّنَّة يقولون: لا، هذه مصدرية، والمصدر يدخل فيه عملُ العامل وما يعمله، فتكون عامة.

والصحيح: أنها موصولةٌ وليست مصدريةً، ومع ذلك لا تدلُّ على الباطل وما يقولُه هؤلاء المبطلون الذين يجعلون الإنسانَ يَخْلُقُ مع الله، وهؤلاء مُشرِكون يُشرِكون مع الله ﷻ خلقًا كثيرًا، وشِرْكُهم في الربوبية، وهذا أعظم الشرك، نسأل الله العافية، فهم لا ينفكُّون عن الشرك لأنَّ الشركَ ملازِمٌ لهم دائمًا.

وبهذا يتبين أنهم بعيدون جدًّا عن الحقِّ.

وقوله: «**فأخبر أنَّ أعمالهم مخلوقةً لله** ﷻ»: هذا على كونها مصدريَّةً، ولكن حتى وإن كانت موصولةً فهي لا تدلُّ على الباطل؛ لأنَّ كلامَ الله حقٌّ ولا يكون دليلًا على الباطل، فإذا كان الخشبُ والحجارةُ

مخلوقةً له فكذلك الإنسان مخلوقٌ له، فيقال لهؤلاء: أليس الله خلقكم؟! وهم لا يمكن لهم أن ينكروا هذا، فيقال لهم: الإنسان بجملته مخلوقٌ لله، وفيه القدرة والاختيار، هل الإنسان خلق قدرتَه واختيارَه؟! لو كان يخلق قدرتَه واختيارَه؛ فلا يرضى لنفسه أنْ يكون أحدٌ أقدرَ منه، وأنْ يكون أحدٌ أكثرَ منه تفكيرًا، ولكن هذا كلُّه مخلوقٌ، فإذا كانت قدرتُه مخلوقة واختياره مخلوقٌ، فالفعل يقع بهذين الأمرَين؛ فهو يقع بما خلَقه الله ﷻ وإن كان الفعل يضاف إلى الفاعل، ولهذا يجزى به، فقال: بما عملتْ أيديكم؛ فيتبينُ أنَّه ليس معهم إلا الضُّلَّال في هذا، وإن كانوا يتعلَّقون بهذه الآيات فتعلُّقُهم باطِلٌ.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبيد الله بن المنادي، ثنا يونس بن محمد، ثنا شيبان، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الصافات: ٩٥] قال: الأصنام، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦] قال: خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم[١].

﴿ قلنا: ولأن الله تعالى قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١] فامتُدح بالقولَين جميعًا، فكما لا يخرج شيءٌ من علْمِه لا يخرجُ شيءُ غيرِه من خلقِه، ولأنه قال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٣ - ١٤]، فأخبر أنَّ قولهم وسِرَّهم وجهرهم خَلْقَه، وهو بجميع ذلك عليمٌ.

﴿ وقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾﴾ [النجم: ٤٣] كما قال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: ٤٤]، فكما كان مميتًا مُحْيِيًا بأن خلق الموتَ والحياة كان مضحِكًا ومبكِيًا بأن خلق الضحك والبكاء، وقد يضحك الكافر سرورًا بقتل المسلمين، وهو منه كفرٌ، وقد يبكي حزنًا بظهور المسلمين وهو منه كفرٌ، فثبت أنَّ الأفعال كلَّها خيرَها وشرَّها صادرةٌ عن خلقه وإحداثِه إيَّاها؛ ولأنه قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٤] فسلب

---

(١) أخرجه المصنف في «القضاء والقدر» (١٢٥)، وانظر: تفسير الطبري (١٩/ ٥٧٥).

عنهم فعل القتل والرمي والزرع مع مباشرتهم إيَّاه، وأثبت فِعْلَها لنفسه؛ ليدُلَّ بذلك على أن المعنى المؤثر في وجودها بعد عدمها هو إيجاده وخلقه، وإنما وُجِدَتْ من عباده مباشرة تلك الأفعال بقدرةٍ حادثةٍ أحدثَها خالِقُنا ﷻ على ما أراد، فهي من الله سبحانه خلقٌ على معنى أنه هو الذي اخترعها بقدرته القديمة، وهي من عبادِه كَسْبٌ على معنى تعلُّقِ قدرةٍ حادثةٍ بمباشرتهم التي هي أكسابهم، ووقوع هذه الأفعال أو بعضها على وجوهٍ تخالِفُ قصد مُكتَسِبِها يدلُّ على مُوقِعٍ أوقعها على ما أراد غيرَ مُكتسِبها، وهو ربُّنا خَلَقَنا وخَلَق أفعالنا لا شريك له في شيء من خلقِه تبارك الله ربُّ العالمين».

الشَّرح

هذا الكلام إلى الجبرِ أقربُ إلى إثبات القدر، وهذا الميلُ ميلُ الأشاعرة.

وسمَّى قدرة الإنسان قدرةً حادِثَةً مقارِنَةً للفعلِ، تقارِن الفعلَ لا تأثير لها، ولهذا استدلَّ **بقوله هنا**: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا استدلالٌ في غير محَلِّه؛ لأنَّ قوله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ **له متعلقان:**

أنَّ الله ﷻ أمَرَ نبيَّه أن يأخذَ حصباء من حصباء الوادي ويرمِيَها بيده نحو الكفار، فذهبت تلك الرمية ودخلت في أعينهم ومناخِرِهم، فأَخْذُ الحصباء وتحريك اليد بالرمي نحوهم هذا فعلُ الرسول ﷺ.

أما إيصال المرمِيِّ به إليهم وإدخالُه في مناخِرِهم وأعينهم فهذا ليس بقدرة الرسول ﷺ هذا الذي نُفِي عن الفعل وأُثبِت لله ﷻ.

فإذًا المنفيُّ غيرُ المثبَت، وليست الأمور كلُّها أمرًا واحدًا، وجعلُه

الرميَ كلَّه لله ﷻ فيه استدلالٌ للجبرية أنفسِهم الذين يقولون بالجبر.

والجبرية انشَقُّوا عن القَدَرِيَّة، وقالوا: إنَّ الإنسان لا قدرةَ له أصلًا، فهو بمنزلة الآلة التي تُدَارُ لا اختيار لها، أو بمنزلة الرِّيشة التي تكون في مهبِّ الريح، مرَّةً تروحُ ومرَّةً تَغْدُو، ويقولون عن الحركة أنها حركةٌ اضطراريةٌ ليس فيها حركةٌ اختيارية، فحركة الإنسانِ من يده ورِجْلِه وغير ذلك مثلها مثل حركات العروق ونبضها عندهم.

فيقال لهم: لو كان أكلكم ونومكم ومشيكم وذهابكم ورجوعكم لا اختيار لكم فيها، وليس من فعلكم وليس بإرادتكم، كذلك لو أحرقتُ مالكم وضربتكم فهذا ليس بفعلي ولكني مجبر عليه، فلا تلمني!!

إذًا هذا المذهب الباطل لا يمكن أن يقوم عليه دينٌ أو دنيا، فالإنسان يجب أن يحاسَبَ بأفعاله؛ لأن الله خلق له اختيارًا وقدرة وإرادة.

والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الكلام هو أقربُ إلى الجبر من إثبات القَدَر.

نقول: هذا الذي استدل به المؤلف لا يدلُّ على أنَّ الإنسان ليس له اختيارٌ.

قوله: «وإنما وُجِدَتْ من عباده مباشرة تلك الأفعال بقدرةٍ حادثةٍ» كلمة «القدرة حادثةٌ» قارنت الفعل؛ أي: لا تأثيرَ لها في الفعل، وهذا غيرُ صحيحٍ، بل لها تأثيرٌ، والإنسان بأفعالِه، ولهذا فالله ﷻ أخبر أنهم يدخلون الجنة بما كانوا يعملون، وكذلك النار بما كانوا يعملون، فالباء في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٦٩﴾ تنازعت القدرية وأهل السُّنَّة عليها، كلٌّ واحدٍ يقول لها معنى مختلفًا عن الآخر:

فالقدرية يقولون: هذه باء البدل والعوض بما كانوا يعملون، ولهذا

قالوا: يجب على الله أن يُثِيب الطائع ويعاقب العاصي، فكيف لمخلوقٍ أن يوجب على الله شيئًا؟! تعالى الله علوًّا كبيرًا.

وأهل السُّنَّة يقولون: الباء للسببية؛ أي: بسبب ذلك، وإلا مثل ما قال الرسول ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضلٍ وَرَحمةٍ**»[(١)]، ولكن الأعمال سببٌ وليس عوضًا، فالجنة تُدخَلُ برحمة الله، ولكن بسبب العملِ، العملُ الذي عَمِلَه الإنسان، والإنسان عامِلٌ، ولهذا يقول المصطفى ﷺ: «**خير الأسماء ما عُبِّد وحُمِّد، وأصدقها حارثٌ وهمَّام**»[(٢)]؛ لأن الإنسان عامِلٌ وعنده هِمَّة وأفكار يُصدِرُها، تَصدُر من قلبِه وتنبعثُ على جوارِحِه ثم يعمل، فهو همَّامٌ وحارِثٌ، والحارث هو العامل.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٨٢٦٨)، وعند أحمد (١٧٦٠٦): «**إنَّ خيرَ الأسماء عبدُ اللهِ وعبد الرَّحمٰن والحارثُ**».



ﷺ «وكان الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان يعبِّر عن هذا بعبارةٍ حسنةٍ، فيقول: فعل القادر القديم خلقٌ وفعل القادر المحدَث كسبٌ، فتعالى القديم عن الكسبِ وجلَّ، وصَغُر المحدَث عن الخلقِ وذلَّ، وقد أثبت الله سبحانه كَسْبَ العباد وخَلْقَه كَسْبَهم بما ذكرنا من الآيات في هذا الموضع.

ﷺ وفي كتاب «القدر» مما لم نذكُرْه هاهنا، وبمثل ذلك جاءت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ».

الشَّرح

سَبَقَ لأبي الطيِّب أنه تكلَّم كلامًا قريبًا من هذا، وهذا الكلامُ يدُلُّ على الجبرِ، وهذا نفس الشيء، هذه العبارة التي استحسنها البيهقيُّ هي إلى الجبر أقربُ، ويصفها: «**بعبارةٍ حسنةٍ**».

قوله: «فعل القادر القديم خلقٌ وفعل القادر المحدَث كسبٌ»: الكسب هو العمل، قال الله ﷻ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، ولكنَّ الكسب عندهم غير ذلك، فالكسب عندهم ـ كما سبق ـ عبارة عن مقارنة القدرة للفعل، والقدرة التي لا تُؤثِّر فيه ما الفائدة إذًا منها؟!

فعندهم: إذا أخذتَ حجرًا وضربت الزجاجةَ وانكسرتْ، يقولون: الله خلقَ الكسرَ عند اصطدامِ الحجرِ بالزجاج، وإذا جئت بحطبٍ وأشعلتَ النار فيه، يقولون: خلق الله الاحتراق عند ملامسة النار للحطب، سبحان الله!

كذلك يقولون: إذا عَمِلَ الإنسانُ فقدرَتُه التي خُلِقَتْ له صارت مقارِنَةً لهذا الفعل، ولكن لا تأثير لها، فالفاعل هو الله ﷻ.

إذًا هذا من مبادئ الجبرِ عند الجبريين، من أنَّ الإنسان مجبورٌ، وهذا مذهب الأشعرية كذلك، وهذا الذي يقولون لا حقيقةَ له، وهو من عجائب الكلام.

قوله: «**فتعالى القديم**»: سَبَق أن الله لا يُسمَّى (القديم).

قوله: «**فتعالى القديم عن الكسبِ وجلَّ**»: الكَسب هو العمل، لا فرق بينهما، يقول الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالكسب هو العمل نفسه، ويقول تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] يعني: هذا عملُكم جُوزِيتُم به.

قوله: «**وصَغُر المحدَث عن الخلقِ وذلَّ**»: «صَغُر المحدَث»؛ أي: المخلوق، «عن الخلق وذلَّ»: لأن المحدث لا يخلق شيئًا في الحقيقة، وقد أثبت الله سبحانه كَسْبَ العباد؛ فنقول: لا فرق بين الكسب والعمل؛ لأنَّ الكسب هو العمل، والمحدث أقدره الله تعالى على العمل، ولهذا كلف بالعبادة.

قوله: «**كتاب القَدَر**»: له كتاب «القضاء والقدر» ألَّفه في القدر، ولكنه كلُّه حول هذا الأمر، ومن أعجب الأشياء فيه أنَّك تجِدُ الأمور الواضحة يأتي بها ثم يجعلها دليلًا على أمورٍ لا تدلُّ عليها!

* * *

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو النضر الفقيه، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا علي بن المدِيني، ثنا مروان بن معاوية، ثنا أبو مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يصنع كلَّ صانعٍ وصنعته»[(١)]».

الشَّرْح

بعض العلماء تكلم في هذا الحديث، وبعضهم صحَّحه، وقد استدلَّ به البخاريُّ في كتابه «خلق أفعال العباد».

قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كلَّ صانعٍ وصنعتَه»: هذا من باب الخبر وليس لنا أن نسمي الله ﷻ بالصانع، وذلك مثل ما مرَّ من قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤] فالله لا يسمى زارعًا وإنما يُخبَرُ عنه بذلك.

* * *

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٤٦)، والحاكم (١/ ٣١)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٣٧، ٥٧٠، ٨٢٥)، وفي «شعب الإيمان» (١٩٠).

﴿ «أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر الأصبهاني، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا هشام (ح).

﴿ وأنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق، أنا محمد بن عيسى بن السكن الواسطي، ثنا القواريريُّ، ثنا معاذ بن هشام، ثنا أبي، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي موسى رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الخير والشر خليقتان يُنصبان للناس يوم القيامة»[١].

﴿ وفي رواية أبي داود: «والذي نفسي بيده، إنَّ المعروف والمنكر لخليقتان، يُنصَبان للناس يوم القيامة، فأمَّا المعروف فيَعِد أهلَه الخيرَ ويمنِّيه، وأما المنكر فيقول: إليكم إليكم، وما يستطيعون له إلا لزومًا»[٢].

الشَّرح

هذا الرجل «ابن فُورك» هو الذي أثَّر على البيهقيِّ، وهو الذي أَخَذَ مذهَبَه؛ لأنَّ هذا من الأشاعرة المتحمسين للأشعريَّة، وهو من المؤوِّلين التأويل الشاذ، وله قصصٌ عجيبة، وله كتابٌ سمَّاه «تأْوِيل الأَخبار»، فيه تأويلٌ فظيعٌ، وهذا الكتاب هو الذي ردَّ عليه أبو يَعلَى في كتابه «إبطال التأويلات».

قوله: «والذي نفسي بيده، إنَّ المعروف والمنكر لخليقتان، يُنصَبان للناس يوم القيامة...»: هذا الحديث ليس من كلام النبوة، والله أعلم، فهو حديثٌ ضعيفٌ لا يثبت؛ فالأعمال تأتي يوم القيامة مثل ما قال الله ﷻ:

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٥٣٧).

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٨] الأعمال تُرى، والله يجعل لها أجسامًا فتُرَى، ولهذا يُنصَب الميزان وتوضع فيه الأعمال.

* * *

﴿«أخبرنا أبو منصور أحمد بن محمد بن منصور الدامغاني نزيل بَيْهَقَ، ثنا أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، قال: أخبرني الحسن بن سفيان، ثنا أبو عمار، ثنا الفضل بن موسى، عن أبي فروة الرهاوي، عن أبي يحيى الكلاعي، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: أنا الله لا إلٰه إلا أنا، خلقتُ الخير وقَدَّرْتُه، فطوبى لمن خلقتُه للخير وخلقتُ الخيرَ له، وأجريتُ الخير على يدَيْه، أنا الله لا إلٰه إلا أنا، خلقتُ الشرَّ وقَدَّرْتُه، فويل لمن خلقتُ الشرَّ له وخلقْتُه للشرِّ وأجريت الشرَّ على يَدَيْه»[1].

الشَّرح

المقصود: أنَّ الله جل جلاله خلقَ الخيرَ والشَّرَّ؛ لأنَّه خلقَ فاعِلَ الخيرِ وفاعِلَ الشَّرِّ، وجعلَه قادِرًا على ذلك مختارًا له، هذا أمرٌ ظاهرٌ.

* * *

(١) رواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٥١)، والقزويني في «أخبار قزوين» (٤/ ٨٩ ـ ٩٠)، ولم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

۞ «وأما ما رُوِي في حديث دعاء الاستفتاح: «والخير في يديك والشرُّ ليس إليك»(١): فإنما معناه: الإشارة إلى استعمال الأدب في الثناء على الله ﷻ، والمدح له بأن يُضافَ إليه محاسن الأمور دون مساوِيها، ولم يقصد به إدخال شيء في قدرته ونفي ضدِّه عنه، فقد قال في هذا الحديث: «والمهْدِيُّ من هَدَيْت»(٢).

۞ وفي حديثٍ آخرَ: «والمعصوم من عَصَم اللهُ»(٣).

۞ وفي ذلك دلالةٌ على أنه يهدي قومًا دون قوم آخرين، ومن لم يَهْدِه ولم يَعْصِمْه فقد خَذَلَه ومن خَذَلَه لم يُرِدْ به خيرًا، قال الله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]. وكان النضر بن شُميل يقول: (معناه: الشر لا يتقرب به إليك)».

الشَّرح

قوله: «والشرُّ ليس إليك»: هذا صحيح؛ لأن الشرَّ مخلوقٌ لله ﷻ ولكن من باب الأدب لا يضاف إلى الله ﷻ، ولكن: هل يقال: إنَّ الله لا يفعل إلا الخير والشرُّ لا يفعله؟

هذه مسألةٌ فيها غموضٌ، وبعض النَّاس قد يُنكِر هذا.

ذكر ابن القيم رحمه الله هذه المسألة، وقال: لا يجوز أن يُطلَق هذا لا

(١) أخرجه مسلم (٧٧١).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٢٣٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٠٥٨)، والحاكم (٤/٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦١١).

نفيًا ولا إثباتًا؛ لأن فيه شيئًا من الإيهام، فإذا كان فيه إيهامٌ فلا بدَّ من التفصيل، فلا تَنفِيه ولا تُثبته، إنك تقول: إنَّ الله يفعل الشرَّ، ولا تقول: إنَّه لا يفعل الشرَّ، هذا معناه؛ لأنه لا يوجد مع الله فاعلٌ حقيقةً، ولكن أفعال الله ﷻ لحكمةٍ أرادها، خلق الشيطان، وخَلَق النَّار، وخلق الكُفْرَ والمعاصي، هو الذي أوجد ذلك وقدَّره[(١)].

نقول: إن هذا من باب الأدب مع الله، وإلا فالخير والشر كلُّه داخِلٌ في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، لا بدَّ، غير أنَّ عند الإثبات والإفراد هنا لا تنفي ولا تُثبت، كما قال ابن القيم، لا تقول: إنَّ الله خالِقُ الشَّرِّ، ولا تقول: إنَّ الله غيرُ خالقِ الشرِّ؛ لأنَّ النفي باطِلٌ، والإثبات فيه إساءةٌ لله ﷻ.

قوله: «معناه: الإشارة إلى استعمال الأدب في الثناء على الله ﷻ»: يعني: أنه ليس حقيقة.

قوله: «ومن لم يَهْدِه ولم يَعْصِمْه فقد خَذَلَه ومن خَذَلَه لم يُرِدْ به خيرًا...».

هذا بلا شكٌّ هو الحق، فالمهدِيُّ من هداه اللهُ، والضالُّ من أضلَّه الله، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥]؛ قابلًا للإسلام محبًّا ومريدًا له، فمن الذي خلق الحب والإرادة في الصدر والانشراح؟ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات: ٧ ـ ٨]؟ هذا فضلٌ مِنَ الله كونه هو الذي حبَّب إلى إنسان الإيمان وزيَّنه في قلبه، وآخر لم يحبِّب إليه الإيمانَ ولم يُزَيِّنْه في قلبه،

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٢٢ ـ ٣٢٣).

ووَكَلَه إلى نفسه، فيكون هو الضالَّ، فقال: كونه إذا أضلَّ العبدَ يعني: وَكَلَه إلى نفسِه ومَنَعَه فضْلَه.

المقصود: إن الله ﷻ هو الخالق لكلِّ شيء وهو الربُّ، والربُّ هو المالك المتصرِّف الذي يملك الشيء ويتصرَّف فيه بقدرته وإرادته، وابن آدم ضعيفٌ لا يستطيع أن يملك مع الله شيئًا، والله خلق الإنسان وجعل له قدرةً واختيارًا، وبالقدرة والاختيار يعمل ما يريد.

ولهذا فالأوامر التي أمر الله ﷻ بها العبادَ محدَّدةٌ، فلماذا بعضهم يعملها ويستجيب وبعضهم يكرهها؟

هذه حكمة الله ﷻ وإرادته، ثم فضلٌ منه ﷻ يجعله في مواضعه، يُزَيِّن الإيمان في القلب ويحَبِّبه إلى من يريد هدايته، ويُكرِّه إليه المعاصي.

وبعض الناس تنعكس القضية أمامه؛ فيكره الخير ويحب الباطل، وهذا الحبُّ والبغض أمرٌ يصدر من الإنسان نفسِه، ولكن الواقع أنَّ الله خلق ذلك في القلب.

لهذا أمرنا ربُّنا ﷻ أن نسأله فضلَه وهدايته، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، في كل ركعة من ركعات الصلاة، فإذا لم يَهْدِنا ربنا ﷻ، ويجعل الإيمان عندنا محببًا مُزَيَّنًا ضللنا بأعمالنا وأفكارنا، واختيارنا، فالإنسان يضِلُّ، والله لا يظلم أحدًا ـ تعالى وتقدَّس ـ.

أصل المسألة: الجمع بين القدر وبين الشَّرع، والقدريون ما استطاعوا أن يجمعوا بين قدر الله وشرعه، إنَّ الله يأمر بالتوحيد والعبادة، وقد قدَّر الأمور قبل وجودِها، حتى المشركون قالوا للرسول ﷺ: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، هل

يريدون بذلك إثبات المشيئة العامة؟ كلا، بل يريدون معارضة الرسول ﷺ، بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، قالوا: شركنا وقَعَ بمشيئةِ الله، وهذا دليلٌ على أنه راضٍ به، فلو شاء ما أشركنا، وأنت تأمرنا بخلاف ذلك، فلا نقبل ذلك، فهم عارضوا الشرع بالمشيئة العامة الشاملة، كما قال إبليس: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، حين أمره الله بالسجود، كان يستطيع السجود، ولكن كبره جعله يقول: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، كأنه يقول: الأمر هذا ليس في مكانه، وآدم خلق من طين وأنا خلقت من نار، والنار تطلب العلو والارتفاع، والطين يُوطَأ ويُهَان، قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾؛ كأنه يريد لآدم أن يسجد له!

* * *

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: سمعت العباس بن محمد الدُّوري يقول: سمعتُ يحيى بن مَعِين يقول: قال النضر بن شُميل: «والشر ليس إليك، تفسيره: والشرُّ لا يُتقرَّب به إليك»[(١)].

الشَّرح

قوله: «النضر بن شميل»: النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحدُ الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة، وُلِد بمرو ـ من بلاد خراسان ـ في حدود سنة (١٢٢هـ)، وانتقل إلى البصرة مع أبيه سنة (١٢٨هـ)، وأصله منها، فأقام زمنًا، وعاد إلى مرْوَ فوَلِي قضاءه، واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقرَّبه، توفي بمرو سنة (٢٠٣هـ)، وكان من أهل السُّنَّة[(٢)].

قوله: «والشرُّ ليس إليك»: تفسيره: «**لا يُتقرَّب به إليك**».

* * *

---

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥٦٣)، والمصنف في «القضاء والقدر» (٤٠٠).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٧٣)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٨٠)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٢/ ٧).

﴿ «أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطّان، في آخرين قالوا: أنا إسماعيل بن محمد الصفَّار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا إسماعيل بن عُلية، عن يزيد، عن مُطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، (ح).

﴿ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر بن إسحاق، أنا إسماعيل بن قتيبة، ثنا يحيى بن يحيى، أنا حمَّاد، عن يزيد الرِّشْك، ثنا مُطَرِّف، عن عمران بن حُصينٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ، قال: قيل: يا رسول الله، أعُلِمَ أهلُ الجنَّة من أهل النَّار؟ قال: «نعم»، قيل: ففيمَ يعمَلُ العاملون؟ قال: «كلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له»[1]، وفي رواية ابن عُلَية قال: «اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ»، أو كما قال».

الشَّرح

قوله: «كلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له»؛ يعني: بالعمل، فلا بدَّ منه، ولهذا لما سمع الصحابةُ هذا الكلام اجتهدوا في العمل.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٦، ٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩).

﴿ «قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما بلغني عنه في هذا الحديث: فأعلمهم ﷺ أن العلم السابق في أمرهم واقِعٌ على معنى تدبير الربوبية، وأنَّ ذلك لا يبطل تكليفهم العمل بحقِّ العبودية، إلا أنه أخبر أنَّ كلًّا من الخلق مُيسَّر لما دبِّر له في الغيب، فيسوقه العمل إلى ما كُتِب له من سعادةٍ أو شقاوةٍ، فيثاب ويعاقَب على سبيل المجازاة، فمعنى العمل: التعريض للثواب والعقاب، وبه وقعت الحُجَّة، وعليه دارت المعاملة».

الشَّرح

كما سبق؛ أنَّ الله ﷻ عَلِم ما سيعْمَلُه هذا المخلوقُ باختياره وقدرتِه، فكَتَبه وكتب عِلْمَه، والكتابة لا تلزم أحدًا، وإنما هذا الجزاء بالعمل، فميسَّرٌ لما خُلِق له في عِلْمِ الله، من العمل الذي سيعمله، ويلقى عليه جزاءه.

* * *

۞ «وكان الشيخ أبو الطيب، سهلُ بنُ محمد بن سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أعمالنا أعلام الثواب والعقاب.

۞ قلنا: وليس لقائلٍ أن يقول إذا خُلِقَ كَسْبُه ويَسَّرَه لعملِ أهل النار، ثم عاقبه عليه: كان ذلك منه ظلمًا، كما ليس له أن يقول إذا مكَّنه منه، وعلم أنه لا يتأتَّى منه غيره، ثم عاقبه: كان ذلك منه ظلمًا؛ لأن الظلم في كلام العرب مجاوزةُ الحدِّ، والذي هو خالقنا، وخالق أكسابنا، لا آمر فوقه، ولا حادَّ دونه، وكلٌّ من سواه خَلَقه ومَلَكه، فهو يفعل في ملكِه ما يشاء، لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألُون».

۞ الشَّرح ۞

هذا خطأ، فتفسير الظلم ليس هو مجاوزة الحدِّ، وقد يُعبَّر بعبارة أخرى، فيقول: الظلمُ هو التصرُّف في ملك الغير بغير حقٍّ، واللهُ له أن يتصرَّف في كلِّ شيء فهو ملكه.

الصحيح أنَّ تفسير الظلم في اللغة: هو وضع الشيء في غير موضعه، وهو كذلك في الشرع.

ولهذا صار الشرك أظلمَ الظُّلمِ؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣]، حيث وُضِعت العبادةُ في غير محلِّها، فالعبادة يجب أن تكون لله ﷻ[(١)].

قوله: «**الشيخ أبو الطيب**»: هو أشعريٌّ، يستدلُّ للمذهب

(١) الاستقامة، لابن تيمية (٤٦٤)، وغريب الحديث، لابن قتيبة (١/ ٤٨٤)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣).

الأشعريِّ، وهو سهلُ بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري، وكنيته: أبو الطيّب، مفتي نيسابور، وابن مفتيها، توفي سنة (٤٠٤هـ)[1].

* * *

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر (٢١١)، وطبقات الشافعية، للسبكي (٤/ ٣٩٦)، وسير النبلاء (١٧/ ٢٠٧)، ووفيات الأعيان (٢/ ٤٣٥).

۞ «أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن مِحْمَشٍ، الفقيه الزيادي، أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد آبادي، ثنا أبو قِلابة، ثنا عثمان بن عمر، (ح).

۞ وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا محمد بن يعقوب الشيباني، ثنا محمد بن شاذان، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنا عثمان بن عمر، أنا عزرة بن ثابت، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبي الأسود الديلي، قال: قال لي عمران بن حُصين ﵁: «أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قُضِي عليهم ومضى عليهم من قدرٍ قد سبق أو فيما يستقبلونه ممَّا أتاهم به نبيُّهم ﷺ وثبتت الحجَّة عليهم؟ فقلتُ: بل شيء قُضِي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففَزِعْتُ من ذلك فزعًا شديدًا، وقلتُ: كلُّ شيء خَلْقُ الله ومُلْكُ يدِه، فلا يُسأل عما يَفعَل، وهم يُسألون، فقال لي: يرحمك الله، إني لم أُرِدْ بما سألتُك عنه إلا لأحرز عقلك. إن رجلين من مُزَينة أتيا رسول الله ﷺ، فقالا: يا رسولَ الله، أرأيتَ ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيءٌ قُضِي عليهم ومضى فيهم من قدرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلونه به مما أتاهم به نبيُّهم ﷺ وثبتت عليهم الحجة؟ فقال: لا، بل شيء قُضِي عليهم ومضى فيهم، قال: ففيم نعملُ إذا؟ قال: من كان الله خلقه لواحدةٍ مِنَ المنزلتين يسَّرَه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨]»[١].

الشَّرح

قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: الخيرَ أو الشَّرَّ، فهذا الحقُّ؛ إنَّ كلَّ إنسانٍ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له، ولكن التيسير بالعمل الذي يعمله، فعاملٌ يعمَلُ للخير، وعامِلٌ يعملُ للشَّرِّ، وهم يتقرَّبون إلى المنزلة التي خلقوا لها.

* * *

(١) أخرجه البخاري مختصرًا (٦٥٩٦)، وبلفظه أخرجه مسلم (٢٦٥٠).

ﷺ «أخبرنا أبو الحسين، عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشْران ببغداد، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفَّار، ثنا الحسنُ بن مُكْرَمٍ، ثنا إسحاق بن سليمان الرَّازي، ثنا أبو سِنان سعيد بن سِنان الشيبانيُّ، قال: سمعت وهب بن خالد الحمصي، يحدِّثنا عن ابن الديلمي، قال: وقع في نفسي شيءٌ مِنَ القَدَرِ، فأتيتُ أُبَيَّ بن كعب، فقلتُ: أبا المنذر، وقع في نفسي شيءٌ مِنَ القدرِ، فخفتُ أن يكون فيه هلاكُ دِيني أو أمْرِي، فقال: يا ابنَ أخي، إنَّ الله ﷻ لو عَذَّب أهل سماواتِه وأهل أرضِه لعذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رَحِمَهم لكانت رحمتُه خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنَّ لك مثلَ أُحدٍ ذهبًا أنفقتَه في سبيل الله ما قَبِلَه الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطِئَك، وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، وإنك إنْ متَّ على غير هذا دخلتَ النَّار، ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله، فأتيتُ عبد الله بن مسعود، فسألتُه، فقال مثل ذلك، وقال لي: لا عليك أن تأتي حذيفةَ بنَ اليَمَان فتسْأله، فأتيتُ حذيفة بن اليمان، فسألتُه، فقال لي مثل ذلك، وقال: ائتِ زيدَ بنَ ثابتٍ فسَلْهُ، فأتيت زيد بن ثابت، فسألته، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول... فذكر مثلَ ذلك»(١).

الشَّرح

الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بهذا التوضيح قد أزالوا الشبهة

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٨٩)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧).

بالأثر وما سَمِعُوه مِنَ الرسول ﷺ، ولم يَرجِعُوا إلى العقل من أن يقولون: كذا وكذا، فالواجب أن نتَّبعَ ما جاءنا عن رسولنا ﷺ، وما قاله الله ﷻ، ولكن يبقى **قوله**: «**إنَّ الله ﷻ لو عَذَّب أهل سماواتِه وأهل أرضِه لعذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم**...»، هذا حقٌّ؛ لأنَّ العبد لا يستطيع أن يقوم بما أوجبه الله عليه على وجه الكمال، غير أنه إذا قام بالبعض يعفو الله ﷻ عن الكثير منه؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

لو يؤاخذهم على حسب الحق الذي أوجبه لهم: لاستوجبوا العذابَ، ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]؛ أي: أن الله يضاعف المثقال من الحسنات حتى يُدخِلَه به الجنة، فكلُّه فضلُ الله ﷻ، وحقُّ الله عظيمٌ على الإنسان، ولكنَّه لا يستطيع أن يقوم به، فيعفو ﷻ.

* * *

﴿ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تابعه سفيان الثوري فرواه في (جامعه)، عن أبي سِنان هذا، ورواه أيضًا كثيرُ بن مُرَّة، عن ابن الديلمي، إلا أنه زاد: سعد بن أبي وقاص في أوله، ولم يذكر حذيفة.

الشَّرْح

هذه مَيْزة البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كونه يروي الآثار والأحاديث، وإن كان يخالف في تفسيره أحيانًا، والخطأ لا بد منه، ولكن إذا كان الغالب عليه الحقَّ فهو من أهله إن شاء الله.

* * *

﴿«أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا محمد بن علي بن عبد الحميد الصغاني، ثنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِي، أنا عبد الرَّزَّاق، عن مَعْمَرٍ، قال: بلغني أنَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «وددْتُ أني أجِدُ من أخاصِمُ إليه ربي، فقال أبو موسى: أنا، فقال عمرو: أيقدِّرُ عليَّ شيئًا ويعذِّبُني عليه؟ فقال أبو موسى رضي الله عنه: نعم، قال: لِمَ؟ قال: لأنه لا يَظْلِمُك، فقال: صدقت»[1].

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا الشيخ أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أنا إسماعيل بن إسحاق، ثنا محمد بن عبيد، ثنا حماد بن زيد، عن حبيب بن الشهيد، قال: سمعت إيَاسَ بن معاوية، يقول: لم أخاصم بعقلي كلِّه من أهل الأهواء غير أصحاب القَدَر، قلتُ: أخبرني عن الظلم في كلام العرب، ما هو؟ قال: أنْ يأخذ الرجُلُ ما ليس له، قلتُ: فإنَّ الله له كلُّ شيء.

﴿ قال الشيخ أبو بكر: الظلم عند العرب هو فعل ما ليس للفاعل فعْلُه، وليس من شيء يفعلُه الله إلا وله فعلُه، ألا ترى أنه فاعِلٌ بالأطفال والمجانين والبهائم ما شاء من أنواع البلاء، فقال: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، فأغرقَهم؛ صغيرَهم وكبيرَهم، وقال: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾ [الذاريات: ٤١]، وغير ذلك من

---

(١) أخرجه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٠٩٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢١٠١٤).

الآيات الواردة في تعذيب الصغير والكبير والأطفال والمجانين بأنواع البلاء»[١].

الشَّرح

قوله: «**الظلم عند العرب هو فعل ما ليس للفاعل فعْلُه**»: هذا ظاهر، ولكنَّه عامٌّ داخِلٌ فيه، وما هو دقيقٌ في تفسيره، فأحسنُ منه كونُ الظلمِ هو: «وضع الشيء في غير موضِعِه»، هذا أدَقُّ وأصَحُّ تفسيرٍ وُضِعَ.

قوله: «**الأطفال والمجانين**»: ليس لهم دخلٌ في هذا؛ لأنَّ العقاب يكون للشيء الظاهر، ثم بعد ذلك يُجزَون على حسب أعمالهم ونيَّاتهم، لهذا ثَبَتَ في «صحيح البخاري» وغيره: عن عائشة ﵂، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**يغزُو جيشُ الكعبةَ، فإذا كانُوا بِبَيداءَ من الأرضِ، يُخسفُ بأَوَّلِهم وآخِرِهم**» قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، كيفَ يُخسَفُ بأَوَّلِهم وآخِرِهم، وفيهِم أسواقُهُمْ، ومن ليسَ منهم؟ قال: «**يُخسَفُ بأوَّلِهِمْ وآخرِهم، ثمَّ يُبعثونَ على نِيَّاتِهِ**»[٢]، وهكذا إذا جاء العقاب يَعُمُّ، ولكن الجزاء يكون على حسب النيات؛ لأنَّ الباطل إذا ظهر ولم يُنكَر يَعُمُّ العقاب.



(١) أخرجه المصنف في «القضاء والقدر» (٣٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (٢١١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٢، ٢٨٨٣) بنحوه.

بابُ القولِ في الهداية والإضلال

﴿ «قال الله ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

﴿ وقال: معناه في غير آية من كتابه كتبناها في كتاب (القدر)».

الشَّرح

هذه المسألة مبنيَّةٌ على ما سَبَقَ.

المهتدي عند القدريَّة، هو الذي يفعل الهُدَى، والضالُّ الكافر يَضِلُّ بنفسه، والمهتدي يهتدي بنفسه، فعندهم ليس لله أن يُضِلَّ ويَهدِي، فإذا قيل لهم: إنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، قالوا: هذا معناه الدلالة، أنه يبين ويظهر حسن الإسلام وغيره، ولكن الهداية للإنسان هو الذي يَهتَدِي، وهو الذي يَضِلُّ!

ومعتقدهم هذا أنَّ المخلوق هو الذي يهتدي بنفسه، إن شاء اهتدى، وإن شاء ضلَّ، وهذا ضلالٌ ظاهرٌ.

* * *

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو عمرو بن السماك، أنا عبد الرحمٰن بن محمد بن منصور، ثنا يحيى بن سعيد، أنا يزيد بن كيسان قال: حدَّثني أبو حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمِّه: «قل: لا إلٰه إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة، فقال: لولا أن تُعيِّرَني نساء قريش لأقررت بها عينك»، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦][(١)].

ﷺ ورواه أيضًا سعيد بن المسيّب بن حزنٍ القرشي، عن أبيه، عن النبيِّ ﷺ.

الشَّرح

هذا الحديث صحيحٌ ثابتٌ.

خلاصة الباب: أنَّ الله ﷻ له مشيئة وإرادة، والعبد له مشيئة وإرادة، ولكنها بعد مشيئة الله تعالى، هذا كلُّ ما ذكره في هذا الباب، ولكن لا بد من تفصيل بعض الأمور:

قال الله ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام: ٣٩]، قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.

هذه الآيات بها ذِكرٌ لمشيئة الله العامة التي لا يخرج عنها شيءٌ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥).

والعبد له مشيئةٌ تكون داخلةً في مشيئة الله، فلا يشاء شيئًا حتى يشاؤه الله ﷻ ولكن مشيئته باختياره، وكذلك قدرته على ذلك بمشيئة الله، والعبد لا يَدْرِي ماذا يقع له في المستقبل! فيجب عليه أن يجتهد ويفعل الأسباب، ولا يقع إلا ما شاءه الله ﷻ ولكن ليس معنى ذلك: أنَّ العبد مجبرٌ على شيء معيَّنٍ؛ لأنَّ له المشيئة العامة التي سبَّبتْ كلَّ شيءٍ، وهو قد كَتَبَها، وتقع على وَفْقِ إرادته في الوقت المحدَّد في الزمن الذي أراده من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تقدَّم ولا تأخَّر، وكلُّ ذلك لا يدلُّ على أنَّ العبد مجبرٌ؛ لأن الله جعل له مشيئة.

قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ يعني: من يخلُقُ اللهُ ﷻ في قلبه الهدى، ويُزَيِّنُه فيه ويحبِّبه إليه؛ اهتدى، وهذا فضلٌ من الله على عباده زائدًا على ما يفعله العبد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾؛ أي: يمنع هُدَاه وفضله من هذا العبد، لا بد من أنْ يَضِلَّ، فلا يكون في ذلك ظلمٌ، ولا يكون فيه على العبد حَصْرٌ وجَبْرٌ، وكذلك الآيات التي بعدها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يعني: لا تَخْلُقُ الهُدَى في قلبِه، ولكنك تَدُلُّ وتُرشِد، وتُبَيِّن الهدى للخلق، فمن اهتدى فبفضل الله ومن ضلَّ فبعدلِ الله ﷻ، في «صحيح البخاري» عن سعيد بن المُسيب، عن أبِيه، قال: لمَّا حضرَتْ أبا طالبٍ الوفاةُ، جاءَهُ رسولُ الله ﷺ فوجَدَ عِندَهُ أبا جهلٍ، وعبدَ الله بن أبِي أُميَّةَ بن المغيرَةِ، فقالَ: «**أيْ عمِّ قُلْ: لا إله إلَّا اللهُ كلِمةً أُحاجُّ لك بها عند اللهِ**» فقالَ أبُو جهلٍ، وعبدُ اللهِ بنُ أَبِي أُميَّةَ: أتَرغبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ؟ فلم يزَلْ رسولُ الله ﷺ يَعرِضُها عليه، ويُعِيدانِهِ بِتِلكَ المقالَةِ، حتَّى قالَ أبو طالِبٍ آخِرَ ما كلَّمَهُمْ: على مِلَّةِ عبد المُطَّلِبِ، وأَبَى أنْ يقولَ: لا إلَهَ إلَّا الله، قالَ: قالَ

رسولُ الله ﷺ: «وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فأَنْزَلَ الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] وأنزَلَ اللهُ في أبي طالب، فقالَ لِرسُولِ الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]»[١].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٢) واللفظ له، ومسلم (٢٤).

ﷺ «أخبرنا أبو طاهر الفقيه، وأبو زكريا بن أبي إسحاق في آخرين، قالا: أنا أبو العباس ـ هو الأصمُّ ـ أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنا بشر بن أبي بكر، عن ابن جابر، قال: سمعتُ بُسْرَ بن عبيد الله، قال: سمعت أبا إدريس الخَولاني، يقول: سمعتُ النَّوَاس بن سمعان الكِلَابي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من قلبٍ إلا بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، إنْ شاء أقامه، وإنْ شاء أزاغه»، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ يا مقلِّب القلوبِ ثبِّتْ قلوبنا على دينِك، والميزانُ بيد الرحمٰن، يرفع أقوامًا، ويخفِضُ آخرين إلى يوم القيامة»[(١)]».

الشَّرح

الهداية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هدايةٌ بمعنى الدلالة والإرشاد؛ كقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي: أظهرنا لهم الدلائل والآيات الباهرة، التي لا يشكُّ أحدٌ في أنها من عند الله، ولكنهم اختاروا الكفر، فهذه الهداية هي التي تضاف إلى المخلوق، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: هداية الدلالة والإيضاح والإرشاد.

القسم الثاني: هداية بمعنى خَلْقِ الهدى في القلب، مثلما قال: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، فهذه إلى الله، لا يملكها أحدٌ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٣٠)، وابن ماجه (١٩٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٧٣٨).

إذًا منها ما هو غير مقدورٍ للإنسان، وهو كون الإنسان أن يُجعل قلبه محبًّا للخير ومريدًا له وقابلًا له، فهذه إلى الله ﷻ.

وهداية أخرى: بيان الحق، وإرشاد الناس إلى الأدلة والنظر وغير ذلك، فهي طريقة الرسل، فهذه تضاف إلى العبد، الذي يدلُّ ويَهدِي.

أما تقليب القلوب: فهي التصرُّف في خلق الله ﷻ.

والقلوب: خلق الله ﷻ، فهو يتصرَّف فيهم كيف يشاء، ولكن في ذلك إثباتُ الأصابع لله ﷻ.

* * *

❁ «قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: «بين أصبعين من أصابع الرحمٰن» أراد به كونَ القلوبِ تحت قدرة الرحمٰن».

❁ «وقد أثنى الله ﷻ ربُّنا على الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، وفيه وفي السُّنَّة دلالةٌ على أنَّ الله إن شاء هداهم وثبَّتهم، وإن شاء أزاغ قلوبهم وأضلَّهم، نعوذ بالله من زيغ القلوب».

❁ الشَّرح ❁

هذا دليل على إثبات الأصابع لله تعالى، ولكن دون تشبيهٍ وتكييفٍ لها.

قال: **«قال الشيخ** رَحِمَهُ اللهُ: **وقوله: «بين أصبعين من أصابع الرحمٰن» أراد به كونَ القلوبِ تحت قدرة الرحمٰن»**. يقول المعلق على الكتاب: «في هذا [النص] صرفٌ للكلام عن ظاهره فرارًا من إثبات الأصابع لله ﷻ كما يليق بجلاله» اهـ.

أقول: هذا الكلام صحيحٌ، ولكنه لم ينفِ الأصابع حتى نقول: إنه فرارٌ من كذا وكذا، ولكن نقول مع هذا الكلام الذي قاله: يجب أن تُثبت الأصابع لله ﷻ، وهو ما تعرَّض لهذا، ولم ينفها البتة، وإنما قال: **«أراد به كونَ القلوبِ تحت قدرة الرحمٰن»**؛ يصرفها كيف يشاء، وهذا حقٌّ.

معنى كون القلوب بين أصبعين: أنه يتصرَّف فيها كيف يشاء.

❁ ❁ ❁



ﷺ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب، أنا أبو يحيى بن أبي مسرة، أنا خلَّاد بن يحيى، أنا عبد الواحد بن أيمن المكي، عن عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه، قال: «لما كان يوم أُحد انكفأ المشركون، فقال رسول الله ﷺ: استووا حتى أُثني على ربِّي، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد كلُّه، اللَّهُمَّ لا مانعَ لما بَسَطْتَ، ولا باسِطَ لما قبضت، ولا هادِيَ لما أضْلَلْتَ، ولا مُضِلَّ لما هديت، ولا مُعطِيَ لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدتَ، ولا مُباعِدَ لما قاربت، اللَّهُمَّ ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللَّهُمَّ إني أسألك النعيم يوم القيامة والأمن يوم الخوف، اللَّهُمَّ إني عائذٌ بك من شَرِّ ما أعطيتنا، ومن شَرِّ ما منعتنا، اللَّهُمَّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنْه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللَّهُمَّ توفَّنا مسلمين، وأحْيِنَا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، اللهم قاتِلْ الكفرة الذين يُكذِّبون رُسُلَك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، إلهَ الحقِّ»[(١)]».

الشَّرح

هذا من الخضوع والذُّلِّ لله تعالى، وفي ذلك عبادةٌ وتقرُّبٌ له ﷻ، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٤٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٩).

إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

والواجب على العباد أن يقولوا مثل هذا، ويعلَمُوه ويعلِّموه أولادهم، ويمتثلوا به، فلا بد من الخضوع والذُّلِّ لله ﷻ، وأنه المتصرِّف في كلِّ شيء، والهادي المضلُّ ـ تعالى وتقدس ـ.

أما العباد: فليس لهم مع الله شيءٌ، وإنما هم خلقٌ من خلقِه، يتصرَّف فيهم كيف شاء، ولكن جعل فيهم العقول والأفكار، وجعلهم يختارون ما يَحسُن في أنظارهم وأفكارهم فيفعلونه، ويؤجرون عليه، أو يعذبون حسب عملهم.

* * *

﴿«أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس، أنا عثمان بن سعيد الدارمي، أنا عبد الله بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﵄ في قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٤] قال: قد دعا الله إلى توبته، ولكن لا يقدر العبد أن يتوبَ حتى يتوبَ الله عليه، قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، فبدأ التوبة من الله ﷿»(١)

﴿ وبإسناده إلى ابن عباس ﵄ في قوله: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، يقول: يحول بين المؤمن وبين الكفر، يحول بين الكافر وبين الإيمان».

الشَّرح

أي: حتى يجعلَه تائبًا، مثل ما سبق، كونه يحبِّب ذلك إليه، ويُزيِّنه في قلبه وفكْرِه، وإلا لا يتوب ولا يعمل، حتى يكون الله ﷻ هو الذي يَسَّر له ذلك، وتيسيره أن يجعل أسبابه متيسرة له، فيأتي بالسبب فيفعل.

أما أن يُعذَّب الإنسان بلا عملٍ، أو يدخل الجنة بلا عملٍ؛ فهذا لا وجودَ له، لا بدَّ أن يعمل ليجزى، فالإنسان عامِلٌ، وعملُه لا يقع إلا بمشيئة الله، والإنسان له مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فأثبت لنا مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله، فالمشيئة يحصل بها العمل.

* * *

(١) أخرجه الحاكم (١٨٦٨)، والمصنف في «القضاء والقدر» (٣٩١).

۞ «وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، قال: لو ردوا إلى الدنيا لحِيلَ بينهم وبين الهدى، كما حِيلَ بينهم أول مرَّةٍ في الدنيا»[١].

الشَّرح

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الكاف هنا تُسمَّى كافَ الجزاء، جزاءَ أنهم ردُّوه أوَّل مرَّةٍ، صارت قلوبهم لا تَقبَلُ الحقَّ، وهذا الجزاء من جنس العمل، ولهذا من العقاب: كونُ الإنسان يتمادَى في الضلال هذا عقابٌ له، فعقابُ الذَّنبِ يكون من جنسِه.

المقصود: أنَّ الإنسان غير مسلوبِ الاختيار، فله اختيار وله قدرة، وأما الهداية: فهي بيَدِ الله ﷻ، والهداية لا تُنافِي الاختيار الذي يكون في الإنسانِ، الإنسانُ قد يختار الخير، وقد يختار الشرَّ، بناءً على تقدير الله ﷻ له، فإن كان الله تفضَّل عليه، وزيَّن في قلبه الإيمان وحبَّ الخير؛ هذا سوف يعمل بعمله ذلك ويكون مهتديًا، أما إذا منع الله ذلك الفضل الذي يتفضَّل به: فسوف يعمل على حسب اختياره، وهو لا يختار إلا ما فيه شرٌّ له، وإن كان يرى أنه في العاجل خيرٌ.

* * *

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (١٠١٠)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٧٢١١).

﴾ «وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ۝٨٨﴾ [يونس: ٨٨]، فاستجاب الله لموسى عليه السلام، وحال بين فرعون وبين الإيمان حتى أدركه الغرق، فلن ينفعه الإيمان».

الشَّرح

قال هذا موسى عليه السلام بعدما تمادى فرعون في غيِّه ومحاربته للحق وأهله، فدعا عليه، وهكذا يكون التصرُّف إذا صار الإنسانُ محاربًا لله ولرسوله وللمؤمنين؛ بأن يُدعَى عليه أنْ يكفَّه اللهُ عن الحق وأهله، وأن يطمس عليه وعلى قوته.

وحال فرعون هو حالُ الكفَّار اليوم؛ يحاربون المسلمين؛ لأنهم مسلمون فقط، وما غلبهم وأعلى يدَهم وقوَّى شوكتَهم إلا أنَّ المسلمين بضَعْفِهم تخلَّوا عن أمرِ الله ومنهج رسوله، مما أدى بالكفار إلى أن تصرَّفوا فيهم بكلِّ مكانٍ، ولو امتثلوا أمرَ الله لصارت لهم القوة والغلبة واليد العليا، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠].

* * *

۞ «وقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]، يقول: أضللتني، وقوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٦١ ـ ١٦٣]، يقول: لا تُضلِّون أنتم، ولا أضَلَّ منكم إلا من قضيتُ له أنه صالِ الجحيم».

۞ الشَّرح ۞

قوله: «أضللتني»؛ أي: أغويتني.

هذا كلُّه احتجاجٌ بالباطل، ولا يجوز لعاقل أن يحتجَّ بمثل هذا، فالسجود سهلٌ وميسورٌ، ولكنه أبى مختارًا، ولهذا صار كافرًا ومخزيًّا، فيقول: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾، تبريرًا لفعله وكفره، وإلا فهو اختياره.

قوله: «ولا أضَلَّ منكم إلا من قضيتُ له أنه صالِ الجحيم»؛ أي: ولا يضل بكم أحد إلا من قُضي عليه أنه من أهل الجحيم، والقضاء ليس هو الفعل، فالقضاء عبارة عن علم الله، وكتابته لعلمه في هذا المخلوق، فالضلالة في الواقع وقعتْ منهم، فهم الذين ضلوا باختيارهم.

* * *



«وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، قال: زُين لكل أمة عملهم الذي يعملون حتى يموتوا».

الشَّرح

أي: زُيِّنت في نفوسهم أعمالهم فعملوها، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

على سبيل المثال: رأيتُ كتابًا لأحد الرافضة المتطرفين، سماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، يقول في مقدمته: «أودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين، وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون، أن ينفعني به في يوم لا ينفع مال ولا بنون»(١)، كيف لتحريف كلام الله ﷻ أن يوضع في ميزان الحسنات؟!!

الشاهد: إذا ضلَّ الإنسان ـ نسأل الله العافية ـ ورأى أنَّ الضلال حسنٌ، فلا حيلة فيه، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]؛ أي: ولو جئتهم بكلِّ آيةٍ لن يؤمنوا إلا أن يشاء الله، فالله ﷻ هو الخالق وهو المتصرِّف، فإذا صَرَف القلوب إلى شيء، لا بدَّ أن تعمل الأبدان والأجسام والقوى كلُّها في ذلك الأمر الذي انصرفت إليه القلوب، فالعمل بأيديهم وبأنفسهم، فقد يكون لهم الكفرُ أحسنَ وأفضلَ من الإيمان، كما هو الواقع الآن؛ تجدهم يحاربون الحق!

الخلاصة: كلُّ إنسانٍ يعمل بإرادته واختياره، وسوف يتبيَّن بعد الفصل بين الخلق، أن الله ﷻ هو الذي يقضي بينهم ويفصل بينهم على حسب أعمالهم.

---

(١) مقدمة فصل الخطاب، للنوري الطبرسي (ص١٧).

﴿«وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾ [الأعراف: ١٧٩]: خلقنا، ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]».

الشرح

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ فهم ما مُنعت قلوبهم، وما مُنعت أفكارهم، ولا أعمالهم، ولكنهم يختارون الضلال.

ترى الآن الاختراعات الباهرة التي تبهر العقول، صارت الطائرات الحديدية تطير في الجو، وكذلك الصواريخ التي تخترق الفضاءات.

اختراعاتٌ هائلةٌ، تطرح لنا سؤالًا: لماذا هذه الاختراعات الهائلة لم تَهْدِ العقول الضالَّة إلى السعادة الأبدية؟ حيث أعرضوا عنها، وصاروا يسخرون ممن يعبُد الله، ويقولون: هذا درويش يذهب للمسجد، ويسخرون منه!

والحقيقة أنهم هم في موضع السخرية، وإن كان المقصود أنَّ عندهم عقولًا، لكنها استعملت في أمور الدنيا فقط، إما في الفساد، والخراب وقتل العباد، وإما في الخير كالطِّبِّ ومثله من الأمور النافعة، والزراعات، والصناعات وغيرها.

* * *

﴿ «وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٢٩ ـ ٣٠]، وقال: إن الله ﷻ بدأ خلق ابن آدم مؤمنًا وكافرًا، كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنًا وكافرًا».

الشَّرح

خلق الله الناس على الفطرة، وخرجوا من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا، ثم هم بعد ذلك بعملهم وعقلهم والأدلة من حولهم يؤمنون أو يفسقون ويكفرون.

والتقدير سبق أنه لا يُرغِمُ أحدًا، وإنما هو عبارةٌ عن علم الله وكتابَتِه فيما يكون وما يعمله المخلوق؛ لأن الله ﷻ هو الخالق لكلِّ شيءٍ، وهو المتصرِّف في كلِّ شيء، فلا منافاةَ بين كونه يُضلُّ ويهدي وكونه يخلق، وكونه يجازي، فهو يجازي على العمل فقط، فلا ظلمَ في هذا.

* * *

﴿ «وقال في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، يقول: بيَّنَّا لهم».

الشرح

يعني: الهدى بمعنى البيان.

* * *

﴿ «وقـولـه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسـراء: ٢٣]، يقول: أمَرَ».

الشَّرح

قوله: ﴿وَقَضَىٰ﴾: الفعل (قضى) يأتي بمعنى: الفراغ من الشيء، ويأتي بمعنى: الأمر، يتأتي بمعنى الفصل والحكم بالشيء.

* * *

«وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] يقول: الحسنة والسيئة من عند الله، أما الحسنة فأنعم الله بها عليك، وأما السيئة فابتلاك الله بها.

قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، قال: الحسنة ما فتح الله عليه يوم بدر، وما أصاب من الغنيمة والفتح، والسيئة ما أصاب يوم أُحد أن شُج في وجهه وكسرت رباعيته، هذا كله عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما»(١).

الشرح

هذا جزء من المعنى وليس المعنى كلّه، يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨] ثم قال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٨ - ٧٩].

السيئة هنا والحسنة هما المصائب والخيرات التي يصاب بها العبد، فالسيئة تكون جزاء العمل، وهذه من فضل الله ﷻ، كونه يجازي المؤمنين بسيئاتهم في الدُّنيا، فإذا جاءوا يوم القيامة ليس عليهم شيئًا قد طهرهم الله من الدنس.

قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعني: تقديرًا وخلقًا، أو تقديرًا، وكتابة، أما الفعل فهو من الناس، وليس في ذلك معارضة لقوله تعالى:

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ سوى في هذا الموضع للمصنف رحمه الله.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾، يعني: هذا أنهم يتشاءمون بالرسول ﷺ، ويقولون: أصابنا بسببك القحطُ والفقرُ والمرضُ.

قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]؛ أي: بسبب العمل وجزاءً به، فلا يكون هذا معارضة لما ذكروا.

* * *

﴿ «وروينا عن سعيد بن المسيب أنه قال في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني»[1].

الشَّرح

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ والمراد بها: الإخبار عن الحكمة التي خُلِقوا من أجلها؛ وهي العبادة.

هل وقعت العبادة من العباد؟ أكثرهم ما عبدوا الله حق العبادة، فهل يكون هذا خلاف الواقع؟

لا يكون خلاف الخبر؛ لأن الله ﷻ يخبر عن مراد الخلق، والمقصود منه في الأصل: أنه للعبادة، ولكن منهم من عَبَدَ بتوفيقِ الله وهدايته، ومنهم من أبى.

* * *

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ سوى في هذا الموضع للمصنف رحمه الله.

﴿وفي قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال: إن من شيء يسبح إلا يسبح بحمده».

الشرح

جاء الخبر هنا مطلقًا، وأن التسبيح ليس بالاختيار، **يقول الله تعالى:** ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، ذكر الله ﷻ أنَّ الإنسان الكافر يسجد ظلُّه لله، ولما ذكر السجود الذي هو بالاختيار، خصه بمن تفضل عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]؛ فالذي لا يسجد لله حقت لعنة الله عليه، وأهين فلا مُكرِم له، فلا يلزم أن يكون هذا عامًّا.

* * *

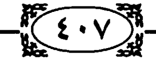
﴿ «وقيل: قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: إلا لآمر أهل التكليف منهم بعبادتي، وقيل: إلا لتكونوا لي عبادًا، كقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]».

الشرح



المقصود من الآيات: الإخبار عن الحكمة من الخلق، ولا ينافي ذلك تقدير الله ﷻ، والعبد بمعنى: العابد هو الذي منَّ الله عليه بالفضل، ويكون العبد بمعنى: المعبد المسخر، وهذا لا يخرج عنه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣].

❁ ❁ ❁



باب القول في وقوع أفعال العباد بمشيئة الله ﷻ

❁ «قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] فأخبر أنَّا لا نشاء شيئًا إلا أن يكون الله قد شاء، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣] وقال: ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١]، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

❁ وآيات القرآن في معنى هذه الآيات كثيرة قد كتبناها في كتاب «الأسماء والصفات»، وفي كتاب «القدر»».

الشَّرح

قوله: «**باب: القول في وقوع أفعال العباد بمشيئة الله ﷻ**»: هذه كلها شواهدُ، لا فرق بينها وبين ما قبلها، **قال تبارك وتعالى**: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، فجعل لهم مشيئة ولكن بعد مشيئته، فأخبر أنَّا لا نشاء شيئًا إلا أن يشاء الله، قد شاء ﷻ كلَّ ما يوجد، وكلَّ ما وُجِد، فهو واقعٌ بمشيئته.

قوله تعالى: «﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]: هذه الإرادة هي الإرادة الكونية القدرية التي لا فرقَ بينها وبين المشيئة العامة الشاملة، ولكنه لم يذكر الإرادة الدينية الأمرية الشرعية التي تقتضي الحبَّ، ويأمر الله ﷻ بها، وهذه أنكرها الأشاعرة وغيرُهم ولم يُثبِتُوها، ولا ندري ماذا يقولون في قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة: ١]، وما أشبه ذلك مما هو متعلِّق بأمره وشرعه ودينه؟

أراد الله ﷻ أن يكون الدين ميسورًا سهلًا ليس فيه صعوباتٌ، وليس فيه أغلالٌ وآصارٌ، كما كان في دين اليهود والنَّصارى وغيرهم.

فالله هو الميسر، فهذه الإرادة تتضمَّن الأمر، وتتضمَّن الحب، بأنَّه يحبُّ ذلك ﷻ، أمَّا الإرادة الكونية التي تتَّفق مع المشيئة فلا يلزم منها هذا، إذا دخلت فيها الإرادة الأمرية الشرعية تضمَّنت الأمر والمحبة، وإلا لا يلزم أنه يحبُّها ويريدها؛ ومن ذلك وقوع المعاصي والكفر والمخالفات، وغير ذلك من الأمور التي تخالف أمر الله، ولو لم يرد وقوعها ما وقعت، ولكنه أراد وقوعها، وهذا معنى قول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أرادَ الله أن لا يُعصى لم يَخلق إبليس»[١].

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

خلاصة الباب: أنَّ الإرادة تنقسم إلى قسمين: «إرادة كونية قدرية أزليَّه هي المشيئة، وإرادة دينية أمرية شرعية تتعلق بالشرع».

والإرادة الدينية الأمرية الشرعية تقتضي أنَّ الله يحبُّ مُرادَها، أما الإرادة الكونية والمشيئة فلا يلزم لها أن يكون الله ﷻ محبًّا لمرادها.

* * *

ﷺ «حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، أنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا حفص بن عمر الحوضي، أنا شعبة عن منصور، قال: سمعتُ عبد الله بن يسار، عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»[(١)].

ﷺ أخبرنا سعيد بن أبي عمرو، أنا أبو العباس الأصم، أنا الربيع بن سليمان، قال: قال الشافعي رضي الله عنه: «المشيئة إرادة الله عز وجل»[(٢)]، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

ﷺ فأعلم الله خلقَه أنَّ المشيئة له دون خلقِه، وأنَّ مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء.

ﷺ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفَّار، (ح).

ﷺ وأنا أبو محمد بن يوسف، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، أنا سعدان بن نصر، ثنا سفيان، عن الزهري، أنه سمع عروة، يُحدِّثُ عن كرز بن علقمة الخزاعي، قال: سأل رجلٌ النبي ﷺ: «هل للإسلام من منتهى؟»، فقال رسول الله ﷺ: «أيُّما أهلِ بيتٍ من

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٢٦٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، وابن ماجه (٢١١٨).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٨٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٢).

العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام»، فقال: ثم ماذا؟ قال: «ثم تقع الفتنُ كأنها الظلل»[(١)].

ﷺ أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو طاهر محمد بن الحسين المحمد أبادي، أنا إبراهيم بن عبد الله السعدي، أنا يزيد بن هارون، أنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا عليكم ألا تعجبوا بأحدٍ حتى تنظروا بما يختم له، فإنَّ العامل يعمل زمانًا من عمرِه أو برهة من دهرِه بعملٍ صالحٍ لو مات عليه دخل الجنَّة ثم يتحوَّل فيعمل عملًا سيِّئًا، وإنَّ العبد ليعمل قبل موته زمانًا من دهره بعملٍ سيئ لو مات عليه لدخل النار ثم يتحول فيعمل عملًا صالحًا، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله قبل موته»، قالوا: يا رسول الله، وكيف يستعمِلُه قبل موته؟ قال: «يوفقه لعملٍ صالحٍ ثم يقبضه عليه»[(٢)].

ﷺ أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنا أحمد بن يوسف السلمي، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدَّثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجَّتِ الجنَّة والنَّار، فقالت النار: أُوثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنَّة: فما لي لا يدخلُني إلا ضُعفاء النَّاس وسَقَطُهم وغُرَّتُهم، قال الله ﷻ للجنَّة: إنما أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنَّار: إنما أنت عذابي، أُعذِّبُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٩١٧)، والحاكم (٩٦)، والطيالسي (١٢٩٠)، والحميدي (٥٧٤).
(٢) أخرجه بلفظه أحمد (١٢٢١٤)، والترمذي (٢١٤٢)، مختصرًا.

بكِ من أشاء من عبادي، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤها»[1]».

الشَّرح

قوله: «تحاجَّتِ الجنَّة والنَّار... إلى آخره»: هذا على ظاهره، والمحاجَّة هنا كأنها مفاخرةٌ، بين النار والجنة.

قالت النار: «أُوثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين» من الملوك وغيرهم، وهذا مقام افتخار لها.

قالت الجنة: «فما لي لا يدخلُني إلا ضُعفاء النَّاس...».

حكم الله بينهما، وقال للجنة: **«أنتِ رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي»**، وقال للنار: **«أنت عذابي، أُعذِّبُ بِكِ من أشاء من عبادي»**، ثم قال: **«ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤها»**، هذا وعدٌ من الله ﷻ أن يملأ كلَّ واحدة.

ولم يذكر بقية الحديث، وبقيته كالتالي: **«فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ [فيها] رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهَ ﷻ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»**، فيسكنهم فضلَ الجنَّة وفاءً بوعد الله ﷻ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

﴿ «أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رَحِمَهُ اللَّهُ، أنا عبد الله بن محمد بن الحسن الشرقي، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، ثنا عبد الرحمٰن بن مهدي، ثنا عمر بن ذرٍّ قال: سمعتُ عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: لو أرادَ الله أن لا يُعصى لم يَخلق إبليس[1]، وقد بيَّن ذلك في آيةٍ من كتاب الله ﷻ وفصّلها، عَلِمَها من عَلِمَها وجَهِلَها من جَهِلَها: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣][2]، وقد روي فيه خبرٌ مرفوعٌ»[3].

الشَّرح

قوله: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ هذا خطابٌ لدُعاة الشرِّ من شياطين الإنس، الذين يدعون إلى الكفر والشرك بالله ﷻ، وقد يجبِرُون الناس على ذلك!

* * *

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٩٣٦)، وسعيد بن منصور في «التفسير» (١٨٢٧)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٢٥٦٢).
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٩٣٦)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٢٥٦٢).
(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٦٤٨)، والبزار في «مسنده» (٢٤٩٦).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن سليمان الموصلي، ثنا علي بن حرب الموصلي، أنا عبد الله بن إدريس، عن ربيعة بن عثمان، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، فاحرص على ما ينفعُك واستعِنْ بالله ولا تَعْجَز، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقُلْ لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ (اللَّو) يفتح عمل الشيطان»[1]».

الشَّرح

هذا حديثٌ عظيمٌ، ولو أنَّ الإنسان تمسَّك به لسَعِد بالدُّنيا والآخرة، **قال ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ...»** والمقصود بالقويِّ: القويُّ في أمر الله، ليس القويَّ في البدن، القوي في طاعة الله واجتناب معاصِيه، عنده إقدامٌ على الطاعة، وإحجام عن المعاصي، يبتعد عنها بعزمٍ وتصميمٍ وقوَّةٍ على طاعة الله ﷻ، وعن الانكفاف عن المعصية، والمؤمن الضعيف لا يقوى على هذا كلِّه، يَغلِبُه الشيطان، وتغلِبُه نفسُه ويقع أحيانًا ثم يرجع.

ومعنى ذلك: أنَّ حبَّ الله يتفاوتُ؛ لأنه قال: **«وفي كلٍّ خيرٌ»**، يعني: القوي والضعيف، ولكن محبة الله للقويِّ أكملُ وأتمُّ.

وفي الحديث دليلٌ على إثبات الحب لله ﷻ وهو صفةٌ تقوم بذات الربِّ ﷻ، يجب أن تُثبت، ولكن الأشعرية لا يثبتونها، بل يؤولونها؛

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

لأن الحب عندهم: هو الميل للملائم! وحب الرب ﷻ لا يقتضي نقصًا.

قوله: «**احرص على ما ينفعُك**»: الحرصُ هو فعل السبب، وبذل الجهد في تحصيل المسبَّب، فإذا كان الحرص على ما ينفع فقد وُفِّقَ الإنسان.

قوله: «**فإن أصابك شيء...**»؛ أي: وقع خلاف ما تريد، «**فلا تَقُلْ لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل**».

يعني: هذا قدر الله الذي وقعَ لا حيلةَ فيه، والأمر لله وحدَه، فلا اعتراض، ولا ضجرَ، ولا سُخطَ، فهذا الواجبُ على العبد؛ لهذا قال ﷺ: «**وإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1]، فعمل الشيطان: التأسُّف والحزن والاعتراض على أمر الله، هذا عمل الشيطان، و(لو) تفتحه.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٨٠)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١٩١).

﴿ «أخبرنا أبو سعد سعيد بن محمد بن أحمد الشعبي، أنا أبو عمرو بن مطر، أنا أبو خليفة، أنا أبو الربيع الزهراني، ثنا عباد بن عباد، عن عمر بن ذرٍّ، قال: سمعت عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «لو أرادَ اللهُ أن لا يُعصَى ما خلقَ إبليسَ».

﴿ قال: وحدَّثني مقاتل بن حيان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أبا بكرٍ، لو أراد اللهُ ألَّا يُعصَى ما خلقَ إبليسَ»[1]».

الشَّرْح

قوله: «عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أبا بكرٍ، لو أراد اللهُ ألَّا يُعصَى ما خلقَ إبليسَ»» لا يَثبُت ذلك عن الرسول ﷺ، والواجب ألَّا يُذكَر في هذا.

* * *

(١) أخرجه المصنف في «الأسماء والصفات» (٣٢٨، ٣٢٩) بنحوه.

۞ «أخبرنا زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد الدَّارمي، أنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١]، يقول: من يُرِد الله ضلالته فلن تغني عنه من الله شيئًا، وقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، يعني: الكفار الذين لم يُرِد الله أن يطهر قلوبهم فيقولوا: لا إلٰه إلا الله، ثم قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وهم عباده المخلصون الذين قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فألزمهم شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحبَّبها إليهم، وفي قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] يقول: سلَّطنا شِرَارها فعصَوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب، وهو قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وفي قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦] يقول: أضللناهم عن الهدى، فكيف يهتدون؟! وقال مرَّةً: أعميناهم عن الهدى»(١).

الشَّرح

قوله: «عن ابن عباس رضي الله عنه **في قوله** ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾»؛ أي: أنَّ الذي لا يتفضل الله عليه

(١) أخرج المصنف بعض أجزائه في «القضاء والقدر» (٥٨٥)، و«الأسماء والصفات» (٣٢٣)، ولم أقف عليه بتمامه سوى في هذا الموضع.

بالهداية التي يخلقها في قلبه لا يستطيع أن يهتدي، ولا تستطيع أن تَهدِيَه، كما جاءت آياتٌ كثيرةٌ في هذا؛ منها قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام: ١١١].

الأمر بيد الله، والخلق كل الخلق ملكٌ لله، يتصرَّف فيه كيف يشاء، وليس لأحدٍ أن يعترض على الله ﷻ، ولكن الله لا يفعل شيئًا إلا بحكمة وعدل، لا يظلم أحدًا.

عن أبي ذرٍّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، فيما رَوَى عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: «**يا عِبادِي إنِّي حرَّمْتُ الظّلْم على نَفسِي، وجَعَلتُهُ بَينَكم مُحرَّمًا، فلا تظالمُوا، يا عبادي كلُّكُم ضالٌّ إلا من هَديتهُ، فاستهدُونِي أَهدِكُم، يا عِبادِي كُلُّكُم جائعٌ، إلَّا من أَطْعمتُهُ، فاسْتطْعِمُونِي أُطعِمكُم، يا عِبادِي كُلُّكُم عارٍ، إلَّا من كسوتُهُ، فاستَكسُونِي أَكسُكُم، يا عِبادِي إنَّكم تُخطِئُونَ بِاللَّيلِ والنَّهارِ، وأنَا أَغفِرُ الذُّنوبَ جميعًا، فاستَغْفِرُونِي أَغْفِر لَكُم، يا عِبادِي إنَّكم لن تَبلُغُوا ضرِّي فَتضُرُّونِي ولن تَبلُغُوا نَفعِي، فَتَنفَعُونِي، يا عِبادِي لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم كانُوا على أَتقَى قَلبِ رجُلٍ واحِدٍ مِنْكُم، ما زادَ ذلكَ في مُلكِي شَيئًا، يا عِبادِي لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم كانُوا على أفْجرِ قلْبِ رجُلٍ واحدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ من مُلكِي شَيئًا، يا عِبادِي لو أنَّ أوَّلَكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم قامُوا في صَعِيدٍ واحدٍ فسأَلُونِي فأَعطَيتُ كُلَّ إنسَانٍ مَسأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كمَا يَنقُصُ المِخيَطُ إذا أُدخِلَ البحرَ، يا عِبادِي إنَّمَا هي أعمَالُكم أُحصِيهَا لَكُم، ثُمَّ أُوفِّيكُم إيَّاهَا، فَمَن وجَدَ خَيرًا، فَليَحمَدِ اللهَ ومَن وجَدَ غَيرَ ذلِكَ، فلَا يَلُومَنَّ إلَّا نَفسَهُ**»[1]؛ لأنه هو الذي ضلَّ بنفسه بعد أن عَرَف

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

الهدى، وعَرَف الطريق الذي فيه النجاة، فلا حُجَّة لأحدٍ على الله ﷻ.

قوله ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزمر: ٧] وهذا معناه، **يعني**: إن كفرتم بعد إرسال الرسل، وذكر البيِّنات فهذا اختياركم لأنفسكم، والله غنيٌّ عنكم، وعن إيمانِكم، وإنما الضررُ يعود إليكم، فسوف تُعذَّبون لأنكم خُلِقتُم لعبادة الله، فأبيتم إلا عبادة الشيطان، فتكونون قرناء للشيطان في جهنم.

وقوله ﷻ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]: لا يرضى بالكفر ولا يرضى بالمعاصي، ولكن لا يقع شيء إلا بتقديره ومشيئته، فلا منافاة بين كونه ﷻ لا يرضى الكفر وكونه لا يقع من خلقِه إلا ما يشاؤه ﷻ.

قوله: «وهم عباده المخلصون الذين قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾»، قوله: «**عباده المخلصون**»: المخلَصون بالفتح أو المخلِصون بالكسر سواء، وهم الذين قال عنهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

أما قوله لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]؛ أي: ليس لك عليهم قوَّةٌ، إنما أنت توسوس وتأمر على خلاف الحق، فمن اهتدى واتبع الحق لا تضره تلك الوساوس.

قوله تعالى: «﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾»: هذا أمرٌ قدريٌّ ليس أمرًا شرعيًّا دينيًّا.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦]، قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: المترفون هم الذين لهم الأموال الطائلة والمناصب والسلطة.

قوله تعالى: ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: يطْغَون ويبغُون فيها.

قوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾: فيهلكها الله ﷻ بسبب طغيانهم.

وفي قراءةٍ[1]: (أَمَّرْنَا مترفيها)؛ أي: جعلهم أمراء فقادوا الناس إلى الضَّلال، فدمَّرها الله ﷻ.

«**يقول: سلَّطنا شرارها فعصَوا فيها**»: هذا تسليطٌ قدريٌّ وليس أمرًا شرعيًّا، إذا فعلوا ذلك عُذبوا.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣] هذا كما قدره الله ﷻ أنَّ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ، فكثيرٌ من الناس لا يريد الهدى، ولا يريد الخير بل يريد الشرَّ، ولا يعيش إلا فيه، ولا يستأنس إلا به، ويكون الخير وأهله أعداءه، ولهذا يحاربهم ويفعل كلَّ ما يستطيع ببذل مالٍ وبذل نفسٍ في محاربة الخير، فهؤلاء هم الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلِحون، وإفساد الأرض بالمعاصي التي تَصْدُر من بني آدم، أما غير بني آدمَ من الدواب وغيرهم فلا يعصون، كلُّ الخلق مطيعٌ لله إلا من عنده عقلٌ وفكرٌ من بني آدم، وبني الشيطان، فهؤلاء هم الذين يحصل بهم الفساد ويحصل العداء بسببهم، بسبب ذنوبهم.

* * *

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٤٠٣).

ﷺ «وفي قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] يقول من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر كفر، وهو قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، وفي قوله ﷻ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٠٧]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل: ٩]، يقول الله: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين، وبهذا الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: ٨]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] ونحو هذا من القرآن.

ﷺ قال: إنَّ رسول الله ﷺ كان يحرص على أن يؤمن جميع الناس ويبايعوه على الهدى، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول، ثم قال لنبيِّه ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [الشعراء: ٣ ـ ٤][1]».

---

(١) أخرج المصنف بعض أجزائه في «القضاء والقدر» (٥٨٥)، و«الأسماء والصفات» (٣٢٣)، ولم أقف عليه بتمامه سوى في هذا الموضع.

الشَّرح

قوله تعالى: «﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]»: الأمر هنا ليس في أمرٍ يقتضي المحبة والرضا، وإنما هو أمرٌ لهم بأن يقولوا: إنَّ الحقَّ بيِّنٌ والهدى واضحٌ، والضلال كذلك، والأمر إليكم، فمن شاء فليتبع الهدى فتكون له السعادة، ومن شاء فليتبع الرَّدَى فيكون له الشقاء، فلا تضرُّون إلا أنفسكم، ولا تَضُرُّون الله شيئًا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وليس معنى ذلك أنه أمرٌ شرعيٌّ لهم، إنما ذَكَرَ سبحانه بأنَّ الأمرَ واضِحٌ، فمن ضلَّ فهو يضِلُّ على بينة، ومن اهتدى فذلك من فضل الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]: أي أنَّ مشيئتهم داخلةٌ تحت مشيئة الله، فلا يقع شيء إلا بعد مشيئة الله، وهذه المشيئة هي الإرادة.

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]: تقدَّم مثل هذا منهم اعتراضًا على أمر الله الديني الشرعي، يقولون: إنَّ شركنا وقع بمشيئة الله، وأنت تأمرنا بتركه، ولمَّا وقع الشرك بمشيئة الله دلَّ على أنَّ الله يحِبُّه ويريده، فنحن لا نقبل بما جئتَ به!

فهم يريدون بذلك أن يُبطِلوا دعوة الرسول بحجتهم الباطلة، وإخوانهم القدرية قالوا مثل قولهم، أو قريبًا من قولهم، وهذا قول إبليس أيضًا، قال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ وهو الذي أغوى نفسه، فهو الذي اختار عدم السجود وأبى لمَّا أُمر به، فهذا لا مُصادَمَة فيه.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٨]: هذا تمامُ الآيات.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ

فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]: هذا واضحٌ في أنَّ الإنسان يفعل الشيء الذي يفعله بإرادته واختياره وقدرته، ما أحد يرغمه، والواجب على الإنسان أن يجتنب ما فيه الضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ [يونس: ٩٩] هي مشيئته السابقة، يعني: كثرة النصوص هذه كلُّها بمعنى واحد.

* * *

۞ «قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: وقد روينا في حديث زيد بن ثابت، وفي حديث أبي الدرداء وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «ما شاءَ اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكن»(١).

۞ وهذا كلامٌ أخذتْه الصحابة عن رسول الله وأخذَه التابعون عنهم، ولم يزلْ يأخذه الخلف عن السلف من غير نكيرٍ، وصار ذلك إجماعًا منهم على ذلك.

۞ وفي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] فنفى أن يملك العبد كسبًا ينفعه أو يضرُّه إلا بمشيئة الله وقدرته.

۞ وفي معنى ذلك: قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا الزبير بن عبد الواحد الحافظ قال: حدَّثني حمزة بن علي العطار، أنا الربيع بن سليمان قال: سُئِل الشافعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن القدر فأنشأ يقول:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ
خلقتَ العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنْ
على ذا مَنَنْتَ وهذا خَذَلْتَ ... وهذا أعَنْتَ وذا لم تُعِن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حَسَنْ(٢)

---

(١) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٣٤٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٧)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٣٤٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (١٣٠٤)، والمصنف في «السنن الكبرى» (٢٠٨٩٦).

ﷺ وعلى نحو قول الشافعي رضي الله عنه في إثبات القدر لله، ووقوع أعمال العباد بمشيئة الله درج أعلام الصحابة والتابعين.

ﷺ وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار: الأوزاعي، ومالِك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وغيرهم رضي الله عنهم.

ﷺ وحكيْنا عن أبي حنيفة رحمه الله مثل ذلك، وهو فيما: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعتُ أبا بكر محمد بن جعفر المزكِّي يقول: نا أبو العباس أحمد بن سعيد بن مسعود المروزي، أنا سعد بن معاذ، ثنا إبراهيم بن رستم قال: سمعتُ أبا عصمة يقول: سألتُ أبا حنيفة من أهل الجماعة؟ قال: «من فضَّل أبا بكرٍ وعمرَ وأحبَّ عليًّا وعثمان، وآمن بالقدر خيره وشرِّه من الله، ومسح على الخُفَّين، ولم يكفر مؤمنًا بذنبٍ، ولم يتكلم في الله بشيء»[(١)].

الشَّرح

قوله: «ما شاءَ اللهُ كان، وما لم يشأ لم يكُن»: يقول: إنَّ هذا قولُ الرسول وكذلك توارَثَتْه الأمة إلى اليوم، والمسلمون كلُّهم يقولون كذا: «**ما شاء الله كان، وما لا يشأ لم يكُنْ**»، فهذا حقٌّ، فمشيئة الله هي العامة الشاملة لكلِّ شيء، أما ما ذكره بعد ذلك من إجماع المسلمين على هذا فلا شكَّ به.



(١) أخرجه المصنف في «القضاء والقدر» (٥٦٤).



باب القول في الأطفال أنهم يولَدون على فطرة الإسلام

﴿«أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الرُّوذْبَاري، أنا محمد بن بكر، ثنا أبو داود، ثنا القَعْنَبي، عن مالك بن أبي الزِّنَاد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة فأبواه يهوِّدانِه وينصرانِه، كما تناتَجُ الإبل من بهيمة جمعاء، هل تُحِسُّ من جدعاء»، قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[١].

﴿ آخر هذا الخبر يدلُّ على أن المراد بالأول بيان حكمه في الدنيا، كما قال الشافعي رضي الله عنه في رواية أبي عبد الرحمٰن البغدادي عند قول النبي ﷺ: «كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة»: هي الفطرة التي فطر الله عليها الخلق، فجعلهم رسول الله ﷺ ولم يُفصحوا بالقول، فيختاروا أحد القولين: الإيمان أو الكفر، فجعلهم لا حكمَ لهم في أنفسهم، إنما الحكم لهم بآبائهم، فمن كان آباؤهم يوم يولدون فهم بحالهم إما مؤمن فعلى إيمانه، وإما كافر فعلى كفره»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) لم أقف عليه سوى للمصنف، وقد أورده في الجامع لشعب الإيمان بغير إسناد (١/ ١٨٤).

الشَّرح

قوله: «**فجعلهم رسول الله ﷺ ولم يُفصحوا بالقول**» ما يصحُّ هذا عن الشافعيِّ! ولا يقول الشافعيُّ هذا الكلام، ولكن هذا قول الأشعرية، فالفطرة جاء من بعض السلف أنه فسَّرها بالإسلام، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، والصحيح: أن الفطرة هي أنه يُولَد سليمًا محبًّا للخير قابلًا له، وليس يولد على الإسلام مسلمًا؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، فهم يخرجون من بطون أمهاتِهم لا يعلمون شيئًا، ولكن قلبه سليم، ليس فيه ميلٌ إلى الضلال وإلى الكفر، ولهذا يقبل ما أُلقي فيه، **وقال:** «**فأبواه يهوِّدانِه**» يعني: يعلِّمانِه اليهودية، فالمقصود بالمعلم هنا الأب أو غيره، فالمعلِّم المربي هو الذي يضع في قلبه ما يريد في هذا، ولو تُرِك لكان ميلُه إلى الإسلام وإلى الحقِّ أظهر، وهو قابلٌ له، لا يقبل الباطل، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]، فهاتان علَّتان ذكرهما؛ لئلا يحتجوا بذلك، **والصحيح: أن هذا العهد هو الفطرة**، وليس العهد الذي يقولون: (العهد الذري)، الذي استخرج بني آدم أمثال الذَّرِّ من صُلْبِه، ثم استنطقهم واستشهدهم وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾؛ لأن هذا لا يذكُره أحدٌ، فكيف يكون هذا حجةً؟!

أما قول بعضهم: إنَّ الرسل جاءت تُذكِّرهم به، ويكفي الرسل لذلك، لأنَّ الرسل هم الذين قامت بهم الحُجَج، فالله ﷻ جعل هذا حُجَّة، وهو شيء لا يُذكَّر ولا يُعلَّم.

قوله: «كما قال الشافعي: هي الفطرة التي فطر الله عليها الخلق»: هذا حقٌّ.

قوله: «فجعلهم رسول الله ﷺ ولم يُفصِحوا بالقول، فيختاروا أحد القولين: الإيمان أو الكفر»: هذا ليس صحيحًا، بل يختارون الخير لو تُركوا، وليس عندهم الكفر.

قوله: «إنما الحكم لهم بآبائهم...»: آباؤهم سببٌ في ذلك؟! وليس الحكمُ لهم، إن الأبَ إذا كان مسلمًا صاروا مسلمين؛ لأنه يربِّيهم على الإسلام، وإذا كان كافرًا صاروا كفَّارًا مثلما قال نوح عليه السلام: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧]: تصير أولادهم كفرة وفجرة، بأفعالهم وتربيتهم.

* * *



﴿«قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي يؤكد هذا ما روى العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في هذا الحديث: «فإن كانا مسلمين فمُسلِم»[1]».

الشَّرْح

قوله: «فإن كانا مسلمين فمُسلِم»: كيف ذلك؟!

هذا ليس له حكمٌ؛ لأنَّ الصغير تبعٌ لأبيه، وكما قلنا: المربي هو الذي يضع في قلب الصغير الشيء الذي يُعلِّمه إياه.

* * *

---

(١) أصل الحديث في «الصحيحين» كما تقدم تخريجه قريبًا، وبهذا اللفظ أخرجه مسلم (٢٦٥٨).

ﷺ «فأما حكمهم في الآخرة فبيانه في آخر الخبر، وهو قوله: «الله أعلم بما كانوا عاملين»، فحكمهم في الدنيا في النكاح والمواريث وسائر أحكام الدنيا حكم آبائهم حتى يعربوا عن أنفسهم بأحدهما، وحكمهم في الآخرة موكولٌ إلى علم الله ﷻ فيهم، وعلى مثل هذا يدلُّ حديث عائشة ﵂ عن النبي ﷺ في أطفال المسلمين».

الشَّرح

منهم من يقول: يُسكَت عنهم، فالله أعلم بما كانوا عاملين.

ومنهم من يقول، تبعٌ لآبائهم، فإن كانوا مسلمين فهم مسلمون، وإن كانوا كفارًا فهم كفارٌ.

ومنهم من يقول: بل هم في الجنَّة كلُّهم، - حتى أطفال المشركين -.

ويُستدَلُّ لهذا أنَّ الرسول ﷺ **«نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»**[1].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أولادُ المؤمِنِينَ في جبلٍ في الجنَّةِ يَكفُلُهُم إبرَاهِيمُ وسارَةُ حتَّى يَرُدَّهُمْ إلى آبائِهِم يومَ القِيامةِ»**[2].

وعن أبي هريرة ﵁، قال: سُئل رسول الله ﷺ، عن أطفال المشركين، قالوا: يا رسولَ اللهِ: أفرَأيتَ من يمُوتُ وهو صغِيرٌ؟ قال ﷺ: **«اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»**[3] والذين يستدلون؛ يقولون أنه جاء في «صحيح مسلم» عن عائشة ﵂، قالَتْ: دُعِيَ رسولُ الله ﷺ إلى جَنازةِ

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤). عن ابن عمر ﵄.
(٢) سيأتي تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨).

صبِيٍّ من الأنصَارِ، فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ طُوبى لهذا، عُصفُورٌ من عصافِيرِ الجنَّةِ لم يَعمَلِ السُّوءَ ولم يُدْرِكْهُ، قالَ: «**أو غيرَ ذلِكَ، يا عائِشةُ، إنَّ اللهَ خلَقَ لِلجنَّةِ أهلًا، خَلَقَهُم لهَا وهُمْ في أَصلَابِ آبَائِهِم، وخلَقَ لِلنَّارِ أهلًا، خلَقَهُم لها وهم فِي أَصلَابِ آبائِهِم**»[١]، ولكن ليس هذا دليلٌ على أن الطفل يكون في النار، أو يكون معذَّبًا؛ لأن هذا نهيٌ عن الحكم في معيَّن أن يُحكَم عليه بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، كما قال أهل السُّنَّة في العقائد: «ولا نحكم لأحدٍ من أهل القبلة بجنة ولا نار»[٢]، لا يجوز إلا الذي شهد له رسول الله ﷺ فهذا الذي يُشهد له، أما أن يُعيَّن إنسانٌ بجنة، مهما كان من التقى، فلا يجوز أن نقول: إنه في الجنة جزمًا، ولكن نرجوا له ذلك، فالحكم إلى الله، بيده الأمر وإليه يرجع كل أمر.

ومنهم من يقول: يُمتحَنون يوم القيامة كالمجانين، والذين لم تبلغهم الدعوة، فمن أطاع فهو علامةٌ على نجاته، ومن عصا فيقول الله ﷻ: أنت لرُسُلِي أشدُّ معصيةً؛ وفي حديث ليس متفقًا على صحته أنه قال: «**أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب، ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٢).

(٢) الطحاوية (ص٧٠)، وأصول السُّنَّة، للإمام أحمد (ص٥٠)، ولمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ص٣٨).

محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا»[١].

والصحيح في مصير الأطفال يوم القيامة: أنَّ الأطفال كلَّهم لا يُعذَّبون إذا ماتوا قبل أن يبلغوا؛ إما أن يكون في خَدَمِ الجنة أو غير ذلك، فالله أعلم.

قوله: «**في أطفال المسلمين**»: أقول: لا شكَّ أن أطفال المسلمين في الجنة، ولا أحدَ يشكُّ في هذا.

* * *

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠١)، وابن حبان (٧٣٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٤١)، والمصنف في «القضاء والقدر» (٦٤٤)، وسيأتي بعد قليل بإسناد المصنف، عن الأسود بن سريع ﷺ.



ﷺ «أخبرنا أبو ذرٍّ محمد بن أبي الحسين بن أبي القاسم المُذكّر، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفَّار الزَّاهد، أنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المؤدِّب، أنا الحسين بن حفص، عن سفيان، عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين أنها قالت: أُتِي النبي ﷺ بصبيٍّ من الأنصار ليصلِّيَ عليه، قال: فقلت: يا رسول الله، طُوبى لهذا عصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا ولم يَدْرِهِ، فقال: أو غير ذلك يا عائشة، إنَّ الله خلق الجنة وخلق لها أهلًا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النَّار وخلق لها أهلًا، خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم»(١).

ﷺ فهذا الحديث يمنع من قطع القول بكونهم في الجنة».

الشَّرح

قوله: «فهذا الحديث يمنع من قطع القول بكونهم في الجنة»: ليس كذلك، الحديث يمنع القطع بالشهادة لمعيَّن بأنه في الجنَّة.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٢).

«وحديث أُبَي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الغلام الذي قَتَله الخِضْرُ أنه طُبِعَ كافرًا[١] يدلُّ على ذلك، فقد كان أبواه مؤمنين».

الشَّرح

نقول: الله أعلم، ونتوقَّف في هذا.

هل معنى «**طُبع**» أنه كُتب في الكتاب «كافر»، ويؤخذ بشيء لم يعمله؟! الله أعلم.

قوله: «أنه طُبع كافرًا» هذا ليس جوابًا، فالطَّبع معناه: أنه كُتِب في اللَّوح المحفوظ، لكنَّ الكتاب هو كتابةُ عِلْمِ الله في هذا المخلوق ولكن لا بدَّ أن يعمل، ما يؤاخذ بشيء لم يعمله، ولهذا في حديثٍ لابن مسعود رضي الله عنه، وهو أصلٌ في هذا، قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[٢]؛ وعليه فلا بدَّ من العمل.

والواجب في هذه المسألة أن نسكُتَ عن هذا، ولا نتكلَّم فيه، ونقول: الله أعلم.

* * *

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (٢٦٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

﴿ «وقد روينا في أواخر كتاب «القدر» أخبارًا في أنَّ أولاد المشركين مع آبائهم في النَّار، وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنَّة، وأخبارًا غير قوية في أولاد المشركين أنهم خُدَّام أهل الجنة، وما صحَّ من ذلك يدلُّ على أنَّ أمرهم موكولٌ إلى الله تعالى، وإلى ما عَلِم الله من كلٍّ واحدٍ منهم، وكتب لهم من السعادة أو الشقاوة، وقد قيل في أولاد المسلمين: إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ أكرم هذه الأمة بأن ألحق بهم ذرياتهم في الجنة».

الشَّرح

قوله: «وقد روينا في أواخر كتاب «القدر» أخبارًا في أنَّ أولاد المشركين مع آبائهم في النَّار...»: هذا كلامٌ لا يصِحُّ، ولم تَرِدْ أخبارٌ صحيحةٌ «**في أنَّ أولاد المشركين مع آبائهم في النَّار**».

أما «**وأولاد المسلمين مع آبائهم في الجنَّة**»: أولاد المسلمين فلا شكَّ، «**أنهم مع آباءهم**»؛ لأنَّ حكمهم الإسلام، وهم لم يعملوا شيئًا، والله لا يظلم أحدًا ورحمتُه أوسع وأشمل.

* * *

۞ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا محمد بن علي الصغاني، بمكة، أنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، أنا عبد الرزاق، أنا الثوريُّ، عن عمرو بن مُرَّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] قال: الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنَّة وإن كانوا دونه في العمل، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] يقول: وما نقصناهم[1]. ورواه محمد بن بشر، عن الثوري، عن سماعة عن عمرو بن مُرَّة، وكذلك رواه شعبة عن عمرو بن مُرَّة»[2].

الشرح

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ﴾ [الطور: ٢١]؛ أي: آمنوا مثل ما آمن آباؤهم، ولكن قد تكون الذرية أنقصَ درجةً من الآباء، فيُلحِقهم بهم إكرامًا لهم.

هذا إكرامٌ لهم أن يلحِقَهم بهم، ولكن قال: ﴿بِإِيمَانٍ﴾؛ أي: آمنوا مثل ما آمنوا، فهذا واضِحٌ لا إشكالَ فيه.

* * *

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٠٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤).

(٢) رواه الطبري في «التفسير» (٢٧/ ١٥).

ﷺ «أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو الحسن الطرائفي، أنا عثمان بن سعيد، أنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النجم: ٣٩]، فأنزل الله بعد هذا ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، يعني: بإيمان، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنَّة»[1].

الشَّرح

قوله: «فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنَّة»: لا يصح هذا الكلام عن ابن عباس رضي الله عنهما، فمقصوده بهذا العمومُ، والعمومُ لا يدخل في هذا.

أما قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾، كيف نقول: «**ألحقنا**»، ثُمَّ جاءت هذه الآية، فالآية الأولى مجملةٌ، والثانية فَصَّلتْ وأدخلت التخصيص عليها، فصار إذا دخل التخصيص ما كان الإجمالُ مطلقًا.

وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾؛ أي: أنه لا يكون منتفِعًا بأعمال الآخرين، ويجزى بسعيه، ولا ينافي هذا أنه ينتفع بأمورٍ أخرى، كالصلاة عليه، وبالدعاء له، وبالصدقة، وما أشبه ذلك، فلا خلاف بين العلماء في هذا، فهل يقال: إن هذا ينفيه **قوله**: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾؟! لا يقال ذلك!

* * *

(١) لم أقف عليه سوى للمصنف في هذا الموضع.

❁ «قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: فيحتملُ أن يكون خبر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ولد الأنصاري قبل نزول الآية، فجرى رسول الله ﷺ على الأصل المعلوم في جريان القلم بسعادة كلِّ نسمةٍ، أو شقاوتها، فمنع من القطع بكونه في الجنَّة، ثم أكرم الله تعالى أمته بإلحاق ذرية المؤمن به، وإن لم يعملوا عمله، فجاءت أخبارٌ بدخولهم الجنَّة فعلِمْنا بها جريان القلم بسعادتهم.

❁ فمنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبي ﷺ أنه قال: «صغارهم دعاميصُ الجنة»[1]، أو قال: «دعاميص أهل الجنَّة»».

❁ الشَّرْح ❁

هذا مثلُ ما مضى في أنَّ المنعَ في الحكم على المعيَّن، وهذا ليس فيه إشكالٌ، فلا يُحكَم على معيَّنٍ يعيِّنُه بأنه في الجنَّة، ولهذا امتنع أن يحكم على معيَّن إلا من شهد الرسول ﷺ بأنه في الجنة أو في النار، فلا يحكم على أحدٍ من أهل القبلة.

حتى إنَّ اليهود والنَّصارى وغيرهم لا نحكم عليهم بجنة أو نار إلا إذا ماتوا على ضلالهم وكفرهم، أما الأحياء منهم فقد يهتدوا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٥).

﴿ «وفي حديث أبي هريرة ﵁ أيضًا، عن النبي ﷺ: «أولاد المسلمين في جبلٍ في الجنَّة، يكفلهم إبراهيم وسارَّة ﵉، فإذا كان يوم القيامة، دُفِعُوا إلى آبائهم»[١]».

الشَّرح

هؤلاء يكفلهم إبراهيم ﵇، ولهذا يقول المسلمون في الصلاة على الأطفال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطًا لِوَالِدَيْهِ، وَذُخْرًا وَسَلَفًا وَأَجْرًا، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ سَلَفِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَجِرْهُ بِرَحْمَتِك مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ»، وهذا يحتاج إلى إثبات[٢].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٨٣٢٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٠٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٤١٨)، أخرجه ابن حبان (٧٤٤٦)، والمصنف في «البعث والنشور» (٢١٠).

(٢) ذكره الفقهاء كابن قدامة في «المغني» (٢/ ٣٦٥).

﴿ «وفي حديث معاوية بن قُرَّة، عن أبيه، عن النبي ﷺ في قصة الرجل الذي هلك ابنٌ له، قال: فعزَّاه النبي ﷺ فقال: «يا فلانُ، أيما أحبُّ إليك أن تمتَّعَ به عمرَك، أو لا تأتي غدًا بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه، فيفتحه لك؟» فقال: يا نبيَّ الله، لا، بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحبُّ إليَّ، قال: «فذاك له»، فقام رجلٌ من الأنصار فقال: يا نبي الله، جعلني الله فداك، أهذا لهذا خاصَّة أو من هلك له طفلٌ من المسلمين، كان ذلك له؟ قال: «بل من هَلَكَ له طفلٌ من المسلمين، كان ذلك له»[1].

﴿ وأسانيد هذه الأحاديث مع غيرها ذكرناها في باب الصبر من كتاب «الجامع»، وكلُّ ذلك فيمن وافى أبواه يوم القيامة مؤمنَين أو أحدهما فيلحق بالمؤمن ذريته كما جاء به الكتاب، ويستفتح له كما جاءت به السُّنَّة، ويحكم لها بأنها كانت ممن جرى له القلم بالسعادة».

الشَّرح

هذا لا خلافَ فيه بين العلماء أنَّ أولاد المسلمين ليسوا بمعذَّبين، وليسوا في النَّار، بل هم في الجنة، ولكن الخلاف مثل ما سبق في أولاد المشركين.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٩٥)، والنسائي (٢٠٨٨)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٩٤٧)، والطبراني في «الكبير» (٥٤، ٦٦)، والمصنف في «شعب الإيمان» (٩٧٥٣).

۞ «وقد ذكر الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «المناسك» ما دلَّ على صحة هذه الطريقة في أولاد المسلمين، فقال: «إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ بفضل نعمته أثاب الناس على الأعمال أضعافها، ومن على المؤمنين بأن ألحق بهم ذرياتهم، ووفر عليهم أعمالهم، فقال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١]»، فلما منَّ على الذراري بإدخالهم جنته بلا عمل كان أن منَّ عليهم بأن يكتب لهم عمل البر في الحج، وإن لم يجب عليهم من ذلك المعنى، قال: «وقد جاءت الأحاديث في أطفال المسلمين أنهم يدخلون الجنَّة»[١]».

الشَّرح

هذا كلامُ المؤلف في الآية، والآية واضحةٌ، ولا تدخل في هذا الخلاف الذي ذكره لأنهم مؤمنون، يقول الله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الذين اتبعوهم بإيمانٍ، هذا لا كلام فيه، ولا هو بدليلٍ على أن الشافعيَّ يقول كذا، الشافعيُّ يتكلم على الآية فقط.

قوله: «... وقد جاءت الأحاديث في أطفال المسلمين أنهم يدخلون الجنَّة».

لا داعِيَ لهذا الكلام كلِّه في هذا الموضع؛ لأنَّ المعروف بين العلماء أنَّ الخلاف في أولاد المشركين ليس في أولاد المسلمين، فأولاد المسلمين لا خلاف فيهم.

والصحيح: أن أولاد المشركين ليسوا معذبين وليسوا في النار، قال

(١) أخرجه المصنف في «القضاء والقدر» (٦٤٠)، ومعرفة الآثار (١٠٢٥١).

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في طريق الهجرتين: «والمسألة التي وسعوا فيها الكلام هي مسألة أطفال المشركين. وأما أطفال المسلمين فقال الإمام أحمد: لا يختلف فيهم أحد، يعني: أنهم في الجنة، وحكى ابن عبد البر عن جماعة: أنهم توقفوا فيهم»، ثم قال: «وأما أطفال المشركين فللناس فيهم ثمانية مذاهب»، فله في هذا الكتاب كلامٌ في طبقات الناس يوم القيامة، فيحسن مراجعته[1]، وكتاب «مراتب الجزاء يوم القيامة» للحميديِّ[2] ومطبوع معه كتاب عنوانه «تحرير المقال في موازنة الأعمال»[3]، وتكلَّم فيه عن أطفال المشركين، أما أطفال المسلمين لا خلافَ فيهم، وبيَّن أنَّ الصحيح أنهم في الجنَّة، وذكر أدلة على هذا، فلينظر.

* * *

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٨٧ ـ ٣٩٥).
(٢) للحافظ محمد بن أبي نصر الحميدي، المتوفى سنة ٤٨٨هـ.
(٣) للقاضي أبي طالب القضاعي الطرطوشي، المتوفى سنة ٦٠٨هـ.

۞ «قال الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذه طريقة حسنة في جملة المؤمنين الذين يوافون القيامة مؤمنين، وإلحاق ذريتهم بهم كما ورد به الكتاب وجاءت به الأحاديث، إلا أنَّ القَطْعَ به في واحدٍ من المؤمنين بعينه غير ممكن لما يخشى من تَغَيُّر حاله في العاقبة، ورجوعه إلى ما كتب له من الشقاوة، فكذلك قطع القول به في واحدٍ من المولودين غير ممكن لعدم علمنا بما يؤول إليه حال متبوعِه، وبما جرى له به القلم في الأزل من السعادة أو الشقاوة، وكان إنكار النبي ﷺ القطع به في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعن أبيها لهذا المعنى».

الشَّرح

لا يجوز للإنسان أن يحكم على الله في شيء، فالحكم لله فقط، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«أَنَّ رجُلًا قالَ: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللهَ تعالى قالَ: مَنْ ذا الَّذِي يَتأَلَّى عليَّ أَن لا أَغفِرَ لِفُلانٍ، فإنِّي قد غَفَرتُ لِفلَانٍ، وأَحبَطْتُ عَملَكَ»**[١].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١)، عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ «فنقول بما ورد به الكتاب والسُّنة في جملة المؤمنين وذرياتهم، ولا نقطع القول به في آحادهم لما ذكرنا، وفي هذا جمعٌ بين جميع ما ورد في هذا الباب، والله أعلم».

الشَّرح

يجب أن يُفهَم الكتاب والسُّنَّة على مراد المتكلِّم، لا بمراد المذهب، أما إذا كان يريد أن يعسف الأدلة على مراد المذهب الذي يتمذهبُ به، فهذه مشكلةٌ.

قوله: «وفي هذا جمعٌ بين جميع ما ورد في هذا الباب، والله أعلم». هذا ما نحتاج إليه.

* * *

﴿ «ومن قال بالطريقة الأولى في التوقُّف في أمرهم جعل امتحانهم وامتحان أولاد المشركين في الآخرة محتجًّا بما:

﴿ أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا أبو جعفر الرزاز، ثنا حنبل بن إسحاق، ثنا علي بن عبد الله المديني، ثنا معاذ بن هشام، حدَّثني أبي، عن قتادة، عن الأحنف، عن الأسود بن سريع أن نبيَّ الله ﷺ قال: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ يَعْنِي: يَدُلُّونَ عَلَى اللهِ بِحُجَّةٍ ـ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا آتَانِي الرَّسُولُ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَوالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ إِلَّا بَرْدًا وَسَلَامًا»[١].

﴿ وبهذا الإسناد عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحو من هذا، وهذا إسناد صحيح».

الشَّرح

اختُلِف في درجة هذا الحديث، فمنهم من صحَّحه، ومنهم من ضعَّفه، وليس كما يقول.

* * *

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠١).

﴿ «وروى ليث بن أبي سليم، عن عبد الوارث، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، وَالشَّيْخِ الْفَانِي وَالْمَعْتُوهِ وَالصَّغِيرِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ فَيَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّتِهِمْ وَعُذْرِهِمْ فَيَأْتِي عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ لَهُمْ رَبُّهُمْ: إِنِّي كُنْتُ أُرْسِلُ إِلَى النَّاسِ رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَإِنِّي رَسُولُ نَفْسِي إِلَيْكُمُ ادْخُلُوا هَذِهِ النَّارَ، فَأَمَّا مَنْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاوَةَ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا مِنْهَا فَرَرْنَا، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوهَا فَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ النَّارَ، فَيَقُولُ لِلَّذِينَ كَانُوا لَمْ يُطِيعُوهُ: قَدْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ فَعَصَيْتُمُونِي وَقَدْ عَايَنْتُمُونِي فَأَنْتُمْ لِرُسُلِي كُنْتُمْ أَشَدَّ تَكْذِيبًا»[1].

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس هو الأصمُّ، أنا العباس بن الوليد، أنا ابن شعيب قال: حدَّثني شيبان عن ليث فذكره.

﴿ قال الشيخ رحمه الله: وهكذا ينبغي أن يقول في الطريقة الثانية في أولاد المسلمين فمن لم يوافِ أحد أبويه القيامة مؤمنًا يُجعَل امتحانه في الآخرة؛ حيث لم يجِدْ متبعًا يلحق به في الجنَّة».

الشرح

تكرر الكلام في هذا، ولكن **يقول**: «**يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ**»: الفترة هي المدة بين بعثة الرسل، وأطول ما عُرِف من الفترات ما بين نبيِّنا ﷺ وبين عيسى عليه السلام، وهي أقلُّ من خمسمائة سنةٍ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٢٤)، والمصنف في «القضاء والقدر» (٦٤٦).

أقول: الفترة نسبية في الواقع، وُجِد من كان على الحقِّ في زمن الرسول ﷺ، والذين علموا أنَّ المشركين على ضلالٍ، ولهذا كان جماعةٌ من قريش يُسمَّون بالموحِّدين، فارقوا دين قومهم، وقالوا: إنكم على ضلالٍ، وهذا دينٌ لا يرضاه الله، فصاروا يتعبَّدون الله ﷻ.

عن عبد الله بن الصَّامت، قال: قال أبو ذرٍّ ﷺ: «يا ابن أخي صلَّيتُ سَنَتَينِ قبل مَبعثِ النَّبيِّ ﷺ، قال: قلتُ: فأينَ كُنتَ توجَّهُ؟ قالَ: حيثُ وجَّهنِيَ اللهُ»[(١)].

وهذا معروفٌ بالفطرة، ولهذا جعل الله ﷻ أدِلَّةً واضحة على وجوب عبادته لا تخفى على أحد، لمَّا قام الرسول ﷺ يخطُبُ في النَّاس قال: «**والله لا تسألوني في مكاني هذا عن شيء إلا أخبرتُكم به**»، فقام رجل قال: أين أبي؟ قال: «**أبوك في النار**»، فتغير وجه الرجل وولّى، فدعاه الرسول ﷺ وقال له: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ، اذهب أيَّ قبرِ مشركٍ مررت به فقل: إني رسول رسول الله إليك، أبشر بالنار**»[(٢)].

وطريقة المعتزلة أنهم إذا جاءتهم الأدلة قالوا: هذا آحاد، فلا نقبله، وهذا معناه ردٌّ للنص، والنصُّ هذا في صحيح مسلم.

وعن عائشة ﵂، قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، ابنُ جُدعانَ كان في الجاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، ويُطعِمُ المسكينَ، فهل ذاكَ نَافِعُهُ؟ قال: «**لا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣) بنحوه، عن أنس بن مالك ﷺ، وعن ابن ماجه (١٥٧٣): «أن أعرابيّ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّ أبِي كان يصلُ الرَّحِمَ، وكانَ وكانَ، فأين هو؟ قال: «**فِي النَّارِ**» قال: فكأَنَّهُ وَجَدَ من ذلك، فقال: يا رسولَ اللهِ فأين أبوكَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**حيثمَا مرَرتَ بقبرِ مُشرِكٍ فبَشِّرهُ بِالنَّارِ**» قال: فأسلم الأعرابيُّ بَعْدُ، وقالَ: لقد كلَّفنِي رسولُ الله ﷺ تَعَبًا، ما مَرَرتُ بقبرِ كافِرٍ إلَّا بشَّرتُهُ بالنَّارِ»

يَنفَعُهُ، إِنَّهُ لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفِر لي خطِيئتِي يومَ الدِّينِ»[(١)]، ومات في الجاهلية.

وفي «صحيح مسلم»: قال عمرُو بنُ عبسَةَ السُّلَمِيُّ ﷺ: كُنتُ وأنا في الجاهليَّةِ أَظنُّ أنَّ النَّاسَ على ضلالةٍ، وأنَّهُم ليسُوا على شيءٍ وهم يَعبُدُونَ الأوثان، فسَمِعتُ بِرجلٍ بِمكَّةَ يُخبِرُ أخبارًا، فَقعَدتُ على راحِلتِي، فَقدِمتُ عليه، فإذا رسولُ اللهِ ﷺ مُستخفِيًا [والنَّاس] جُرَءَاءُ عليه قومُهُ، فَتلطَّفتُ حتَّى دخلْتُ عليه بِمكَّةَ، فقُلتُ لهُ: ما أنتَ؟ قال: «**أنَا نَبِيٌّ**»، فقُلْتُ: وما نَبِيٌّ؟ قالَ: «**أَرسَلنِي اللهُ**»، فقُلْتُ: وبأيِّ شيءٍ أرسَلَكَ، قالَ: «**أَرسَلَنِي بِصِلَةِ الأرحَامِ، وكَسرِ الأَوثانِ، وأنْ يُوحَّدَ الله لا يُشرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ معكَ على هذا؟ قَالَ: «**حُرٌّ، وعبدٌ**»، قَالَ: ومَعهُ يَومئِذٍ أبو بَكرٍ، وبِلالٌ مِمَّنْ آمنَ بهِ، فقُلتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قالَ: «**إنَّكَ لا تَستطِيعُ ذلِكَ يومكَ هذا، ألا ترَى حالِي وحالَ النَّاسِ، ولكنِ ارجِع إلى أهلِكَ فإذا سمِعتَ بِي قد ظهَرتُ فأْتِنِي**»، قالَ: فَذهَبتُ إلى أهلِي وقدِمَ رسولُ الله ﷺ المدِينةَ، وكُنْتُ في أهلِي فجَعَلتُ أتخبَّرُ الأَخبَارَ، وأسألُ النَّاسَ حين قدِمَ المدِينةَ، حتَّى قَدِمَ عليَّ نفَرٌ من أهلِ يَثرِبَ مِنْ أهلِ المدِينةَ، فَقُلتُ: ما فعَلَ هذا الرَّجُلُ الَّذِي قدِمَ المدِينةَ؟ فقالُوا: النَّاسُ إِليهِ سِراعٌ وقَد أرَادَ قَومُهُ قَتلهُ فلم يَستَطِيعُوا ذلِكَ، فقَدِمتُ المَدِينةَ فدَخلتُ عليه، فقُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ أَتَعرِفُنِي؟ قال: «**نَعَم، أنتَ الذِي لقِيتَنِي بِمَكَّةَ**»، قال: فقُلْتُ: بَلى، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أخبِرنِي عمَّا علَّمَكَ اللهُ وأَجهَلُهُ، أَخبِرنِي عن الصَّلاةِ...» الحديث[(٢)].

الشاهد أنه يقول: «كُنتُ وأنا في الجاهليَّةِ أَظنُّ أنَّ النَّاسَ على ضلالةٍ، وأنَّهُم ليسُوا على شيءٍ وهم يَعبُدُونَ الأوثانَ».

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤).
(٢) أخرجه مسلم (٨٣٢).

وعن عبد الله بن عمر ﵄، «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لقِيَ زيد بنَ عمرِو بنِ نُفيلٍ بأسفلِ بلْدَحٍ، قَبلَ أنْ يَنزِلَ على النَّبِيِّ ﷺ الوحيُ، فقُدِّمَتْ إلى النَّبِيِّ ﷺ سُفرَةٌ، فأبَى أَنْ يأْكُلَ منها، ثمَّ قالَ زيدٌ: إنِّي لستُ آكُلُ ممَّا تَذبَحُونَ على أنْصابِكُمْ، ولَا آكُلُ إلَّا ما ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه، وأنَّ زيدَ بنَ عَمرٍو كانَ يَعِيبُ على قريشٍ ذبَائِحَهُمْ، ويقُولُ: الشَّاةُ خلَقَهَا اللهُ، وأَنزَلَ لها من السَّماءِ الماءَ، وأنْبَتَ لها من الأرضِ، ثمَّ تَذبحُونَهَا على غيرِ اسمِ اللهِ، إنكارًا لِذلِكَ وإِعظامًا لَهُ»(١)، فأبى أن يأكُلَ.

فالإنسان لديه عقلٌ يميز بين النافع والضار، فكيف يعبد الحجر؟ أليس الحجر أنقصَ من الإنسان؟! يقول الله ﷻ يخبر أنه هو الخالق وحده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١] لا أحد في بني آدم يقول: إن لغير الله خَلْقًا، فالذي خلق السماء، وخلق الأرض، وخلق الجبال، وأنزل المطر والرياح والسحاب وغير ذلك، هو الله وحده دون إنكار من مشرك أو كافر؛ ولهذا فكثيرٌ من العلماء يقول: هذه الأدلة تكفي في كون الإنسان في جهنم إذا عَبَدَ غير الله؛ لأنها واضحةٌ.



(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٦).

باب القول في الآجال والأرزاق

«قال الله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]، والأجل عبارة عن الوقت الذي ينقطع فيه فعل الحياة كما أن أجل الدَّيْن عبارة عن الوقت الذي يحل فيه الدين، والمقتول والميت أجلهما عند خروج روحهما، وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]، يعني: من الشرك، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠]، يعني والله أعلم: بغير عقوبة.

و﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] قال: الموت، وقال يحيى بن زياد الفراء: إنما أراد مسمى عندكم، ومثله قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، يعني: وهو أهون عليه عندكم في معرفتكم، وهذا فيما أخبرناه أبو سعيد بن أبي عمرو قال: ثنا أبو العباس الأصم قال: ثنا محمد بن الجهم، عن الفراء فذكره وقال في الرزق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقد علمنا أن جميع المكلفين ليسوا بآكلين حلالًا فلو كان لم يرزقهم الحرام كان لم يرزق أكثر الأنام لأكلهم الحرام، وفي ذلك دلالة على أن جميع ما يغذي به الحيوان من حلال أو حرام فهو رزقه، فدخل فيه ما يأكله المكلفون من حلال وحرام، وما يأكله الأطفال من لبن لا يملكونه، وغيره مما يأكل البهائم وإن لم يكن لها ملك».

الشَّرح

مقصود المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب: الرد على الذين يقولون: إنَّ المقتول قُطِع عليه أجلُه ورزقُه، ولو تُرِك لعاش وأكل بقيَّة رزقِه، وعاش بقيَّة أجلِه، وهذا اعتقادٌ خاطئ، فالله جَلَّ وَعَلَا قدَّر الآجال فلا تتأخَّر، فالمقتول يقتل عند نهاية عمرِه، وينتهي رزقُه الذي كتبه الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: إذا تبتم وتركتم الشرك غفر الله ذنوبكم.

قوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يعني: هذا لا ينافي كونهم قد حُدِّدتْ آجالُهم، فالأجل لا يتغير، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا قد عَلِم ماذا يكون، فيقع الذي عَلِمه وكَتَبه، فهذا لا يخالف ما سبق أنَّ كلَّ شيءٍ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، والله علَّام الغيوب جَلَّ وَعَلَا ويعلم الذي يقع من الذي لا يقع.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أمره سهلٌ؛ ونزلت الآية لأنَّهم كانوا ينكرون الإعادة، فيقول: ابتداء الخلق أعظمُ من إعادته، فالذي بدأ الخلق ـ وهو الله ـ أهون عليه أن يعيده وأسهل.



۞ «أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود الحسيني رَحِمَهُ اللهُ قال، أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، قال: نا عبد الرحمٰن بن بشر بن الحكم، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد، يبلغ به النبي ﷺ قال: «يُوَكَّلُ الْمُوكَّلُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ مَاذَا أَشَقِيٌّ هُوَ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَكْتُبَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَيَكْتُبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَعُمْرُهُ ثُمَّ تُرْفَعُ الصُّحُفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»(١).

۞ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: أنا أبو بكر أحمد بن إسحاق قال: نا أبو المثنى، قال: نا مسدد، قال: نا حماد بن زيد، عن عبيد الله بن أبي بكر، عن جده أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَهُ قَالَ: رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»(٢).

۞ أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة قال: أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم قال: نا أحمد بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

حازم بن أبي غرزة، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: أنا مسعر، عن علقمة بن مرثد، عن المغيرة بن عبد الله اليشكري، عن المعرور بن سويد، عن عبد الله ـ هو: ابن مسعود ـ قال: قالت أم حبيبة: اللَّهُمَّ أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها النبي ﷺ: «قَدْ دَعَوْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَعْلُومَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، وَآثَارٍ مَبْلُوغَةٍ لَا يُعَجَّلُ شَيْءٌ مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهَا، وَلَا يُؤَخَّرُ شَيْءٌ مِنْهَا بَعْدَ حِلِّهَا، فَلَوْ دَعَوْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، أَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ، أَوْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا، أَوْ لَكَانَ أَفْضَل»[١].

الشَّرح

قوله: «عن حذيفة بن أسيد، يبلغ به النبي ﷺ قال: «يُوَكَّلُ الْمُوكَّلُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَمَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً...»».

في هذا الحديث: أنَّ نفخَ الرُّوح في الجنين يكون بعد الأربعين الأُولَى، وفي ذلك معارَضةٌ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: حدَّثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدوقُ، قالَ: «**إنَّ أحدكُمْ يُجمعُ خلقُهُ في بَطنِ أُمِّهِ أربعِينَ يومًا، ثمَّ يكونُ علقةً مِثلَ ذلِك، ثمَّ يكونُ مُضغةً مثلَ ذلِك، ثمَّ يَبعَثُ اللهُ ملكًا فيُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ لهُ: اكتُبْ عملهُ، ورِزقهُ، وأجلَهُ، وشقِيٌّ أو سعِيدٌ، ثمَّ يُنفخُ فيهِ الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ منكُم ليَعمَلُ حتَّى ما يكونُ بَينهُ وبَينَ الجنَّةِ إلَّا ذِراعٌ، فَيَسبِقُ عليهِ كِتابُهُ، فيَعمَلُ بعمَلِ أهلِ النَّارِ، ويَعمَلُ حتَّى ما يكونُ بَينَهُ وبينَ النَّارِ إلَّا ذِراعٌ، فيَسبِقُ عليهِ الكِتابُ، فيَعمَلُ بِعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ**»[٢] والذي فيه: «**يُجمعُ خلقُهُ في**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤٣).

بَطنِ أُمِّهِ أربعِينَ يومًا، ثمَّ يكونُ علقةً»، والعلقة هي قطعةُ الدَّم، «**ثمَّ يكونُ مُضغةً مثلَ ذلِكَ**»، فهذه مائةٌ وعشرون يومًا، «**ثُمَّ يُرسَلُ إليه الْمَلَكُ...**»[١]، أو قال: «**ثمَّ يَبعَثُ اللهُ ملكًا فيُؤمرُ بأربعِ كلماتٍ، ويُقالُ لهُ: اكتُبْ عملهُ، ورِزقهُ، وأجلَهُ، وشقِيٌّ أو سعِيدٌ**».

هذا من الأمور المُشْكِلَة، ولكن: كيف يُجمع بين الحديثين؟!

الرسول ﷺ لا يأتي بالأمور متناقضةً؛ لأنَّ كلامه ﷺ وحيٌ من الله ﷻ، فلا يمكن أن نقول: يُرجَّح هذا ويُترَك هذا!

والرؤية الصحيحة لفضِّ هذا الإشكال: أنَّ هذا يختلف باختلاف النساء، فهناك امرأةٌ تكون بنْيَتُها قويَّةً، فيكون خَلْقُ الروح فيها بعد الأربعين، وهذا ما يؤيِّدُه الطبُّ الحديث؛ فإنهم يقولون: إنَّ الجنين يتكون خَلْقُه عند بعض النساء بعد تمام الأربعين، فيكون ذلك على حديث حذيفة بن أُسيد، وحديث عبد الله بن مسعود يكون للمرأة الضعيفة.

وابن القيم رَحِمَهُ اللهُ جمع بينهما؛ حيث قال: «وأما حديث ابن مسعود فأحد ألفاظه مُوافق لحدِيث حذيفة وإن كان ذلك التَّقدِير والكِتابة بعد الأربعين قبل نفخ الرّوح فيهِ... [ثم قال]: وبقِي أَن يُقال فحدِيث حُذيفة يدل على أَن ابتِدَاء التخليق عقيب الْأَربعين الأولى وحدِيث ابن مسعود يدل على أَنه عقيب الأربعين الثَّالثة فكيف يجمع بينهمَا؟ قيل: أما حديث حذيفة فصريح في كون ذلك بعد الأربعين وأما حديث ابن مسعود فليس فيه تعرض لوقت التَّصوِير والتخليق وإِنَّما فيه بيان أطوار النُّطفة وتنقلها بعد كل أربعينَ وأنه بعد الأربعين الثَّالِثة ينفخ فيهِ الرّوح، وهذا لم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٣).

يتعرَّض له حدِيث حذيفة بل اختصَّ به حديث ابن مسعود فاشترك الحديثان في حُدُوث أمر بعد الأَربعين الأولى.

واختص حديث حذيفة بأن ابتِدَاء تصويرها وخلقها بعد الأربعين الأولى واختص حدِيث ابن مسعود بأن نفخ الرّوح فيه بعد الأَربعين الثَّالثة واشترك الحديثان في استِئْذان الْملك ربه سبحانَهُ في تَقدِير شأْن المولود في خلال ذلك فتصادقت كلِمَات رسول الله ﷺ وصدق بعضها بَعضًا...»[١].

أمَّا حديث أنَسٍ رضي الله عنه: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا....**» فليس فيه التحديد بالأيام والأجل، وليس فيه معارضة.

وأمَّا حديث أم حبيبة رضي الله عنها: «**اللَّهُمَّ أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية، فقال لها النبي ﷺ: قَدْ دَعَوْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَعْلُومَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ...**» يدلُّنا على أنَّ الآجال لا تتغير، وأنها هي المكتوبة قَبْلَ خلقِ السماوات والأرض، وهذا التي يكتبه الملَك عند نفخ الرُّوح استُنسِخَ من الكتاب الأول، فالكتابات متعدِّدة، والأصلُ والأمُّ هو الكتاب الذي كَتَبه ﷻ في اللَّوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فيكون هناك كتابةٌ عُمريَّة.

كما أنه توجد كتابةٌ سنويَّةٌ، التي قال الله فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان: ٣، ٤]؛ أيْ: يقدَّر في السَّنَة كلُّ ما يكون فيها، فهذا أيضًا أخصُّ مِنَ الأوَّل، وهو مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ.

وهناك كتابةٌ يوميَّةٌ، بدليل قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص٢٥٨ ـ ٢٥٩).

[الرحمن: ٢٩]، كما روي في الحديث عن ابن عبَّاسٍ ﵄: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**إنَّ اللهَ خَلقَ لوحًا محفوظًا من دُرَّة بَيضَاءَ، صَفحَاتُهَا من ياقُوتَةٍ حمراءَ، قلَمه نُورٌ وكِتابُهُ نُورٌ، لِلَّهِ فيهِ كلَّ يوم سِتُّونَ وثلَاثمِائَةُ لحظَةٍ، يَخلُقُ ويَرزُقُ، ويُمِيتُ ويُحيِي، ويُعِزُّ ويُذِلُّ، ويفعَلُ ما يَشاءُ**»(١)، فهذا أيضًا لا يختلف، فكلُّ الكتابات والتقديرات ترجع إلى الكتاب الأول.

فقولها: «**اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي...**»؛ أي: مُدَّ في آجالهم حتى أتمتَّع بأُنْسِهِم ووجودهم «**وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ**»، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ دَعَوْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَعْلُومَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، وَآثَارٍ مَبْلُوغَةٍ لَا يُعَجِّلُ شَيْءٌ مِنْهَا قَبْلَ حِلِّه، وَلَا يُؤَخِّرُ شَيْءٌ مِنْهَا بَعْدَ حِلِّه، فَلَوْ دَعَوْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، أَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ، أَوْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا، أَوْ لَكَانَ أَفْضَلَ**».

المعنى: أنَّ الدَّعوة في تأخير الآجال أو تقديمها لا فائدةَ فيها؛ لأنَّها لا تؤخِّر ولا تؤجِّل.

أمَّا قوله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(٢)، فلا يخالف هذا، **فالمعنى**: أنه مكتوبٌ من الأزل أنَّ هذا المخلوق سيصلُ رحِمَه فيكون عمره أكثرَ إذا لم يصل رحمه.

أمَّا قوله ﷻ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، فالضمير هنا يعود على شيءٍ آخر؛ أي: يُعمَّر من مُعمَّر،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥١١) زياد بن عبد الله وليث بن أبي سليم ضعيفان، وقد جاء موقوفًا على ابن عباس، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٦٠٥) من طريق بكير بن شهابٍ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)، عن أنس بن مالك ﵁.

ويُنقص من عُمُرٍ مُعمَّرٍ آخر، وهذا مثلما تقول: عندي دينارٌ ونصْفُه، فهل النصف هو نصف الدينار الذي عندك، أم نصف دينار آخر؟!

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، **قيل: هذا يكون في الشرائع**، بأنَّ الله ينسخ ما يشاء في الشرع، ويثبت ما يشاء.

وقيل: إنَّ هذا في الصحف التي في أيدي الملائكة، التي يُسجِّلون فيها كلام الناس وأعمالهم، فإذا صار آخر النهار مُحِيَ الذي ليس فيه ثوابٌ وليس عليه عقاب؛ كقولك: (أعطني القلم، خُذ الكتاب)، وما أشبه ذلك، وأُثبت الذي فيه ثواب وعقاب، **هذا قولٌ**.

والقول الأول أصحُّ، والعلم عند الله تعالى[1].

* * *

(١) ينظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (ص١٠٢).

۞ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا أبو بكر بن إسحاق، قال: أنا أحمد بن إبراهيم بن ملحان، قال: ثنا ابن بكير، قال: حدثني الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي، عن يونس بن كثير، عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَى فِي رُوْعِي أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»[1].

۞ ورواه أيضًا جابر بن عبد الله وغيره عن النبي ﷺ».

الشَّرح

قوله: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَى فِي رُوْعِي»؛ أي: أوحَى إليَّ وحيًا مِنَ الله ﷻ، والوحيُ تختلف صوره؛ فأحيانًا يأتي الوحي كصلصلة الجرس وهو أشدُّه عليه، وقد يُغمَى عليه من ذلك، وقد يتصبَّبُ منه العَرق في اليوم البارد، ثم يُفصَم عنه وقد وَعَى ما قيل له ﷺ[2].

وأحيانًا يأتيه في صورة بشر، وكثيرًا ما يأتيه في صورة دِحْية الكلبي، وقد شاهَدَتْه عائشة مرارًا يأتيه وتظُنُّه أنَّه دِحْيَة، فيخبرها الرسول ﷺ بأنه جبريل[3]، وهذا أسهل صور الوحي وأيسرها، وأحيانًا يَنْفُثُ في رُوعِه مثلما جاء في حديثنا هذا.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٣٦)، والمصنف في «شعب الإيمان» (٩٨٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣)، عن الحارث بن هشام رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٥٨٥٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»؛ أي: لا يطلب الإنسانُ شيئًا لا يجوز؛ بل يجب أن يكونَ الطلب صحيحًا وبطريقة سليمة لا مخالَفَةَ فيها، ثم لِيُوقِنَ بأن رزقه سيحصل له، وأن الحرص والتعب لا يزيد في رزقه شيئًا، وأن الله ﷻ قدَّر الأرزاق مع أسبابها.





باب القول في الإيمان

﴿ «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، فأخبر أن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال التي بعضها يقع في القلب وبعضها باللسان وبعضها بهما وسائر البدن، وبعضها بهما أو بأحدهما وبالمال، وفيما ذكر الله في هذه الأعمال تنبيه على ما لم يذكره، وأخبر بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليهم، وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما نبه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وإذا قبل الزيادة قبل النقصان، وبهذه الآية وما في معناها من الكتاب والسُّنَّة ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها وأنها على ثلاثة أقسام:

﴿ فقسم يكفر بتركه، وهو اعتقاد ما يجب اعتقاده والإقرار بما اعتقده.

﴿ وقسم يفسق بتركه أو يعصي ولا يكفر به إذا لم يجحده وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم.

﴿ وقسم يكون بتركه مخطئًا للأفضل غير فاسق ولا كافر، وهو ما يكون من العبادات تطوعًا.

﴿ واختلفوا في كيفية تسمية جميع ذلك إيمانًا:

﴿ منهم من قال: جميع ذلك إيمان بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ؛ لأن الإيمان في اللغة هو التصديق، وكل طاعة تصديق؛ لأن أحدًا لا يطيع من لا يثبته ولا يثبت أمره.

﴿ ومنهم من قال: الاعتقاد دون الإقرار إيمان بالله وبرسوله ﷺ وبسائر الطاعات إيمان لله ورسوله، فيكون التصديق بالله إثباته والاعتراف بوجوده، والتصديق له قبول شرائعه واتباع فرائضه على أنها صواب وحكمة وعدل، وكذلك التصديق بالنبي ﷺ، والتصديق له فقد ذكرنا بيانه ودليله في كتاب «الإيمان» وفي كتاب الجامع ونحن نذكر هاهنا طرفًا من ذلك».

الشَّرح

هذا كلامٌ جميلٌ وطيِّبٌ، وهو حقٌّ في تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة؛ حيث بدأ بالآيات التي تدلُّ على أن الإيمان يجمع الأعمال، التي أمر الله ﷻ بها، وأنه كلها تكون إيمانًا، وتدلُّ على أنَّ الإيمان يزيد نصًّا، فإذا كان يزيد فهو ينقص؛ لأنَّ ما قَبِلَ الزيادةَ يَقْبَلُ النقصان، وهذا دلائله كثيرة جدًّا.

وتعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة: هو اعتقادٌ في القلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح.

هذه الأمور تسمى أركان الإيمان ولا بد منها لتحقيق الإيمان؛ بحيث إذا فُقِدَ واحدٌ منها لم يتحقق الإيمان.

وليس العمل - كما يقول كثيرٌ من طلبة العلم - أنه شرطٌ، فكيف يكون شرطًا والشرط يكون قبل المشروط؟! هذا خطأ مَحْضٌ، **والصواب: أن العمل ركنٌ.**

ثم إنَّ الرُّسُل جاءت بالعمل، وما جاءت بعلمٍ فقط، فالعلم وحدَه يكون سببًا لزيادة العذاب لعلمه وعدم عمله به.

وأهلُ الباطلِ جعلوا الإيمان بالمعرفة فقط، كما يقول الجهم بن صفوان وشيعته، وهذا كفرٌ بالله ﷻ، ومنهم من يجعل الإيمان هو القول والتصديق، يعني: تصديق القلب وقول اللسان وهذا قول أكثر المرجئة، والعمل لا يدخل في ذلك، فسُمُّوا مرجِئةً؛ لأنهم أخَّروا العمل، وهذه المسألة من كبريات المسائل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: فذكر الله ﷻ هذا بالحصر؛ لأنَّ «ما» التي تحصر المذكور وتنفي من سواه، يعني: أن الإيمان محصورٌ في هذه المذكورة، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، هذه صفة، ووَجَلُ القلوب يدلُّ على الخوف بلا شكٍّ، والخوف يقابِلُه أيضًا الرجاء فلا بُدَّ منه.

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ هذه صفة ثانية، فمعنى ذلك: أنهم كلما عملوا الطاعات زاد إيمانهم، وهذا نصٌّ بزيادة الإيمان.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾: قدم المعمول ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ على العامل ﴿يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾، والأصل أنْ يكون العامل هو المقدَّم، **يعني:** الأصل في غير القرآن أن تقول: «ويتوكلون على ربهم»، فإذا قُدِّم فلأمرٍ قُصِدَ به، وهو الحصرُ بأن يكون التوكُّل على الله فقط، ولا يكون على غيره، والتوكل هو الأخذ بالسبب مع اعتماد القلب على الله ﷻ لا على غيره، يقول:

أولًا: وَجَلُ القلب.

الثاني: الزيادة عند تلاوة الآيات.

الثالثة: التوكُّل.

الرابعة: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

الخامسة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

فهذه الخمسة في الواقع دخل فيها كلُّ ما أمر الله ﷻ به، وما نهى عنه.

إذًا الفروض، والمستحبَّات، والمحرَّمات تدخل في الإيمان، وما عدا ذلك لا يدخل كالمباحات.

فأخبر الله أنَّ المؤمنين، هم الذين جمعوا هذه الأعمال الخمس التي ذُكِرَت، والتي بعضها يقع في القلب؛ مثل الوَجَل، والرَّجاء، والمحبَّة، والإنابة، وكذلك التوكُّل يقع في القلب وبالسَّبب بالعمل، وبعضها باللِّسان وهو الذكر وتِلَاوة القرآن باللِّسان ومنه الذِّكْر، وهذا أمرٌ لا بُدَّ منه.

فالرسول ﷺ يقول: «**أمرتُ أنْ أقاتِلَ الناس حتى يقولوا: لا إلـٰه إلا الله**»، والله ﷻ يقول: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمَرَ الله بالقولِ، فلا بُدَّ منه، ولو أنَّ إنسانًا مثلًا صَلَّى، وصام، وحجَّ، ولكنه ما قال: أشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهو كافِرٌ، وإذا مات فهو في النار وإنْ عَمِلَ، لا بُدَّ أن يشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله؛ لهذا قال: «**أمرتُ أنْ أقاتِلَ الناس حتى يقولوا: لا إلـٰه إلا الله، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم، وأموالهم، وحسابُهم على الله**»(١)؛

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

ومعنى «**حسابُهم على الله**»: أن نأخُذَ بالظاهر أمَّا ما في القلوب فنَكِلُه إلى الله؛ ولهذا حُكِمَ للمنافق بأنه مسلمٌ في الظاهر، وصحَّت معاملتُه، فيَرِثُ مَن مات من أقاربه ويرثونه، وكذلك المعاملات في الدُّنيا كلُّها جائزةٌ معهم، ومع ذلك هم في الدَّرْك الأسفل من النَّار تحت الكافرين.

وقوله: «وفيما ذكر الله في هذه الأعمال تنبيهٌ على ما لم يذكره»: هنا ذكر الصَّلاة والزكاة، وذكر وَجَل القلوب، وزيادة التأثُّر بآيات الله وزيادة العمل، وكذلك ذكر أنَّ التوكُّل عليه ﷻ أنه من ذلك، فدلَّ على أنَّ التوكُّل فريضةٌ، والصلاة فريضة، والزكاة فريضة، أمَّا وَجَل القلب فهذا من الصفات التي تدل على زيادة الإيمان.

- الذي لا يَجِلُ قلبُه، هل يكون غير مؤمنٍ؟

يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، والذي يَجِلُ قلبُه عند ذكر الله أعظم إيمانًا ممَّن لا يحصُل له ذلك، وإلا فكلُّهم مؤمنون، والله ﷻ يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧] معنى ﴿عَنِتُّمْ﴾: أصابكم العَنَت، وهو المشقَّة والعذاب، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، فجعل هذه الأقسام ثلاثةً: كفرٌ وفسوقٌ وعصيانٌ، فدلَّ على المخالفة، فالكفر شيءٌ، والفسوق شيء، والعصيان شيءٌ آخر، فكُرِّهت كلُّها إليهم، ثم كون الأعمال داخلةً في الإيمان، فهذه ظاهرة فيها، والآيات في هذا كثيرة، فالله ﷻ يقول في قصص بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا

﴿جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [البقرة: ٨٤ ـ ٨٥].

قوله: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ﴾؛ أي: المفاداة، فجعلها من الإيمان وهي عملٌ، وإخراجهم من ديارهم جعله كفرًا وهو عملٌ.

قوله: «وإذا قَبِلَ الزيادةَ قَبِلَ النُّقصان»: وذلك لأنَّ النقص لم تأتِ النصوص به واضحةً؛ وإن كان هناك بعض الأدلة؛ كقوله ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١)، وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ في أضحَى أو فِطرٍ إلى المُصلَّى، فَمَرَّ على النِّساءِ، فقال: «**يا مَعشَرَ النِّساءِ تَصَدَّقْنَ فإنِّي أُرِيتُكُنَّ أكثَرَ أهلِ النَّارِ**» فقُلْنَ: وبِمَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**تُكثِرْنَ اللَّعنَ، وتَكْفُرنَ العشِيرَ، ما رأيْتُ مِنْ ناقِصَاتِ عَقلٍ ودِينٍ أذهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ من إحدَاكُنَّ**»، قُلنَ: ومَا نُقصَانُ دِينِنَا وعَقلِنَا يَا رسولَ اللهِ؟ قالَ: «**أليسَ شَهادةُ المَرأةِ مِثلَ نِصفِ شَهادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ: بلَى، قالَ: «**فذلِك مِنْ نُقصَانِ عَقلِهَا، أليسَ إذا حَاضَتْ لَمْ تُصلِّ ولَمْ تَصُمْ؟**» قُلْنَ: بلى، قالَ: «**فَذلِك مِنْ نُقصَانِ دِينِها**»(٢).

ويقول الله ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، هذه آخر ما نزل من الآيات، لما نزلت بَكَى عمرُ بن الخطاب، وقال: «**أَنَا كُنَّا في زِيادةٍ من دِينِنَا، فأَمَّا إذا كَمُلَ فإنَّهُ لم يَكمُلْ قطُّ شيءٌ إلَّا نَقصَ**»(٣)؛ ولهذا استدلَّ البخاري رحمه الله في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨)، وابن وضاح في «البدع» (١٨٦).

«صحيحه» بهذه الآية على نقصان الدِّين، قال: «إذا تركَ شيئًا من الكمَالِ فهو ناقِصٌ»[1].

أما المرجئة فيقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والإيمان شيء واحد، والناس كلهم فيه سواء؛ لأنهم يقولون: الذي ينقص يذهب كلُّه، وهذه نظريةٌ خاطئة، فذَهاب البعض لا يلزم منه أن يذهب الكل.

قوله: «وبهذه الآية وما في معناها من الكتاب والسُّنَّة ذهب أكثر أصحاب الحديث...»، يعني: وبعض أهل الحديث ما ذهب إليه؛ لأنَّ اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها، ونفلها، وأنها ثلاثة أقسام، فهذا لا شكَّ فيه؛ لأن الرسول جاء بالعمل مع العلم والقول، وأخبر أنه لا بُدَّ من الصلاة، ولا بُدَّ من الصَّوم، وغير ذلك.

قوله: «وأنها على ثلاثة أقسام: قِسْمٌ يَكْفُرُ بِتَرْكِهِ، وَهُوَ اعْتِقَادُ مَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ»، يعني: هذا القول فيه نظر، ليس مطلقًا هكذا، **«وَالْإِقْرَارُ بِمَا اعْتَقَدَهُ»**.

«وَقِسْمٌ يَفْسُقُ بِتَرْكِهِ أَوْ يَعْصِي وَلَا يَكْفُرُ بِهِ إِذَا لَمْ يَجْحَدْهُ، وَهُوَ فُرُوضُ الطَّاعَاتِ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ...»، الصحيح: أن ترك الصلاة كفرٌ، وليس مجرَّدَ فسوقٍ؛ للنصوص التي جاءت في ذلك؛ منها: قول الرسول ﷺ: **«العَهدُ الذي بَينَنَا وبَينهُمُ الصَّلاةُ، فمن تَرَكَهَا فقَد كَفَرَ»**[2]، وقوله: **«إنَّ بَينَ الرَّجُلِ وبَينَ الشِّركِ والْكُفْرِ تَركَ الصَّلاةِ»**[3].

ونصوصٌ أخرى تدلُّ على ذلك، كقوله ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟

---

(١) صحيح البخاري (١/١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٢)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

﴿ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] تابوا من الشرك؛ لأنهم كانوا مشركين، فإن تابوا بأن تركوا الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فجعل الصلاة والزكاة أركانًا لا بُدَّ منها، فإذا تُرك واحدٌ منها فهو كفرٌ، وأركانُ الإسلامِ كلُّها، إذا تُرِك واحدٌ منها فذلك كُفْرٌ، وأدلَّة هذا كثيرةٌ.

أمَّا قول التابعي عبد الله بن شقيق رَحِمَهُ اللهُ: «**كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة**»[1]، هذا ليس على ظاهرِه، فالصحابة اتفقوا على قتال مانع الزكاة وكفَّروهم؛ فالعرب حينما ارتدُّوا بعد وفاة الرسول ﷺ كانت رِدَّتُهم مختلفةً؛ منهم من أنكر نبوَّة الرسول ﷺ، وهذا كفرٌ بالاتِّفاق، ولا ينازع فيه أحدٌ، ومنهم من قال: لا نؤدِّي الزكاة؛ لأنَّ هذه أختُ الجزية.

ومنهم من قال: لا نؤديها إلى أبي بكر؛ لأنَّ الله قال لنا: نعطيها لمن كانت صلاته سكنًا لنا، وأبو بكرٍ لم تكن صلاته سكنًا لنا، فلن نؤدِّيَها إليه، ونحن أولى بأن نتصرَّف فيها.

لم يفرِّق الصحابة بين أحدٍ من هؤلاء، قاتلوهم كلَّهم وحَكَمُوا بكفْرِهم، حتى قال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «واللهِ لأقاتِلَنَّ من فرَّقَ بينَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، فإنَّ الزَّكاةَ حقُّ المالِ، واللهِ لو مَنعُونِي عَنَاقًا كانُوا يُؤدُّونَهَا إلى رسُولِ اللهِ ﷺ لَقاتَلْتُهُمْ على مَنْعِهَا»، قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»[2]، لقول رسول الله ﷺ: «**أمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولُوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، فإذا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٢٤)، ومسلم (٢٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالُوهَا عصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأَموالَهُمْ إلَّا بِحقِّهَا، وحِسابُهُمْ على اللهِ ﷻ»(١).

ومن الشافعية مَنْ يقول: ترك الصَّلاة ليس كفرًا، وإنما هو كبيرةٌ من كبائر الذُّنوب، حتى يجحدها، فإذا جحدها صار كفرًا(٢)، وهذا مرجوحٌ.

وكذلك استحلال المحرمات أو عدم امتثال الشرع يكون كفرًا، فمن قال: نؤمن بالله ولكن لا نحرِّم الربا، كانوا بذلك كُفَّارًا؛ ولو قالوا: لا نؤذِّن، وأنكروا مشروعيته وجحدوه، كانوا كفارًا.

فلا فرق بين استحلال المحرَّمات، فإذا ثبت أنه محرَّمٌ وأنكره فهو كافرٌ، أو ثبت أنه سُنَّة ثم أنكرها بعد ثبوتها يكون كافرًا؛ لأنَّه أنكر شيئًا ثابتًا عنِ النَّبي ﷺ.

والكفر لا يقوم بنفسِه ولا يكون في الهواء! لا بُدَّ أن يكون في إنسانٍ قائم به مثل الإيمان، أمَّا الذي يقول: إنَّ الكفر يُعادَى ويُبغَض، ولكن لا تُعادِي الكافر ولا تَبْغَضه؛ لأنه أخوك في الإنسانية! هذا الكلام لا قيمة له؛ لأنَّ الكفر يقوم بالكافر ولا يقوم بنفسه، والكافر هو الذي يُعادَى لأن كَفَرَ.

تعريف الإيمان: اعتقادٌ في القلبِ، وقولٌ باللِّسان، وعملٌ بالجوارح.

أمَّا **قولنا: «يزيد وينقص»** فلا يلزم ذكره بالتعريف، فهو تَبَعٌ له، ولكن هذا ردٌّ على الذين يقولون: إنه لا يزيد ولا ينقص، فإذا قلت: إنه قول اللسان، واعتقاد القلب، وعمل الجوارح كفى.

ولكن هذا نصٌّ يرُدُّ على الذين يقولون شيئًا واحدًا وهم المرجِئَة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الحاوي، للماوردي (٢/ ٥٢٧).

والمرجئة أقسامٌ، ذكرهم الأشعري في كتابه «اختلاف المصلين»، قال: «اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو وهم اثنتا عشرة فرقة»[١] منهم المبالِغ، ومنهم الذين لا يُدخِلون الأعمال في مُسمَّى الإيمان، ولكنهم يقولون: هي واجبةٌ ومن تركها فهو معاقَبٌ وآثِمٌ، وهؤلاء هم الذين يسمونهم: مُرجِئة الفقهاء، ويقصدون بذلك الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ وشيخه حمَّاد، ومن تَبِعَهُما على هذا.

وبعض العلماء يقولون: الخلاف لفظيٌّ، لأنهم يقولون: إذا ترك هذه الأعمال فهو معاقَبٌ وآثم، بخلاف المرجئة المحْضَة الذين يقولون: ليس عليه عقاب، وإذا اعتقد الإيمان فهو في الجنة وإن قَتَل النبيَّ، وإن مزَّق المصحف وداسَه بقدمَيْه! وهذا من أبطل الباطل وأخبثه؛ لهذا كفَّرَهم الإمام أحمد وغيره، نسأل الله العافية.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لو أنَّ قريشًا قالت للنبي ﷺ: نحن نؤمن بما جئت به ونؤمن بك أنك رسول الله، ولكن لا نصلي، ولا نصوم، ولا نؤدي الزكاة، ولا نمتنع من المحرمات، ونقاتل من يؤمن بك، ماذا يقول لهم، يقول: أنتم في الجنة؟ أم أنتم في السعير؟! لا شك أنهم في جهنم، والرسول ﷺ جاء بالعمل ما هو مجرد قول، أو مجرد شيءٍ يعتقد في القلب.

الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن هذا في الواقع غير مُطَّرَد؛ والدليل على هذا أنه تصديقٌ قوله تعالى في قصة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، يعني: بمصدِّق.

واختار شيخُ البيهقيِّ الحليميُّ في كتابه «شُعب الإيمان»[٢] أنَّ

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص١٣٢).

(٢) ينظر: شعب الإيمان (١/ ٨٩ _ ٩٠).

الإيمان في اللغة: هو الإقرار وليس التصديق، الإقرار بما جاء به النبي ﷺ وقبوله، والتسليم والانقياد له.

قوله: «منهم من قال: جميعُ ذلك إيمانٌ بالله ـ تباركَ وتعَالَى ـ، وبِرسولِهِ، وهذا هو الحق؛ لأنَّ الإيمان في اللُّغة هو التَّصديقُ، وكلُّ طاعة تَصدِيقٌ؛ لأَنَّ أحدًا لا يُطيعُ من لا يُثْبِتُهُ ولا يُثْبِتُ أَمرَهُ...».

الخلافُ موجود بين الناس في هذا، والصحيح: أنَّ التصديق في اللغة لا يأتي في كلِّ موارد الإيمان، فمثلًا الذي يخبر عن الأمور الغائبة يقول: آمنت به؛ كمن من يقول: سينزل عيسى ابن مريم، نقول: آمنت، بخلاف الأمور الواضحة الجليَّة، فلو قال لك: طلعت الشمس، ستقول: صدقت، وإذا قلتُ لك: السماء فوقك والأرض تحتك، ستقول: صدقت.

وعليه؛ يختلف التصديق عن الإيمان في أمورٍ كثيرة في هذا، وبهذا يتبيَّن أنَّ التصديق لا يكون إيمانًا في كلِّ موارده في اللغة.

وقوله: «ومنهم من قالَ: الاعتِقادُ دونَ الإقرارِ إيمانٌ بِاللهِ وبِرسُولِهِ ﷺ وبِسائِرِ الطَّاعاتِ إيمانٌ لِلَّهِ ولرسولِهِ، فيكونُ التَّصدِيقُ باللهِ إثْباتَهُ والاعتِرافَ بوجُودِهِ».

لا بُدَّ من التسليم لأمر الله والانقياد له، وإن كان هذا قد يدخل في **قوله: «الطاعات»**؛ لأنَّ الطاعة بلا تسليم وانقياد لا تُحسَب.

قوله: «والتَّصدِيقُ لهُ قبولَ شرائِعِهِ واتباع فرائِضِهِ على أنَّها صوَابٌ وحِكمَةٌ»: وعلى أنه يعمل بها أيضًا، وكذلك التصديق بالنبي ﷺ، وكله يريد أن يجعل التصديق هو الإيمان في جميع موارده، وهذا لا يتأتى.

* * *



﴿﴾ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ومحمد بن موسى، قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: أنا إبراهيم بن مرزوق، قال: نا أبو عامر، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قيل للنبي ﷺ: أَرَأَيْتَ الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣][(١)]. ورواه أيضًا البراء بن عازب رضي الله عنه أتمَّ منه»[(٢)].

الشَّرح

قوله: ﴿إِيمَـٰنَكُمْ﴾: يعني: صلاتكم، فهذا دليلٌ على أنَّ الصلاة تُسمَّى إيمانًا، وعليه فالأعمال تسمى إيمانًا.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢٩٦٤)، وأبو داود (٤٦٨٠)، والترمذي (٢٩٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥).

❁ «وفي هذا دلالة على أنه سمى صلاتهم إلى بيت المقدس إيمانًا، وإذا ثبت ذلك في الصلاة ثبت ذلك في سائر الطاعات».

الشَّرح

نعم؛ ذلك في جميع الأعمال.

* * *

﴿ «وقد سمى رسول الله ﷺ الطهور إيمانًا، فقال في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»[(١)].

الشَّرْح

الفرق بين «الطُّهور» و«الطَّهور»: الطُّهُور بِالضَّمِّ: التَّطَهُّر، وبالفَتح: الماءُ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ[(٢)].

قال النبي ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»؛ قيل: إنَّ المقصود بالإيمان الصلاة، والطهور شرطٌ لصحة الصلاة، فيكون نصفها في هذا المعنى.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

(٢) النهاية، لابن الأثير (٣/ ١٤٧).

﴿ «حدثناه أبو محمد بن يوسف، أنا أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب، أنا محمد بن عيسى بن السكن، ثنا عفان، أنا أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه كان يقول: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ».

﴿ وسمى في حديث وفد عبد القيس كلمتي الشهادة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وإعطاء الخمس إيمانًا».

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق ببغداد، أنا علي بن محمد الحرفي، أنا أبو قلابة، ثنا أبو زيد الهروي، ثنا قرة بن خالد، عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَرْحبًا بِالْوَفْدِ غَيْرَ الْخزَايَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: «آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَتَصُومُوا رَمَضَانَ وَتَحُجُّوا الْبَيْتَ»، قَالَ: وَأَحْسبُهُ قَالَ: «وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْغَنَائِمِ»(١).

﴿ وسمى شُعب الدين كلها إيمانًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه».

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

الشَّرح

قوله: «**آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ؟**»: الإيمان إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والصوم، وأداء الخُمُس من المغنم؛ فمعنى هذا: أنَّ الأعمال كلها تدخل في الإيمان، فهو الظاهر في ذلك.

قوله: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...**»: معلومٌ أنَّ الشهادة لا بُدَّ أن تُطابِقَ العلم، وإلا ما تكون شهادة، ولا بُدَّ من العمل، ولهذا يقول ﷻ: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①**﴾ [المنافقون: ١]، فشهدوا وهم كاذبون؛ لأنهم ما اعتقدوا هذا في قلوبهم، فصاروا كَذَبَةً.

وعليه؛ فلا بُدَّ من الشهادة أن تكون مطابقةً للعلم الذي في القلب، ولا بُدَّ من العمل، ولهذا كان لها شروطٌ لا بُدَّ منها وإلا لا تنفع ولا تفيد.

إذًا «**شهادة أن لا إله إلا الله**» نفْسَها تتضمَّن العلم والقول والعمل، وكذلك مثلها: شهادة «**أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**».

ولا بُدَّ أن نذكر اسم رسول الله العَلَم الصريح، نقول: «أشهد أن محمدًا رسول الله»، وكذلك عند الأذان، وليس فيها كلمة (سيد)، التي يقولها كثير من الناس وقد نهى رسول الله عن قولها، عن عبد الله بن الشِّخير ﷺ قال: انطَلَقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ الله ﷺ: فَقُلنَا: أنتَ سيِّدُنَا، فقالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالى**» قُلنَا: وأفضَلُنَا فضْلًا وأعظَمُنَا طَولًا، فقَالَ: «**قُولُوا بِقَولِكُم، أو بَعضِ قَولِكُمْ، ولا يَستَجرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ**»(١)، وعن عمر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تُطرُونِي،**

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠٧)، وأبو داود (٤٨٠٦).

كما أطرَتْ النَّصارى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عَبدُهُ، فقُولُوا عبدُ اللهِ، ورسُولُهُ»(١)، وقد صار الناس الآن في الخُطب وغيرها، يتحاشون أن يقول عبد الله ورسوله؛ بل يقولون: سيدنا! وقد نهى عنه ﷺ، وأمر أن نقول: عبد الله ورسوله؟ والله ﷻ ذكره بلفظ العبودية في أشرف المقامات:

مقام التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وفي مقام الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

وفي مقام الوحي، الإيحاء: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

وفي مقام الدعوة إليه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

هذه المقامات الأربعة هي أشرف مقاماته ﷺ، ذكره الله فيها بلفظ العبد، وأشرف ما يكون الإنسان كونه يضاف إلى الله، إذا أضيف إلى ربه هذا أشرف ما يكون.

قوله: «وَأَنْ تُقِيمُوا الصَّلَاةَ»: جاء بلفظ الإقامة في الكتاب والسُّنَّة، فلا بُدَّ منها، والإقامة شيء والصلاة شيء آخر، الإقامة هي استحضار عظمة الله والخشوع في كل حركة وسكنة في الصلاة، أما الصلاة فهي الأفعال والحركات المخصوصة المبتدئة بالتكبير والمختتمة بالتسليم.

قوله: «وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ»: يعني: تُؤدَّى إلى مستحقِّيها.

المقصود: أنَّ هذه أعمالٌ فسمَّاها إيمانًا، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

ﷺ «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، أنا عباس بن عبد الله الترقفي، أنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1]».

الشَّرح

قوله: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ...»: نصٌّ ظاهرٌ جدًّا، في كون الأعمال داخلةٌ في مسمَّى الإيمان، قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**»، ورواية البخاري فيها: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**»[2]، وفي مسلم: «**الإيمانُ بِضعٌ وسَبعُونَ ـ أو بِضعٌ وسِتُّونَ ـ شُعبةً**»[3]، والشك من الراوي.

والبِضْع المقصود به الشيء من العمل؛ ولهذا بنى البيهقي رحمه الله كتابَه «شُعَب الإيمان» على هذا الحديث، أراد أن يعدِّد هذه، أوصلها إلى فوق السبعين شعبة، ويذكر أعمالًا كثيرة من هذه.

وفي هذا العدد حصرٌ للأعمال كلها؛ لأنك لو عددْتَ الواجبات فقط فلن تبلغ العشرين، ولكن هناك أمور مستحبة كثيرة، أراد أن يجمعها البيهقي ومن قبله شيخه الحليمي كتب في هذا المجال كتابًا كبيرًا سماه

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).
(٢) أخرجه البخاري (٩).
(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

«شُعَب الإيمان»، وهذا الكتاب حققه بعض طلاب جامعة أم القرى.

وقد تولَّى طباعته رجلٌ نصرانيٌّ، يخلط بين الحديث والآية، ولا يعرف الفرق بينهما، وهذا من العيب والنقص في حق المسلمين، والسبب في هذا أن بعض أصحاب المكتبات لا يريدون إلا الفلوس، وإذا رأوا كتابًا ليس له سوقٌ لا يطبعونه!

فالمقصود: أنَّ هذا الحديث واضح جدًّا في أنَّ الأعمال داخلة في مسمَّى الإيمان؛ فالإيمان فيه ما هو فرضٌ، وفيه ما هو واجبٌ، وفيه ما هو مستحبٌّ، أما المباح فلا يدخل فيه.

قوله: «**أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: وفي رواية: (**أَعْلَاهَا**)[1] وفي رواية: (**أَرْفَعُهَا**)[2] وفي رواية: (**أَرْفَعُهَا وَأَعْلَاهَا**)[3].

«**أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»: هذا نصٌّ في أن القولَ إيمانٌ، «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»: وإماطة الأذى عن الطريق عملٌ.

قوله: «**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»: والحياء خُلقٌ يتخلَّق به الإنسان، يمنعه أن يفعل القبيح، ويأمره بفعل الأمر المستحسن، فإذا فصَّل الرسول ﷺ هذا الأمر وبيَّنه فلا عذرَ لمن يخالف.

* * *

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٩١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٨٩٢٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ «أخبرنا أبو علي الروذباري، قال: أنا أبو بكر بن داسة، قال: أنا أبو داود قال: نا أبو الوليد الطيالسي، قال: أنا سليمان بن كثير، قال: أنا الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنَّهُ سُئِلَ: أيُّ الْمُؤْمِنِينَ أكمَلُ إيمانًا؟ قال: «رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللهَ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ قَدْ كُفِيَ النَّاسُ شَرَّه»[(١)].

ﷺ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسن بن إسحاق البزار ببغداد، أنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن إسحاق الفاكهي، بمكة، أنا أبو يحيى بن أبي مسرة، أنا عبد الله بن يزيد المقرئ، أنا سعيد بن أبي أيوب، أنا محمد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[(٢)]».

الشَّرح

قوله: «سُئِلَ: أيُّ الْمُؤْمِنِينَ أكمَلُ إيمانًا؟»: يدلُّ الحديث على أنَّ بعض الناس يأتي بإيمانٍ كاملٍ، وبعضهم يأتي بإيمانٍ ناقصٍ، وبعضهم يأتي بإيمانٍ متوسِّطٍ، فقال في الكامل ـ كما في الحديث الآخر ـ: «**إلَّا رجُلٌ خرَجَ بِنفسِهِ ومالِهِ في سبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يَرجِعُ مِن ذلِكَ بِشيءٍ**»[(٣)]؛ أي: يذهب بماله في سبيل الله ويُقتل.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٤)، ومسلم (١٨٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٩٦٨)، وأبو داود (٢٤٣٨)، وابن ماجه (١٧٢٧)، والترمذي (٧٥٧)، والمصنف (٨٣٩٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قوله: «**وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللهَ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ قَدْ كُفِيَ النَّاسُ شَرَّه**»: يعني: معناه أن كف الشر عن الناس من الإيمان، فدخل فيه تَرْكُ المحرَّم وفعل الواجب والمستحبّ.

الرسول ﷺ أُعطِي جوامع الكلم[1]، صلوات الله وسلامه عليه، قال: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أخلاقًا**»، والخُلق هو عمل وقول، وهو جِبِلَّةٌ، يكون في الإنسان يحمله على العمل وعلى القول، وحسن الخلق يمنع الإنسان أنه يقع في المكروهات أو في المحرمات، وكذلك يدعوه إلى أن يفعل ما هو جميل وطَيِّب، ويُعامِلَ الناس بمعاملةٍ حسنةٍ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

۞ «قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقوله «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا» أراد به - والله أعلم - «مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا» جمعًا بينه وبين سائر ما ورد في هذا المعنى، وهذا لفظٌ سائغٌ في كلام العرب، يقولون: أَكْمَلُ وأفضَلُ، ومرادهم به: من أكمل ومن أفضل».


الشَّرح

قوله: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا» أَرَادَ بِهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ -: «مِنْ أَكْمَلِ»: «من» تبعيضية عنده، فليس الكمال هنا الكمال المطلق.

قوله: «جمعًا بينه وبين سائر ما ورد في هذا المعنى»: يعني: أنَّ هناك نصوصًا جاءت بأكمل الإيمان غير هذه، فيكون الجمع بينها: أن من أكمل المؤمنين إيمانًا من كان كذلك، فلا ينافي النصوص الأخرى.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، أنا أبو داود، أنا مؤمل بن الفضل، ثنا محمد بن شعيب بن شابور، عن يحيى بن الحارث، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»[1]».

الشَّرح

هذا قول ثانٍ، استكمل الإيمان في هذه الأمور، وهذه الأمور تجمع خصالًا كثيرةً من الإيمان.

قوله: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ**»: يعني: كانت أفعاله في الحبِّ والبغض، وكذلك المنع والعطاء لله، «**فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**».

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٦١٣، ٧٧٣٧)، وفي «الأوسط» (٩٠٨٣)، والبغوي في «السُّنَّة» (٣٣٦٣)، والمصنف في «شعب الإيمان» (٩٠٢١).

❁ «ورواه سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه أن رسول الله ﷺ، فذكره وزاد: «وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ».

❁ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، قال: ثنا محمد بن صالح بن هانئ، قال: نا السري بن خزيمة قال: ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن أبي مرحوم عن سهل، فذكره.

❁ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني، قال: ثنا إبراهيم بن عبد الله السعدي، ثنا محمد بن عبيد، ثنا الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضعفُ الْإِيمَانِ»[(١)]».

الشَّرح

يعني: هذا أيضًا نصٌّ في أنَّ الأعمال داخلةٌ في الإيمان، وأنَّ الإيمان يزيد وينقص، وأنه يكمل عند بعض الأمور وينقص عند بعضها.

قوله: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ**»: هذا أعلاها، «**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ**»، فهذا من الإيمان، «**فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضعفُ الْإِيمَانِ**» هذا مقصوده «أضعف الإيمان»، إذًا الإيمان فيه ما هو ناقصٌ وفيه ما هو كاملٌ، وفيه ما هو متوسِّطٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا علي بن حمشاذ العدل، نا الحسن بن سهل المجوز، أنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل، ثنا أبان بن يزيد، قال: نا قتادة، قال: نا أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مَا يَزِنُ بُرَّةً»(١).

﴿ ورواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنَ الْإِيمَانِ»(٢)».

الشرح

قوله ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مَا يَزِنُ بُرَّةً» يدلُّ على أنَّ المؤمنين يتفاوتون في الإيمان تفاوتًا عظيمًا، حتى يكون الإيمان في مثل ما ذكره هنا «**ما يَزِنُ بُرَّة**» فقط، وقد يَزِن شعيرة وقد يَزِن جبلًا، فهذا ظاهِرٌ جدًّا في تفاوُتِ الإيمان في قلوب الناس.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (٩١).

ﷺ «والأحاديث في تسمية شرائع الإسلام إيمانًا وأن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد إذا كان الإسلام حقيقة ولم يكن بمعنى الاستسلام، وأن الإيمان يزيد وينقص سوى ما ذكرنا كثيرة، وفيما ذكرنا هاهنا كفاية.

ﷺ وقد روينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ثم عن عبد الله بن رواحة، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعثمان بن حنيف، وعمير بن حبيب، وجندب، وعقبة بن عامر رضي الله عنهم، ومن التابعين وأتباعهم، عن جماعة يكثر تعدادهم.

ﷺ وهو قول فقهاء الأمصار رحمهم الله: مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وغيرهم من أهل الحديث.

ﷺ ورويناه عن قتيبة بن سعيد، عن أبي يوسف القاضي، وكل ذلك مذكور في كتاب الإيمان».

الشَّرح

قوله: «والأحاديث في تسمية شرائع الإسلام إيمانًا وأن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد إذا كان الإسلام حقيقة ولم يكن بمعنى الاستسلام»: الإسلام هو معنى الاستسلام لله جل جلاله بالطاعة والانقياد له وعدم الشرك، والتخلص منه من صغيرِه وكبيرِه، هذا هو الإسلام، ولكن

إذا اجتمع ذكر الإيمان مع الإسلام فكلٌّ واحدٍ يُفسَّر بشيء كما في حديث جبريل عليه السلام، فالإيمان يُفسَّر بالأمور الغيبية، والإسلام يفسر بالأمور الظاهرة التي تُفعل ظاهرًا، ويكون فيه فرقٌ هنا، أما إذا افترق فيحل كلٌّ منهما محل الآخر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

قوله: «وأن الإيمان يزيد وينقص»: سبق توضيحه، والأدلة عليه كثيرة.

قوله: «وقد روينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين...»؛ أي: أنَّ هذا ظاهرٌ جدًّا والأخبار فيه كثيرةٌ، وهو قول جمهور أهلِ السُّنَّة إن لم يكن كلهم يتَّفِقون على هذا ولا يختلفون فيه.

* * *



﴿ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري، قال: نا أبو بكر بن محمد بن مهرويه بن عباس بن سنان الرازي، قال: نا أبو سنان الرازي، قال: نا أبو حاتم الرازي، وغيره، قالا: نا أبو الصلت الهروي، قال: نا علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمَانُ قَولٌ بِاللِّسَانِ، عَمَلٌ بِالأركَانِ، مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ»(١).

﴿ تابعه محمد بن أسلم الطوسي وغيره، عن علي بن موسى الرضا رضي الله عنه».

الشَّرح

هذا الحديث لا يثبت(٢)، ونحن لسنا بحاجة إليه.

* * *

(١) أخرجه ابن ماجه (٦٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٣٣٢)، والآجري في «الشريعة» (٢٧٩)، والطبراني في «الأوسط» (٦٢٤٥)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١٦).

(٢) أورد الحديث ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٦٩). وقال البوصيري في «الزوائد» (٥): إسناد هذا الحديث ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي الصلت الهروي. وضعفه المناوي في «فيض القدير» (٣/ ١٨٥).

﴿ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثني الزبير بن عبد الواحد الحافظ بأسد أباد قال: حدثني يوسف بن عبد الأحد قال: ثنا الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: «الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ»[(١)].

﴿ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الاستثناء في الإيمان فقد كان يستثني جماعة من الصحابة والتابعين وأتباعهم وإنما رجع استثناؤهم إلى كمال الإيمان وإلى بقائهم على إيمانهم في ثاني الحال فأما أصل الإيمان فكانوا لا يشكون في وجوده في الحال، وبأن تغير حال إنسان في الإيمان لم يمنع كونه موصوفًا به في الحال قبل التغيير والله أعلم.

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثني أبو أحمد الحافظ، قال: أنا أبو العباس محمد بن شادل الهاشمي قال: نا أحمد بن نصر المقرئ الزاهد، قال: نا عبد الله بن عبد الجبار الحمصي، قال: ثنا بقية بن الوليد، عن تمام بن نجيح، قال: سأل رجل الحسن البصري، عن الإيمان، فقال: الْإِيمَانُ إِيمَانَانِ، فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، فَأَنَا مُؤْمِنٌ، وَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١١١٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٠).

رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤] فَوَاللهِ مَا أَدْرِي أَنَا مِنْهُمْ أَمْ لَا؟[(١)].

ﷺ فلم يتوقف الحسن في أصل إيمانه في الحال وإنما توقف في كماله الذي وعد الله ﷻ لأهل الجنة بقوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٤]».

الشَّرح

قوله: «وأمَّا الاستثناءُ في الإيمانِ...»: يرجع إلى أنَّ الإيمان الكامل هو القيام بكلٍّ ما أوجب الله ﷻ وترك ما حرَّم، والإنسان لا يجزم بأنه يقوم بكل هذا كما ينبغي، فيستثني، **هذا معنًى**.

المعنى الثاني: أنه يستثني لأنه لا يدري ماذا يصير إليه؟ لأنَّ القلب يتقلَّب، وقد يكون فيما بعد أنه سيترك الإيمان ويأتي بأمور مغايرة تمامًا؛ لأن الإنسان لا يملك نفسه ولا يملك قلبه طالما أنه حيٌّ، فهو إما إن يرجع إلى كون العبد لا يأتي بكمال المأمورات كما ينبغي، وكذلك المنهيَّات أو يرجع إلى العاقبة إلى المآل.

وليست المسألة استثناء شكٍّ كما تقوله المرجئة، يسمون أهل السُّنَّة شُكَّاكًا؛ لأنهم يستثنون في الإيمان، وهذا كَذِبٌ؛ لأن الإيمان عندهم شيءٌ واحدٌ، يقولون: إذا نقص منه شيء ذهب كله، وهذا كلُّه كَذِبٌ خلافَ الواقع.

وقد جاء في كتاب الله ﷻ وفي أحاديث رسوله ﷺ ما يدلُّ على هذا.

وبعض العلماء يقول: الاستثناء للتبرُّك، ولكن التبرُّك ليس له معنى

(١) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٧٥).

في هذا، ثم إن سؤال الناس: هل أنت مؤمن أم غير مؤمن؟ من أعمال أهل البدع الضُّلَّال، فالإنسان لا يُسأَل عن إيمانه وإنما يؤخذ بظاهره. هذا بالنسبة للإيمان.

أمَّا الإسلام فلا استثناء فيه؛ لأن الإسلام أعمال وأفعال ظاهرة؛ كالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا قيل لك: أنت مسلم؟ تقول: نعم أنا مسلم والحمد لله، أما الإيمان فلا؛ لأنَّ الإيمان يختلف عن الإسلام، فالإيمان منه الكامل ومنه الغير كامل، وأكثر الناس إيمانهم غير كامل؛ لأنهم يتركون شيئًا من الواجبات ويفعلون شيئًا من المحرَّمات، وكلهم من أهل الجنة إن شاء الله، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، فهؤلاء كلهم من أهل الجنة؛ **والظالم لنفسه**: الذي ترك بعض الواجبات وفعل شيئًا من المحرَّمات، **والمقتصد**: الذي قام حسب الظاهر بما وجب عليه وكفَّ ما نهي عنه من المحرَّمات، ولم يأتِ من المستحبَّات ولم يترك المكروهات، **أما السابق للخيرات**: فهو الذي تقرَّب إلى الله بالنوافل وبترك المكروهات بعد أداء الواجبات وترك المحرَّمات، فتفاوتوا ولهذا تفاوتَتْ منازل الجنة.

❊ ❊ ❊

﴿«أخبرنا أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي قال: نا بشر بن أحمد المهرجاني، قال: نا داود بن الحسين البيهقي، قال: سمعت محمد بن مقاتل المروزي، وسعيد بن يعقوب، قالا: نا المؤمل بن إسماعيل، قال: سمعت الثوري، يقول: قَدْ خَالَفْنَا الْمُرْجِئَةَ فِي ثَلَاثٍ، نَحْنُ نَقُولُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَهُمْ يَقُولُونَ: قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ، وَنَحْنُ نَقُولُ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَنَحْنُ نَقُولُ: أَهْلُ الْقِبْلَةِ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ أَمَّا عِنْدَ اللهِ فَاللهُ أَعْلَمُ، وَهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ عِنْدَ اللهِ مُؤْمِنُونَ[١].

﴿ فسفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ أخبر عن أهل السُّنَّة أنهم لا يقطعون بكونهم مؤمنين عند الله، يعني: في ثاني الحال؛ لأن الله تعالى يعلم الغيب فهو عالم بما يصير إليه حال العبد ثم يموت عليه، ونحن لا نعلمه فنكل الأمر فيما لا نعلمه إلى عالمه خوفًا من سوء العاقبة، ونستثني على هذا المعنى ونرجو من الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

الشَّرح

هذا من الأمور الظاهرة التي خالف المرجئة فيها أهلَ السُّنَّة، فَهُمْ على ضلالٍ، وليس معهم دليلٌ لا من كتابِ الله ولا من سُنَّة رسوله ﷺ، والمرجئةُ ردُّ فعلٍ للخوارج، فهمْ في طرفٍ والخوارجُ في طرفٍ، فالخوارج يقولون: الإيمان فعلُ كلِّ الطاعات وتركُ كلِّ المعاصي، فإذا

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٩).

ترك الإنسان عندهم شيئًا مِنَ الطاعات صار كافرًا، أو فعل شيئًا من المحرَّمات صار كافرًا، ثم إذا مات فهو في النار ولا شفاعة له، وعندهم الذي وجبت عليه النار لا خروجَ له منها، وقد وافقهم إخوانُهم من المعتزلة في الحكم وخالفوهم في التَّسمية، فقالوا: مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، بين الكفر والإيمان، هذه بدعةٌ جاءوا بها لم يُسبَقوا إليها.

والبدع كلُّها ضلالاتٌ، ولكن بعضها يقود بعضًا، وقد تتصادَم فيكون قسمٌ منها مقابلًا للآخر كما هو الواقع، أما الحقُّ فهو لا يختلف، فالحقُّ واحدٌ.

* * *

ﷺ «والأحاديث التي وردت في جريان القلم بما هو كائن ورجوع كل إنسان إلى ما كتب له من الشقاوة والسعادة فموته عليه مانعة من قطع القول بما يكون في العاقبة حاملة على الاستثناء وعلى الخوف من تبدل الحالةِ، والله يعصمنا من ذلك بفضله وسعة رحمته».

الشَّرح

هذا الكلام في معنى الاستثناء.

قوله: «والأحاديث التي وردت في جريان القلم بما هو كائن ورجوع كل إنسان إلى ما كتب له من الشقاوة والسعادة...»: كما سبق: أنَّ سبْقَ العلمِ وسبْقَ الكتابةِ ليست هي التي ترغم الإنسان على هذا، ولكن سبق العلم في الإنسان أنه لا بدَّ أن يعمل الذي يستوجب به النَّار أو يعمل الذي يكون سببًا في دخول الجنة، هذا عَلِمَه الله والإنسان لا يعلمه، فلذلك يُستثني كما سبق. **هذا معنى**.

والمعنى الثاني: مثل ما سبق، أنه لا يمكنه التحقق من تمام كلِّ واجبٍ، فليس لأحدٍ أن يجزم أنَّ صلاتَه تامَّة؛ لأنه يعتريه الغفلة والسهو والنقص في الخشوع، وغير ذلك، وهكذا الأعمال كلها بهذه المثابة، فإذن يستثني.

ولو جزَمَ أنَّ أعماله قد جاء بها على الوجه الأكمل لجزم بأنه مؤمنٌ عند الله، ولهذا يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «لو علمت أن الله تقبل مني سجدة واحدة أو صدقة درهم لم يكن غَائِب أحب إليّ من الموت تدري ممن يتقبل الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة: ٢٧]»[(١)].

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٤٦)، وابن القيم في «الروح» (ص٢٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٧٣٦).

﴿ «أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ الإسفرائيني بها قال: أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، قال: نا يوسف بن يعقوب القاضي، قال: نا عبد الواحد بن غياث، وهدبة، قال: نا حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَاتَ وَدَخَلَ الْجَنَّةَ»(١).

﴿ وشواهد هذا الحديث كثيرة من حديث عبد الله بن مسعود وغيره، عن النبي ﷺ.

﴿ وفي حديث سهل بن سعد الساعدي، عن النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»(٢).

﴿ وفي حديث أسامة بن زيد، عن النبي ﷺ في صفة الجنة قال: فَقَالُوا: نحن المشمرون لها يا رسول الله، قال: «قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ»»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٤٢٠٧)، وعبد بن حميد (١٥٠٠)، وابن حبان في «الإحسان» (٣٤٦)، وأبو يعلى (٤٦٦٨)، وأخرجه مسلم (٢٦٥١) وغيره نحوه، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧)، ومسلم (١١٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٣٨١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٣٦)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٣٦٤)، وفي «البعث والنشور» (٤٣٣).

الشَّرح

قال: «قُولُوا: إِنْ شَاءَ اللهُ»: لأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يجزم بأنه يستقيم إلى الممات على ما هو عليه، فالأحوال والأمور تتغير، والإنسان يجد من نفسه أنه أحيانًا يكون على استقامة وأنَّ عنده اليقين، وأحيانًا غير ذلك، فقد تأتي المعاصي وتكون مضادة للإيمان، وهي دهليزٌ وسببٌ إلى الكفر بالله ﷻ، ولهذا يشاهد في الواقع علماء يكونون قد بلغوا شأنًا من العلم كبيرًا، ثُمَّ ينتكِسوا ويصبحوا زنادقةً، يعادون الحقَّ ويقاتلون أهلَ الحقِّ، فيموتون على ذلك، والأمر بِيَدِ الله ﷻ، يصرف القلوب كيف يشاء، فلهذا يَستثنِي العبدُ ولا يجْزِم أنه يموت على الإيمان، فيسأل ربَّه دائمًا، ولهذا أمرنا ربُّنا ﷻ أن نسألَه الاستقامةَ على الصراط المستقيم في كلِّ ركعةٍ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، وليس كما يقول بعض المفسرين(١): ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾؛ أي: ثبِّتْنا على الصراط المستقيم، هذا معنًى، ولكن ليس كلُّه بمعنى (ثبتنا وزدنا هداية)؛ لأنَّ الإنسان لا تتمُّ هدايته إلا إذا دخل الجنة، وقبل ذلك فهو بحاجةٍ كلَّ يومٍ إلى هدايةٍ، وفي كلِّ فعلٍ مِنَ الأفعال، فلهذا يَستثنِي كل مسلم إذا قيل له: أنت مؤمن.

وسؤال الإنسان عن هذا بدعة، وينبغي أن يقال للسائل: سؤالك هذا بدعة، وأنا أرجو أن أكون مؤمنًا، أو تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فإن قال: هذا الشك، نقول: هذا ليس شكًّا، ولكني لا أجزم أنَّ الله تقبَّل أعمالي وما قمتُ به ولا أجزم بأني أتيتُ بها على الوجه المطلوب.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٢٧)، وتفسير البغوي (١/ ٥٤).

باب القول في مرتكبي الكبائر

﴿ «قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] يعني: ما دون الشرك لمن يشاء بلا عقوبة، وقد يعاقب بعضهم على ما اقترف من الذنوب ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه؛ لقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

﴿ أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد الفقيه، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال، ثنا يحيى بن الربيع المكي، ثنا سفيان بن عيينة، (ح).

﴿ وأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، وأبو بكر بن الحسن قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي، أنا سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أبي إدريس، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْآيَةَ، وَقَالَ: فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ

شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»(١).

الشَّرْح

في هذا الباب يريد المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ الردَّ على الخوارج والمعتزلة، الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب ومات على ذلك أنَّه كافرٌ وفي النار، وسبق أن المعتزلة لا يكفرون مرتكب الكبيرة، لكن يخرجونه من الإيمان، وصار بمنزلة بين المنزلتين، وهذا من البدع التي جاءوا بها، ما سُبِقُوا إليها؛ وكذلك أصول الإسلام عندهم خمسة، كلها على خلاف الأصول عند أهل السُّنَّة، ولعبد الجبار المعتزلي كتابٌ سمَّاه «شرح الأصول الخمسة»، وهو مطبوع ومنتشر.

والمستشرقون من الكفار واليهود والنصارى اهتموا بذلك، والاستشراق هو أنَّ الغرب يدرسون لغة الشرق «لغة العرب»، ويدرسون كتبهم؛ لينظروا كيف لهم أن يطعنوا في دينهم؟ وكيف لهم أن يشككوا فيه؟

لما رأى المستشرقون مذهب المعتزلة، وأنه لا يمكن له أن يستقيم عليه جماعاتٌ، صاروا يُثْنون عليه، ويقولون: هذا المذهب الحر كيف تُرِك؟! وكيف مات؟! ينبغي أن يُبعَث.

فما كان من أتباعهم من بني جِلْدَتنا الذين يتكلمون بألسنتنا إلا أن صاروا يبحثون عن كتب المعتزلة، فإذا وجدوها حقَّقوها ونشروها، وطُبع عددٌ كبيرٌ منها بتحقيق هؤلاء، فصار لها أثرٌ سيئٌ على الأمة.

قـــال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، يدلُّ على أن قوله: ﴿مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ دخل فيه جميع

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٤)، ومسلم (١٧٠٩).

الذنوب ما عدا الشرك، فقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فصارت الكبائر مع باقي الذنوب تحت مشيئة الله تعالى، ومعنى قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يَغْفِرُه لمن يشاء بلا عذابٍ، أما إذا عُذِّبَ فقد عوقب بما ارتكب، وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن الله يخرج الجماعات الكثيرة من النار ويدخلهم الجنَّة، ولا بد أنهم فعلوا الكبائر.

فهذا صار أمرًا قطعيًّا بأن أصحاب الكبائر بين أمرين: إما أن يُعفَى عنهم بلا عذابٍ وإما أن يُعذَّبوا ثم مآلهم إلى الجنة، وهذا الذي اتفق عليه أهل السُّنَّة ودلَّت عليه نصوص الأصلين.



ﷺ «أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن محمد بن الحسن المهرجاني، أنا أبو بكر محمد بن جعفر المزكي، ثنا محمد بن إبراهيم، ثنا ابن بكير، ثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز، : أن رجلًا، من بني كنانة يدعى المخدجي سمع رجلًا، بالشام يدعى أبا محمد يقول: إن الوتر واجب، قال المخدجي: فرحت إلى عبادة بن الصامت فاعترضت له وهو رائح إلى المسجد فأخبرته بالذي قال أبو محمد، فقال عبادة رضي الله عنه: كَذَبَ أَبو محمَّدٍ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صَلَوَاتٌ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهَا لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهَا شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»(١).

الشَّرح

قوله: «كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ»: يعني: أخطأ؛ لأنَّهم يطلقون الكذبَ على الخطأ في الحكم.

المعنى: إذا أتى بهنَّ فله عند الله عهدٌ أن يُدخِلَه الجنة، فمجرَّد الدخول إلى الجنة لا يلزم منه أن لا يناله عذابٌ، فقد يُعذَّب في القبر وقد يُعذَّب في الدُّنيا، فيكون ذلك كفارةً له، وقد يُعذَّب في الموقف فيكون ذلك كفارةً له، فإن لم يَفِي هذا فيُعذَّب في النار ثم يخرج إلى الجنة، ومن عفا الله ﷻ عنه من أول وهلةٍ فلا يُعذَّب ولا يناله عذابٌ،

(١) أخرجه أحمد (٢٢٦٩٣)، وأبو داود (٤٢٥)، والنسائي (٤٦١)، وابن ماجه (١٤٠١).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ جدًّا، وهذا أصلٌ لأهل السُّنَّة خالفوا فيه أهل البدع من الخوارج وغيرهم، والمرجئة فيقولون: لا يضرُّ فعل الكبائر، فإذا فعل الكبائر فهو كامل الإيمان، وإذا مات فهو في الجنة بلا شكٍّ عندهم، وكلا الطائفتين على ضلالٍ.

❊ ❊ ❊

۞ «أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح بالكوفة، ثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم، ثنا إبراهيم بن إسحاق القاضي، ثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ قَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»[1].

الشَّرح

قوله: «... **يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا**»: يدخل فيه الشرك الأكبر والأصغر؛ لأنها نكرةٌ في سياق النفي، وإذا جاءت «من» الشرطية أو «لا» النافية كانت النكرة بعدها عامة عمومًا يدخل فيه كل ما دخل تحت هذا الاسم وهو الشرك.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٢٦٨)، ومسلم، واللفظ له (٩٤).

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق، أنا بشر بن موسى، ثنا سعيد بن منصور، ثنا أبو معاوية، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن أبي شيبة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ ﷻ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»[١].

الشَّرْح

النصوص في هذه كثيرةٌ، وتدلُّ على أنَّ مرتكب الكبيرة لم يخرج من الإيمان، ولم يدخل الكفر، لكنَّه مُعرَّضٌ لعذاب الله ﷻ إن لم يُعفَ عنه، ولهذا شُرِعتْ إقامة الحدود؛ فالسَّارق تُقطَع يَدُه، والزاني البكر يُجلَد، والثَّيِّب يُرجَم حتى يموت، ويُصلَّى عليه، فلو كانوا كفَّارًا ما صُلِّي عليهم، والرسول ﷺ لما أُتِي إليه بالذي شَرِب الخمر وأمر بضربِه، قال رجل: لَعَنَه الله، ما أكثر ما يُؤتَى به ـ لأنه تكرَّر منه عدَّة مرَّات ـ، قال: «**لا تَلْعَنْه، فإنه يحبُّ الله ورسوله**»[٢]، فلو كان كافرًا ما كان رسول الله ينهاه عن لَعْنِه، وكذلك المرأة التي زَنَتْ وهي محصنةٌ، رَجَمَها ثم صلَّى عليها، وقال: «**فوالَّذِي نَفسِي بِيدِهِ لقد تابَتْ تَوبَةً لو تَابهَا صاحِبُ مَكسٍ لَغفِرَ لَهُ**»، ثُمَّ أمرَ بِها فَصلَّى عليهَا، ودُفِنَتْ[٣]، وفي رواية: «**لقد تابَتْ تَوبَةً لو قُسِمَتْ بَينَ سَبْعِينَ من أهلِ المدِينَةِ لَوسِعَتهُمْ، وهَل وجَدتَ تَوبَةً**

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢)، والمصنف في «السنن الكبرى» (٩/ ١٥٦).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٠٨٢).
(٣) أخرجه مسلم (١٦٩٥)، عن بريدة ﷺ.

أَفْضَلَ من أن جادَتْ بِنَفسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟»[١].

وهؤلاء المبتدعة لا تكفي التوبةُ عندهم لمغفرة الذنوب، وإذا فعل أحدهم ذلك حكموا عليه بدخول النَّار وقتلوه، وهؤلاء الذين اطلقوا على أنفسهم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»! يقتلون بعض المسلمين وهم يقولون: «لا إلٰه إلا الله»! فيكونوا بذلك شُوهةً للإسلام والمسلمين مع ما يقع منهم من الإجرام، والله ﷻ يقول: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾** [النساء: ٩٣]؛ عن سعيد بن جبيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: سألتُ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن قولِهِ تعالى: **﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾** قال: «**لا توبَةَ لَهُ**»[٢].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتحقيق في هذه المسألة أن القتل يتعلق به ثلاث حقوق: حق لله، وحق للمقتول، وحق للولي. فإذا سلم القاتل نفسه طوعًا واختيارًا إلى الولي ندمًا على ما فعل، وخوفًا من الله، وتوبة نصوحًا، سقط حق الله بالتوبة، وحق الولي بالاستيفاء أو الصلح أو العفو، وبقي حق المقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبده التائب المحسن، ويصلح بينه وبينه، فلا يذهب حق هذا، ولا تبطل توبة هذا»[٣].

ولهذا جاء أن المقتولَ يوم القيامة يأتي متمسِّكًا بالقاتل، قال ﷺ: **«يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟»**[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٦)، عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٤٧٦٤)، ومسلم (٣٠٢٣).
(٣) الداء والدواء (١/ ٣٣٤ _ ٣٣٥).
(٤) أخرجه أحمد (١٩٤١)، وابن ماجه (٢٦٢١)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والرسول ﷺ يقول: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا، أو الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤمِنًا مُتَعَمِّدًا**»(١)، فجعل القتل العمد مثل الشرك، نسأل الله العافية.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٠٧)، وأبو داود (٤٢٧٠)، والنسائي (٣٩٨٤)، وابن حبان (٥٩٨٠)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

﴿ «قال الأستاذ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذه الأحاديث شواهد ذكرناها في كتاب «الإيمان» وفي كتاب «البعث والنشور» وعلى هذا درج من مضى من الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل السُّنَّة».

الشَّرح

قوله: «ذكرناها في كتاب «الإيمان»، وفي كتاب «البعث والنشور»»: كتاب «البعث والنشور» طُبع وانتشر، ولكنه في نسخةٍ ناقصةٍ، وكذلك الكثير من كتبه طُبع ناقصًا؛ مثل: كتاب «تخريج أحاديث الأم».

* * *



﴿ «وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب وصيته: وجعل الآخرة دار قرار وجزاء بما عمل في الدنيا من خير أو شر إن لم يعفه جل ثناؤه، وإلى مثل هذا ذهب فقهاء الأمصار وقالوا في آيات الوعيد: إن ذلك جزاؤه، فإن شاء الله أن يعفو عن جزائه فيما دون الشرك فعل».

الشرح

كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا يُستأنس به، وليس دليلًا، فالدليل قول الله جل جلاله وقولُ رسوله ﷺ.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا أحمد بن يونس، ثنا أبو شهاب، عن سليمان التيمي، عن أبي مجلز، في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] قال: هي جزاؤه، فإن شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل».

الشَّرح

جاءت النصوص في تحريم القتل، وفي أكل مال اليتيم، وفي أكل الربا، أن مرتكب ذلك، خالدٌ في النار، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠]، والله ﷻ إذا أخبر بشيء فواجبٌ على من علم أن يعتقِدَ به ويصدِّقه ولا ينكره، وقال في آكل الربا: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾، فجعلهم خالدين في النَّار، من لا يتوب منهم، وأخبر ﷻ بقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ أي: إن شاء عفا وإن شاء أخذ، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

فهذا وعيد شديد لمن حارب الله ورسوله، قال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كونوا محاربين ظاهرين في المحاربة.

وأهل السُّنَّة في هذه النصوص: لهم فيها مذهبان:

المذهب الأول: أن نؤمن بهذه، ولكن نعتقد أنها لا تدلُّ على الكفر، ولكن نتركها على ظاهرها، ولا نتعرَّض لها بتأويلٍ **لأمرين**:

الأمر الأوَّل: أننا لا ندري، ما مراد الله ﷻ؟ وما مراد رسول الله في هذا؟ فنَسْلَم من الوقوع في المخالفة.

الأمر الثاني: إننا إذا تركناها على ظاهرها، مع اعتقاد أنَّ فاعِلِها لا يكفر، يكون أدعى للابتعاد عن هذه الذنوب، وهذا مرادٌ للمتكلم قطعًا أنه أُريد هذا.

المذهب الثاني: نؤولها حتى تتفق مع النصوص الأخرى، فنقول مثلًا: الخلود هو البقاء زمنًا، ولا يلزم أن يكون أبدًا، فيخلد ثم يخرج، لوجود النصوص الأخرى مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، أو أننا نقول: هذا جزاؤه، ولكنَّ الله قد يعفُو عنه؛ لأنَّ الله ﷻ أخبرنا أنَّ القاتل أخٌ للمقتول، وقال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم مؤمنين مع القتال، وأمر بالإصلاح إلى غير ذلك.

إذن؛ فالنصوص تتَّفق فتؤول هذه حتى تتَّفق مع النصوص الأخرى، فتكون كلها مأخوذة بها ومعمول بها.

أما قول الله ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فهذا باتفاق العلماء أنه في التائب إذا تاب من أيِّ ذنبٍ كان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذا دَلَّ عليه آياتٌ أخرى.

* * *

﴿«أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمٰن بن علي بن حمدان الفارسي، في آخرين قالوا: أنا أبو عمرو السلمي، أنا أبو مسلم، ثنا الأنصاري، قال: ثنا هشام بن حسان، قال: كنا عند محمد بن سيرين، فقال له رجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] حتى ختم الآية، قال: فغضب محمد وقال: أين أنت عن هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، قمّ عنيِّ، اخرج عنيِّ، قال: فأُخرج».

الشرح

المقصود: أنَّ محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنكر على الرجل كلامه وهو معتزلي أو خارجي؛ لأنه يريد أن يكون هذا كفرًا وخروجًا مِنَ الدين، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، فدخل فيه القتل وغيره، فهو تحت مشيئة الله ﷻ.

* * *



❁ «وروى حرب بن سريج المنقري، ثنا أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنه قال: ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا من نبيِّنا ﷺ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وأنه قال: «إِنِّي ادَّخَرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قال: فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ونطقنا به ورجونا[1]».

الشَّرح

الحقُّ أنَّ أهل الكبائر من المسلمين يدخلون تحت دعوة المسلمين، ولهذا يُصلُّون عليهم ويشفعون لهم؛ لأنَّ الصلاة على الميت شفاعةٌ، وجاء أنه إذا قام عليه أربعون لا يشركون بالله شيئًا أنَّ الله يشفعهم فيه، قال ﷺ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**»[2].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٨١٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٢١).
(٢) أخرجه مسلم (٩٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا إسماعيل بن إسحاق، ثنا شيبان، ثنا حرب بن سريج المنقري، فذكره، وروى فيه عن مقاتل بن حيان، عن نافع، عن ابن عمر، وعن بكر بن عبد الله، عن ابن عمر ما يكون شاهدًا لرواية حرب، والله أعلم.

ﷺ أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن المؤمل، ثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري، ثنا محمد بن عبد الوهاب، أنا جعفر بن عون، أخبرنا المسعودي، عن عون بن عبد الله، قال: قال لقمان لابنه: يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته. قال: يا أبتاه، وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد؟ قال: الْمُؤْمِنُ كَذَا لَهُ قَلْبَانِ قَلْبٌ يَرْجُو بِهِ، وَقَلْبٌ يَخَافُ بِهِ»[(١)].

الشَّرح

قوله: «عن عون بن عبد الله»: عون بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود رضي الله عنه[(٢)].

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١٠٤٤)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١٠١٥).

(٢) هو: عون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، أبو عبد الله الكوفي، أخو فقيه المدينة عبيد الله. حدّث عن أبيه، وأخيه، وابن المسيب، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس وطائفة، وحدث عنه المسعودي، ومسعر، وأبو حنيفة، وآخرون، وثقه الإمام أحمد وغيره، توفي سنة ست عشرة ومائة.
ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري (٧/ ١٣)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٣١٣)، وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧١)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٥٣٢).

قال: «**قال لقمان لابنه**»: و«**لقمان**» هو لقمان الحكيم، بينه وبين «**عون بن عبد الله**» زمن طويل، فهذا الأثر إما أن يكون رواه التابعيُّ من الصُّحُف ـ كتب بني إسرائيل ـ أو من غيرها، والله أعلم.

والأدلة التي مضتْ تكفي عن هذا وغيره، وهي جزءٌ من أدلةٍ كثيرةٍ تدلُّ على هذا المقصد، أنَّ مرتكِبَ الكبيرة تحت مشيئة الله، ومشيئة الله معناها: إن شاء عفا بلا عقابٍ وإن شاء أَخَذَ، ثم يصير مآله إلى الجنة، فهو من أهل الجنة، ولكن يجوز أن يناله العذاب قبل ذلك، ويجوز ألَّا يناله، ثم من المعلوم أنَّ المصائب تكفِّر عن الإنسان ذنوبه لو احتسبها لله تعالى، وقد تكون له الحسنات الكبيرة ـ مثل قصة صاحب البطاقة ـ[1] فتمحو السيئات، وإن لم يكن كذلك فقد يكون له من يدعو له؛ كالابن الصالح والإخوان الصالحين، فيُكفَّر عنه، وإن لم يكن كذلك فالصلاة عليه من المسلمين قد تكون مُكفِّرةً له، فإن لم يكن كذلك فعذابُه في القبر قد يكون كفارةً له، فإن لم يَكْفِ هذا فعذابه في الموقف يكون كفارةً له، فإن لم يَكفِ هذا أُدخِل النَّار ثم أُخرِج منها، هذه أمورٌ مقطوعٌ بها، وكلُّها تُبطِل هذا المذهب الخبيث مذهب الخوارج، الذين خرجوا من الدِّين ودخلوا في الضلال المبين، ومثلهم المعتزلة.



(١) سيأتي ذكر الحديث.

باب القول في الشَّفاعة وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النَّار

قال الله ﷻ لنبيِّه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضحى: ٥]، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

الشَّرح

الشفاعة في اللغة:

مأخوذةٌ من الشَّفْعِ، والشَّفعُ ضدَّ الوترِ[1]؛ لأن العدد إما أن يكون وترًا وإما أن يكون شفعًا، فالشفاعة أُخذتْ من هذا.

قوله: «باب القول في الشَّفاعة وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النَّار»: هذا القول فيه إثباتٌ وفيه نفيٌ، فيه إثباتُ الشَّفاعة، وفيه الردُّ على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: «لا تنفع شفاعة الشافعين لمن استوجب النار، ومن دخل النار فقد أخزاه الله، ومن أخزاه الله فلا سعادةَ له»، وهم قومٌ جهلةٌ تأوَّلوا كتاب الله ﷻ على غير قصده، ولم يأخذوا العلم ممَّن رسخ فيه.

وهذا النَّوع سيستمرُّ في هذه الأمَّة إلى أن يأتي كثيرٌ منهم يُشايع

(١) تهذيب اللغة (١/٢٧٨)، والمعجم الوسيط (٤٨٧).

الدجَّال كما جاءت الأحاديث في ذلك، قال ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ كَأَنَّ هَذَا مِنْهُمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ، لَا يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ حَتَّى يَخْرُجَ آخِرُهُمْ مَعَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ، وَالْخَلِيقَةِ**»(١).

وعقيدة أهل السُّنَّة أنَّ الإنسان إما أن يكون مؤمنًا وإما أن يكون كافرًا، وليس هناك منزلةٌ بين المنزلتين كما يقول المبتدعة، فالذي لا يكون مؤمنًا هو كافرٌ بلا إشكالٍ.

والمعتزلة في الآخرة يتفقون مع الخوارج، حيث يقولون: إذا صار يوم القيامة خُلِّدُوا؛ لأن من أصول المعتزلة يُوجِبون على الله تعذيبَ مُستحقِّ العذاب كما أنهم يُوجبون عليه أنه يجزي العامل بعمله؛ أي: يجب عليه أن يُدخِل المؤمن الجنة، ويجب عليه أن يُدخِل غير المؤمن النَّار، ويوجبون على الله بعقولهم أشياء اخترعوها من عند أنفسهم.

فهم اعتزلوا جماعة المسلمين، واعتزلوا الحقَّ بهذه الأقوال، لهم أقوالٌ كثيرةٌ، ومن أخبثها وأبعَدِها عن الحقِّ وصفُهُم لله ﷻ بما يتعالى عنه ويتقدَّس؛ ولهذا كانوا مشركين بالله ﷻ فالشرك لا ينفكُّ عنهم؛ لأنهم ألحقوا الله ﷻ بالمخلوقات، والشرك يقع في الاعتقاد، كما يقع في العمل؛ ويقع في الأسماء والصفات، كما يقع في العبادة.

فهذا الباب عَقَدَه المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ للردِّ على هذين الفريقَين الباطِلَين، وللعلم فالخوارج أضرُّ على المسلمين من المعتزلة؛ لأنَّ الخوارج يقتلون

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٨٠٩)، والنسائي (٤١٠٣)، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

الناس، ويحكمون عليهم بأنهم كفارٌ، والعجيب أنهم يقتلون المسلمين ولا يقتلون الكافرين!

كما أن بداية ظهورهم كانت وقت رسول الله ﷺ، كما ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قَسَمَ شيئًا من المال، فلم يَرُقْ لرئيسٍ من رؤسائهم فأتى إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا محمد، اعدل فإنك لم تَعدِل! فغضب ﷺ لهذه المقالة، وقال: **«ويلَكَ! مَنْ يَعدِلُ إذا لم أعدِلْ؟! خِبْتَ وخَسِرْتَ إنْ لم أَعدِلْ»**؛ أي: إن كان هذا اعتقادك بأنك اتَّبعتَ غيرَ نبيٍّ، فأنت خائبٌ وخاسرٌ؛ لأن النبي يعدل ولا يظلم؛ لأن حكمه بالوحي من الله ﷻ.

ثم قال أحد الصحابة: **«دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ»**.

قال ﷺ: **«لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»**[(١)]؛ لأنَّ الأخبار كما هو حالة النَّاس دائمًا تنقُل الخبر بلا تثبُّتٍ، فإذا قُتِلَ هذا الرجل، سمع البعيدُ أن النبي قتل رجلًا من أصحابه، فقالوا: لا ندخل الإسلام حتى لا يقتلنا.

وقال ﷺ: **«سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة»**[(٢)]، ثم مرقوا في زمن علي ؓ وصاروا يقاتلون المسلمين، ويَغِيرُون على أموالهم.

والشفاعة ثابتةٌ بالنصوص المتواترة مِنَ القرآن، ومن أحاديث رسول الله ﷺ، فالذي ينكرها ضالٌّ وحائدٌ عن الحقِّ، ولهذا نصَّ على

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣)، عن جابر بن عبد الله ؓ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)، عن علي بن أبي طالب ؓ.

ذلك؛ لأنها مما يجب اعتقاده، والعقيدة إذا انطوى عليها القلب بالأدلة تكون ثابتةً، وهذا السبب في كونه يذكر الأحاديث ويذكر الآيات.

والشفاعة: هي ضمُّ دعاء الشَّافع إلى دعاء المشفوع له.

وحقيقة الشفاعة هي: إرادة الله ﷻ رحمةَ المذنب المشفوع له وإظهار كرامة الشافع، وإلَّا فالأمرُ كلُّه لله، وما لأحدٍ مع الله شيء؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤]، فالشفاعة لله لا لأحدٍ فيها شيء، فالذي يطلبها من مخلوقٍ رأسًا هو ضالٌّ، وهو يأتي بأسبابٍ تمنعه الشفاعةَ.

وطلب الشفاعة لا يكون إلا من الله ﷻ، بحيث يقول: «اللَّهُمَّ شفع فينا الشفعاء، اللَّهُمَّ شفع فينا نبيّك، وشفع فينا ملائكتك... إلى آخره»، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أن من يطلب الشفاعة من غير الله أن هذه شركةً مع الله، والله لا شريك له في ملكه؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، استفهامه إنكار، ولا تقع الشفاعة إلا بعد أن يأذن الله.

ولكن الشفاعة في كتاب الله جاءت على نوعين:

النوع الأول: شفاعةٌ مثبتة.

النوع الثاني: شفاعةٌ منفية.

والمثبتة التي تكون بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون المشفوع له مَرْضيًّا عنه من الله تعالى.

الشرط الثاني: أن تكون بعد أن يأذن الله، والإذن هو الأمر بأن يأمر الشَّافعُ أن يشفع، كما سيأتي بيانه في النصوص التي ذكرها.

النوع الثاني: الشفاعة المنفية: هي ما يزعمه المشركون من أنَّ معبوداتهم تشفع لهم، سواءٌ كانوا مشركين جهلة أو ممن يدَّعِي الإسلام مِنَ الذين يذهبون إلى القبور والأولياء والأنبياء، يطلبون الشفاعة منهم رأسًا، فهذه منفية لا تقع، بل هي طريقٌ وسببٌ لمنعهم من الشفاعة، فمن طلبها من غير الله مُنِعَها.

قال الله ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]: كان الأولى أنْ تُذكَر الآية من أوَّلها قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]، فأوجب الله ﷻ على النبي ﷺ التهجُّد من اللَّيل، حيث قال له: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾، فقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾؛ أي: خاصةً بك، ليست لأمَّتك على سبيل الوجوب.

قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾: الصحيح الذي جاءت النصوص به أنَّ المقام المحمود هو الشفاعة.

لكن شَذَّ من شَذَّ وقال: المقام المحمود هو إجلاسه معه على العرش، وهذا لا دليلَ عليه إلا أحاديث ضعيفة أو موضوعة لا يجوز الاستدلال بها.

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، هذه ليس فيها شيء من الشفاعة، والمعنى: أنَّ كلَّ الخلقِ سوف يَرِدُون النار، لكن هل الورود هو المعاينة والمرور من فوقها فقط - كما يقوله جمهور العلماء - أو أنه بالدخول فيها؟

جاءت نصوصٌ كثيرة بأنَّ المؤمن يُحرَّم جسده على النار، قال ﷺ: **«إنَّ اللهَ قد حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ يَبتَغِي بِذلِكَ**

وَجهَ اللهِ»[١]؛ وعليه فالورود هو المعاينة والمرور من فوقها على الصراط، ولا ينجو من هذا الورود إلا من خَلَصَ دينُه مما يشينه، ولكن هؤلاء الذين يسقطون في النَّار لا يلزم أنهم يخلَّدون فيها، وقد جاءت النصوص الكثيرة بالتواتر، بأن الكثيرين من المسلمين يدخلون النار ثم يخرجون منها.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، عن عتبان بن مالكٍ رضي الله عنه.

ﷺ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان، وأبو الحسين بن الفضل القطان، وأبو محمد السكري قالوا: أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا القاسم بن مالك المزني، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَعَهُ مُصَدِّقٌ غَيْرُ وَاحِدٍ»(١).

الشَّرح

أحاديث الشفاعة متواترة.

قوله: عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...**»، و(شَفِيعٍ) على وزن (فعيل)، بمعنى: مُشفَّع، «**وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

قوله: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ...**» يدلُّ على أنَّ هناك شفعاء غيره، فالشفاعة تكون يوم القيامة للمؤمنين بعضهم مع بعض، وللأطفال الذين ماتوا صغارًا يشفعون لآبائهم، وكذلك الملائكة، والرسل وكل من أَذِن له أن يشفع شفاعة، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]، فقوله: «شَفِيعٍ» يدلُّ على هذا.

قوله: «... **يَومَ القِيَامَةِ**» يُخرِجُ الشفاعة في الدُّنيا؛ لأن شفاعة الدنيا قد تكون من الحسنات وقد تكون من السيئات، وهي من الأمور التي

(١) أخرجه مسلم (١٩٦).

لا بد منها في مجتمعات الناس، ولكن إذا كانت على الطريقة الشرعية، كما كان ﷺ يقول لأصحابه: «**اشفَعُوا تُؤجَرُوا، ويَقْضِي اللهُ على لِسانِ نبِيِّهِ ﷺ ما شَاءَ**»[(١)]، فهذا تشريعٌ وأمرٌ بالشفاعة لمن له حاجةٌ لمن يستطيع ذلك، ولهذا بعض العلماء عَرَّف الشفاعة بأنها: طلب الخير للغير.

قوله: «وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»: هذا يقتضي أنَّ أتباعه ﷺ طال زمنهم، وامتد الوقت بهم، وإن كان هناك أمم عاشوا فترة طويلة من الزمن، فلا يعلم أحد الآن متى تنتهي هذه الدنيا، حتى تنقضي أمة رسول الله ﷺ، فرسولنا ﷺ هو الرسول الخاتم إلى قيام الساعة، وعيسى عليه السلام إذا نزل فهو من أتباعه، بل هو أفضلهم، فهو يحكم بهذا للشرع.

فكلُّ من يأتي بعده ﷺ إلى أن تقوم الساعة فهو مِنْ أمَّته، ولكن الأمة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أمة الإجابة، وهؤلاء هم المقصودون.

القسم الثاني: أمة الدعوة، وهم كلُّ من على وجه الأرض من الجنِّ والإنس، ولكن أكثرهم في جهنم لأنهم لم يستجيبوا له، فكلُّ من لم يستجبْ للنبي ﷺ فهو في النار، كما قال ﷺ: «**والَّذي نفْسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لا يَسمَعُ بِي أَحدٌ مِنْ هذهِ الأُمَّةِ يهُودِيٌّ، ولا نَصرانِيٌّ، ثمَّ يموتُ ولم يُؤمِنْ بِالَّذِي أُرسِلتُ بِهِ، إلَّا كانَ من أَصحابِ النَّارِ**»[(٢)]، فعلَّق الأمر بمجرَّد السماع به؛ لأن الإنسان عنده عقل ونظر يميِّز بين الباطل والحق، فإذا سمع أنَّ لله رسولًا وجب عليه أن يبحث عن الرسالة التي جاء بها، أما

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧)، عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أن يكتفي بالسَّماع فهذا لا يُعذَر به، وأكثر ضلال الناس الآن بالسماع، يسمع الشيء ثم يحكم من عند نفسه، ثم يكون ضالًّا بدون تثبُّتٍ وبدون معرفةٍ للحقِّ؛ لأن هناك أمورًا كثيرةً فيها إجمال أو إيهام لمن أراد الله فتنته، حتى أصبح الآن التشكيك في العبادة ممن يتخرَّج في الكليَّات، ويكون معه دكتوراه، ثم يتشكَّك في العبادة؛ ويقول: إن العبادة فيها إجمال، وفيها خصوصٌ وعمومٌ، فإذا قلنا: إن العبادة هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال، يقول: هذا عامٌّ، ولكن هناك شيءٌ خاصٌّ مثل طاعة الوالدين، ومثل كذا وكذا، ثم هذا يُدخِلُه أيضًا ما يُشكِّك فيه، فالله ﷻ أخبرنا أنَّ والديَّ يوسف وإخوته سجدوا له، والسجود من العبادة الخاصة، فإذًا هذا فيه تشكيك، وفيه أمورٌ تحتاج إلى النظر وهكذا، هذه أمورٌ جاهليَّةٌ، يأتي بالشيء ثم يجعل فيه التفصيل، ثم يخرج بعضَه عن بعضٍ بسبب الجهل.

قوله: «إِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَمَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَعَهُ مُصَدِّقٌ غَيْرُ وَاحِدٍ»: خليل الرحمٰنِ إبراهيمُ عليه السلام ما تبعه إلا واحد، كما قال الله ﷻ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وإن كانت النبوة والكتاب جُعِلا في ذريته، لكنَّ قومه كفروا به، ولم يؤمن به إلا لوط عليه السلام، ولوط هو ابن عمه.

وجاء في حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما في عرض الأنبياء والأمم على النبي ﷺ يوم القيامة؛ حيث عُرِضتْ عليه، إذا جاءوا يوم القيامة كهيئتها في الدنيا، فرأى ﷺ بعضَ الأنبياء ليس معه أحدٌ، يقول ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ...**»[1]، والرهط: العدد الأقل من العشرة ـ

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إلى آخره، فلوطٌ عليه السلام خرج من بين قومه ليس معه إلا بناتُه، حتى زوجته كفرتْ به، فليس معه أحدٌ، وهذا يدُلُّك على أن الحقَّ مكروهٌ لنفوس بني آدم، وأن الكفر هو السائد؛ ولهذا قال إبراهيم عليه السلام: ﴿...وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

* * *

ﷺ «حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان، وأبو عبد الله الحافظ، وأبو طاهر الفقيه قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا إسحاق بن بكر بن مضر، عن أبيه، عن جعفر بن ربيعة، عن صالح بن عطاء بن خباب، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ قال: «أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ»(١).

الشَّرح

قوله: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلَا فَخْرَ**»؛ يعني: أنه هو المقدم فيهم يوم القيامة، يقول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]؛ يعني: أنهم يُجمَعون ويُسألون، فيكون هو خطيبهم وإمامهم.

قوله: «**وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»: فيه فضلٌ للنبي ﷺ، كونه خُتِمتْ به النبوة، وفيه أنه إمامهم في الآخرة، كما هو في الدنيا خاتمهم.

وقوله: «**وَلَا فَخْرَ**»؛ يعني: أني أذكر ذلك للعلم فقط وليس للافتخار والتكبر.

قوله: «**وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ وَلَا فَخْرَ**»: وأوَّل الشفاعة طلبٌ من الله ﷻ للفصل بين خلقه وإراحتهم من عناء الموقف الطَّويل؛ اليوم فيه كخمسين ألف سنةٍ، وهذا من العذاب، وليس على كلِّ أحدٍ، فالمؤمن الحقُّ الذي اتَّقى ربه واستقام، لا خوفٌ عليه ولا حزن،

(١) أخرجه الدارمي (٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٠).

والخوف يكون من الأمور المستقبَلة، والحزن على الشيء الذي مضى، فهم لا يحزنون على الشيء الذي فاتهم لأنهم آمنوا، ولا يخافون في المستقبلات، فهم لا يلحقهم هذا العناء الشديد، ولكن لا بدَّ من شيءٍ من الكروب؛ ولهذا كلُّهم يخرجون من قبورهم حفاةً عراةً غُرلًا، كلهم يمشون على أقدامهم، ويجمعون رجالهم ونساءهم في مكانٍ واحدٍ.

جاء في «صحيح مسلم»: أن الله ﷻ يُلهِمُهم طلب الشَّفاعة إذا أراد أن يفصل بينهم، فيتشاورون، ولا يلزم لذلك طلب كلِّ أهلِ الموقف، قال ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ** - وقالَ ابنُ عبيدٍ: **فَيُلْهَمُونَ لِذلِكَ - فيقولُونَ: لو استَشفَعنَا على ربِّنَا حتَّى يُرِيحنَا مِنْ مَكانِنَا هذَا...**»[1] يقول: إنَّ الذين لهم النظر ولهم شيء وإلا أكثرهم لا يجرؤ أنه يتكلم فهو عَرَف موقِعُه، وعَرَف موضِعُه عند الله ﷻ أنه حقيرٌ ضعيف، فهو لا يجرؤ أن يتكلم أو ينطق بشيء.

ولكن هؤلاء المؤمنون هم الذين يُلهَمون ذلك، يُلهِمُهم الله ﷻ فيقولون: مَن أَوْلى بذلك من أبيكم؟ ويذكرون فضائله، فقد خلقه الله بيده، قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؛ أي: أن الله لم يتكبَّر عن مباشرة خلق آدم بيده ﷺ وأنت يا إبليس تتكبر على السجود!

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٩٣)، عن أنس بن مالك ﷺ.

ﷺ «أخبرنا أبو محمد بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا روح بن عبادة، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي»[(١)]. وبمعناه رواه أُبي بن كعب، وأبو هريرة وعبد الرحمٰن بن أبي عقيل وغيرهم، عن النبي ﷺ.

ﷺ أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا هشام الدستوائي، ثنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهُمُّونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حتى يُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَليلَ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللهُ تَعَالَى التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم، (٢٠٠)، واللفظ له.

لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رَوْحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ فَيَأْتُونَ فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيَأْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ الله أن يَدَعني، ثُمَّ يَقُولُ لي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدًّا ثَانِيًا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي ﷻ وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي ﷻ بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدًّا ثَالِثًا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى أَرْجِعَ فَأَقُولُ: يا رب مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلودُ أَوْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ»[1].

❁ وروى حديث الشفاعة بطوله أبو هريرة رضي الله عنه وغيره، عن النبي ﷺ».

❁ الشَّرح ❁

قوله: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً»؛ يعني: أعطي كل نبي دعوة تستجاب.

قوله: «وإني اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي»: هذا نوع من الشفاعة غير الشفاعة التي ذُكرت أولًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

قوله: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهِمُّونَ»؛ يعني: يلهمون طلب الشفاعة من الله ﷻ «**فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا**»؛ أي: طلبنا الشفاعة، «**فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حتى يُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَأْتُونَ آدَمَ...**» وإتيانهم لآدم عليه السلام، ثم إرسال آدم لهم إلى نوح عليه السلام، ثم نوح إلى إبراهيم عليه السلام، ثم إبراهيم إلى موسى عليه السلام، ثم موسى إلى عيسى عليه السلام، ثم عيسى إلى محمد ﷺ حتى تظهر كرامة نبيّنا ﷺ؛ لأن هؤلاء هم أولي العزم ما عدا آدم عليه السلام؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥] فهؤلاء الخمسة (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم) هم أولوا العزم؛ ولهذا ذكروا في آيتين من القرآن جميعًا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧]، كما قال الله لنبيِّه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ ولهذا لما جاءه الخارجي الخبيث الذي قال للنبي ﷺ: اعْدِلْ، قال: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[(١)]، وهذا من معاني كون قصص الأنبياء تُذَكِّر، فيكون فيها تسليةٌ وعبرةٌ.

والشفاعة أقسامٌ؛ فبعضهم أوصلها إلى ثمانية[(٢)]، لكنَّها تحتاج إلى دليلٍ، أما شفاعة الموقف فهذه لا ينكرها أحدٌ، حتى أنَّ الخوارج والمعتزلة لم ينكروها؛ لأنها ليس فيها إخراجٌ لأحدٍ مِنَ النار، وإنما فيها

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) ينظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢٠٢/٢٠٩).

طلب إلى الحساب، وإنما أنكروا الشفاعة لمن يستحق النَّار أو دخلها.

والحديث فيه أنَّ الرسول ﷺ لا يطلب الشفاعة رأسًا، فإنهم إذا أَتَوا إليه ﷺ يذهب إلى مكانٍ معينٍ؛ حيث يقول ﷺ: «... **فيَأْتُونِي، فأَنْطلِقُ حتَّى أَستأْذِنَ على ربِّي، فيُؤذَنَ لِي، فإذا رأَيْتُ ربِّي وقَعْتُ ساجِدًا، فَيدَعُنِي ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقالُ: ارفَعْ رأْسَكَ وسَلْ تُعطَهْ، وقُلْ يُسمَعْ واشفَعْ تُشفَّع، فأَرْفَعُ رأْسِي، فأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حدًّا، فأُدْخِلُهُمُ الجنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إليهِ فإِذَا رأَيْتُ ربِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ ما بَقِيَ في النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبسَهُ القُرآنُ، ووَجَبَ عليهِ الخُلُودُ...**»[1]، قوله: «**أستأذِنُ عَلَى رَبِّي**»، قيل: يستأذِنُ على ربِّه في مكانٍ معين، قيل: إنه تحت العرش، فإذا جاء ذلك المكان شاهد ربَّه فيسجد له.

وفي رواية عند الإمام «مسلم» يقول ﷺ: «**فأَنْطَلِقُ، فآتِي تَحتَ العَرشِ، فأَقَعُ ساجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عليَّ ويُلْهِمُنِي مِنْ مَحامِدِهِ، وحُسْنِ الثَّناءِ عليهِ شَيئًا لَمْ يَفْتَحهُ لِأَحدٍ قَبْلِي**»[2].

وجاء أنه ﷺ يبقى ساجدًا مدةً طويلة، قُدِّرتْ أسبوعًا، ثُمَّ بعد ذلك يأمره الله ﷻ أن يرفع رأسه وأن يَشْفَع، وقبل أن يأمره لا يشفع، ولا أحد يشفع حتى يؤمر، فالذي يزعم أنَّ الشفاعة تحصل بدون الأمر فهو مخالفٌ لكتاب الله، ومخالفٌ لما جاء عن رسول الله ﷺ.

وقوله: «فيقول: لَسْتُ هُنَاكُمْ»: لآدم ونوح وإبراهيم وغيرهم؛ أي: أنهم قد علموا أنَّ الشفاعة ليست لهم، فليس كما تظنُّون أني أشفع،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، عن أنس ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٤)، عن أبي هريرة ﷺ.

ولكن اطلبوها من غيرنا؛ أي: لستُ كما تظنون أني أشفع فلا أشفع، وهذا يكون في ذلك الموقف فقط، وإلا ففي غيره قد يُشَفَّعون.

قال: «فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَيَأْتُونَنِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي**»؛ يعني: في مكانٍ معين يستأذن عليه، والله أعلم بهذا المكان.

قوله: «**فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي**»: هذا فيه التَّصريح والدليل في أن رسول الله ﷺ يرى الله ﷻ، «**فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا**»؛ يعني: يؤذن له في هذا المكان فإذا دخله رأى ربه، «**وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي**»، ثمَّ يَقولُ لِي: «**يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ... إلى آخره**».

قوله: «**ثُمَّ أَحُدُّ لهم حدًّا**»: رواية «**فَيَحُدُّ لِي حَدًّا**»، ويقول: هؤلاء اشفع فيهم، هذا الذي جاء في «الصحيح»، ولهذا تكرَّرت الشفاعة، وذُكرت هنا أربعَ مرَّاتٍ، والظاهر - والله أعلم - أنَّ بينها فاصلًا ووقتًا، وأن هؤلاء الذين شُفِّع فيهم أولهم أقلُّ جُرمًا مِمَّنْ بعدهم.

* * *

﴿ «وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا شعبة، وهشام، عن قتادة، عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»(١)، قال هشام: ذرَّةً، وقال شعبة: ذُرَّةً.

﴿ قال الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللهُ: رواية هشام الدستوائي أصح، وكذلك قاله سعيد بن أبي عروبة.

﴿ أخبرني أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، وإسماعيل بن إسحاق قالا: ثنا مسدد، ثنا يحيى بن سعيد، عن الحسن بن ذكوان، ثنا أبو رجاء، حدثني عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»(٢).

﴿ حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، (ح).

﴿ وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، قالا: ثنا سعدان بن نصر،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٦، ٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٦).

ثنا سفيان بن عيينة، أنه سمع عمرو، عن جابر بن عبد الله، يقول: سمعت بأذني، هاتين من رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ ﷻ يُخرِجُ قومًا مِنَ النَّارِ فَيُدخِلُهُمُ الْجنَّةَ»[1].

ورواه حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار وزاد فيه: «بِالشَّفَاعَةِ».

الشَّرح

قوله: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قال: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ...»: معلومٌ أنَّ «لا إلٰه إلا الله» معناها: إثبات الإلٰهية لله ﷻ، والعبادة تكون له وحده ﷻ، ونفيها عن كلِّ ما سواه، وبدون هذا المعنى لا تنفع؛ لأن الجنة محرَّمة على الكافرين، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولكن هذا يدلنا على أن معرفة هذه الكلمة، والعمل فيها يتفاوت تفاوتًا عظيمًا:

- فمنهم من تكون هذه الكلمة مُنجيةً له أصلًا، ولا يدخل النار بها.

- ومنهم من يكون عنده مخالفاتٌ؛ بأن يقع بعد ذلك في الذنوب أو أنه ما قالها على الوجه الخالص الكامل.

أما قوله: «وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ...» المقصود بـ «**الْخَيْرِ**» هنا الإيمان، وجاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣)، عن أبي سعيد رضي الله عنه.



قال: أشكل على بعض الناس، مثلما يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التذكرة»[1] وغيره: «يجب أن يكون هذا الخير المقصودُ به ما عدا أصل الإيمان، أما أصل الإيمان فلا بدَّ أن يكون موجودًا في القلب؛ لأن الرسول ﷺ كان يخبر ويأمر من ينادي أنه «**لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة**»[2]، وهذا جاء في معناه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

فلا بدَّ أنهم بقَوا وقتًا طويلًا، وقد جاء أنهم «**يمتحشون**»؛ أي: يصبحون حممًا تحرقهم النار، وقد اختُلف في هذا الأمر: هل الذين يدخلون النار يموتون؟ والله ﷻ كتب الموت على بني آدم مرتين فقط؛ ولهذا يقول: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] هؤلاء أهل الجنة لا يذوقون الموت إلا الموتة الأولى، وأهل النار يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]:

الموتة الأولى: لما كانوا عدمًا.

الموتة الثانية: هي الموتة في الدنيا.

والحياة الأولى: لمَّا كانوا في بطون أمهاتهم.

والحياة الثانية: لما خرجوا من القبور.

قوله: «**قال هشام: ذرَّةً، وقال شعبة: دُرَّةً**»: والصحيح «**ذرَّةً**».

قوله: «**عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت بأذني، هاتين من رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ ﷻ يُخرِجُ قومًا مِنَ النَّارِ فَيُدخِلُهُمُ الْجنَّةَ**»: هذا المقصود به الردُّ على الخوارج، ومن قال بقولهم.

(١) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٧٨) وما بعدها.

(٢) أخرجه أحمد (٥٩٤)، والترمذي (٣٠٩٢)، والنسائي (٢٩٥٨)، عن علي رضي الله عنه.



﴿﴾ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد الحافظ بهمدان، ثنا إبراهيم بن الحسين الكسائي، ثنا أبو نعيم، ثنا أبو عاصم الثقفي محمد بن أبي أيوب، حدثني يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج وكنت رجلًا شابًّا قال: فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ جالسًا إلى سارية وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: قلت: يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون، والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وَ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] وما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال لي: أي بني، أتقرأ القرآن؟ قال: قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ المحمود الذي يبعثه الله فيه؟ قال: قلت: نعم، قال: فهو المقام المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار، قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه فأخاف أن لا أكون حفظت ذاك غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: فيخرجون كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه قال: فيخرجون كأنهم القراطيس البيض قال: فرجعنا فقلنا: ويحكم ترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا فلا والله ما خرج منا إلا رجل واحد»(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١)، واللفظ له.

﴿ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: في حديث أبي سعيد الخدري في هذا الباب بيان حال من يبقى في النار ومن يخرج منها».

الشَّرح

قوله: «كنتُ قد شغفني رأي من رأي الخوارج»: «شغفني»: تشكَّكتُ فيه، ودخلني شيءٌ منه.

وقوله: «وكنتُ رجُلًا شابًّا»: بعض الشباب يكون عنده شيءٌ من الانحراف والتردُّد والتأثُّر بالدعوات الفاسدة والخبيثة.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾؛ أي: أنه إذا أُخزي فلا يناله شيء من الخير، ويستدلون كذلك بقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: ١٢٣]، وكذلك يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، وغير ذلك من الآيات، وهذا من عموماتهم التي يستدلُّون بها.

يقولون في قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٩]: ﴿نَفْسٌ﴾ نكرة، والنفس الثانية نكرة، فدلَّ على أنه لا ينفع أحدٌ أحدًا.

يقولون: إنَّ هذا فيه نفي الشفاعة، ويعرضون عن الأمور الواضحة والنصوص الظاهرة! وهذا شأن من كان في قلبه زيغٌ، وهكذا من أراد الله فتنته يترك الأمور الواضحة الجليَّة ويتعلق بالشيء الذي يكون عامًّا؛ لأن فيه تعلقًا له، قال الله ﷻ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، هذه صفات أهل الضلال.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]؛ أي: في أهل النار الذين هم خالدون فيها، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها.

أخبر الله ﷻ أن أهل الجنة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: سابقٌ بالخيرات.

القسم الثاني: مقتصد.

القسم الثالث: ظالمٌ لنفسه.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] فكل هؤلاء أورثوا الجنة، ولا يلزم من ذلك أنهم دخلوا الجنة بلا عذابٍ؛ لأن «**الظالم لنفسه**» هو الذي ترك بعض الواجبات، وارتكب بعض المحرمات.

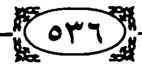
أما «**المقتصد**» فهو الذي كما يقول العلماء: فعلوا ما وجب عليهم، وتركوا ما حرم عليهم، ولم يأتوا بالنوافل وبالفضائل.

أما «**السابقون بالخيرات**» فهم الذي جمعوا بين فعل الواجب واجتناب المحرم وفعل المستحب.

ولا بدَّ أن يكون كلهم مخلصون لله ﷻ، أما هؤلاء المبتدعة فيقترحون على الله اقتراحًا ليس بموجود، فالناس عندهم: إمَّا تقيٌّ وإما شقيٌّ، وهذا ضلالٌ.

قوله: «... وما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال لي: أي بني، أتقرأ القرآن؟»: هذا يدل على حسن الخطاب وحسن الدعوة، فلو أنه قال له: اخْسَأ، أو أنت ضالٌّ؛ أعرَضَ وذهبَ، ولم يستمع.

* * *



ﷺ «حدثنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، أنا علي بن الحسن بن أبي عيسى، أنا عبد الله بن الوليد العدني، أنا إبراهيم بن طهمان، ثنا أبو مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّ أُنَاسًا تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاءِ، قال: فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»»[1].

الشَّرح

يقول موضحًا الإشكال الحاصل: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ**»: المقصود بـ (الحياة) السلامة من العذاب، وإلا فهم أحياء، «**وَلَكِنَّ أُنَاسًا تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ...**»، والاستدراك بقوله: «**ولكن**» يدلُّ على أنهم يموتون، والظاهر أنهم لا يموتون، ولكن قد يكون فَقَدَ الإحساس؛ رحمةً بهم، وهؤلاء من المؤمنين، وهذا معنى قوله: «**وَلَكِنَّ أُنَاسًا تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ**»؛ يعني: أنهم من المؤمنين، «**فإِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ**»؛ يعني: أذن فيهم في الشفاعة، وإلَّا فالشفاعة قبل هذا، ولكن هذه الشفاعة خاصَّةٌ بهم.

قوله: «**فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ**»: «ضَبَائِرَ» يعني: حُزَم مجتمعة، «**فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ**» يقال: في نهرٍ من الجنة يُسمَّى «**نَهَر الحَيَاة**»[2]، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٣)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

دخلوه نبتَتْ أجسامهم التي احترقتْ مِنَ النار؛ ولهذا يقول: «**ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاءِ**»؛ يعني: مِنْ هذا النهر، «**قَالَ: فَيَنْبُتُونَ**»؛ يعني: تَنْبُت لحومُهم وأجسامُهم «**نَبَاتَ الْحِبَّةِ**»: «**الحِبَّة**»: البَذْرة التي تكون للعشب أو غيره.

قوله: «**فِي حَمِيلِ السَّيْل**»: «**حَمِيل السَّيل**»: غُثَاه، إذا جاء السيل يحمل الشيء الذي يكون خفيفًا، مثل السِّمَاد وغيره، فينفيه على الجانب، فيصير النبات فيه سريعًا للسماد الكثير.

* * *

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو زكريا بن إسحاق المزكي قالا: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني، ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب، أنا جعفر بن عون، أنا هشام بن سعد، ثنا زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟... فذكر حديث الرؤية كما سبق ذكره، وذكر قصة المنادي يوم القيامة، وسجود من سجد قال: «ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ»، قُلْنَا: وَمَا الْجِسْرُ يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا؟ قال: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ لَهُ كَلَالِيبُ وَخَطَاطِيفُ وَحَسَكٌ يَكُونُ بِنَجْدٍ عَقِيفًا، يُقال لَهُ: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، وَكَالطَّيْرِ وَكَالطَّرْفِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرَّاكِبِ، فَمُرْسَلٌ، وَمَخْدُوشٌ وَمُكَرْدَسٌ».

ﷺ قال أبو حامدٍ: إِنَّمَا هُوَ مُكَرْدَسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَحَدُكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ يَرَاهُ مُمْضِيًا لَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْوَانِهِمْ إِذَا هُمْ رَأَوْا وَقَدْ خَلَصُوا مِنَ النَّارِ يَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا، وَيُجَاهِدُونَ مَعَنَا قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ»، فَيَقُولُ: «اذْهَبُوا فَمَنْ عَرَفْتُمْ صُورَتَهُ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ صُورَتَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَجِدُونَ الرَّجُلَ قَدْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَإِلَى حِقْوِهِ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا بَشَرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقال قِيرَاطٍ خَيْرًا فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ

بَشَرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ فَلَا يَزَالُ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى يَقُولَ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقال ذَرَّةٍ فَأَخْرِجُوهُ».

ﷺ وكان أبو سعيدٍ إذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُوا فَاقْرَءُوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]. فَيَقُولُونَ: «أَيْ رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، فَيَقُولُ: هَلْ بَقِيَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؟ فَيَقُولُون: قَدْ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، فَهَلْ بَقِيَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؟ قال: فَيَأْخُذُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، قال: فَيُخْرِجُ قَوْمًا قَدْ عَادُوا حُمَمَةً لَمْ يَعْمَلُوا لِلَّهِ عَمَلَ خَيْرٍ قَطُّ، قال: فَيُطْرَحُونَ فِي نَهْرٍ فِي الْجَنَّةِ يُقال لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا وَمَا يَلِيهَا مِنَ الظِّلِّ أُصَيْفِرٌ، وَمَا يَلِيهَا مِنَ الشَّمْسِ أُخَيْضِرٌ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ فِي الْمَاشِيَةِ؟ قال: فَيَنْبُتُونَ كَذَلِكَ فَيَخْرُجُونَ أَمْثَالَ اللُّؤْلُؤِ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ ثُمَّ يُرْسَلُونَ فِي الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: خُذُوا فَلَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ، فَيَأْخُذُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا، قال: ثُمَّ يَقُولُونَ: لَوْ يُعْطِينَا اللهُ مَا أَخَذْنَا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: فَإِنِّي أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذْتُمْ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا وَمَا أَفْضَلُ مِمَّا أَخَذْنَا؟ فَيَقُولُ: رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ»»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩)، مختصرًا.

الشَّرح

في الحديث إثبات الصراط، ثم المرور عليه، وتفاوت الناس في المرور عليه، منهم من يكون كلمح البصر، وكخطف البرق، وكذلك أجاود الخيل، وهكذا يتفاوتون حسب أعمالهم في المضي على الصراط.

وفيه وصف: «**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ**»: والمُدْحِضَة: هي الأرض التي فيها طينٌ وماء بحيث لا تَثْبُتُ فيها الأرجل، فالمعنى من هذا الوصف: أنَّ الصراط صعبٌ المرور عليه، وحقيقة الصراط أنه فوق جهنم، وهو حارٌّ أشدُّ الحرارة، فالسَّير ليس على الأقدام، وليس بالجسم، وإنما هو بالأعمال.

وقوله: «**خطاطيف**»: أنها شِبْه «**السَّعدان**» وهو نوعٌ منَ العشب يَنْبُت في نجدٍ، وتسْمَن عليه الإبلُ بسرعةٍ؛ ولهذا جاء في المثل: «مَرْعًى وَلَا كَالسَّعْدَانِ»[1].

فالمقصود: أنَّ هذا يدُلُّنا على أنَّ الرسول ﷺ يعرف الأشياء التي ليست في محيطه، ومثل ذلك ذِكْرُه للضَّبِّ، والضَّبُّ ليس في الحجاز أيضًا، الضَّبُّ في نجدٍ، قال: «**حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**»[2]؛ لأن جحر الضب من أعسر الجحور، فالضبُّ إذا حَفَرَ يحفر ملتويًا، بحيث لا تَجِدُه سامتًا أبدًا.

وأيضًا فيه: إثبات شفاعة المؤمنين إذا انتهَوا مِنَ المرور على النَّار، أنهم يسألون الله ﷻ، يقولون: يا رب «**إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ مَعَنَا**» ثم يأذن الله لهم، ثم يقول: «**اذْهَبُوا فَمَنْ عَرَفْتُمْ صُورَتَهُ فَأَخْرِجُوهُ**»: والصورة المقصود بها الوجه.

---

(١) تهذيب اللغة (٢/ ٤٥)، ولسان العرب (٣/ ٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

في الحديث إثباتُ كلام الله لبعض خلقه من الناس، فهو يكلِّم أهل الجنة عمومًا، وسبق أنه كلَّم أهل الموقف كلهم.

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: أَلَيْسَ عَدلًا مِنِّي أَنْ أُولِيَ كُلَّ واحد مَا كَان يتولاه؟[1]؛ فتُمثَّل لهم معبوداتُهم، ثم يُقال لهم: اتّبعوها، فيتَّبِعونها إلى جهنم، فالله يكلِّم عبادَه، ويكلم من يشاء من أفرادهم، ويكلم أهل الجنة فهو ﷻ يتكلَّم إذا شاء، ويكلم من يشاء، وفي هذا كونه يقول: إنه يحلف بعزة الله ﷻ، ثم إنه يقول: هذا أدنى أهل الجنة منزلةً، ويفتح عليه بالتمنِّي إلى أن تنقطع الأماني، ثم يقال له: لك هذا وعشرة أمثاله معه، وهذا أدنى أهل الجنة منزلة.

قوله: «اذْهَبُوا فَمَنْ عَرَفْتُمْ صُورَتَهُ فَأَخْرِجُوهُ»: وهذا من آيات الله ﷻ؛ أي: أنها لا تضرُّهم، فيذهبون ويُخرِجون الذين أُمِرُوا بإخراجهم، وقد ذكر الله ﷻ هذا في القرآن، فقال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ يعني: في الدنيا ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢﴾ يعني: الذي يستجيب للرسول الكافر يأمر قرينه أن يكفر، ويعيب عليه كونه يتَّبع الرسول ويؤمن. يقول: ثم قال: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤﴾ هذا يقوله لمن معه في الجنة؛ يعني: معي في النار، ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥﴾، فالجنة في أعلى عليين، والجحيم في أسفل سافلين، ومع ذلك يستطيع أنه يخاطب من فيها، ويصل إليها؛ لأن هذه أمورٌ على خلاف المعقول والمعهود لنا، أمورٌ أخبرنا الله ﷻ بها يجب أن نؤمن بها كما أخبر: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ فصار يخاطبه، فقال: ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۝٥٧﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥٧]؛ يعني: معك في النار ولكنَّ الله أنعم عليَّ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨١)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ص٢٨٠) بنحوه.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤].

قال بعد كذلك: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥٠]، فهم يسمعون ويخاطب بعضهم بعضًا مع البعد، ومع كون هذا في جحيم لا يستطيع حيٌّ أن يقْرَبَها، لها زفير ولها شهيق، ولكن إذا أراد الله شيئًا فإنه يكون على خلاف المعهود وخلاف العادة.

قوله: «ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ فَلَا يَزَالُ يَقُولُ ذَلِك حَتَّى يَقُولَ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقال ذَرَّةٍ فَأَخْرِجُوهُ».

وفيه: اختلاف الدرجات واختلاف العذاب.

وقوله: «هَلْ بَقِيَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»: معناه: أنه بقيت رحمته التي هي أشمل من الشفاعة وأعمُّ، فيُخرج أُناسًا من النار ما نالتهم الشفاعة، فهؤلاء هم الذين أيضًا يبقون في النار حتى ينبتون. . . إلى آخره.

وقوله: «فَيَخْرُجُونَ أَمْثَالَ اللُّؤْلُؤِ»: يعني: أنهم بعدما كانت بشرتهم مكروهة محترقة صارت حسنة من أحسن شيء.

وقوله: «فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ»: يعني: أنه يُكتَب في رقابهم: «هؤلاء عتقاء الرحمٰن من النار»، هذه الخواتيم التي تكون فيهم.

وقوله: «ثُمَّ يُرْسَلُونَ فِي الْجَنَّةِ»: يعني: أنهم يقال لهم: انظروا ما شئتم، أو خذوا ما شئتم، ومعلومٌ أن الجنة درجاتٌ بعضها فوق بعض، وهؤلاء يكونون بأولها، والله أعلم.

وقوله: «الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»: يعني: مثل ما مضى لا بدَّ أن يكون الإيمان ثابتًا في قلوبهم، فأصل الإيمان موجودٌ؛ لأنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن.

﴿ «أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أنا أبو حامد بن بلال، ثنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ قَدِ احْتَرَقُوا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نَهْرٍ يُقال لَهُ: الْحَيَاةُ فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَنْضُرُونَ كَمَا يَنْضُرُ الْعُودُ فَيَمْكُثُونَ فِي الْجَنَّةِ حِينًا فَيُقال لَهُمْ: تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَيَقُولُونَ: أَنْ يُرْفَعَ عَنَّا هَذَا الِاسْمُ، قال: فَيُرْفَعُ عَنْهُم»»[1].

الشَّرح

أي: أن هؤلاء الجهنميين يطلبون من الله تعالى أن ترفع عنهم هذه الخواتيم المختومة في رقابهم فتُزال وتُرفَع عنهم.

* * *

(١) أصل الحديث أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤)، وبلفظه أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٣١٣).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الآدمي بمكة، ثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، أنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، قال: قال النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، يجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، قال: فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي الرُّؤْيَةِ، ثُمَّ قال: «وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَلَهُ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «فَإِنَّ بِهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ ﷻ»، **قال: «فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، قال: فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، قال: فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، قال: فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءٍ يُقال لَهُ: «مَاءُ الْحَيَاةِ» فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قال: وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ**

عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِيَ عَنِ النَّارِ، قال: فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِك، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي اللهَ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ أَلَّا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، قال: فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا دَنَا مِنْهَا انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، أَوَ لَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَلَّا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، قال: ثُمَّ يُقَالُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، تَمَنَّ مِنْ كَذَا، قال: فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ فَيُقال لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، قال أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ.

ﷺ قال: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»، فَقال أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، فَقال أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ: «وَمِثْلُهُ مَعَهُ»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا يحيى بن منصور، ثنا أبو بكر الجارودي، ثنا إسحاق بن منصور، ثنا أبو داود، ثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن أبي بكر، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ - يعني: قول الله ﷻ -: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ»(١).

ﷺ أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا يعلى بن عبيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»(٢).

ﷺ قال ﷺ: وروينا في هذا عن معاذ بن جبل، وأبي ذر، وأبي موسى، وعوف بن مالك، وغيرهم ﷺ، عن النبي ﷺ.

ﷺ حدثنا أبو طاهر الإمام، أنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمد أباذي، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»(٣).

ﷺ وأخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا أبو أحمد القاسم بن أبي صالح الهمداني، ثنا إبراهيم بن الحسين بن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٩٤). (٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، والمصنف في «السنن الكبرى» (٨/ ١٧)، وفي «شعب الإيمان» (٣١٠).

ديزيل، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، ثنا جعفر هو ابن سليمان، ثنا مالك بن دينار، قال: سمعت أنس بن مالك، يقول: قال النبي ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١][١].

❁ أخبرنا أبو علي الروذباري، وأبو عبد الله بن برهان، وأبو الحسين بن الفضل القطان، وأبو محمد السكري قالوا: ثنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا عبد السلام بن حرب الملائي، عن زياد بن خيثمة، عن نعمان بن قراد، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ؟! لَا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَّائِينَ»[٢].

❁ أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر ببغداد، أخبرنا الحسين بن يحيى بن عياش القطان، ثنا أبو الأشعث، ثنا الفضيل بن سليمان، ثنا أبو مالك الأشجعي، حدثني ربعي بن حراش، أنه سمع حذيفة بن اليمان، أنه سمع رجلًا، يقول: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِيمَنْ تُصِيبُهُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، قال: إِنَّ اللهَ يُغْنِي الْمُؤْمِنِينَ عَنْ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ لِلْمُذْنِبِينَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ[٣].

---

(١) انظر: التخريج السابق.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٦١٨)، وابن ماجه (٤٣١١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٦)، واللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٢٠٨٥)، والمصنف في «البعث والنشور» (٢٥٤).

❁ أخبرنا يحيى بن إبراهيم، أنا أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] يقول: الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إلـٰه إلا الله(١).

❁ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا عبيد الله بن موسى، أنا إسرائيل، عن السدي، قال: سألت مرة الهمداني عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، فحدثني أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدثهم عن رسول الله ﷺ قال: «يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْعِ الْبَرْقِ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ ثُمَّ كَالرَّاكِبِ ثُمَّ كَشَدِّ الرِّجَالِ ثُمَّ كَمَشْيِهِمْ»(٢).

❁ ورواه أبو الأحوص، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ [مريم: ٧١]، قال: الصراط على جهنم(٣).

❁ وروينا عن ابن عباس أنه قال: الوُرُودُ الدُّخُولُ، واسْتَشْهَدَ بقوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وبقوله: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨](٤).

---

(١) أخرجه المصنف في «البعث والنشور» (٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٥٩)، والحاكم (٢/ ٣٧٥)، وأبو يعلى (٥٠٨٩، ٥٢٨٢).
(٣) أخرجه الحاكم (٣٤٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٣).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١١١٩٣).

﴿ ورويناه عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ أنه قال: «الْوُرُودُ الدُّخُولُ»، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢][(١)]، وقد ذكرناه في كتاب «الجامع» وفي كتاب «البعث» مع سائر الروايات فيه»[(٢)].

الشَّرح

فيما سبق توضيحٌ لتفاوُتِ الناس في البقاء في النار، وتعدُّد الشَّفاعات.

قوله: «حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ»: إنَّ الله ﷻ لا يشغله شيء، ولكن معناه: أنَّ القضاء انتهى، بأن أدْخَلَ أهلَ الجنةِ الجنةَ، وأهلَ النَّارِ النارَ فحصلت الشَّفاعات التي مضى ذكر بعضها.

قوله: «وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ»: فيه إثباتُ شفاعةِ الملائكة، وأنَّ الله يأمرهم أن يَشْفَعُوا ويُخرِجُوا من شاء ﷻ إخراجَه.

وقوله: «فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ»: جاء في الأثر: أنَّ النار لا تأكُلُ أثرَ السُّجود[(٣)]، وأثرُ السجود هو الأعضاء السَّبعة التي ترتكز على الأرض حال السجود، وهي: الجبهة والأنف والراحتين والركبتين وأطراف القدمين، فهذه لا تأكلها النار، فيعرفونهم بذلك، فدلَّ على أنَّ هؤلاء كانوا مسلمين يُصلُّون، ودخلوا النار بسبب الذنوب.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٥٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩٦)، وأحمد (٦/ ٤٢٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٩)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (٣٤٩)، وفي «شعب الإيمان» (٣٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واستكمالًا لمعنى الشفاعة وما يتعلَّق بها، فالشفاعة تكون خاصَّةً، وتكون عامَّةً، والخاصة للنبيِّ ﷺ، وهي على ثلاثة أقسام:

- «**الشفاعة الكبرى**»: وهي التي تكون في الموقف للفصل بين العباد، وهذه التي جاء ذكْرُها في القرآن، أنها المقامُ المحمود، على القول الصحيح، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

- «**الشفاعة في افتتاح الجنة لأهلها**»: لا تفتح الجنة لأحدٍ قبلَه ﷺ، فيَشْفَعُ فتُفتَح الجنةُ حتى يَدخُلَها أهلُها بعد الحساب، وبعد المرور على الصراط. قال أنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ...**»(١).

- «**شفاعته في عمه أبي طالب**»: بأن يخفَّفَ عنه عذابُ النَّار، فيُخرَج مِنَ النَّار، وقد قال ﷺ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(٢)، وفي رواية أنه قال ﷺ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**»(٣).

والخوارج والمعتزلة أنكروا الشفاعة؛ لأنَّ عندهم من الضَّلال والانحراف ما منعهم أن يأخذوا هذا من النصوص، ومعلوم أنَّه من أعرض عن كتاب الله وعن سُنَّة رسوله ﷺ أنَّ الشيطانَ يتولَّاه، فلا بدَّ مِن ضلالِه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠)، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

باب الإيمان بما أخبر عنه رسول الله ﷺ في ملائكة الله وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والحساب، والميزان، والجنة والنار، وأنهما مخلوقتان مُعدَّتان لأهلهما، وبما أخبر عنه من حوضه، ومن أشراط الساعة قبل قيامها

❁ «قال الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧]، وقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٤ - ٦]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، والآيات في مثل هذا كثيرةٌ.

❁ وقال في الجنة: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٣]،

وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، والمُعدَّة لا تكون إلا مخلوقةً موجودةً، وقال في الجنة: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والمعدوم لا عرضَ له، وقال في الحوض: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: ١]، وقال في أشراط الساعة: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨]».

الشرح

في هذا الباب ذُكرتْ جملةٌ منَ الأمور التي يجب اعتقادُها والإيمان بها، ولا بدَّ من ذلك؛ **منها**:

قوله: «**الإيمان بما أخبر عنه رسول الله ﷺ في ملائكة الله...**» ذِكر الملائكة كثيرٌ في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، والملائكة مأخوذةٌ من الألوكة وهي الرسالة[١]، فالملائكة رسلٌ يأتمرون بأمر الله ﷻ، وهم عبادٌ مُكرَمون، فلا يجوز أن نقول: إنهم إناثٌ كما يقوله المشركون، ولا أنهم ذكورٌ؛ لأننا لا نعلم هذا، وإنما هم عبادٌ مُكرَمون، خلقهم الله لعبادته، وهو يسبحون الليل والنهار لا يَفْتُرُون، لا يأكلون ولا يشربون، أكرمهم الله وأسكنهم السماء، وجعل لهم وظائف متعددة؛ فمنهم من يكون مع بني آدم، يُحصُون أعمالَهم كما قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، فهؤلاء هم الملائكة الذين يحفظون الإنسان حتى يأتِيَه أجلُه، قال فيهم

---

(١) النهاية لابن الأثير (١/ ٦١)، ولسان العرب (١/ ٥٣٥).

الرسول ﷺ: «**يَتعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيلِ ومَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجتمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»(١)، وهذا من كرم الله وجوده، حتى يظهر ذلك للملائكة الذين لا يعرفون عنا شيئًا؛ لأنه ليس كل الملائكة تعرفُ مَن في الأرض، السماء مملوءةٌ مِنَ الملائكة، كما قال المصطفى ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ**»(٢)، وقال لمَّا عرج به: «**فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(٣)؛ لأنهم لا يجدون فرصة من كثرة الملائكة، فالملائكة كثيرون جدًّا، فهم عبادُ الله الذين خلقهم لعبادته ﷻ، وليس لله ﷻ معاونٌ أو وزراء، إنما خلقهم للعبادة وللابتلاء والامتحان، كما خلق بني آدم، والجن كذلك.

قوله: «**وكتبه**»: يجب الإيمان بكُتُب الله التي أنزلها على رسله وأنبيائه، وهي كثيرة، لكن التي ذُكر لنا منها وبُيِّنَتْ بأسمائها: «التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن»، والقرآن مهيمنٌ عليها كلها، وهو الذي يجب أن نؤمن بكلِّ كلمة منه، بل كلِّ حرفٍ، فمن كفر بحرفٍ منه فهو كافرٌ بالله ﷻ.

قوله: «**ورسله**»: يجب أن نؤمن بهم، والرسل الذين ذُكِروا في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد (٢١٥١٦)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، عن أبي ذر رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

القرآن خمسةٌ وعشرون رسولًا، يجب أن نؤمنَ بأعيانهم وبأسمائهم؛ لأن هذا من أركان الإيمان.

قوله: «والبعث بعد الموت...»: يجب الإيمان بالبعث بعد الموت، وإحياء الأموات، وإخراجهم من قبورهم، ثم استمرارهم في هذه الحياة إلى ما لا نهاية، وإسكانهم إما الجنة أو النار.

ثم كذلك الإيمان بوجود «**الجنَّة والنَّار**»: وهذا نُصَّ عليه؛ لأن المعتزلة أو بعضهم أنكر هذا، وقالوا: الجنة لا وجود لها، وكذلك النار، وإنما ستوجد بعد ذلك، فهم لا ينكرونها مطلقًا، ولكن ينكرون وجودها الآن، وهم يتَّبعون أفكارَهم وعقولهم، ويُشَرِّعون بها، وهذا تمَّ بناءً على أصلهم الفاسد؛ فمن أصولهم القياسُ، يقيسون أفعال رب العالمين على أفعالهم، وينفون الصفات؛ ولهذا يسمِّيهم أهلُ السُّنَّة: «نُفَاة الصفات» و«مشبهة الأفعال»، حيث يشبِّهون أفعال الله ﷻ بأفعال خلقه، فيقولون مثلًا: لو أن رجُلا من الناس بنى بيتًا، ثم وضع فيه ما يحتاج إليه من فرشٍ وطعامٍ وأجهزة، وغير ذلك، ثم غلّقه ولم يَسْكُنْه لكان هذا عبثًا وسفهًا، فكذلكَ الجنة لا توجد حتى يأتي ساكنوها!، ومثلها النار.

وهم يُكذِّبون بتلك النصوص الكثيرة الواضحة، اتِّباعًا لأفكارهم فقط، فهم ضُلَّالٌ في هذا، وسبق أنهم لا ينفكُّون عن الشِّرك؛ لأنهم يشبّهون الله ﷻ بالبشر، إما يشبهون أفعاله بأفعالهم، أو يرون أنَّ في الصفات تشبيهًا لله ﷻ بالمخلوقات، ويتَّبِعُهم في ذلك الأشاعرةُ، فهم فرعٌ عليهم ويأخذون عنهم، وإن كانوا يجادلونهم ويخالفونهم في أشياء، ولكن في الأصل معهم.

وقوله: «وأنهما مخلوقتان مُعدَّتان لأهلهما»: فهما مخلوقتان الآن، كما جاءت النصوص بذلك، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

[آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، والرسول ﷺ يقول: «**قمتُ على باب الجنَّة، فإذا عامة من دخلها المساكين، وإذا أصحاب الْجَدِّ محبوسون، إلا أصحاب النَّار، فقد أمر بهم إلى النَّار، وقمتُ على باب النَّار، فإذا عامة من دخلها النِّساء**»(١).

وقال ﷺ: «**عُذِّبتِ امرَأَةٌ في هِرَّةٍ سَجنَتهَا حتَّى مَاتَتْ، فَدَخلَتْ فِيها النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتهَا ولَا سَقَتها، إذْ حَبَسَتْهَا، ولَا هِيَ تَرَكَتهَا تأْكُلُ مِنْ خَشاشِ الأَرضِ**»(٢).

ولما قام يصلي في صلاة الكسوف رأوه تقدَّم ثم تقهقر، ولما خطبهم، قال ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(٣)، قوله: «**وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**» فهو الذي غيَّر دين إبراهيم عليه السلام، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، ومعناه: أنه رآها كهيئتها في وجودها.

قال الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]: هذه من الأصول التي لا بد منها؛ أن نؤمن بالله، والإيمان ليس معناه مجرَّد التصديق فقط، فالإيمان هو الإقرار والقبول، والعمل لا بدَّ منه، فأهل السُّنَّة يرون أنَّ تعريف الإيمان بالتصديق فقط لا يكفي، بل التصديق الجازم مع القبول، والإقرار والاتباع والعمل بهذا، كما أن من أركان الإيمان «القول» بأن

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦)، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٢٨٥٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

نقول: لا إلـه إلا الله، كما قال الله ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمرنا بالقول، والرسول ﷺ يقول: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[١]، ولهذا جعلوا القول من الإيمان، ثم يتبع ذلك تلاوة القرآن والذكر وغير ذلك من أعمال اللسان التي لا بدَّ منها، وكذلك من أركان الإيمان العمل، فمن يقول: آمنت ثم لا يعمل ليس مؤمنًا.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦]: هذا فيه القيام لله ﷻ في الموقف، فيقومون من قبورهم أحياء، يسيرون إلى المحشر ويقفون وقوفًا طويلًا.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٢]: في الآية دليلٌ على تطايُرِ الصُّحُف، وأنها يُعطَى الناس كُتُبَهم، إما أن يُعطَى بيمينِه أو يُعطَى بشِماله، أو يُعطَى بشمالِه من وراء ظهرِه، هذه أقسامٌ ثلاثةٌ للناس، أهل الشقاء قسمان، وأهل السعادة قسمٌ واحدٌ؛ حيث يعطون كُتُبَهم بأيمانهم، يقول ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]، وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لما سئل عن النَّجْوَى التي أخبر بها الرسول ﷺ، قال: سمعته يقول: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ،**

---

(١) تقدم تخريجه.

فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨]»[(١)]، فالمؤمن الذي أُعطي كتابه بيمينه يستولي عليه الفرح حتى يظنَّ أن الناس ليس لهم شاغلٌ يشغلهم إلا أن ينظروا إلى كتابه، والحقيقة أن كلَّ مخلوقٍ مشغولٌ بنفسِه يومها، حيث قد بلغت القلوب الحناجر.

والصحيح في معنى الكتاب من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ أنه كتاب الحسنات والسيئات التي تسجلها الملائكة، كما في الحديث.

كذلك وزن الأعمال: كما قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١]، وقال: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾ [الأعراف: ٨ ـ ٩].

وقد جاء ما يدلُّ على أنَّ الذي يُوزَن الحسناتُ والسيئاتُ، كما في قصَّة صاحب البطاقة، يقول ﷺ: «**إنَّ اللهَ سَيُخلِّصُ رجُلًا من أُمَّتِي على رُءُوسِ الخلائِقِ يومَ القِيامةِ فيَنْشُرُ له تِسعَةً وتِسعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مدَّ البَصَرِ، ثمَّ يقولُ: أَتُنْكِرُ من هذا شيئًا؟ أَظَلَمكَ كَتَبَتِي الحافِظُونَ؟ فَيقُولُ: لا يا رَبِّ، فَيقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فيقُولُ: لا يا ربِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إنَّ لَكَ عِندَنَا حَسنَةً، فإنَّهُ لا ظُلمَ عليكَ اليومَ، فَتخرجُ بِطَاقَةٌ فِيها: أشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأَشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسُولُهُ، فيَقولُ: احضُرْ وزْنَك، فيَقُولُ: يا رَبِّ ما هذهِ البِطَاقَةُ معَ هذهِ السِّجِلَّاتِ، فقَالَ: إنَّكَ لا تُظْلَمُ، قالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كفَّةٍ والبِطَاقَةُ في كَفَّةٍ، فطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ**

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

وثَقُلَتِ البِطَاقةُ، فلَا يَثْقُلُ معَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[١].

قوله: «**وقال في الجنة: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾** [آل عمران: ١٣٣]، **والمعدوم لا عرضَ له**»، فلو كانت معدومةً ـ كما يقوله أهل الضلال ـ ما صحَّ هذا الوصف، وهذا الوصف من الله، فمن أنكره فقد أنكر أمرًا أخبر به الله تعالى.

وقوله: «**وقال: في الحوض...**»: والحوض في اللغة: هو مجتمع الماء[٢]، يسمى برْكَةً أو يسمَّى خزانًا، ويسمى غير ذلك، فهو مجتمع الماء، ولكلِّ نبيٍّ حوضٌ، ولكن حوض نبيِّنا أوسَعُها وأعظَمُها وأكثَرُها واردًا.

أما قول بعض العلماء: يستثني من ذلك صالح عليه السلام، فحوضه ضِرْعُ ناقته، هذا لا دليل عليه، بل هو مثل غيره من الرُّسل.

ولا يَرِدُ الحوضَ إلا أتباع النبيِّ، ويُذَادُ عنه قومٌ خالفوا سُنَّته.

والظاهر أنَّ الحوض يكون في الموقف؛ لأنَّ الناس يَرِدُون إليه أظمأ ما كانوا، وأشدَّ ما كانوا طلبًا للماء، ومن شَرِبَ منه شربةً لا يظمأ بعدها أبدًا، وهو كما قال ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا**»[٣]، والرسول ﷺ يقوم عليه، ويذُودُ عنه من ليس من أمَّتِه، قال ﷺ: «**والذي نَفْسِي بِيدِهِ، إنِّي لأَذُودُ عنهُ الرِّجالَ كمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإبِلَ الغَرِيبَةَ عن حَوضِهِ**». قالوا: يا رسول اللهِ، وتَعْرِفُنَا؟ قال: «**نَعَمْ ترِدُونَ عليَّ غُرًّا مُحجَّلِينَ منْ آثَارِ الوضُوءِ ليسَتْ لأحدٍ غيرِكُم**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠).
(٢) لسان العرب (٧/ ١٤١)، وتاج العروس (١٨/ ٣٠٨).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٤) أخرجه مسلم (٢٤٨)، عن حذيفة رضي الله عنه.

وروى مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ - عندما ذكر الحوض - قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ - عندما ذكر الحوض - قال: «**وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ**»[٣].

وقال ﷺ: «**أنَا فرطكُم على الحوض، فمن وردَهُ شَرِبَ منه، ومن شَرِبَ منه لم يظمأْ بعدَهُ أبدًا، لَيَرِدُ عليَّ أقوامٌ أعرِفُهُم ويَعرِفُوني، ثمَّ يُحالُ بيني وبينَهُم، فأقولُ: إنَّهُم مِنِّي. فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدرِي ما صنعوا بَعدَكَ. فأقُولُ: سُحقًا سُحقًا لمن بدَّلَ بَعدِي**»[٤].

وقال: «في أشراط الساعة»: الأشراط هي العلامات، **والعلامات ثلاثة أقسام:**

الأول: مُتقدِّم.

الثاني: متوسِّط.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم في (٢٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

الثالث: متأخِّر، وهي الأشراط الكبرى، التي لا توبةَ بعد ظهورها، وأوَّلها المهديُّ والدَّجال، ونزول عيسى، وهذه الثلاثة كلُّها في وقتٍ واحدٍ، إذا خرج الدَّجال يقاتله المهديُّ مع المؤمنين، ثم ينزل عيسى ويقتُلُه، بعد أن رَفَعَه الله ﷻ إلى السماء، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، ولكن بعد ذلك تغضب عليه دُوَلُ الكفر وتأتي إليه تغزوه، فيوحي الله إليه: «أن حصِّن عبادي في الطور؛ فإني باعثٌ عبادًا لي لا قِبَلَ لأحدٍ بهم»، فيهلكهم الله ﷻ حتى يملئون الأرض، فيسأل الله ﷻ هو وأصحابه أن يطهرها منهم، فيُنزِلَ ماءً وطيورًا تحمِلُهم وتلقيهم في البحار، ويقال للأرض: أخرجِي بركاتِكِ، فهذا هو أحسن أيام الدنيا، وهو الذي جاءت الأحاديث فيه: «**أنَّ الرجل يخرج بملءِ كفِّه ذهبًا، فلا يجد من يقبله**»[1]، وذلك لأن الكل قد استغنى، حتى أنه من بركة الأرض أن الجماعة يستظلون بقحْفِ الرمانة؛ أي: قشرها، حيث تكون كالقبة!

ثم يقبضه الله وتأتي ريحٌ فتقبض كلَّ مؤمن، ويبقى شرار الناس فيأتيهم الشيطانُ، ويقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها، فلا يعرفون معروفًا، ولا يُنكِرون منكرًا، وعليهم تقوم الساعة، والساعة النفخ في الصور، والنفخ في الصور يكون مرتين؛ مرةً للصعق فيموتون، ومرَّةً للإحياء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وثبت في «الصحيحين» أن بينهما أربعين، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[2].

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

ﷺ «أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، وأبو جعفر محمد بن عمرو بن البختري الرزاز قالا: ثنا محمد بن عبيد الله بن المنادي (ح).

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الإسفرائيني قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أبو جعفر محمد بن عبيد الله بن المنادي، ثنا يونس بن محمد المؤدب، ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر: يا أبا عبد الرحمٰن، إن قومًا يزعمون أن ليس قدر، قال: فهل عندنا منهم أحد؟ قال: قلت: لا، قال: فأبلغهم عني إذا لقيتهم أن ابن عمر بريء إلى الله منكم وأنتم برآء منه، سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل ليسَ عليه سحناء سفر، وليس من أهل البادية، يتخطى حتى [جَلسَ] بين يدي رسول الله ﷺ كما يجلس أحدنا في الصلاة ثم وضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، ما الإسلام؟ قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ وَتَعْتَمِرَ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَتُتِمَّ الْوُضُوءَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»، قَالَ: فَإِنْ فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُسْلِمٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ

وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ هَذَا فَأَنَا مُحْسِنٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَشْرَاطِهَا»، قَالَ: أَجَلْ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الْعَالَةَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ، وَكَانُوا مُلُوكًا قَالَ: مَا الْعَالَةُ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ؟ قَالَ: الْعَرِيبُ، قَالَ: وَإِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ تَلِدُ رَبَّتَهَا وَرَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ نَهَضَ فَوَلَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيَّ بِالرَّجُلِ». قَالَ: فَطَلَبْنَاهُ، فَلَمْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟ هَذَا جِبْرِيلُ عليه السلام أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ فَخُذُوا عَنْهُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا شُبِّهَ عَلَيَّ مُنْذُ أَتَانِي غَيْرَ مَرَّتِي هَذِهِ مَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى».

❁ قال رحمه الله: قد سمى رسول الله ﷺ كلمة الشهادة في هذا الحديث إسلامًا، وسماه في حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس إيمانًا، وفي الحديثين دلالة على أنهما اسمان لمسمى واحد؛ إلا أنه في هذا الحديث فسر الإيمان بما هو صريح فيه وهو التصديق، وفسر الإسلام بما هو أمارة له، وإن كان اسم صريحه يتناول أمارته، واسم أمارته يتناول صريحه، وهذا كما فصل بينهما وبين الإحسان وإن كان الإيمان والإسلام إحسانًا، والإحسان الذي فسره بالإخلاص واليقين يكون إيمانًا، وقوله في أشراط الساعة:

«تَلِدُ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَربَّهَا»[(١)] يريد به اتساع الإسلام وكثرة السبايا حتى يستولد الناس الجواري فتلد الأمة من سيدها ابنة أو ابنًا فيكون ولدها في معنى سيدها إذ هو ولد مولاها، وبعثة النبي ﷺ واتساع شريعته من أشراط الساعة بمعنى: أنه ليس بينه وبين الساعة نبي آخر، ثم لا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله ﷻ».

الشَرح

هذا الحديث اشتهر بأنه حديث جبريل ﵇، وهو في «الصحيحين»، وألفاظ متعددة وفيها اختلاف في الروايات، وقد رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁[(٢)]، ورواه أيضًا مسلم عن عمر ﵁[(٣)].

والمقصود: أنَّ الحديث فيه ذِكْرُ الإسلام، والإيمان، والإحسان، وقول المؤلف في هذا أنها عبارة عن شيءٍ واحدٍ، هذا ليس صحيحًا، بل فرَّق بينهما الرسول ﷺ، ففسَّر الإسلام بأنه شهادةُ أن لا إلٰه إلا الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج، هذه أعمال ظاهرة، وفسَّر الإيمان بأن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وهذه أمور غائبة لا تشاهدها ولا تراها، فهذا فرق بين هذا وذاك، ولكن إذا جاء الإسلام مفردًا دخل فيه الإيمان، وإذا جاء الإيمان مفردًا دخل فيه الإسلام.

وذلك لأنَّ الدين عبارة عن مراتبَ ثلاث:

المرتبة الأولى: «الإسلام»: وهو الأعمال الظاهرة، فمن أقامها كان مسلمًا، ولا يسأل عما في قلبه، وهذا معنى قول الرسول ﷺ:

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، (١٠).
(٣) أخرجه مسلم (٨).

«أمرتُ أن أقاتِلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا مني دمائهم وأموالهم، وحسابهم على الله»، فقوله: «حسابهم على الله»[1]، يعني: إذا كانوا صادقين فجزاؤهم جزاء المؤمنين، وإن كانوا كاذبين، فهم منافقون في الدَّرْك الأسفل من النَّار.

المرتبة الثانية: «الإيمان»: ويكون داخليًّا بأمورٍ غائبةٍ؛ كالإيمان بالله، والله لا يُشاهَد، وكذلك الملائكة، وهي أيضًا لا تُشاهد ولا تُرى، وكذلك الجنة والنار، وكذلك المستقبلات؛ كالإيمان بالقدر خيرِه وشرِّه وغيره.

والصحيح: أنَّ الإيمان غير الإسلام إلا إذا جاءا مقترنين، أما إذا جاءا مفترقين؛ مفردًا، كقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فهذا يدخل فيه الدين كلُّه، وبهذا تجتمع النصوص، وإلا فقد جاء في كتاب الله ما يدلُّ على التفرقة، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ [الذاريات: ٣٦]، إلى آخر الآيات، وقال ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] إلى آخره، وقال ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، إلى غير ذلك من الآيات والأدلة التي تدل على التفرقة.

المرتبة الثالثة: «الإحسان»: وهو غاية الإتقان، والإتيان بالعمل على الوجه الأكمل والأتم، وهو على درجتين؛ واحدةٍ أعلى من الأخرى، كما قال رسول الله ﷺ: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»**؛ أي: كأنك تشاهِدُه، فمن كان بهذه الصِّفة لا يدَّخِر شيئًا مما يستطيعه من العمل وإحسانه والقيام به، فإذا لم يَصِلْ إلى هذه الدرجة، فيعبد الله بالعلم

---

(١) تقدم تخريجه.

اليقينيِّ أنه ينظر إليه ويشاهده، فقال: «**فإن لم تكن تراهُ فإنهُ يراك**».

وأشراط السَّاعة داخلة في الإيمان؛ لأنها أمورٌ غيبيَّةٌ مستقبلَةٌ.

وقوله: «**... إِذَا رَأَيْتَ الْعَالَةَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ**» وفي رواية: «**وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا**»[1] وهذا واقعٌ، كانوا في البوادي والبراري يرعون بهائمهم، وينتقلون من مكانٍ إلى مكانٍ معها، أما الآن فصاروا يتطاولون في البناء، ومعنى التَّطاول أنَّ كلَّ واحدٍ يحاوِلُ أن يكونَ بيتُه أحسنَ من الآخر، وأجمل وأرفع وغير ذلك، فهذا وقَعَ كما هو مشاهَدٌ.

قوله: «**تَلِدُ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَربَّهَا**»: فسَّرها الشُّرَّاح بكثرة الفتوح، ومنها اتِّخاذ الجواري سرارِيَ، ثم تَلِدُ فإذا ولدتْ أعتقها ولدُها، فيكون بذلك كأنه سيدها؛ لأنه لا يجوز بيع أمهات الأولاد، وقيل غير ذلك[2].

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٠)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣): «يَكثر العُقُوقُ في الأولاد فيُعَامِلُ الولدُ أُمَّهُ مُعاملةَ السَّيِّدِ أَمتَهُ من الإهانة بِالسَّبِّ والضَّرب والاستخدامِ فأُطْلِقَ عليه ربُّهَا مجازًا لذلك...» اهـ.

۞ «وروينا من حديث مطر الوراق، عن عبد الله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر في هذا الحديث قال في الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ»»(١).

الشَّرح

القدر من صفات الله، وسمي قَدَرًا؛ لأنه أمورٌ مقدورةٌ مقدَّرةٌ.

والقدر عبارة عن أربعة أشياء:

الأول: علم الله: الإيمان بعلمِ الله المحيط بكلِّ شيء، الذي لا يفوته شيء.

الثاني: كتابَتُه لكلِّ شيء، فهو سبحانه كتبَ كلَّ شيء قبل وجوده، كما في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب مقادِيرَ الأشياء قبل خَلْقِ السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرْشُه على الماء**»(٢).

الثالث: أنه هو الخالق وحده، وليس معه خالقًا.

الرابع: أن مشيئته هي النافذة الشاملة لكلِّ شيء «**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**»، هذا هو الإيمان بالقَدَر، من آمن بذلك فقد آمن بالقَدَر، وصار هذا شاملًا لكلِّ شيء، ودخل فيه الأعيانُ والمعاني وأفعال العباد وذواتهم، كلُّ شيء داخلٌ فيه، وهذا لا ينافي كونَ العبد مكلَّفًا؛ لأن الله خلق العبد وخلق له قدرةً واختيارًا، وأمره بما يستطيعه، فإذا فعل شيئًا فهو يفعله بمقدوره وباختياره، وإذا ترك فهو يتركه كذلك قادرًا على فعله لو شاء، فاستحقَّ بذلك الجزاءُ.

---

(١) أخرجه المصنف في «البعث والنشور» (١٦١).

(٢) تقدم تخريجه.

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعد الحافظ قالا: ثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي، ثنا أمية بن بسطام، ثنا يزيد بن زريع، ثنا روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ؛ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ ﷻ»[1].

ﷺ قال الشيخ: ونعتقد فيما أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ في القرآن، ولم ينسخ رسمه في حياته وأنه بقي في أمته محفوظًا لم تجر عليه زيادة ولا نقصان، كما وعد الله بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، وهو كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

ﷺ قال الحسن البصري: حفظه الله من الشيطان، فلا يزيد فيه باطلًا ولا ينقص منه حقًّا».

الشَّرح

كلام الله يجب أن يُعتقَد ويُؤمَنَ به أنه كلامُ الله، تكلَّم به حقيقةً، فأسمعه جبريلَ، ونزل به إلى محمد ﷺ، فهو كله كلامه؛ حروفه

(١) تقدم تخريجه.

ومعانيه، والله تولَّى حِفْظَه، وسواءٌ أُثبت أو نُسخ، فإن الله ينسخ ما يشاء.

وبعض الناس يُنكِرُ النَّسخ، ويقول: النسخ هو البُدُوُّ، وظهور هذا من عقيدة اليهود، وقد قال به بعض أهل الضلال بذلك.

المقصود: أن الإيمان بأن القرآن كلامُ الله خرج منه وبدأ، وإليه يعود، صفته؛ لأن الكلام صفةُ المتكلم، وأنه هذا الذي بين أيدينا، من الفاتحة إلى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]، محفوظٌ لم يُغيَّر ولم يُبدَّل ولم يُزَدْ فيه ولم يُنقَصْ، ومن اعتقد غير ذلك فهو كافرٌ بالله ﷻ، فإنَّ هذا أمرٌ مُجمَعٌ عليه متواترٌ عن رسول الله ﷺ، نَقَلَه الصحابة جملتُهم حفظًا وكتابةً، ثم كذلك من بعدهم التابعون ومن تبعهم، أخذوه عنهم حفظًا وكتابةً إلى اليوم، فأصبح محفوظًا بحفظ الله ﷻ.

قوله: «قال الحسن البصري: حفظه الله من الشيطان...» فهذا جزءٌ من الحِفْظ، وليس حِفْظَه كلَّه، حفِظَه من الشيطان ومن الإنسان، من أن يبدَّل أو يزاد فيه، فمَنِ اعتقد أنه بُدِّل أو زيدَ فيه فهو كافرٌ بالله ﷻ؛ لهذا بعض أهل الضَّلال الموجودين الآن يزعمون أنه مغيَّرٌ وأنه مبدَّلٌ ومزيدٌ، ويزعمون أنَّ عندهم قرآنًا غير هذا القرآن، وهذا كفر بالله ﷻ وخروج عن دين الإسلام.

يقول أحد الرافضة: إن أبا عبد الله ـ يعني: أحد أئمتهم ـ سُئِل عن المناسبة بين قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، ما المناسبة بين الإقساط في اليتامى والنكاح؟ فقال أبو عبد الله: أنَّ المنافقين حذفوا بين هاتين الجملتين ثلثي القرآن! وهذا كلامُ كفرٍ، ومن قال به كَفَرَ.

* * *

ﷺ «حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، ثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، ثنا أبي، عن صالح بن كيسان، ثنا نافع، أن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُومُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»»[1].

الشَّرح

قوله: «حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»؛ أي: في عَرَقِه، يعني: أنَّ الشمس تكون فوق رؤوسهم، ويشتدُّ الكرب والحرَّ مع الوقوف، فيعرقون فمنهم من يلجمه عرَقُه، ومنهم من يصل إلى كعبَيْه على حسب ما كانوا عليه من الأعمال، وهذا من الجزاء في الموقف.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

﴿ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أحمد بن مهران، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا عثمان بن الأسود، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] قَالَ: «ذَاكَ الْعَرْضُ»[1].

الشَّرح

مناقشة الإنسان بأن يحاسب عن كلِّ شيء، فمن حُوسِب عن كلِّ شيء هلك ولا بدَّ، ولكن الله يعفو جل وعلا.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، فسَّره الرسول ﷺ بأنه العرض، تُعرَضُ عليه أعمالُه ثم يُعفَى عنه، يقال: عملت كذا وعملت كذا، فيعفو الله جل وعلا، أما إذا أُخذ بأعمالِه كلها، فيَهْلِك.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

ﷺ «أخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا يعقوب بن إبراهيم، وحميد بن مسعدة، أن إسماعيل بن إبراهيم، حدثهم قال: أنا يونس، وقال يعقوب: عن يونس، وهذا حديثه، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ: أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ؟ وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩﴾ [الحاقة: ١٩]، حَتَّى يَعْلَمَ: أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ؟ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ»»[١].

الشَّرح

المعنى: أنه لا بد من وجوب الإيمان بهذه الأمور الثلاثة: تطايُرِ الصُّحُف، وأخْذِ الكُتُب، إمَّا باليمن أو بالشمال، وكذلك الميزان، وكذلك نَصْبُ الصراط على النار للعبور عليه، ومعلومٌ أنَّ العبور بالأعمال.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٩٦)، وأبو داود (٤٧٥٥).

ﷺ «أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب، أنا أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، ثنا أبو خيثمة، ثنا محمد بن فضيل، ثنا عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ»(١).

ﷺ قال رضي الله عنه: فالإيمان بالميزان واجب بما ذكرنا، ثم كيفية الوزن فقد قيل: توضع صحف الحسنات في إحدى كفتي الميزان، وصحف السيئات في الكفة الأخرى ثم توزن.

ﷺ وقد ورد في بعض الأخبار ما يدل عليه، وقد يجوز أن يحدث الله تعالى أجسامًا مقدرة بعدد الحسنات والسيئات بحيث يتميز إحداهما من الأخرى ثم توزن كما توزن الأجسام، والله أعلم.

ﷺ وما ورد به خبر الصادق نؤمن به ونحمله على وجه يصح وبالله التوفيق».

الشَّرح

قوله: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ...» فيه إثباتُ الحبِّ لله ﷻ وأنه يحب بعض الكلام أكثر من بعض، وفيه إثباتُ الميزان، وإثباتُ الوزن، وفضلُ بعض الأعمال على بعض، وغيرُ ذلك.

قوله: «وقد يجوز أن يحدث الله تعالى أجسامًا مقدرة بعدد الحسنات

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

والسيئات...»: إنَّ الله أخبرنا أن الحسنات والسيئات تُوزَن، وكذلك أصحابها قد يوزنون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾** [الكهف: ١٠٥]»[(١)].

كان ابن مسعود رضي الله عنه يجتني سوَاكًا من الأَراك، وكان دقيق الساقين، فرفعت الريح ثوبه، فضحك القَوم من دِقة ساقه، فقال رسول الله ﷺ: «**مِمَّ تضحكون؟**»، قالوا: يا نبي الله، من دقّة ساقَيْه، فقال: «**والذي نفسي بيده، لَهُمَا أثقل في الميزان من أُحُدٍ**»[(٢)].

أما أن نقول: إن الله يخلقُ أجسامًا بعدد الحسناتِ والسيئاتِ، ثم تُوضَع في الميزان، فهذا لا حاجة إليه ولا دليل عليه، بل هو مخالفٌ للنُّصوص.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٨٩)، عن زِر بْن حُبَيش.

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن علي بن عفان، ثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: أعدَدْتُ لعبادِيَ الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ، ثُمَّ قرأ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]»[1].

الشَّرح

في هذا الحديث؛ الإيمان بجزاء الله وما أعدَّه في الجنة، والإعداد - كما سبق - شيء موجود.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

ﷺ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، وأبو عبد الله بن برهان، في آخرين قالوا: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا الحسن بن عرفة، حدثني القاسم بن مالك المزني، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»(١).

الشَّرْح

قوله: «وَايْمُ...»: قَسَمٌ، وكثيرًا ما كان يحلف بذلك رسول الله ﷺ كما قال ﷺ: **«وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»**(٢)، ولما بَعثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، وأَمَّرَ عليهم أسامةَ بنَ زيدٍ رضي الله عنه فَطعنَ بَعضُ النَّاسِ في إمارتِهِ، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ»**(٣)، وما حصلت قصة الإفك قامَ رسول الله ﷺ خطِيبًا، فتَشهَّدَ فحمِدَ اللهَ وأثْنَى عليه بِمَا هوَ أَهلُهُ، ثمَّ قالَ: **«أمَّا بعدُ أشِيرُوا علَيَّ في أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي، وايْمُ اللهِ ما عَلِمتُ علَى أهلِي مِنْ سُوءٍ»**(٤)

فمعناه: ورأيت الجنة والنار، يعني: أنها موجودةٌ ثابتةٌ مُعَدَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٤٢٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٢٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.



ﷺ «أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن محمد بن الحسن المهرجاني، أنا أبو بكر محمد بن جعفر المزكي، ثنا أبو عبد الله البوشنجي، ثنا يحيى بن بكير، ثنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ ﷻ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»»[1].

الشرح

في الحديث إثباتُ النعيم في القبر وكذلك عذاب القبر، وسيأتي ذكر ذلك.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

﴿ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا عبد الرحمٰن بن الحسن القاضي، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعطَاكَ رَبُّكَ فَأَهْوَى الْمَلَكُ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ مِسْكًا أَذْفَرَ»[١].

الشَّرح

قوله: «**أَذْفَرَ**»: الأذفر الخالص[٢]؛ أي: أنَّ طينه مسكٌ، كما جاء في القرآن: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ﴾ [المطففين: ٢٦].

* * *

(١) أصل الحديث في البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (١٦٢).

(٢) «مِسك أذفر. قَال أبو عبيد: فهَذا ما يُوصف بهِ الذفر في شدَّة ريح الطّيب» اهـ. (غريب الحديث للقاسم بن سلام) (٣/ ٢٣٧).

ﷺ «أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود رَحِمَهُ اللهُ، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن الشرقي، ثنا محمد بن يحيى الذهلي، ثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن قرة بن خالد، عن أبي حمزة، قال: دخل أبو برزة على عبيد الله بن زياد فقال: إن محمدكم هذا لدحداح، فقال: مَا كُنْتُ أُرَى أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ يَعُدُّونَ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَارًا، قَالُوا: إِنَّ الْأَمِيرَ، إِنَّمَا دَعَاكَ لِيَسْأَلَكَ عَنِ الْحَوْضِ، فَقَالَ: «عَنْ أَيِّ بَالِهِ؟» قَالَ: أَحَقٌّ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللهُ مِنْهُ»(١).

ﷺ حدثنا أبو الحسن العلوي، أنا عبيد الله بن إبراهيم بن بالويه المزكي، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنُوا أَجْمَعُونَ وَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»(٢).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الوهاب، أنا يعلى بن عبيد، ثنا فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٧٦٣)، وأبو داود (٤٧٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).

كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ»(١).

الشَّرح

كما سبق، أنَّ الإيمان يكون قاصرًا على الأمور الغائبة التي تأتي بها الأخبار، أما إذا شوهدت وعُرِفَت، فلا ينفع الإيمانُ يومئذ كما لا تُقبَل توبةٌ، فإذا طلعت الشمسُ من المغرب أو عاين الإنسانُ الملائكة الذين يقبضون روحه، أو جاءت الآيات الكبيرة مثل الدَّابة والدجَّال؛ وبظهور الدجَّال يبدأ تغيُّر الكون في خروجه، فيصبح أول يومٍ من أيَّامه كسنةٍ، واليوم الثاني كشهرٍ، واليوم الثالث كأسبوعٍ، ثم تعود الأيام كما هي، فهذا يضطر الناس إلى الإيمان، فلا ينفع إيمانٌ من آمن بعد ذلك.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١).

۞ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو الفضل بن إبراهيم، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن النعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود، قال: سمعت رجلًا، قال لعبد الله بن عمرو: إنك تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: لقد هممت أن لا أحدثكم بشيء إنما قلت: إنكم ترون بعد قليل أمرًا عظيمًا فكان حريق البيت، قال شعبة هذا أو نحوه، قال عبد الله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيمْكُثُ فَيهِمْ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ كَانَ فِي كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ»، قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ، فَيَأْمُرُهُمْ بِالْأَوْثَانِ، فَيَعْبُدُونَهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارَّةٌ أَرْزَاقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا صَغَا لِيتًا، يعني: وَرَفَعَ لِيتًا»، وَرَفَعَ بُنْدَارٌ إِحْدَى مَنْكِبَيْهِ «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَهُ، فَيُصْعَقُ ثُمَّ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا صُعِقَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ أَوْ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوِ الظُّلَلُ - النُّعْمَانُ الشَّاكُّ - فَيَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ

فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ [الزمر: ٦٨] ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: ٢٤] ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ». قال محمد بن جعفر: حدثني شعبة بهذا الحديث مرات، وعرضته عليه[1].

❁ قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: سقط من كتابي «ورفع ليتًا» والليت: مجرى القرط من العنق».

الشَّرح

اللَّيْتُ: هو صفحَةُ العُنُق[2]، «رفع ليتًا»؛ أي: يصغي ويتسمَّع، وهذا قبل أن يَصِلَ إليه الصوت المزعج المهلك؛ لأن هذه النفخة لهلاك من كان حيًّا.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) كتاب العين، للخليل بن أحمد (٨/ ١٣٥)، وتاج العروس (١٢/ ٣٦٢).

﷽ «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا سعدان بن نصر، ثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة، عن أمها أم حبيبة، عن زينب، زوج النبي ﷺ، قالت: اسْتيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَوْمٍ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ـ وَحَلَّقَ حَلْقَةً بِأُصْبُعَيْهِ ـ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»»[1].

الشَّرح

هذا من الإخبارات التي أخبر بها الرسول ﷺ ووقعت، والظاهر أن هذا إشارةٌ إلى التتار، الذين جاءوا لإهلاك المسلمين، وقتلوا الخليفة وقتلوا العلماء، حتى قيل: إنهم قتلوا في بغداد ثلاثةَ ملايين، فكانت الشوارع تسيل بالدماء كأنها سيلٌ!

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

❁ «وقد روينا في كتاب «البعث» قصة الدجال ونزول عيسى ابن مريم ﵇، وخروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم، وقيام الساعة من حديث النواس بن سمعان وغيره».

الشَّرح

قوله: «يأجوج ومأجوج»: هم من نسل آدم ﵇، كما ثبت ذلك في «الصحيحين»، قال ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ [مِنْ ذُرِّيَّتِكَ]، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الوَاحِدُ؟ قَالَ: «**أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا**». **ثُمَّ قَالَ**: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ**» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ**»[1]، ففي هذا الحديث نصٌّ صريحٌ بأن يأجوج ومأجوج من بني آدم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢)، عن أبي سعيد الخدري ﵁.

❁ «حدثنا أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد رَحِمَهُ اللَّهُ، أنا حامد بن محمد الهروي، أنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو نعيم، ثنا فطر بن خليفة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبي»[(١)]».

الشَّرح

المقصود بهذا: «المهدي»، وهو من ذرية الحسن بن علي، يبعثه الله ﷻ في وقتِ خروج الدجال، ويُبايَع في مكة وهو غير راضٍ، ثم يتبعه المؤمنون ويقاتلون الدَّجال ومن تبعه ويقاتلونه، حتى ينزل عليهم عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وعن أبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كيفَ بِكُم إذا نزَلَ بِكُمُ ابنُ مَريمَ فأَمَّكُم** - أو قال: **إِمَامُكُمْ مِنْكُم**»[(٢)].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٣٥٧٣)، وأبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠)، وابن ماجه (٤٠٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٨٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ «وأخبرنا أبو عبد الرحمٰن السلمي، وأبو نصر عمر بن عبد العزيز بن قتادة، قالا: أنا يحيى بن منصور القاضي، ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو نعيم، ثنا فطر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب، عن النبي ﷺ قال: «لَو لَمْ يَبقَ مِنَ الدُّنيَا إِلَّا يَومٌ لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهلِ بَيتِي يَملَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَت جَورًا»[(١)].

﴿ وحدثنا فطر، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن علي رضي الله عنه قال فطر: أراه عن النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»[(٢)].

﴿ ورواه عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ وذكر فيه: «يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي»»[(٣)].

الشَّرح

قوله: «يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي»؛ أي: أن اسمه محمد بن عبد الله كاسم رسول الله ﷺ، وكذلك صفته تكون مثل صفة النبي ﷺ؛ لأنه من ذريته.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٧٧٣)، وأبو داود (٤٢٨٣)، والترمذي (٢٢٣٠، ٢٢٣١).
(٢) انظر: التخريج السابق.
(٣) أخرجه أحمد (٣٥٧١)، وأبو داود (٤٢٨٢).

﴿ «وأخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح المحاربي بالكوفة، أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم، ثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أنا سفيان، عن عوف، عن أنس بن سيرين، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود قال: مَضَتِ الْآيَاتُ غَيْرَ أَرْبَعٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَالدَّابَّةُ، وَيَأْجُوجُ، وَمَأْجُوجُ، قَالَ: وَبِهَا يُخْتَمُ الْأَعْمَالُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨][(١)]، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني به: الآيات الكبارَ».

الشرح

قوله: «وَبِهَا يُخْتَمُ الْأَعْمَالُ»؛ أي: أنها لا تُقبَل الزيادة في الأعمال، ولا يُقبَل الإيمان؛ لأن الأخبار صارت مشاهدة.

* * *

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٣٧).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن إبراهيم الحافظ، ثنا إبراهيم بن الحسين، ثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ثنا شعيب بن أبي حمزة، حدثني أبو الزناد، عن عبد الرحمٰن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: يعني يقول الله ﷻ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: «لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي»، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: «اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا»، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»»(١).

الشَّرح

يعني: أنَّ ابن آدم كفورٌ جهولٌ ظلومٌ، فيصف ربَّ العالمين بما يصف به الناقصَ المخلوقَ، فيقول: «له ولدٌ» تعالى الله وتقدس عن ذلك، وكذلك يكذب رب العالمين وهو على كل شيء قدير، وهو يعلم أنه وُجِدَ من ماء مهين، فالذي أوجده من نطفةٍ قادرٌ أن يعيدَه كما كان، وهو على كل شيء قدير ﷻ.

والمقصود: الإيمان بالبعث، والإيمان بالإعادة، وكذلك الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ﷺ مما سيكون، كذلك عبادة الله وحدَه، واعتقادُ أنه أحدٌ صمدٌ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]، والصمد: هو الغني بذاته عن كل ما سواه، والذي لا غنى لأحد عنه فلا وجود لشيء بدونه ـ تعالى الله وتقدس ـ.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٤).

۞ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني (ح).

۞ وأخبرنا الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، أنا أبو بكر بن محمد بن يزداد الجوسقاني، ثنا أبو عبد الله محمد بن العباس المؤدب، قالا: ثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، أنا يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين العقيلي، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى؟ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِهِ؟ قَالَ: «أَمَا مَرَرْتَ بِوَادٍ لَكَ مَحْلًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَحْلًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ»[1].

۞ لفْظُ حَدِيثِ الْمُؤَدِّبِ، وفي رواية الصغاني: «بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلًا»، وَلَمْ يَقُلْ: «يَهْتَزُّ».

۞ قال الشيخ: وقد ورد ذلك في كتاب الله ﷻ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: ٥، ٦]، وآيات القرآن في الإعادة كثيرة».

---

(١) أخرجه أحمد (١٦١٩٢)، وأبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠)، والحاكم (٤/ ٥٦٠)، والمصنف في «الأسماء والصفات» (١٠٦٩، ١٠٧٠).

الشَّرح

قوله: «أَمَا مَرَرْتَ بِوَادٍ لَكَ مَحْلًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَحْلًا، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِرًا؟» قَالَ: بَلَى...».

المعنى: أن إمكان البعث ظاهرٌ، وقد بيَّن ذلك ﷺ أنه كإحياء الأرض، فالأرض تكون ميتةً هامدةً، فإذا نزل عليها الماء ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾؛ أي: ثار النبات منها وارتفع واخضرَّ، وصار يهتز بالزهور، والأوراق، والنبات المختلف ألوانُه وروائحه، وغير ذلك، مع أنَّ الماء واحدٌ والترابَ واحدٌ، فهذا دليلٌ على البعث؛ ولهذا لما ذكر ذلك، قال: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣]، فهو مثله تمامًا.



باب الإيمان بعذاب القبر
نعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار

«قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت: ٣٠] وما بعدها في الآية، قال مجاهد: ذاك عند الموت، وقال في الكفار: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠]؛ أي: ويقولون لهم هذا تعريفًا إياهم أنهم يقدمون على عذاب الحريق، وقال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣]، فدلت الآيتان على أن الكفار يعنف عليهم في نزع أرواحهم، وأنهم يخبرون بما هم قادمون عليه من العذاب الهون خلاف المؤمنين الذين يؤمنون ويبشرون بالجنة التي كانوا يوعدون، وقال في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦] وحديث ابن عمر رضي الله عنه في معناه قد مضى ذكره في الباب قبله، وقال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».

الشَّرْح

في هذا الإيمانُ بعذاب القبر ونعيمِه، وهو من الأمور الغيبية، والقبر فيه حياةٌ في الواقع، وليس الموت معناه أنه عدمٌ، وإنما هو مفارقة الروح للبدن، ثم الروح إما أن تُنعَّم وإما أن تُعذَّب.

والصحيح عند أهل السُّنَّة: أنَّ العذاب عذابُ الرُّوح والبدن كلاهما، وإن كان البدن سيُصبِح ترابًا، ولكن ذرَّات التراب هذه تَأْلَم وتُنَعَّم، ولكن هي تبعٌ للرُّوح، والرُّوحُ لا تموتُ بل تبقى حيَّة، ثم مبدأ هذا عند الموت كما ذكر في الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢]، وهذا يقولونه له قبل أن تخرُجَ روحه، وهو على فراش الموت، فيُبشَّر إما بالجنة وإما بالنار، والملائكة تُعذِّبه وتضرب وجهه ودُبُرَه، وتقول له: أخرِجْ نفسَك، اليومَ تُجزَى عذاب الهون؛ ولهذا يشتدُّ الكربُ على الكافر، وذلك بخلاف المؤمن، فإنه يموت موتة سريعة سهلة ليست كموت الكافرين، فهذا يُشاهَد الآن ويُرَى؛ وهذا من الأمور التي يجب أن يُؤمَن بها؛ كون الملائكة تتولى قبض الأرواح وتتولَّى بشارة المؤمنين، وكذلك عذاب الكافرين قبل أن يموتوا، ثم إذا ذهبوا إلى القبور يزيد الأمر شِدَّة، فأشدُّ ما يلاقي المؤمنُ الموتُ، وما بعده أسهل منه، وأسهلُ ما يلاقي الكافرُ الموتُ، وما بعده أشدُّ منه.

ثم إثبات عذاب القبر، كما قال ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦]؛

هذا العرض في الدُّنيا يعرضون عليها؛ أي: يُعذَّبون بها، وستأتي الأحاديث أنه يفتح به باب إلى النار وباب إلى الجنة، وأنه يأتيه من عذاب هذه، ومن نَعِيمِ هذه.

* * *

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر أحمد بن سلمان الفقيه، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا الحوضي، ثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ قال: «الْمُؤْمِنُ إِذَا شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَعَرَفَ مُحَمَّدًا فِي قَبْرِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»»[١].

الشرح

الشاهد: أن في القبر أسئلة ثلاثة في شكل امتحان، والأسئلة تكون عن أمورٍ ثلاثة: عن المعبود، وعن العبادة، وعمَّن جاء بالعبادة، فمن كان على يقينٍ من هذا في دنياه ثبَّته الله ﷻ في القبر، ومن كان متردِّدًا شاكًّا فإنه يكون كذلك في قبره، ويتلعثم ولا يستطيع أن يجيب، فالإنسان على ما كان عليه في دنياه.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

﴿ «وأخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، أنا أبو الوليد الطيالسي، ثنا شعبة، فذكره غير أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ فَشَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ. . .»، فَذَكَرَهُ[١].

﴿ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو الحسن علي بن محمد المصري، ثنا مالك بن يحيى أبو غسان، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، أنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ؛ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا الرَّجُلُ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي، فَيَقُولُونَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، قَالَ: عَمَّ تَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي فِيكُمْ، وَبِمَاذَا تَشْهَدُ

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ ﷻ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ قَبْرُهُ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ وَيُعَادُ الْجَسَدُ كَمَا بُدِئَ، وَيُجْعَلُ نَسَمَةً مِنَ النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَائِرٌ تَعَلَّقَ فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ»»[1].

الشَّرح

جاء في الحديث: أن في القبر حياة، وفيه نعيم، وفيه عذاب، وأنَّ الناس فيه مختلفون في جزائهم على حسب أعمالهم التي عملوها في الدُّنيا.

وجاء فيه: أنَّ نسمة المؤمن - وهي روحه - تكون طائرًا يتعلَّق بشجر الجنَّة، هذا لكلِّ مؤمنٍ، ومع ذلك لها صلةٌ في القبرِ.

ويكون القبر أيضًا دارًا مُوسَّعةً، عليه تَنُّورٌ وتُفسَح له، وبعضهم تُضَيَّق عليه حتى تختلف أضلاعُه فيها.

كلُّ هذا غيرُ مشاهَدٍ؛ لأنها أمورٌ غيبية، كُلِّفْنا بالإيمان بها، ولو فتحنا القبور ما رأينا شيئًا من ذلك، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ««**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن ماجه (٤٢٦٨).

الْقَبْرِ»[١]، فعذاب القبر شديد، ولو رآه الناس ما قَرُبُوا المقبرة وفَرُّوا!

فالمقصود: أنَّ عذاب القبر ثابتٌ في الكتاب والسُّنَّة، وبإجماع أهل السُّنَّة، والإيمان به متعين يجب أن يتعيَّن، والإنسان سيعيشه، سواء كان مؤمنًا أو غير مؤمن.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه.

﴿﴾ «قال محمد: وسمعت عمر بن الحكم بن ثوبان قال: فَيَنَامُ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ، ثم عاد إلى حديث أبي هريرة قال: «وَهُوَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَسَارِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتُكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، أَيُّ رَجُلٍ هُوَ؟ وَمَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الَّذِي فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لَاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا أَوْعَدَ اللهُ لَكَ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ كَانَ مَقْعَدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ». قال أبو هريرة: فذلك قول الله ﷻ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤][١].

﴿﴾ ورواه سعيد بن عامر، عن محمد بن عمرو، وزاد فيه في

(١) تقدم تخريجه.

المؤمن: «ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ النَّارِ فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ لَوْ عَصَيْتَ فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا»»(١).

الشَّرح

فتح الباب إلى النار، وفتح الباب إلى الجنة، هذا إما من النعيم، أو من العذاب، إن كان مؤمنًا فيرى أنَّ الله أنجاه من هذه النار التي يشاهدها، فيُسر بذلك ويغتبط، ويكون ذلك نعيمًا له، وهو من أكبر النعيم، بل هو مبدأ النعيم الأكبر، وإذا كان بخلاف ذلك فإنه يُرَى مقعده من الجنة لو آمن بالله، ولكنه كفر بالله، فيقال له: انظر إلى مكانك من النار فيتحسَّر ويتألَّم زيادةً على ما عنده من الحسرات والعذاب، فهو عذابٌ ونعيمٌ، نسأل الله العافية.

ولهذا يجب أن يؤمن به كما أخبر به الرسول ﷺ، وهو على ظاهره، ولا يجوز المراوغة فيه كما يفعل أهل الباطل بتأويلاتهم الباطلة.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»، **قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾»(٢)، قوله: «**من ربك؟**»: يعني: من إلٰهك ومعبودك؟ لأن الربَّ يأتي بمعنى المعبود المألوه، كما في هذا الحديث وغيره.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) من طريق سعيد بن عامر، وهنادي بن السري في «الزهد» (٣٣٨)، من طريق عبدة بن سليمان، ورواه الحاكم (١/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٣٠)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ١٤٣)، والمصنف في «عذاب القبر» (٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧١).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني سليمان بن محمد بن ناجية، ثنا محمد بن إسحاق بن راهويه، ثنا علي بن عبد الله، ثنا مفضل بن صالح، عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي سهل، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا عُمَرُ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْبَعٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي ذِرَاعَيْنِ فَرَأَيْتَ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ؟ قَالَ: فَتَّانَا الْقَبْرِ، أَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، مَعَهُمَا مِرْزَبَّةٌ، لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ مِنًى مَا اسْتَطَاعُوا رَفْعَهَا، هِيَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمَا مِنْ عَصَايَ هَذِهِ، فَامْتَحَنَاكَ، فَإِنْ تَعَايَيْتَ أَوْ تَلَوَّيْتَ ضَرَبَاكَ بِهَا ضَرْبَةً تَصِيرُ بِهَا رَمَادًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنِّي عَلَى حَالَتِي هَذِهِ، قَالَ: نَعَمْ، أَرْجُو أَكْفِيكَهُمَا»[(١)]، غريب بهذا الإسناد تفرد به مُفَضَّل هذا، وقد رويناه من وجه آخر، عن ابن عباس ومن وجه آخر صحيح، عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلًا في قصة عمر، وقال: «ثَلَاثَةُ أَذْرُعٍ وَشِبْرٍ فِي عَرْضِ ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ» وَلَمْ يَذْكُرِ الْمِرْزَبَّةَ.

ﷺ وروينا في حديث البراء بن عازب، عن النبي ﷺ في قصة عذاب القبر قال: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ»»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود في «البعث» (٧)، والمصنف في «إثبات عذاب القبر» (١٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي في «الكبرى» (٢١٢٨)، وابن ماجه (١٥٤٨، ١٥٤٩)، والصنف في «شعب الإيمان» (٣٩٥)، وفي «عذاب القبر» (٢٧).

الشَّرح

في هذا الحديث: أن الملكين يسمَّى أحدُهُما (منكرًا) والآخرُ (نكيرًا)، وأنهما كلفا بسؤال المقبور، والظاهر أنَّ كلَّ ميتٍ يُسأل، والأسئلة في هذه محدَّدة: عن الله المعبود، وعن الدِّين، وعن الرسول.

في هذا الحديث أيضًا: أنَّ القبر يكون واسعًا ويكون ضيقًا، ويكون فيه نعيمٌ ونورٌ، وقد يكون فيه ظلمةٌ ونارٌ تلتهب على صاحبه، فإذًا القبر من منازل الآخرة، وهو لا يخلو إما أن يكون صاحبُه معذَّبًا أو أن يكون مُنعَّمًا.

وأنه أيضًا يكون على حالته التي خرج بها من الدُّنيا، إن كان مؤمنًا في الدنيا يكون كذلك، وإن كان مرتابًا متردِّدًا شاكًّا كان كذلك، وإن كان مقلِّدًا يكون كذلك، يقول: سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقلتُه.



ﷺ «قال الشيخ: وإعادة الروح في جزء واحد، وسؤال جزء واحد وتعذيب جزء واحد مما يجوز في العقل وليس في تفرق الأجزاء استحالة ما وردت به الأخبار في عذاب القبر، وهو كما شاء الله ولمن شاء الله، وإلى ما شاء الله نعوذ بالله من عذاب الله.

ﷺ والأخبار في عذاب القبر كثيرة، وقد أفردنا لها كتابًا مشتملًا على ما ورد فيها من الكتاب والسُّنَّة والآثار، وقد استعاذ منه رسول الله ﷺ وأمر أمته بالاستعاذة منه.

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا هاشم بن القاسم، أخبرنا شعبة، عن الأشعث يعني: ابن سليم ـ، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة: أَنَّ يَهُودِيَّةً، دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَذَكَرَتْ لَهَا عَذَابَ الْقَبْرِ فَقَالَتْ: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ»، قالت عائشة: «فَمَا سَمِعْتُهُ يُصَلِّي صَلَاةً بَعْدُ إِلَّا تَعَوَّذَ فِيهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[(١)].

ﷺ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا إبراهيم بن هانئ النيسابوري، حدثنا أبو المغيرة، ومحمد بن كثير جميعًا، عن الأوزاعي، عن حسان ـ يعني: ابن عطية ـ، عن محمد ـ يعني: ابن أبي عائشة ـ، عن أبي هريرة

(١) أصل الحديث في البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ صَلَاتِهِ فَلْيَدْعُ بِأَرْبَعٍ، ثُمَّ لِيَدْعُ بِمَا شَاءَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١).

ﷺ وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، أنا روح، حدثنا مالك، عن أبي الزبير، عن طاوس، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»(٢).

ﷺ قال الشيخ: قرأت في كتاب الفقيه أبي منصور الحمشاذي فيما ذكر سماعه من أبي الحسن محمد بن إسحاق، عن أبي موسى عمران بن موسى المجاشعي، قال: قال أبو نعيم: حدثنا الربيع، قال: قال الشافعي: إِنَّ مَشِيئَةَ الْعِبَادِ هِيَ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ أَعْمَالَ النَّاسِ خَلْقٌ مِنَ اللهِ فِعْلٌ لِلْعِبَادِ، وَإِنَّ الْقَدَرَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ مِنَ اللهِ ﷻ، وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ وَمُسَاءَلَةَ أَهْلِ الْقُبُورِ حَقٌّ، وَالْبَعْثَ وَالْحِسَابَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، مِمَّا جَاءَتْ بِهِ السُّنَنُ وَظَهَرَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعُلَمَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ـ حَقٌّ».

---

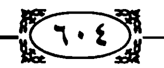
(١) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩٠).

الشَّرْح

الشاهدُ: أنَّ هذه الأمور من العقائد التي يجب أن تَثْبُتَ عند الإنسان على حسب ما وردت الأدلة بها.





باب الاعتصام بالسُّنَّة واجتناب البدعة

۞ «قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَقَالَ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا الربيع، أنا الشافعي، قال: سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَرْضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ يَقُولُ: الْحِكْمَةُ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

۞ قال الشيخ: قد رويناه عن الحسن البصري، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير.

۞ وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [النساء: ٥٩]، قال الشافعي: يَعْنِي: إِنِ اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، يَعْنِي - وَاللهُ أَعْلَمُ -: إِلَى مَا قال اللهُ وَالرَّسُولُ.

۞ وروينا عن ميمون بن مهران أنه قال في هذه الآية: الرَّدُّ إِلَى اللهِ؛ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ؛ إِذَا قُبِضَ إِلَى سُنَّتِهِ».

۞ الشَّرح ۞

قوله: «باب الاعتصام بالسُّنَّة واجتناب البدعة»: وهذا من الواجب على المسلم، والاعتصام هو الاحتماء، والعاصم هو الحِصْن، وكذلك الجبل يسمَّى عاصمًا.

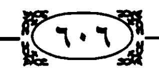
ومعنى ذلك: أنَّ العبد يجب أن يحتمي بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ويستغني بهما عن كل الأمور التي يقولها الناس أو يفعلونها، وهذا أمرٌ واجب لا بُدَّ منه.

قال: «وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ [النساء: ٥٩]، **قال الشافعي: يَعْنِي: إِنِ اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، يَعْنِي - وَاللهُ أَعْلَمُ -: إِلَى مَا قال اللهُ وَالرَّسُولُ**» يعني: أنَّ الردَّ إلى الله ﷻ هو الردُّ إلى كتابه، والردَّ إلى رسوله هو الردُّ إلى سُنَّته ﷺ لمَّا توفاه الله، وقبل ذلك حين كان حيًّا يجب أن يُردَّ إليه، وهذا مقتضى الإيمان، ومن لم يفعل ذلك فقد نُفي عنه الإيمان.

ولهذا جُعِل ذلك شرطًا للإيمان، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

قوله: «**وروينا عن ميمون بن مهران أنه قال في هذه الآية: الرَّدُّ إِلَى اللهِ؛ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ؛ إِذَا قُبِضَ إِلَى سُنَّتِهِ**»: وهذا أمرٌ مشهورٌ بين العلماء.

* * *



۞ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا العباس بن الفضل الأسفاطي، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، (ح).

۞ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، ثنا جدي، حدثنا ابن أبي أويس، قال: حدثني أبي، عن ثور بن زيد الديلي، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ خطب في حجة الوداع، فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاقَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا وَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1].

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثني أبو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله بن معمر، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ،

---

(١) أخرجه الحاكم (٣١٨)، وأصل الحديث في البخاري (١٧٣٩، ٦٧٨٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (١٦٧٩)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاه»[(١)].

ﷺ أخبرنا أبو علي الروذباري، أخبرنا أبو بكر بن داسة، حدثنا أبو داود، نا محمد بن الصباح، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه سعد بن إبراهيم، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[(٢)].

ﷺ وروينا في الحديث الثابت، عن جابر بن عبد الله قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»»[(٣)].

الشَّرح

وقوله: **«عن ابن عباس أنَّ الرسول ﷺ خطَبَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، فقالَ: «إنَّ الشَّيطَانَ قَد يَئِسَ أنْ يُعْبَدَ بِأَرضِكُمْ...»»**؛ أي: جزيرة العرب.

والمقصود: أن إبليس قد يئس أن تعود جزيرةُ العرب على ما كانت عليه من عبادة الأوثان والأصنام وغيرها، ولكنه يرضى بما يقع من أهلها، أنه يُسوِّل لهم، ويحرِّش بينهم، ويوجِد الفتنَ وغير ذلك، ولا يزال على هذا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧).

قوله: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»، ـ هذا الشاهد ـ و«كتَابَ اللهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ» كلاهما وحيٌ من الله ﷻ، ثم هذا التمسُّك بكتاب الله، يجب أن يتمسك به مع فَهْمِ المراد من قول الله ﷻ، وقول رسوله ﷺ، فيكون الحرص على مراد الله ومراد رسوله، هو محل اهتمام المسلم، حتى لا ينحرف أو يزيغ عن كتاب الله وسُنَّة رسوله؛ لأنَّ كثيرًا من أهل البدع يزعم أنه يتمسَّك بكتاب الله، وهو بعيدٌ عنه كلَّ البعد؛ لأنَّ كتاب الله ﷻ فيه المجملُ وفيه المفصَّل، وفيه العامُّ وفيه الخاصُّ؛ وغير ذلك، وقد أخبر ﷻ أن في الكتاب آياتٍ محكماتٍ وفيه أُخَرَ متشابهاتٍ، فمن كان في قلبه زيغ يتبع المتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، والتأويل يكون تحريفًا.

قوله: «عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»»: هذا ميزانٌ يجب أن يكون لكلِّ عملٍ يوزن، هل هو موافقٌ لما جاء به الرسول؟ وإلا يكون مردودًا، كما أن حديث عمر ﵁: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»**[1] ميزانٌ للمقاصد والنيات والإيرادات، فكلُّ مقصدٍ وإرادةٍ لا يُرادُ بها وجهُ الله فهي مردودة وباطلة.

قوله: «كان رسول الله ﷺ في خطبته... وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»:

البِدَع هي الدِّين الجديدُ الذي يُؤتَى به من غير الوحي، وكلُّ عملٍ جاء مخالفًا لكتاب الله وما جاء به الرسول فهو بدعةٍ مُضِلَّة، وهي تهدي إلى النار.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

﴿ «أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا حبان بن موسى، حدثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، فَذَكَرَهُ.

﴿ أنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمٰن بن عمرو، عن العرباض بن سارية، قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُودع فَأَوْصِنَا، قال: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»»[١].

الشَّرح

قوله: «فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ»: الوجل: هو الخوف؛ أي: خافت، وكذلك إذا وَجِلَ القلب تأثرت الجوارح الأخرى؛ من العين وسائر البدن؛ ولهذا **قال: «وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ،**

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢).

فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُودع»؛ لأنها بليغة وجامعة «**فأَوْصِنا**».

قوله: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ** ﷻ» هذه كلمة جامعة، تقوى الله هي أن تجعل بينك وبين المخُوفِ واقيًا، وهذا لا يكون إلا بطاعة الله واجتناب نهْيِه.

قوله: «**وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ...**»؛ يعني: السمع والطاعة لولي أمركم الذي يتولى عليكم، وإن كان ناقصًا على ما يعتقدون؛ لأنهم كانوا يأنفون من طاعة الغير، ولا سِيَّما طاعة من كان نسبه وضيعًا عندهم؛ فلهذا قال: وإن كان «**عبدًا**» مملوكًا، وعن أنس بن مالك ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[(١)]، وقوله: «**حَبَشِيّ**» فيه المبالغة، وإلا فمعلومٌ أنَّ الرقَّ والعبودية لا تكون إلا للكافر؛ لأنَّ أصلها إذا قاتل المسلمون الكفار واستولوا عليهم استعبدوهم؛ ولهذا إذا لم يوجد الجهاد فلا وجود للعبودية، الخلق كلهم سواء.

قوله: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»: فيه حضٌّ وأمرٌ بالتمسُّك بها، وسُنَّتُه ﷺ هي أقواله، وأفعاله، وتقريراته، التي يُقِرُّها، وهي محفوظةٌ حفظها الله ﷻ بالاعتناء بها، فهذا هو الاعتصام.

قوله: «**وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**»: والخلفاء الراشدون محدَّدون، عُيِّنُوا بذواتهم، فهم الأربعة الذين صاروا خلفاء لرسول الله ﷺ، ثم بعد ذلك صار الأمر مُلْكًا، وقد يكون مُلْكًا عَضُوضًا، كما أخبر ﵇، ثم يخبر ﷺ أنه ستكون فتنٌ واختلافاتٌ عظيمةٌ، فوقع كما أخبر ﷺ به، فهذا من علامات نبوته.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

﷽ «وأخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أخبرنا أبو بكر بن داسة، حدثنا أبو داود، حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»»[(١)].

الشَّرْح

قوله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أجرِ مَنِ اهتدى بذلك الهدى، وكذلك من دعا إلى ضلالة فعليه من الوزر، مثل أوزار من اتبعه من غير ما ينقص من أوزارهم شيئًا»، وكذلك المهتدي.

هذا الحديث فيه أيضًا أنَّ الدعوة إلى الله ﷻ يجب أن تكون بكتاب الله وبسُنَّة رسوله ﷺ، ويكون الإنسان مغتبطًا في مثل هذا، ولا يقصر الاهتداء على نفسِه، بل يقتفي سُنَّة الرسول ﷺ؛ لأنَّ الرسول ﷺ هو الدَّاعي إلى الهدى.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب، ثنا سعيد بن مسعود، حدثنا النضر بن شميل، أخبرنا شعبة بن الحجاج، حدثنا عون بن أبي جحيفة قال: سمعت المنذر بن جرير بن عبد الله، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

الشَّرح

قوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا...»: ليس معنى هذا أنه يؤتى بشيءٍ جديدٍ يُسَنُّ في الإسلام، وسبب هذا الحديث أنه أتاه قومٌ محتاجون، ليس عليهم ثياب، والفقر والحاجة باديان عليهم، فقام وحثَّ على الصدقة، فجاء إنسانٌ بملء كفه، فتتابع الناس عليه، قوله: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً...**»، يعني: سُنَّة موافقة للكتاب والسُّنَّة، وليس سُنَّةً مبتدعةً، وإذا توبع الإنسان على الخير فيكون له من الأجر مثل أجور من تبعه، وكذلك العكس.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧).

ﷺ «أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، ثنا أحمد بن الهيثم الشعراني، ثنا ابن أبي أويس (ح).

ﷺ وأخبرنا أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبيد الله بن عبد الله الحرفي، ببغداد، ثنا أحمد بن سليمان الفقيه، ثنا إسماعيل بن إسحاق، ثنا ابن أبي أويس، قال: حدثني كثير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ. وفي رواية الحرفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِ النَّاسِ شَيْئًا، وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً لَا يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ إِثْمُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِ النَّاسِ شَيْئًا»»[1].

الشَّرح

يعني: هذا أمرٌ آخَرُ، من إحياء سُنَّةٍ ماتتْ وتُرِكتْ، فإذا عمل بها الإنسان واقتُدِي به فله هذا الأجرُ، وكذلك الذي يعمل على إماتة السُّنَّة، فله من الوزر مثل أوزار الذين يتَّبعونه إلى يوم القيامة.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٢١٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٦٠)، وعبد بن حميد (٢٨٩).

﴿ «أخبرنا أبو سعيد يحيى بن محمد بن يحيى الإسفراييني، أنا أبو بحر البربهاري، حدثنا بشر بن موسى، ثنا الحميدي، ثنا يزيد بن هارون، أنا العوام بن حوشب، ثنا القاسم بن عوف الشيباني، عن رجل، حدثه أنه، أتى أبا ذر بمنى فسمعه يقول: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَّا نُغْلَبَ عَلَى أَنْ نَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَنُعَلِّمَ النَّاسَ السُّنَنَ»[(١)].

﴿ قال الشيخ: وإذا لزم اتباع رسول الله ﷺ فيما سنَّ وكان لزومه فرضًا باقيًا فلا سبيل إلى اتباع سُنتَّه إلا بعد معرفتها ولا سبيل لنا إلى معرفتها إلا بقبول خبر الصادق عنه لزم قبوله ليمكننا متابعته، ولذلك أمر بتعليمها والدعاء إليها وبالله التوفيق».

الشَّرح

يعني: هذا أمرٌ واضحٌ، أنه لا يمكن اتباع الشيء إلا بعد معرفته.

معنى ذلك: أنه يجب أن تُعرَف سُنَّة الرسول ﷺ ويُتأَكَّد منها، فتتبع وتُنشَر بين النَّاس، وتعلم ويعمل بها.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢١٤٦٠).

﴿ «أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر الرزاز، ثنا محمد بن عبيد الله بن المنادي، ثنا وهب بن جرير، ثنا شعبة، عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا»[(١)]، رواه أبو عبد الرحمن السلمي مختصرًا قال: قال عبد الله: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»»[(٢)].

الشَّرْح

هذا الكلام من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، وهو مأخوذٌ من كتاب الله، ومن سُنَّة رسوله ﷺ.

قوله: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ»؛ يعني: أنَّ الشرع كَمُل، وجاء بها المصطفى ﷺ مبيَّنًا واضحًا، فعليكم اتباعه والعمل به.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٢٧٧).
(٢) أخرجه الدارمي (٢١١).

❁ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السياري، بمرو، ثنا أبو الموجه الفزاري، حدثنا يوسف بن عيسى، ثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، حدثني أبو سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَفرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[(١)]، وروي معناه في حديث معاوية وغيره.

❁ وقد ذكرنا في كتاب «المدخل» وغيره أن الخلاف المذموم ما خولف فيه كتاب أو سُنَّة صحيحة أو إجماع، أو ما في معنى واحد من هؤلاء، وذلك كخلاف من خالف أهل السُّنَّة فيما أشرنا إليه في هذا الكتاب، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

❁ وقد جاء الكتاب ثم السُّنَّة ثم إجماع الصحابة بإثبات ما أثبتناه من صفات الله ﷻ ورؤيته وشفاعة نبيّه ﷺ وغير ذلك، فمن نفاه واختلف فيه كان ذلك اختلافًا بعد مجيء البيّنة، ورد من رد ما ورد فيه من السُّنَّة الثابتة جهالة منه بلزومه اتباع ما بلغه منه، وتأويل من تأول ما ورد فيه من الكتاب غير سائغ في الشريعة، فلا وجه لترك الظاهر إلا بمثله أو بما هو أقوى منه، والله يعصمنا من ذلك برحمته.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٦)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١).

ﷺ ويشبه أن يكون اختلاف هؤلاء وأمثالهم أريد بما روينا في حديث أبي هريرة، والذي يؤكده ما روي في حديث معاوية في هذا الحديث أنه قال: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»(١).

ﷺ وفي حديث عمرو بن عوف: «إِلَّا وَاحِدَةً: الْإِسْلَامُ وَجَمَاعَتُهُمْ»(٢)، وفي حديث عبد الله بن عمرو: «إِلَّا وَاحِدَةً: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٣).

ﷺ وإنما اجتمع أصحابه على مسائل الأصول فإنه لم يرو عن واحد منهم خلاف ما أشرنا إليه في هذا الكتاب، فأما مسائل الفروع فما ليس فيه نص كتاب ولا نص سُنَّة فقد اجتمعوا على بعضه واختلفوا في بعضه، فما أجمعوا عليه ليس لأحد مخالفتهم فيه، وما اختلفوا فيه فصاحب الشرع هو الذي سوغ لهم هذا النوع من الاختلاف حيث أمرهم بالاستنباط وبالاجتهاد مع علمه بأن ذلك يختلف.

ﷺ وجعل للمصيب منهم أجرين وللمخطئ منهم أجرًا واحدًا، وذلك على ما يحتمل من الاجتهاد، ورفع عنه ما أخطأ فيه».

الشَّرح

قوله ﷺ: «تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»: زادت على اليهود فرقةٌ واحدةٌ، هؤلاء الذين اتبعوا موسى واتبعوا عيسى افترقوا هذا الافتراق.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٠٨)، وابن ماجه (٣٩٩٣).
(٢) أخرجه الحاكم (١٠)، والطبراني في «الكبير» (٣).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١).

قوله: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي»؛ يعني: أَتْبَاعُ رسولِ الله ﷺ؛ لأنَّ المقصود بالأمة هنا أمة الإجابة، وليس أمة الدعوة، فهم يزيدون على من قبلهم فرقةً.

قوله: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»: وقد فَسَّر ﷺ ذلك بقوله: **«مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»**[(١)]، وهذا من نصوص الوعيد، ولا يلزم أن يكون هؤلاء خرجوا عن الدِّين وكفروا، ولكنَّهم متوعَّدون بأن يكونوا في النَّار بسبب افتراقهم وتَرْكِهم الاعتصامَ بالكتاب والسُّنَّة، فهذا هو المقصود بذلك.

قوله: «وَإِنَّمَا اجْتَمَعَ أَصْحَابُهُ عَلَى مَسَائِلِ الْأُصُولِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُرْوَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خِلَافُ مَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ»: إنَّ الاختلاف في أصول الدين أمرٌ لا يجوز، فكلُّ ما فيه نصٌّ يجب أن يُتَّبَعَ، وأن يفهم مراد الله ورسوله ﷺ منه.

قوله: «فأَمَّا مَسائِلُ الْفُرُوعِ فمَا لَيسَ فِيهِ نَصُّ كِتَابٍ ولا نَصُّ سُنَّةٍ، فَقدِ اجتَمَعُوا عَلَى بَعْضِهِ واخْتَلَفُوا فِي بَعضِهِ»: الحوادث التي تحدُث للناس فهي لا حصر لها، ولا بُدَّ أن تستنبط من كتاب الله وسُنَّة رسوله؛ لأنَّ كتاب الله ﷻ، جاء في كليَّات وأمورٍ جامعة، تحتها مفاهيمُ كثيرةٌ، فلا ضير على الإنسان إذا فهم شيئًا وخالف فيه نظيرَه، وهذا هو سبب الخلاف بين الأئمة، فالله يعطي الفهم من يشاء؛ ولهذا مثّل النَّبيّ ﷺ فقال: **«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا،**

---

(١) أخرجه الحاكم (٢١٨)، عن عبد الله بن عمرو، والطبراني في «المعجم الصغير» (٧٢٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»(١)، وتنطبق هذه الأمثلة على الآتي:

القسم الأول: مثل الفقهاء، الذين إذا عرفوا نصًّا من النصوص استنتجوا منه أحكامًا كثيرة.

القسم الثاني: مثل الحفَّاظ الذين يحفظون ما سمعوا من رسول الله ﷺ.

وكلاهما ـ يعني: الفقهاء والحفاظ ـ مُثنًّى عليه، ولكن الفقهاء أفضلُ؛ لأنهم مُثِّلوا بالأرض الطيبة، التي تقبل الماء وتُنبِت الكلأ.

أمَّا القسم الثالث: فهو الذي لا خير فيه.

وكذلك جاءت النصوص بأن المجتهد مثابٌ على اجتهاده، ولكن بشرط أن يكون أهلًا للاجتهاد، أمَّا من يجتهد وهو جاهلٌ فهو مخطئٌ على كلِّ حالٍ، أصاب أو لم يُصِبْ، فإذا كان أهلًا للاجتهاد واجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فخطَؤُه معفوٌّ عنه وله أجرٌ، وهو أجر اجتهاده.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)، عن أبي موسى رضي الله عنه.

ﷺ «أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أخبرنا أبو حامد بن الشرقي، ثنا محمد بن يحيى، وأبو الأزهر، وعبد الرحمٰن بن بشر، وأحمد بن يوسف، قالوا: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، فَإِنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[1].

ﷺ قال الشيخ: فهذا النوع من الاختلاف غير ما ذمَّ الله تعالى وذمَّه رسوله محمد ﷺ فيما روينا، وكان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجعل هؤلاء المختلفين في معنى المجتمعين حيث إن كل واحد منهم أدى ما كلف من الاجتهاد ولم يخالف كتابًا ولا سُنَّة قائمة بلغته ولا إجماعًا ولا قياسا صحيحًا عنده.

ﷺ إنما نظر في القياس فأداه إلى غير ما أدى إليه صاحبه، كما أداه التوجه إلى البيت بدلائل النجوم وغيرها إلى غير ما أدى إليه صاحبه، فكل واحد منهم يكون مؤديًا في الظاهر ما كلف ويرفع عنه إثم ما غاب عنه أو أخطأه من التأويل الصحيح أو السُّنَّة الصحيحة أو القياس الصحيح إذ لم يكلف علم الغيب، فمن سلك من فقهاء الأمصار سبيل الصحابة والتابعين فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه

(١) أخرجه الترمذي (١٣٢٦)، والنسائي (٥٣٨١)، والدارقطني (٤/ ٢٠٤)، والمصنف في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٩).

كانوا كالفرقة الواحدة وهي الفرقة الناجية التي أشار إليها رسول الله ﷺ.

❁ فكل منهم أخذ بوثيقة فيما يرى فيما تبع فيه من الكتاب أو السُّنَّة أو الإجماع وبالله التوفيق.

❁ وأما تخليد من عداهم من أهل البدع في النار فهو مبني على تكفيرهم فمن لم يكفرهم أجراهم بالخروج من النار بأصل الإيمان مجرى الفساق المسلمين، وحمل الخبر على تعذيبهم بالنار مدة من الزمان دون الأبد، واحتج في ترك القول بتكفيرهم بقوله ﷺ: «تفْتَرِقُ أُمَّتِي»، فجعل الجميع مع افتراقهم من أمته والله أعلم».

❁ الشَّرح ❁

هذا الكلام الذي ذكره أنَّ الاجتهاد يجب أن يكون بفَهْم النصوص، ولكن الفهم الصحيح هو الذي لا يُخرِج النصوص عن ظاهِرِها.

(والاجتهاد) وَقَع في زمن الصحابة ﷺ، قال ابن عُمَرَ ﷺ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ لنَا لمَّا رَجَعَ من الأحزَابِ: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ**» فأدْرَكَ بعضهم العصرُ في الطَّرِيق، فقال بعضهم: لا نُصَلِّي حتَّى نأْتِيَهَا، وقالَ بَعضهم: بل نُصلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذلك، فذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فلَمْ يُعَنِّفْ واحدًا مِنهُم»[1]، لم يُعنِّف رسول الله ﷺ طائفةً من الطائفتين؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ اجتهد في نصِّ قولِ الرسول ﷺ.

وهكذا الفقهاء بعد الصحابة رضوان الله عليهم، اجتهدوا آخذين بالنصوص واختلفوا فيها، فالخلاف هذا غير مذمومٍ، ليس هو هذا

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

الخلاف الذي تفترق وتختلف عليه الأمة؛ لأنه اختلافٌ في الفهم فقط، وليس تركًا للنُّصوص، وهم مجتهدون في هذا وهم مأجورون.

أمَّا التوعُّد للذين افترقوا، أنهم كلهم في النار، فجاء بأمرين:

أحدهما: يقول: إن هذا يدل على أنهم كفروا وتركوا دين الله، فهم في النار خالدين فيها، وهذا تأويل غير مُرْضٍ.

التأويل الثاني ـ هو الأقرب ـ: أنَّ هذا من نصوص الوعيد، التي يجوز أن تكون إلى الله، إن شاء نفَّذها فيهم، ويجوز أن يَعْفُوَ؛ لأنَّ هذا مثل أصحاب الكبائر وغيرهم، فهذا من كبائر الذنوب.





باب النهي عن مجالسة أهل البدع ومكالمتهم

﴿ «أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري، ثنا محمد بن عبد الوهاب، أخبرنا عبد الله بن يزيد المقرئ، ثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عطاء بن دينار الهذلي، عن حكيم بن شريك، عن يحيى بن ميمون الحضرمي، عن ربيعة الجرشي، عن أبي هريرة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»[(١)].

﴿ أخبرنا أبو علي الروذباري، أخبرنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا موسى بن إسماعيل، قال عبد العزيز بن أبي حازم: حدثني بمنى، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»[(٢)].

﴿ وروي من وجه آخر عن ابن عمر من قوله.

﴿ وروي عن حذيفة وجابر وأبي هريرة مرفوعًا.

﴿ وإنما سموا قدرية؛ لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم، ونفوه

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦)، وأبو داود (٤٧١٠)، والمصنف في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، والحاكم (١/ ٨٥)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٣٣٨)، والمصنف في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٣).

عن الله ﷻ، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة».

الشَّرح

في الحديث النهى عن مجالسة أهل البدع ومكالمتهم، فمجالسة الأجرب تجعل المُجالِسَ أجربًا، والغالب أنَّ مجالس صاحب السوء والضلال، أنه يُعدِي مَن جالَسَه، وهذا أمرٌ مجرَّبٌ؛ ولهذا يقول الشاعر[1]:

عَنِ المَرءِ لا تَسأَل وَسَل عَن قَرينَهُ فَكُلُّ قَرينٍ بِالمُقارِنِ يَقتَدي

وهذا من باب الاعتصام، كون الإنسان لا يجالس المبتدع ولا يكلمه، لا ينفي هذا المجادَلَة، والمجادلة تكون بالتي هي أحسن، حتى يرجع إلى الحق إذا كان يُطمَع في ذلك، والغالب أنَّ أهل البِدَع الذين توغَّلوا في البدع لا يرجعون، وهذا هو الذي يتوجَّه إليه النهي.

قوله: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»: والمجوس يعبدون إلٰهين؛ أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، وهم أيضًا يعبدون النار؛ لأنها عندهم هي أصل النور، فيقولون: النور هو الإلٰه الخَيِّر، والظلمة هي الإلٰه الشر، فيُضيفون الشرَّ إلى الظُّلمة، والخيرَ إلى النور، والمجوس قالوا: إنَّ لله خلقًا وللعبد خلقًا، فالعبد يخلق فِعْلَه.

والقدرية هكذا؛ يروى عن النبي ﷺ، أنه قال: «**القدرية هم**

---

(١) القائل هو: عدِيٌّ بن زيدٍ. ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٧).

مجوس هذه الأمة»[١].

وأكثَرُ الأحاديث في مثل هذا ضعيفةٌ، ولكن هذا شيءٌ معلومٌ؛ لأنَّ القدرية فرقة استُحدِثتْ بعدما توفَّى اللهُ رسولَه، في آخر عهد الصحابة.

والقدر معناه: نفي علم الله السابق، وكذلك كتابته للأشياء، فقالوا: «الأمر أُنُف»، أي: لا يُعلَم حتى يقع، وقد كفَّرهم الصحابة وتبرَّؤوا منهم.

واختُزِلَ من هؤلاء طائفةٌ، جعلت الإنسان لا قدرة له ولا اختيار؛ بل هو بمنزلة الآلة التي تُدَار، وسُمُّوا جبريةً، فكلا الطائفتين ضالٌّ.

والقدر: هو الإيمان بعلم الله الأزلي السابق، الذي سبق كلَّ شيء؛ لأنَّ صفات الله مع الله قديمةٌ أزليَّةٌ، ثم كتابته لكل شيءٍ قبل وجوده.

ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب مقادير الأشياء قبل خلق السماوات والأرض، بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**»[٢]، ثم مشيئته العامة الشاملة، التي لا يخرج عنها شيء، ثم كونه هو الخالق لكلِّ شيء وما سواه مخلوقٌ، هذا هو الإيمان بالقدر، هذه الأمور الأربعة هي أركان الإيمان بالقدر.

* * *

---

(١) قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (٢/ ٢٤٩ و٥٤٢): «كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها»... «وروي في ذم القدرية أحاديث أُخرُ كثيرةٌ تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفةٌ» اهـ.

(٢) تقدم تخريجه.

❁ «أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن إسماعيل الطابراني بها.

❁ أخبرنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الفقيه إملاء، ثنا هارون بن موسى، ثنا حميد بن زنجويه (ح).

❁ وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله البيهقي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين البيهقي، حدثنا داود بن الحسين البيهقي.

❁ حدثنا حميد بن زنجويه، ثنا حيوة بن شريح، ثنا بقية بن الوليد، عن أبي العلاء الدمشقي، عن محمد بن جحادة، عن يزيد بن حصين، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا وَفِي أُمَّتِهِ قَدَرِيَّةٌ وَمُرْجِئَةٌ يُشَوِّشُونَ عَلَيْهِ أَمْرَ أُمَّتِهِ، أَلَا وَإِنَّ اللهَ قَدْ لَعَنَ الْقَدَرِيَّةَ وَالْمُرْجِئَةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيًّا»[١].

❁ ورواه أيضًا سويد بن سعيد، عن شهاب بن خراش، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحو من معناه.

❁ أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الله، ثنا عمر بن حفص السدوسي، ثنا سويد، فَذَكَرَهُ»[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (١٨٠٢)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٣٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٣٢)، والخطيب في «موضع أوهام الجمع والتفريق» (٨/٢)، من طريق الطبراني.

(٢) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٣٥٨/١)، والآجري في «الشريعة» (٣٤٦، ٤٣١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٣٥).

الشَّرح

لا يصحُّ هذا الحديث[1]؛ لذلك لا يُستدلُّ به.

* * *

(١) قال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو لين، ويزيد بن حصن لم أعرفه». «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٤).

ﷺ «أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن إسماعيل الطوسي، ثنا أبو النضر الفقيه، ثنا أبو موسى هارون بن موسى بن كثير الزاهد، ثنا أبو عمر الضرير، وعلي بن سلمة، قالا: ثنا محمد بن بشر، عن علي بن نزار، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»[1].

ﷺ قال أبو عمر: سألت وكيعًا عن المرجئة، فقال: «الَّذِينَ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ».

ﷺ هذا يُعد في أفراد نزار بن حيان، عن عكرمة، وقد أخرجه أبو عيسى الترمذي في كتابه، عن محمد بن رافع، عن محمد بن بشر، عن سلام بن أبي عمرة، عن عكرمة».

الشَرح

هذا الحديث لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ، ولكنَّ ضلالَهم بيِّنٌ وواضحٌ، فهم خرجوا عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ بما قالوا.

المرجئة، والقدرية، والرافضة، والخوارج، هذه الأربع الفِرَقُ هي أصول أهل البدع كلِّهم، تفرَّقوا منها واختلفوا.

فحَضُّوا على مخالفتهم، وعدم مجالستهم وهجرهم؛ لأنَّ الإنسان إذا هُجِر مات أمرُه، ومات قوله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٩) «وقال: حديث حسن غريب»، وابن ماجه (٦٢). وضعفه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥٢).

وذلك بخلاف ما إذا صار يجادَل ويناظَر فإنه ينتشر، وليس كلُّ أحدٍ يفهم الحقَّ ويفهم الباطل، فقد يُلبَّسُ على بعض النَّاس، ومن هنا أمروا بهجرهم وعدم مكالمتهم، وكذلك مجالستهم؛ لئلَّا يعْلقُ في قلب الإنسان من شُبههم شيءٌ، فيكون بذلك أنه يفتتن، أو ينشغل بإخراجه من قلب.

* * *



﴿ «أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ»[1].

﴿ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا يعلى بن عبيد، ثنا سفيان - يعني: ابن دينار - قال: سمعت مصعب بن سعد، يقول: «لَا تُجَالِسُوا مَفْتُونًا فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ مِنْهُ إِحْدَى خَصْلَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتُتَابِعَهُ، أَوْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ»[2].

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني أبو زرعة الرازي، ثنا أحمد بن محمد الصابوني، قال: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: سمعت الشافعي، يقول: «الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقْسِي الْقَلْبَ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ»[3].

﴿ أخبرنا أبو عثمان بن سعيد بن محمد بن محمد بن عبدان قال: سمعت أبا العباس الأصم يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: «لَأَنْ يَلْقَى اللهُ الْعَبْدَ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا

---

(١) أخرجه الدارمي (٤٠٥)، والآجري في «الشريعة» (٣٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٢٤٣، ٢٤٤).

(٢) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٣٨٥)، والمصنف في «شعب الإيمان» (٩٠١٩).

(٣) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٨١٢٨).

الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى»»[١].



الشَّرح

قوله: «قال الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **«الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقْسِي الْقَلْبَ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ»»**؛ أي: أنَّ الجدال يورث الضغائن ويورث قسوة القلب، وهذا أمرٌ واقعٌ ومُجرَّب، فالمجادلة تُقسِي القلب، وكذلك تُورِث العداوات؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يريد أن يكون هو الغالب، فإذا غُلِب عاد مرة ثانية.

وقوله: «قال الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: **«لَأَنْ يَلْقَى اللهُ الْعَبْدَ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى»»**؛ أي: أَن يُبتلَى الإنسانُ بكلِّ ذنبٍ ما عدا الشركَ خيرٌ له من أن يُبتلَى بالأهواء، وفي رواية: «لَأَنْ يَلْقَى اللهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ»[٢]؛ لأنَّه الطريق إلى الضلال والإضلال، وضلَّ فيه قومٌ كثيرون وأضلوا، لهم فهومٌ وعلومٌ، ولكنهم حادوا عن الحقِّ بعيدًا، فهلكوا في ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه المصنف في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١١)، وابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» (ص٣٣٧).
(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٨٤٦).



باب ما على الوالي من مراعاة أمر الرعية

ﷺ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، حدثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن منصور، ثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي المليح، أن عبيد الله بن زياد، عاد معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَلَا يَنْصَحُ إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»(١).

ﷺ أنا أبو زكريا بن إسحاق، أنا أبو الحسن الطرائفي، ثنا عثمان بن سعيد، ثنا القعنبي فيما قرأ على مالك، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهَا وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩).

الشرح

الحديث فيه عموم ما يتوجَّب على المسلم، وكذلك الذي يتولَّى أمرًا من أمورِ المسلمين، يجب عليه أن يراعي المصلحة والحاجة، والنُّصْح لهم، «**وإِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ**»، وهذا ثبت في «صحيح البخاري» من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»[1]، هذا وعيدٌ عظيمٌ شديدٌ، ثم هذا يدخل فيه كلُّ من تولى شيئًا من الأمور، والأمور لا يخلو منها الإنسانُ حتى أمْرُ بيته وأولاده، فإنه راعٍ عليهم، كما في الحديث الثاني؛ ولهذا قال: «**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، فمن ضيَّع رعيته فإنه متوعدٌ بهذا؛ ولهذا يكون الأمر عامًّا لكل أحدٍ.

وتبدأ الرعاية من وليِّ الأمر حتى تنتهي إلى الزوجة والخادم، كلُّهم رعاةٌ يجب أن ينصحوا ويقوموا بالواجب، وهذا يقتضي أن يعرفوا الحقَّ، وإلا كيف يرعونه وهم لا يعرفوه؟!

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧١٥٠).



﴿ «وروى شهر بن حوشب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِتَقْوَى اللهِ، وَأُوصِيهُ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُعَظِّمَ كَبِيرَهُمْ، وَيَرْحَمَ صَغِيرَهُمْ، وَيُوَقِّرَ عَالِمَهُمْ، وَأَلَّا يَضْرِبَهُمْ فَيُذِلَّهُمْ وَلَا يُوحِشَهُمْ فَيُكَفِّرَهُمْ، وَأَلَّا يَخْصِيَهُمْ فَيَنْقَطِعَ نَسْلُهُمْ، وَأَلَّا يُغْلِقَ بَابَهُ دُونَهُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ»[1].

﴿ حدثنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا يزيد بن هارون، أخبرنا العوام بن حوشب، عن شهر بن حوشب فذكره.

﴿ وقد روي ما في هذا الحديث في أخبار متفرقة قد ذكرناها في غير هذا الموضع».

الشَّرح



يعني: هذا أيضًا من الأمور المفسِّرة للحقوق الواجبة على كل أحدٍ، وأنه يجب مراعاة الكبير والصغير وأداء الحقِّ إليهما، وإلا يكون متوعَّدًا بما ذُكِر.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٦٩٨٥)، وفي «السنن الكبرى» (٨/ ١٦١).

باب طاعة الولاة ولزوم الجماعة وإنكار المنكر بلسانه أو كراهيته بقلبه والصبر على ما يصيبه من سلطانه

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأحمد بن الحسين، ومحمد بن موسى، قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، والعباس بن محمد الدوري، قالا: حدثنا الحجاج بن محمد الأعور، قال: قال ابن جريج في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي بعثه النبي ﷺ في سرية، أخبرنيه يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس(١).

حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن إبراهيم بن بالويه، ثنا أحمد بن

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤)، واللفظ له.

يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِي الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»(١).

الشَّرْح

قــــول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]: أولو الأمر، هم الولاة الذين يتولَّون الأمر، وكذلك العلماء، فالعلماء يُبيِّنون والولاة ينفِّذون، وكلاهما يجِبُ أن يكون ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق؛ ولهذا قال: إن طاعة الولاة ولزوم الجماعة؛ أي: عدم الخروج عن الجماعة كما تخرج الخوارج وغيرهم، وإنكار المنكر باللسان إذا أمكن وإلا بالقلب، ولا يجوز أن يكون إنكار المنكر داعيًا للتفرُّق، فإنَّ هذا من المنكر.

قوله: «قال ابن جريج في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾...»: يقول: نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي؛ ذلك أنَّ الرسول أمَّره على سريَّة، فحثَّهم على طاعتِه.

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ ؓ، قال: بعَثَ رسُولُ الله ﷺ سريَّةً، واستعملَ عليهِم رجُلًا من الأنصارِ، قالَ: فلَمَّا خرجُوا، قالَ: وجَدَ عليهم في شيءٍ، قال: فقالَ لهم: أليسَ قدْ أمرَكُم رسولُ الله ﷺ أن تُطِيعُونِي؟ قال: قالُوا: بَلَى. قالَ: فقالَ: اجمَعُوا حطَبًا، ثمَّ دعَا بِنَارٍ فأضرَمَهَا فيهِ، ثمَّ قالَ: عَزَمْتُ عليكُم: لَتَدخُلُنَّهَا. قالَ: فهمَّ الْقَوْمُ أنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

يَدخُلُوها، قالَ: فقالَ لهُم شابٌّ مِنهُم: إنَّما فَرَرتُم إلى رسولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّارِ، فلا تَعجَلُوا حتَّى تلْقَوا النَّبِيَّ ﷺ، فإنْ أَمرَكُمْ أنْ تَدخُلوهَا فادْخُلُوهَا، قالَ: فرَجَعُوا إلى النَّبِيِّ ﷺ فأَخْبَرُوهُ، فقالَ لهُم: «**لو دخَلْتُمُوهَا ما خرَجْتُمْ مِنْهَا أبَدًا، إنَّمَا الطَّاعةُ في المَعرُوفِ**»[1]؛ أي: ليست في المعاصي، يعني: بالمعروف الذي جاء به الوحي، أما الطاعة المطلقة فلا تجوز؛ لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، حتى وإن كان الآمر هو الوالد أو الوالدة فلا يطاع في معصية الخالق ﷻ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٠)، وأحمد (٦٢٢)، واللفظ له.

ﷺ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أخبرنا أبو المثنى، ثنا مسدد، ثنا يحيى، عن عبيد الله، حدثني نافع، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(١).

ﷺ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أخبرنا أبو بكر بن داسة، حدثنا أبو داود، ثنا مسدد، وسليمان بن داود المعني، قالا: ثنا حماد بن زيد، عن المعلى بن زياد، وهشام بن حسان، عن الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة، زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ - قال مُسَدَّدٌ فِي حَدِيثِهِ: قال الْحَسَنُ، وَقال سُلَيْمَانُ: قال هِشَامٌ: بِلِسَانِهِ - فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَقْتُلُهُمْ؟ وَقال ابْنُ دَاوُدَ: أَفَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قال: «لَا، مَا صَلَّوْا»»(٢).

الشرح

يعني: في هذا يجب على الإنسان أن يصبر إذا ظُلم، ولا يخرج على الإمام، سواءٌ ظُلِم في نفسه، أو في ماله، أو في غير ذلك، فيصبر ويحتسب ويجعل أمره لله ﷻ ولا يكون سببًا للاختلاف، والخروج،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

والقتل، وسفك الدماء وغير ذلك، فإن هذا من أعظم الجرائم، فعليه السمع ويحتسب بذلك، يسمع ويطيع ويؤدي ما عليه، ويطلب ما له من الله وليس من الناس.

قال: «**وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»؛ أي: من رضي بأفعالهم وتابعهم فهو مثلهم ومعهم.

قال: «**فقِيلَ: يَا رسُولَ اللهِ، أفلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قال: لَا، مَا صَلَّوْا**»؛ يعني: ما داموا يُصلُّون فَهُمْ على الإسلام، وما داموا على الإسلام فلا يقاتَلُون.

* * *

﴿ «وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، ثنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا عثمان بن عمر الضبي، ثنا ابن حسان، ثنا حماد بن زيد، فذكره بإسناده نحوه إلا أنه قال: «فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم». قال الحسن: فمن أنكر بلسانه فقد برئ وقد ذهب زمان هذه ومن كره بقلبه فقد جاء زمان هذه.

﴿ ورواه هشام الدستوائي، عن قتادة، عن الحسن، ثم قال قتادة: يعني: مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَكَرِهَ بِقَلْبِهِ.

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا محمد بن بشار، ثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، ثنا الحسن، عن ضبة بن محصن، عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «سَيَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ بَعْدِي تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟، قال: «لَا مَا صَلَّوْا»، قال قتادة: يعني: مَنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَكَرِهَ بِقَلْبِهِ»»[1].

الشَّرح

هذا الحديث في إنكار المنكر، وهو على ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه، قول النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضعفُ**

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

الْإِيمَانِ»[١]، فإنكار المنكر بالقلب لا يسقط بحالٍ من الأحوال، وإنكاره بقلبه هو كراهَتُه وبغْضُه وعدمُ فعلِه، أمَّا اللسان فيبرأ به مِنَ التَّبَعة، ومعنى ذلك: أنه إذا كان مستطيعًا ولم يُنكِر، يكون بعدم إنكاره مشاركًا للفاعل، ولكن إذا كان إنكار المنكر يلزم منه ما هو أنكر منه وأعظم فلا يجوز إنكارُه؛ بل يكون الإنكار في القلب، فإنكار القلب هذا لا يسقط بحالٍ من الأحوال، وبعض الناس قد ينكر حقًّا؛ لأنَّه لا يعرف ذلك، فيكون على باطلٍ بإنكارِه وغير مثابٍ في ذلك.

* * *

(١) تقدم تخريجه.

۞ «أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، ثنا تمتام، محمد بن غالب، ثنا يحيى بن عبد الحميد، ثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الحارث الخطمي، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، عن عبد الرحمٰن بن المسور، عن أبي رافع، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِهَا، ثُمَّ يَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[(١)].

الشَّرح

قوله: «**ثُمَّ يَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ...**»: الخَلَفُ بالتَّحريك والسُّكونِ: كلُّ من يجِيءُ بعدَ مَنْ مضى، إلَّا أنَّهُ بالتَّحرِيكِ في الخير، وبالتَّسكِينِ في الشَّرِّ[(٢)].

والخُلُوف: أن يأتي ما يخالف الحقَّ، فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ، ولكن الذي يوافق على المنكر فهو كفاعله.

ومعلوم أن هذا مقيَّدٌ بعدم الضرر، ولا يترتب عليه سفكُ دماءٍ، وخروجٌ، وتفرُّقٌ، وغير ذلك، وإلا وجَبَ على الإنسان أن يسكُتَ ويكون إنكارُه بقلبِه فقط.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) النهاية، لابن الأثير (٢/ ٦١ ـ ٦٢)، ولسان العرب (٩/ ٨٥).

ﷺ «أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا إسماعيل بن إسحاق، ثنا حجاج بن منهال، وعارم، وسليمان بن حرب، ومسدد، قالوا: حدثنا حماد بن زيد، عن الجعد أبي عثمان، ثنا أبو رجاء العطاردي، قال: سمعت ابن عباس، يرويه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فيموت، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

الشَّرْح

وقد جاء التوعُّد لمن مات ميتة الجاهلية أنه في النار، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ، قالَ: **«مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**(٢)، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: **«مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»**(٣)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»**(٤)، وهذا وعيدٌ شديدٌ، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٨). (٤) أخرجه مسلم (١٨٥١).

ﷺ «أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رَحِمَهُ اللهُ، أخبرنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن عمر بن سليمان، عن عبد الرحمٰن بن أبان، عن أبيه، قال: سمعت زيد بن ثابت، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ منا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ منْ وَرَاءَهُمْ»»[1].

الشَّرح

هذا دعاءٌ مِنَ النبيِّ ﷺ أن ينضِّر اللهُ وجهَ امرئٍ سَمِعَ حديثًا فحفِظَه، ثم أدَّاه.

وفي رواية: «**سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا**»[2]، قوله: «فَوَعَاهَا»؛ أي: حَفِظَه على لفظه، وأتقَنَه، ثم أدَّاه كما حَفِظَه، فيقول: «**فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**».

قوله: «ثلاثٌ لا يَغُلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ...»: ذكر أنَّ ثلاثًا لا يَغُلُّ عليهنَّ قلبُ مسلمٍ، والغُلُول هو الجحود.

وكونه يكون مخلصًا لله ﷻ، فهذا شرطٌ في كلِّ عملٍ، وكذلك المناصحة للولاة وعامة المسلمين، أن يكون ناصحًا، وكذلك لزوم الجماعة، **هذه أمورٌ مهمَّةٌ جدًّا، يجب أن يكون كلُّ مسلمٍ ملازمًا لها**.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٩٠)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧٣٨)، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه.

باب معرفة جمل ما كلف المؤمنون أن يعقلوه، ويعملوه، ويعطوا من أنفسهم وأموالهم، وأن يكفوا عنه وما حرم عليهم منه

ﷺ «قال الله ـ جلَّ ثناؤُهُ ـ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وعلقه بالاستطاعة في آية أخرى وهي البلوغ والزاد والراحلة وتخلية الطريق.

ﷺ وأمر بالجهاد وحض عليه حتى يقوم به من فيه الكفاية في غير آية من كتابه، وحرم الفواحش والربا والقتل والظلم وقطيعة الرحم في غير موضع».

الشَّرح

المقصود: أنه يجب على المسلمين أن يقبلوا ما جاء عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ، ويعملوا به، وهذا أوَّله عبادة الله وحدَه، ثم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، وكذلك الجهاد في سبيل الله، والجهاد ينقسم إلى أقسام: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الفُسَّاق، وجهاد الكُفَّار، وغير ذلك، ثم كذلك يجتنب الظلم ويجتنب ظلم الناس، وظلم نفسه، والظلم الخاص الذي هو الشرك، وكذلك قطيعة الرحم، وغير ذلك من الأمور، التي هي معلومةٌ في شرع الله ﷻ وقد بيَّنها رسول الله ﷺ.

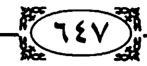
﴿ «أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم، ثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان، قال: سمعت عكرمة بن خالد، يحدث طاوسًا قال: جاء رجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمٰن ألا تغزو؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»»[1].

الشَّرْح

هذه المباني لا بُدَّ منها، أمَّا الجهاد فهو فضلٌ، وهو من أمور الكفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن البقية.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).



ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن سلمان، إملاء ببغداد، ثنا هلال بن العلاء، ثنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي أنيسة، عن جبلة بن سحيم، ثنا أبو المثنى العبدي، سمعت ابن الخصاصية، يقول: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِأُبَايِعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُصَلِّي الْخَمْسَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا اثْنَتَانِ فَلَا أُطِيقُهُمَا، أَمَّا الزَّكَاةُ فَمَا لِي إِلَّا عَشْرٌ ذُودٌ، هُنَّ رَسَلُ أَهْلِي وَحَمُولَتُهم، وَأَمَّا الْجِهَادُ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ وَلَّى فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، فَأَخَافُ إِذَا حَضَرَنِي قِتَالٌ كَرِهْتُ وَجَشِعَتْ نَفْسِي، قال: فَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَهَا، ثُمَّ قال: «لَا صَدَقَةَ وَلَا جِهَادَ، فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟»، قال: ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُبَايِعُكَ، فَبَايِعْنِي عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ»»(١).

الشَّرح

هذا الحديث في «المسند» وغيره وهو مشهور، ويُستدل به على أنَّ الأعمال مَّما يتبوَّأ به الإنسان درجات الجنة.

قوله: «أَمَّا اثْنَتَانِ فَلَا أُطِيقُهُمَا»؛ أي: الجهاد والصدقات.

قوله: «أَمَّا الزَّكَاةُ فَمَا لِي إِلَّا عَشْرٌ ذُودٌ»؛ يعني: عشر نياقٍ.

(١) أخرجه أحمد (٢١٩٥٢)، والحاكم (٢/ ٧٩ ـ ٨٠)، والمصنف في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠).

قوله: «**هُنَّ رَسَلُ أَهْلِي وَحَمُولَتُهم**»؛ أي: الذين يشربون منها الحليب.

ومعلومٌ أنَّ هذه العشر فيها زكاة؛ لأنَّه في كلِّ خمسٍ من الإبل زكاة.

قوله: «**فَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَهَا**»: هذا فيه دلالة على أنَّ هذا من الواجبات، ولا بُدَّ منه، رجع وقال: ابسُطْ يدَكَ أبايِعْك، فبايعته عليهنَّ كلهنَّ.

* * *

﴿ «أخبرنا أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار ببغداد، أخبرنا الحسين بن يحيى بن عياش القطان، ثنا حفص بن عمرو ـ يعني: الربالي ـ، ثنا بهز بن أسد العمي، ثنا شعبة، ثنا محمد بن عثمان بن عبد الله بن موهب، وأبوه، عثمان بن عبد الله أنهما سمعا موسى بن طلحة، يحدث عن أبي أيوب الأنصاري، أَنَّ رَجُلًا قال: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقال الْقَوْمُ: مَا لَهُ؟ فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ أَرَبٌ مَا لَهُ» فَقال ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ ذَرْهَا»، قال: كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ»[١].

الشَرح

هذا السؤال جاء كثيرًا للنبي ﷺ؛ كقوله: «دُلَّنِي علَى عملٍ إذا عَمِلْتُهُ دخَلْتُ الجَنَّةَ...»[٢]، ومثل الأعرابي الذي عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وهو في مَسِيرٍ، فأخذَ بِخِطامِ ناقَتِهِ، أو بِزِمامِ ناقَتِهِ، فقال: «يا رسولَ الله، أو: يا محمَّدُ، أخبِرنِي بِما يُقرِّبُنِي من الجنَّةِ، ويُباعِدُنِي من النَّارِ...»[٣]، وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، حيث قال: كُنتُ مع النَّبِيِّ ﷺ في سَفرٍ، فأصبَحتُ يومًا قرِيبًا منهُ ونحنُ نسيرُ، فقُلتُ: يا رسولَ الله أخبِرنِي بِعملٍ يُدخِلُنِي الجنَّةَ ويُباعِدُنِي عن النَّارِ، قال: «**لقد سألْتَنِي عن عظِيمٍ، وإنَّهُ لَيَسِيرٌ على من يسَّرَهُ الله عليه، تعبُدُ الله ولا تُشرِك بهِ شيئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٣)، ومسلم (١٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد (٢٣٥٣٨)، عن أبي أيوب رضي الله عنه.

وتُؤتِي الزَّكاةَ، وتصُومُ رمضانَ، وتَحُجُّ البَيت...»(١)

قوله ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا...»، فهذه الخمس هي التي رُتب دخول الجنة عليها، ومعنى ذلك: أنها لازمة، وأن من أخلَّ بشيءٍ منها أنه لا يدخل الجنة.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦).

ﷺ «حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن دلويه، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا أبو الوليد، ثنا شعبة، قال الوليد بن العيزار، قال: سمعت أبا عمرو الشيباني، يقول: أخبرني صاحب هذه الدار، وأومأ بيده إلى دار عبد الله قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحبُّ إِلَى اللهِ؟ قال: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قال: وَحَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي[1].

ﷺ أخبرني أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله، أخبرنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن عبيد الله بن أبي بكر، عن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر فقال: «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قال: قَوْلُ الزُّورِ -»[2].

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الربيع بن سليمان، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرنا سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قال: «الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٣)، ومسلم (٨٨).

بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(١).

الشَّرح

قوله: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قال: «الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا»....»: هذا حديث لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله: «لِوَقْتِهَا»؛ أي: في أوَّل وقتها، وهذا يدلُّ على أنَّ الأعمال تتفاوت في أدائها، قد يتحصَّل الإنسان على الدرجة العليا وقد لا يتحصل عليها، فإذا بادر إلى أداء العمل الذي وجب عليه، دلَّ على اهتمامه وتقواه لله ﷻ.

وكذلك كونه مؤديًا ما عليه من الواجب يجب أن يجتنب المحرم، فهذا أمرٌ لا بُدَّ منه؛ ولهذا قال ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، والإيباق هو الهلاك، و«الموبقات»: المهلكات، وهي ليست سبعًا فقط ولم تكن على سبيل الحصر، بل هي كثيرة.



(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

﴿ «أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَسْرِقُ سَارِقٌ وَهُوَ حِينَ يَسْرِقُ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَزْنِي زَانٍ وَهُوَ حِينَ يَزْنِي مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْحُدُودَ أَحَدُكُمْ - يَعْنِي: الْخَمْرَ - [وهو] حِينَ يَشْرَبُهَا مُؤْمِنٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنْتَهِبُ أَحَدُكُمْ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنَهُمْ فِيهَا حِينَ يَنْتَهِبُهَا [وهو] مُؤْمِنٌ، وَلَا يَغِلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغِلُّ وَهُوَ مُؤْمِن، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاكُمْ»[(١)].

﴿ قال الشيخ رضي الله عنه: وإنما أراد والله أعلم أن هذه الأفعال ليست من أفعال من يكون مؤمنًا مستكمل الإيمان، وكان الزهري يقول: من الله القول وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم. قال الزهري: وكانوا يجرون الأحاديث عن رسول الله ﷺ كما جاءت تعظيمًا لحرمات الله ولا يعدون الذنوب شركًا ولا كفرًا».

الشرح

المؤلف رحمه الله يريد بهذا الكلام أن يبين معنى قول النبي ﷺ: «**لَا يَسْرِقُ سَارِقٌ وَهُوَ حِينَ يَسْرِقُ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَزْنِي زَانٍ وَهُوَ حِينَ يَزْنِي مُؤْمِنٌ...**».

والصحيح: أن المقصود بهذا الإيمانُ الكاملُ، الذي يمنعه من

(١) أخرجه المصنف في «شعب الإيمان» (٥١٠٩)، وقال: رواه مسلمٌ في الصحيح، عن محمد بن رافعٍ، عن عبد الرزاق، وأخرجاه من وجهٍ آخر.

اقتراف هذه الجرائم، فإذا كان عند العبد إيمانٌ كامِلٌ مَنَعه من ذلك.

وهذا يدلُّ على تفاوُتِ الإيمان، فبعض الناس يكون إيمانه ضعيفًا، فلا يمنعه من ارتكاب الجرائم، ولا يدلُّ على أنه خرج من الدِّين؛ بل يدلُّ على أنه مسلمٌ ضعيفُ الإيمان مُتوعَّدٌ بالعذاب، بخلاف كامل الإيمان فإن إيمانه يمنَعُه.

أمَّا ما ذكره عن الزهريِّ بقوله: «**وكان الزهري يقول: من الله القول وعلى الرسول البلاغ...**» فهو يريد بذلك ألَّا نأخذ النصوص على ظاهرها.

ومعلومٌ أنَّ الظَّاهر يختلف، فإذا كان الظاهر مثلًا يوافِقُ النصوص الأخرى فنَعَم، وأمَّا إذا كان يخالف فينظر مع النصوص الأخرى حتى تتَّفِق؛ لأنَّه كلُّه حقٌّ جاء من عند الرسول ﷺ، فلا يكون بعضه مخالفًا لبعض.

* * *

۞ «أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ ببغداد، أخبرنا أحمد بن يوسف، يعني: ابن خلاد النصيبي، ثنا الحارث بن محمد (ح).

۞ وأخبرنا أبو علي بن الصواف، ثنا محمد بن يحيى المروزي، قالا: حدثنا عاصم بن علي، ثنا عاصم بن محمد، عن واقد بن محمد، قال: سمعت أبي وهو يقول: قال عَبْدُ اللهِ ـ يَعْنِي ابْنَ عُمَرَ ـ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَلَا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟» قَالُوا: شَهْرُنَا هَذَا، قال: «أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ أجرًا؟» قَالُوا: بَلَدُنَا هَذَا، قال: «أَتَعْلَمُونَ أَيُّ يَوم أَعْظَمُ؟» قَالُوا: يَوْمُنَا هَذَا، قال: «فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ـ ثلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ ـ؟ أَلَا نَعَمْ»»(١).

۞ الشَّرح ۞

وفي هذا وجوبٌ لاجتناب المحرَّمات، التي تتفاوتُ، بعضُها أعظمُ من بعضٍ، فأعظمها القتلُ وسفكُ الدِّماء، ثم نهب أموالهم، وكذلك أعراضهم وغير ذلك، فيجب أن يحفظوا هذا ويجتنبوه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩).

ﷺ «أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا حاجب بن أحمد، ثنا عبد الرحيم بن منيب، ثنا جرير، أخبرنا سهيل، (ح).

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، في آخرين قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي، أخبرنا ابن عيينة، عن سهيل بن أبي صالح، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن تميم الداري، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1].

الشَّرح

النَّصيحة أُخذتْ مِنَ النُّصْح، وهو النظافة والنزاهة؛ ولهذا يُسمى الذي يغسل الثيابَ ناصِحٌ.

ومعنى ذلك: أن يكون القلب نظيفًا نقيًّا، وأن يبذُلَ الخير في كلِّ ما أُمر به.

قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ، وَلنَبِيِّهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»: النصيحة تكون لله ﷻ، بأن يَقبَل ما قاله الله ﷻ ويُؤمِن به، ويتَّبِعَه.

وتكون النصيحة لرسوله كذلك.

وكذلك تكون لأئمة المسلمين وتكون لعامَّتهم، وعليه فالنصيحة صارت الدِّينَ كلَّه.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، في آخرين قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا العباس بن الوليد بن مزيد، أنا محمد بن شعيب، أخبرنا عتبة بن أبي حكيم الهمداني، حدثني عمرو بن جارية اللخمي، عن أبي أمية الشعباني، قال: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟ قال: أَيّ آيَةٍ؟ قال: قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قال: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يدَانُ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكَ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ كَأَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»[(١)].

ﷺ قال الشيخ: وأما ما ينوب العباد من فروع الفرائض وما يخص من الأحكام وغيرها فما ليس فيه نص كتاب ولا في أكثره نص سُنَّة، وإن كانت في شيء منه سُنَّة فإنما هي من أخبار الخاصة وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياسًا فقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه درجة من العلم ليس يبلغها العامة، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يخرج غيره ممن تركها إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، وابن ماجه (٤٠١٤)، والترمذي (٣٠٥٨)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١٧٠).

ﷺ واحتج في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

ﷺ وجعل مثال ذلك الجهاد في سبيل الله والصلاة على الجنازة ودفنها ورد السلام وغير ذلك من فرائض الكفايات.

ﷺ وهو فيما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس، أخبرنا الربيع، عن الشافعي، فَذَكَرَهُ.

ﷺ قال الشيخ: وإذا عرف العبد ما تعبد به فحق عليه أن يطلب موافقة الأمر فيما تعبده به ويخلص له النية فيما يعمله من العبادات ويدعه من المنكرات حتى يكون مطيعًا للأمر ممتثلًا، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ﷺ وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لَكلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[(١)].

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أحمد بن سلمان الفقيه، ثنا الحسن بن مكرم، ثنا يزيد بن هارون، أنا يحيى بن سعيد، أن محمد بن إبراهيم أخبره أنه سمع علقمة بن وقاص يقول: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» فَذَكَرَهُ»[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

الشَّرح

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ لا يعارضُ قوله ﷻ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهذا معناه: أنَّ النصوص يجب أن تنزل منازلها، وينظر الإنسان الواقع الذي هو فيه، فإن كان له مقالٌ قال، وإن لم يكن له فعليه بخاصَّة نفسه، ويبتدئ بذلك بإنكار المنكر في القلب.

وقوله: «شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنيا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ»: الكلّ تفرَّق وصار له استغناء عنِ النَّظر إلى من يُنكِر أو يتكلَّم، فعلى الإنسان بخاصَّة نفسِه في ذلك، مع إنكار المنكر بقلبه.

وقوله: «لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ كَأَجْرِ خَمْسِينَ»: رواية: قيلَ: يا رسولَ الله أجْرُ خمسِينَ رجلًا مِنَّا أو مِنهُم. قالَ: «**بل أجْرُ خَمسِينَ رجلًا مِنكُم**»(١)، فقال: «منكم»؛ أي؛ أجرُ خمسين من الصحابة، وذلك لشِدَّة الأمر، كونه إذا تمسَّك بدينه فهو مثل الذي يقبض على الجمر، وهل يستطيع الإنسان أن يقبض على الجمر؟!

قوله: «قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: هذه درجة من العلم ليس يبلغها العامة...»**: وأن الأمر يجب أن يكون عامًّا، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فيعبد ربه مخلصًا في دينه بكلِّ ما يستطيع، وكذلك قوله: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لكلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، كما سبق أن هذا لا يسقط بحالٍ، والنية يجب أن تكون خالصةً، فنقول: إنَّ الرسول ﷺ جعل هذا عامًّا وميزانًا لكلِّ ما ينطوي عليه قلبُ الإنسان، أن تكون نيتُه وإيراداتُه الخيرَ والإخلاص لله ﷻ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨)، وأبو داود (٤٣٤١)، عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.



باب القول في إثبات نبوة محمد المصطفى ﷺ

۞ «وهو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب، سماه الله محمدًا وأحمد ﷺ وسماه أسماء أخر ذكرناها في «كتاب الدلائل».

۞ ودلائل النبوة كثيرة والأخبار بظهور المعجزات ناطقة، وهي وإن كانت في آحاد أعيانها غير متواترة ففي جنسها متواترة متظاهرة من طريق المعنى؛ لأن كل شيء منها مشاكل لصاحبه في أنه أمرٌ مزعج للخواطر ناقض للعادات.

۞ وهذا أحد وجوه التواتر الذي يثبت بها الحجة وينقطع بها العذر، وقد جمعناها في كتاب مع بيان ما جرى عليه أحوال صاحب المعجزة أيام حياته ﷺ في خمسين جزءًا، ونحن نشيرها هنا إن شاء الله في معجزاته ودلائل نبوته إلى ما يليق بهذا الكتاب على طريق الاختصار.

۞ فمن دلائل نبوته التي استدل بها أهل الكتاب على صحة نبوته ما وجدوا في التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب، وإن كان كثير منهم قد حرفوها عن مواضعها».

الشَّرح

قوله: «**باب القول في إثبات نبوة محمد المصطفى ﷺ**»: ذكر أنَّ الدلائل على النبوة كثيرةٌ، وأنه حدثت معجزات لذلك، ثم عرَّف المعجزة، حيث يقول: إنَّ المعجزة أمرٌ مزعِجٌ وخارجٌ عن العادة، بحيث تقتضي الدلالة على أن ما حدث هو من عند الله؛ بل هي من الدلائل الواضحة من عند الله، وأعظمها القرآن العظيم، الذي جعله الله محفوظًا باقيًا، ولهذا ألَّف فيها العلماءُ مؤلَّفاتٍ مُستقلَّةً، يسمونها «دلائل النبوة»، وبعضهم قد يُسميها «مُعجزات»[1]، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمعها في كتابٍ كبير، بلغ مجلداتٍ متعدِّدة، سماه «دلائل النبوة»، كلٌّ دليل منها لا يستطيعه البشر.

* * *

(١) منها كتاب: «دلائل النبوة»، لأبي نعيم الأصبهاني، و«دلائل النبوة»، لأبي بكر الفريابي، و«دلائل النبوة»، لأبي القاسم الأصبهاني، و«أعلام النبوة»، للماوردي، و«تثبيت دلائل النبوة»، لعبد الجبار الهمذاني» وغير ذلك.

❁ «أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثني خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن هلال بن أسامة، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن سلام أنه كان يقول: إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وسَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ، وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى يُقِيمَ الْمِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ، بِأَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.

❁ وقال عطاء بن يسار: أخبرني الليثي أنه سمع كعب الأحبار يقول مثل ما قال عبد الله بن سلام[(١)].

❁ فهذان عالمان من أهل الكتاب شهدا ببعض ما وجدا في كتبهم من صفة محمد ﷺ.

❁ ولهذا شواهد عنهما وعن غيرهما ذكرناها في كتاب «الدَّلَائِلِ».

❁ وروينا عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خرج يبتغي الدين حتى أتى على شيخ بالجزيرة فأخبره بالذي خرج له فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل بيت الله، قال: فإنه قد خرج في بلدك نبي وهو خارج قد طلع نجمه فارجع فصدقه وآمن به[(٢)].

---

(١) أخرجه الدارمي (٦)، والطبراني في «الكبير» (٣٩٧).

(٢) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

ﷺ وروينا معناه في حديث سلمان الفارسي وغيره(١).

ﷺ ومن دلائل ما حدث بين يدي أيام مولده ومبعثه ﷺ من الأمور الغريبة والأكوان العجيبة القادحة في سلطان أمة الكفر والموهنة لكلمتهم المؤيدة لشأن العرب المنوهة بذكرهم كأمر الفيل وما أحل الله بحزبه من العقوبة والنكال ومنها خمود نار فارس وسقوط شرفات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان وغير ذلك(٢).

ﷺ ومنها ما سمعوه من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه والرموز المتضمنة لبيان شأنه.

ﷺ ومنها انتكاس الأصنام المعبودة وخرورها لوجهها من غير دافع لها عن أمكنتها يرى أو يظهر إلى سائر ما روي ونقل من الأخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها إلى أن بعث نبيًّا وبعد ما بعث وهي في كتاب «الدلائل» مذكورة يتبع بعضها بعضًا».

الشَّرح

دلائل النبوة كثيرة، وقد استقصى البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك في كتابه «دلائل النبوة» حسب الإمكان، وغيره كذلك.

قوله: «ومن دلائل ما حدث بين يدي أيام مولده ومبعثه ﷺ من الأمور الغريبة والأكوان العجيبة القادحة في سلطان أمة الكفر...» يقول:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٣٩)، والطبراني في «الكبير» (٦٠٦٥)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٩٢ ـ ٩٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٩٦ ـ ٩٩)، والمصنف في «دلائل النبوة» (١/ ١٢٦ ـ ١٣٠).

إنه من الأمور الواضحة، منها التي حدثت في ولادته؛ من سقوط شُرُفات الإيوان، ومن غيض بحيرة سَاوَةَ، وقصة الفيل قبل ميلاده ﷺ، قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

يقول المؤلف: فهذه من الموطِّئات لنبوَّتِه، وكذلك الهواتف التي سُمعت من الجنِّ في مكَّة وغيرها، وكلُّ هذه تجتمع وتكون أمرًا يقينًا، ثم منها ما اشتمل عليه في صفاته، كما ذكر عبد الله بن سلام ؓ: «**إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، وسَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ...**»، فهو دليلٌ على نبوَّتِه؛ لأنَّ الإنسان إذا قال: أنا نبيٌّ، فلا يخلو إمَّا أن يكون أتقى الناس وأقربهم إلى الله، أو أنه عكس ذلك، فنفسه يدلُّ على هذا؛ ولهذا استدلَّ هرقل بصفاتِه على نبوته[(١)]، وكذلك زوجُهُ خديجةُ ؓ قالت: «كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[(٢)].

ثم الأمور التي ذكر أنها تكون مزعجة وخارجةً للعادة، مثل نبوع الماء من بين إصبعيه[(٣)]، وتكثير الطعام القليل[(٤)]، هذا ليس بإمكان أحدٍ، فهو من آيات كونه نبيًّا ﷺ، **وهذه من الأمور التي ينبغي للمسلم أن يطلع عليها ويعرفها**؛ حتى يتيقَّن أنه رسولٌ حقٌّ جاء من عند الله، ويكفي في هذا معرفة كتاب الله ﷻ فهو أعظم المعجزات في هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، عن عبد الله بن عباس ؓ.
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠)، عن عائشة ؓ.
(٣) أخرجه مسلم (٣٠١٣)، عن جابر ؓ.
(٤) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩)، عن جابر ؓ.

۞ «قال الشيخ أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما قرأت من كتابه ومن دلائل نبوته أنه وجد في بدء أمره يتيمًا ضعيفًا عائلًا فقيرًا ليس له مال يستميل به القلوب، ولا له قوة يقهر بها الرجال، ولا كان في إرث ملك فتثوب إليه الآمال طمعًا في درك الحال المتقدمة وعود الملك الموروث، ولا كان له أنصار وأعوان يطابقونه على الرأي الذي أظهره والدين الذي دعى إليه.

۞ فخرج على هذا الحال إلى العرب قاطبة وإلى الشعوب والقبائل كافة وحيدًا طريدًا مهجورًا محقورًا، وهم مجمعون على عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام، مقيمون على عبادة الجاهلية في الحمية والعصبية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات واستباحة الحرام، لا يجمعهم ألفة دين ولا تمنعهم دعوة إمام ولا يكفهم طاعة ملك ولا يحجزهم عن سوء أفعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة أو لائمة، فألَّف قلوبها وجمع كلمتها حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وترافدت الأيدي.

۞ وصاروا إِلْبًا واحدًا في نصرته وعنقًا واحدًا إلى طاعته وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته، ونبذوا الأصنام المعبودة وتركوا السفاح، وكان مقتضى شهواتهم، وشرب الخمر وكان وفق طباعهم، والربا وكان معظم أموالهم، وبذلوا مهجهم وأرواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف بها في إعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا آمال أفاضها عليهم ولا

عوض في العاجل أطمعهم في نيله من مال يحوزونه أو ملك أو شرف في الدنيا يحرزونه؛ بل كان من شأنه أن يجعل الملك منهم سوية، الغني فقيرًا، والشريف أسوة بالوضيع.

۞ فهل تلتئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله من قبل الاختيار العقلي أو التدبير الفكري أو من جهة الاجتهاد أو من باب الكون والاتفاق؟ لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الأمور ما يرتاب عاقل في شيء من ذلك، وإنما هو أمر إلٰهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات، يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه إلا من له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

۞ قال: وقد انتظم جملة ما ذكرناه في هذا الفصل قوله سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

۞ قال: ومن دلائل نبوته ﷺ أنه كان أُميًّا لا يخط كتابًا بيده ولا يقرؤه، ولد في قوم أميين ونشأ بين ظهرانيهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار المتقدمين وليس فيهم منجم يتعاطى علم الكوائن ولا مهندس يعرف التقدير ولا فيلسوف يبصر الطبائع ولا متكلم يهتدي لرسوم الجدل ووجوه المحاجة والمناظرة والاستدلال بالحاضر على الغائب، ولم يخرج في سفر ضاربًا إلى عالم فيعكف عليه ويأخذ منه هذه العلوم، وكل هذا معلوم عند أهل بلده مشهور عند ذوي المعرفة والخبرة بشأنه، يعرفه العالم والجاهل والخاص والعالم منهم، فجاءهم بأخبار التوراة والإنجيل والأمم الماضية، وقد كان ذهب معالم تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها،

ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها من سقيمها إلا القليل.

۞ ثم حاج كل فريق من أهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين وجهابذة المحصلين لم يتهيأ لهم نقض شيء منه، فكان ذلك من أدل شيء على أنه أمر جاءه من عند الله ﷻ. وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

۞ ففيه إشارة إلى ما اقتصصنا من حاله ووصفنا من أمره في أنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يعرف بدرس الكتب وطلب الأخبار، وإنما هو شيء أنزله الله عليه فهو يتلوه عليهم وكفى به دلالة على صحة أمره وصدق دعواه.

۞ ومن دلائل نبوته وصدقه فيما جاء به من عند الله سبحانه من القرآن العظيم: أنه تحدى الخلق بما في القرآن من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه.

۞ واختلف أهل العلم في إعجاز القرآن:

۞ منهم من قال: إعجازه من جهة البلاغة وحسن اللفظ دون النظم.

۞ ومنهم من قال: إعجازه في نظمه دون لفظه فإن العرب قد تكلمت بألفاظه.

❁ ومنهم من قال: إعجازه في إخباره عن الحوادث وإنذاره بالكوائن في مستقبل الزمان ووقوعها على الصفة التي أنبأ عنها.

❁ ومنهم من قال: إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه؛ لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه.

❁ وقد ذهب بعض العلماء إلى إثبات الإعجاز للقرآن من جميع هذه الوجوه، ولا معنى لقول من زعم أن الإعجاز في لفظه؛ لأن الألفاظ مستعملة في كلام العرب ومتداولة في خطابها؛ لأن البلاغة ليست في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ وحسب دون أن تكون هذه الأوضاع معتبرة بمحالها ومواضعها المصرفة إليها، والمستعملة فيها.

❁ قال الشيخ أبو سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وبيان ذلك أن العرب قد تعرف لفظ الصدع في لغتها وتتكلم به في خطابها، ثم إنك لا تجده مستعملًا لهم في مثل قوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

❁ ويستعمل اسم الضرب ثم لا تجده لهم مستعملًا في مثل قوله: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١﴾ [الكهف: ١١].

❁ وكذلك لفظ النبذ ثم لا تجده لهم في مثل قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] إلى ما يجمع هذا الكلام من الوجازة والاختصار وحذف المقتضى وإعمال الضمير والاقتصار على الوحي المفهم.

❁ وكقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] فإن حقيقته: نخرج منه النهار إلا أن موضع البلاغة هاهنا في السلخ أنه إخراج الشيء مما لابسه وعسر انتزاعه منه لالتحامه به، وذلك قياس الليل ومثاله، وكقوله ﷻ: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج: ٥٥]؛ أي: يوم لا يعقب للمعذبين غدًا ولا ينتج لهم خيرًا.

❁ قال: وقد استحسن الناس في الإيجاز قولهم: القتل أنفى للقتل. وبينه وبين قول الله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] تفاوت في البلاغة والإيجاز.

❁ وبيان ذلك: أن في هذا الكلام كل ما في قولهم القتل أنفى للقتل، وزيادة معان ليست فيه.

❁ منها: الإبانة عن الفداء لذكر القصاص.

❁ ومنها: الإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة.

❁ ومنها: بُعده عن التكلف وسلامته من تكرار اللفظ الذي فيه على النفس مشقة وعلى السمع مَؤونَةٌ.

❁ قال الشيخ: وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] أوجز في العبارة فإنه عشرة أحرف، وقول من قال: «الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ»، أربعة عشر حرفًا، قال: وإذا تأملت هذه المعاني من القرآن وتتبعتها منه كثر وجودك لها، وإنما ذكرنا هذا القدر ليكون مثالًا مرشدًا إلى نظائر منه.

❁ وأما إعجازه من جهة النظم فالمعجز منه نظم جنس الكلام الذي باين به القرآن سائر أصناف الكلام التي تكلمت بها العرب، فإن أجناس كلام العرب التي تكلمت بها خمسة:

ﷺ المنثور الذي تستعمله العرب في محاورة بعضهم بعضًا، والشعر الموزون، والخطب، والرسائل، والسجع.

ﷺ وكل نوع منها نمطه غير نمط صاحبه، ونظم كلام القرآن مباين لهذه الوجوه الخمسة مباينة لا تخفى على من يسمعه من عربي فصيح أو ذي معرفة بلسان العرب من غيرهم، حتى إذا سمعه لم يلبث أن يشهد بمخالفته لسائر هذه الأنواع من الكلام، والحجة إنما قامت على قريش وسائر العرب بوقوفهم على ذلك من أمره، وأن هذا الفرق بينه وبين سائر الكلام هو موضع الحجة.

ﷺ وبذلك صار معجزًا للخلق وقائمًا مقام الحجج التي بعث الله بها رسله واحتج بها على الناس، مثل فلق البحر وإحياء الموتى ومنع النار من الإحراق، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] إِلَى أَنْ قال تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الآية [البقرة: ٢٤].

ﷺ وقال بعض العلماء: إن الذي أورده المصطفى ﷺ على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص؛ لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان المتقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم أعجب من عجز من شاهد المسيح من إحياء الموتى؛ لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في إبراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه، وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على أن العجز عنه إنما كان لأن يصير علمًا على رسالته وصحة نبوته.

❁ وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح، فإن قيل: إن وجه ما يظهر به بينونة القرآن من سائر أنواع الكلام هو ما يقع من السجع في مقاطع الكلام ومنتهى الآيات نحو قوله: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور: ١، ٢]، وقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ [النجم: ١، ٢]، وقوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١، ٢].

❁ وما أشبه ذلك من سور القرآن، والسجع في كلام العرب كثير غير عديم ولا غريب فكيف جعلتم ذلك علمًا للإعجاز؟

❁ قيل: ليس شيء من هذا سجعًا وإنما هي فواصل تفصل بين الكلامين بحروف متشاكلة في المقاطع تعين على حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة والسجع عيب.

❁ وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، والسجع تكلف وليس فيه أكثر من تأليف أواخر الكلم على نمط، وهو مأخوذ من سجع الحمامة وهو موالاتها الصوت على نمط لا يختلف، فمن شبه الفواصل التابعة لمعاني الكلام المفيدة حسن الإفهام بالسجع الخالي عن المعنى المتتبع له المتكلف على سبيل الاستكراه فقد ذهب عن الصواب وأخطأ مذهب القياس.

❁ وأما من ذهب إلى أن إعجازه لما فيه من الأخبار الصادقة عن الأمور الكائنة فوجهه بيِّن وشواهده كثيرة كقوله سبحانه: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ١ ـ ٣]، فكان الأمر كما نطق به القرآن، فظهرت فارس على

الروم فاغتم به المسلمون وسر به المشركون، فوعد الله المسلمين بظهور الروم على فارس في بضع سنين، فظهروا عليها لتسع سنين وقيل: لسبع، وفرح المؤمنون بنصر الله أهل الكتاب.

ﷺ وقال ﷻ في قصة بدر: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال: ٧]، فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين دون الأخرى، وهو أنه ظفر بالمشركين الذين خرجوا من مكة ببدر، وانفلت أبو سفيان بن حرب بالعير.

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ، ثنا أبو بكرٍ أحمد بنُ سلمان الفقيه، ثنا جعفر بن محمَّد بن شاكرٍ، ثنا أبو نعيمٍ، ثنا إسرائيلُ، عن سِماكٍ، عن عكرِمة، عن ابن عبَّاسٍ، قال: لمَّا فرَغَ رسُولُ اللهِ ﷺ منَ القَتلَى - يعنِي: يومَ بَدرٍ - قِيلَ لهُ: علَيكَ بِالعِيرِ ليسَ دُونهَا شيءٌ، فَنادَاهُ العبَّاسُ وهُوَ في وثاقِهِ أنَّهُ لا يَصلُحُ لَكَ، قال: لِمَ؟ قال: لأنَّ اللهَ وعدَكَ إحدَى الطَّائِفَتَينِ، وقَد أَنجَزَ لكَ ما وعَدَكَ[(١)].

ﷺ قال الشيخ: وحين التقى هو والمشركون ببدر قال وهو في قبته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ - وَهُوَ فِي الدِّرْعِ - فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ

(١) أخرجه أحمد (٢٠٢٢)، والترمذي (٣٠٨٠)، والطبراني في «الكبير» (١١٧٣٣)، وابن أبي شيبة (٨/ ٤٧٩)، وأبو يعلى (٢٣٧٣).

﴿ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦]، فَتلَا ما كانَ قد نَزَلَ مِنْ إخبَارِ اللهِ تَعالَى إيَّاهُ بِهَزِيمَةِ المُشرِكِينَ فكَانَ كَمَا أَخبَرَ.

❁ وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧]، فدخلوا المسجد الحرام على الصفة التي نطقت بها الآية في عمرة القضية، وكان ما وعده الله في هذه السورة من الفتح القريب وهو فتح خيبر، وقيل: الصلح بالحديبية، وقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ١٨ ـ ١٩]، قيل: فتح خيبر، ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [الفتح: ٢١]، قِيلَ: هُوَ مَا أَصَابُوا بَعْدَهُ، وَقال تَعالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] وقد وقع الظهور والغلبة بحمد الله.

❁ أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، ثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي رحمه الله تعالى قال: قد أظهَرَ اللهُ دِينهُ الذي بَعَثَ بِهِ رسُولَهُ ﷺ على الأديَانِ بِأنْ أَبانَ لكلِّ مَنْ سَمِعهُ أنَّهُ الحقُّ ومَا خالَفَهُ مِنَ الأديَانِ باطِلٌ، وأظْهَرَهُ بأَنَّ جِماعَ الشِّرْكِ دِينَانِ: أهلُ الكِتَابِ ودِينُ الأُمِّيِّينَ، فَقهرَ رَسُولُ اللهِ الأمِّيِّينَ حتَّى دَانُوا بِالإسلَامِ طَوعًا وَكَرهًا، وقَتلَ مِنْ أهلِ الكِتَابِ وسَبَى حتَّى دَانَ بَعضُهُم بِالإسلَامِ وأَعطَى بَعضٌ الجِزيَةَ صَاغِرِينَ، وجَرَى علَيهِم حُكمُهُ ﷺ، وهذا ظُهُورُ الدِّينِ كُلِّهِ.

❁ وقال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

﴿﴾ فوعدهم في حال الخوف والشدة وغلبة أهل الكفر ظهورهم واستخلافهم في الأرض وتمكينهم من القيام بأمور دينهم الذي ارتضى لهم وتبديلهم من الخوف بالأمن، ففعل به وبأصحابه وأتباعه جميع ما وعدهم به، وفي ذلك دليل على صحة نبوته وصدقه في دعوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿﴾ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني محمد بن صالح بن هانئ، ثنا أبو سعيد محمد بن شاذان، ثنا أحمد بن سعيد الدارمي، ثنا علي بن الحسين بن واقد، حدثني أبي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبي بن كعب، قال: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَآوَاهُمُ الْأَنْصَارُ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا بِالسِّلَاحِ وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ، فَقَالُوا: تَرَوْنَ أَنَّا نَعِيشُ حَتَّى نَبِيتَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللهَ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قَرَأَ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي: بِالنِّعْمَةِ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥][(١)].

﴿﴾ قال الشيخ: وفي مثل هذا المعنى قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥١٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (٦٧٣)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٣/ ٦).

هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢﴾ [النحل: ٤١ ـ ٤٢].

❁ زعم بعض أهل التفسير أنها نزلت في المعذبين بمكة حين هاجروا إلى المدينة بعدما ظلموا فوعدهم الله في الدنيا حسنة، يعني بها: الرزق الواسع فأعطاهم ذلك فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعطى الرجل عطاءه من المهاجرين يقول: خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل(١).

❁ وحين امتنع أبو لهب من الإسلام، وقال رسول الله ﷺ ما قال، أنزل الله ﷻ فيه: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾ [المسد: ١ ـ ٣]، فمات أبو لهب على شركه وصلي النار بكفره، وإنما أنزلت وأبو لهب حي فلم يمكنه مع حرصه على تكذيب رسول الله ﷺ ونقض كلمته أن يظهر الإسلام ليشكك الناس في النبي عليه السلام وفيما أخبرهم من شأنه، ولا يجوز أن تقع هذه الأمور على الاتفاق وتستمر على الصدق فلا يختلف شيء منها إلا أن يكون من قبل الله علام الغيوب.

❁ وأما الصرفة والتعجيز مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله فإنما يعلم ذلك بعدم المعارضة، مع توفر الدواعي وشدة الحاجة إليه، وذلك ما لا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا

---

(١) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

قادرين عليه لبادروا إليه مع حرصهم على إبطال دعوته ونقض كلمته، ولما خرجوا في أمره إلى نصب القتال والتغرير بالأنفس وإتلاف الأموال ومفارقة الأهل والأوطان، ولكان ذلك أيسر عليهم من مباشرة الخطوب ومقاساة هذه الشدائد والكروب، فلما لم يفعلوه دل على عجزهم عن ذلك، وسبيل هذا سبيل رجل عاقل اشتد به العطش وبحضرته ماء فجعل يتلوى من شدة الظمأ ولا يشرب الماء، فلا يشك شاك أنه عاجز عن شربه أو ممنوع لسبب يعوقه عنه وأنه لم يتركه اختيارًا مع توفر الدواعي له وشدة الحاجة منه إليه، وهذا بيِّن والحمد لله.

ﷺ ومن دلائل صدقه أنه كان من عقلاء الرجال عند أهل زمانه، وقد قطع القول فيما أخبر عن ربه ﷻ بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤].

ﷺ فلولا علمه بأن ذلك من عند علام الغيوب وأنه لا يقع فيما أخبر عنه خلاف، وإلا لم يأذن له عقله في أن يقطع القول في شيء بأنه لا يكون وهو بعرض أن يكون.

ﷺ وقد روينا في كتاب «الدلائل» من الأخبار التي وردت في قراءة النبي ﷺ بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة وإقرارهم بإعجازه ما يكشف عن جملة مما أشرنا إليها، ونحن نقتصر هاهنا على:

ﷺ ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن ابن

إسحاق، حدثني يزيد بن زياد، مولى بني هاشم، عن محمد بن كعب، قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيدًا حليمًا ـ قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أمورًا لعله أن يقبل منها بعضها ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من المال والملك وغير ذلك، فلما فرغ عتبة قال رسول الله ﷺ: «أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟» قال: نَعَمْ، قال: «فَاسْمَعْ مِنِّي»، قال: أَفْعَلُ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ١ ـ ٣]» فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا وَأَلْقَى بِيَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ فَسَجَدَ فِيهَا، ثُمَّ قال: «سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟»، قال: سَمِعْتُ، قال: «فَأَنْتَ وَذَاكَ»، فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصحَابِهِ، فَقَال بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قال: وَرَائِي أَنِّي وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلَا السِّحْرِ وَلَا الْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعلُوهَا بِي، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ، فَوَاللهِ لِيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأٌ»[1].

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» (ص٢٦١)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٤).

الشرح

من دلائل نبوته ﷺ؛ كونه رجلًا أُميًا لا يخُطُّ ولا يكتب بيده ولا يقرأ، وولد في قوم أُمِّيين، ونشأ بين ظهرانَيْهم، في بلدٍ ليس به عالمٌ يَعرِف أخبار المتقدمين، وليس فيهم منجِّمًا يتعاطى علم الكوائن، ويخبر بما سيكون، إلى غير ذلك من الأمور الظاهرة، فجاء ﷺ بعلم ملأ الدنيا، وجاء بمعجزاتٍ عظيمةٍ، وجاء بأمرِ عبادة الله ﷻ وحده ونَبْذ الأصنام.

ثم الذي آمن به صار يتفانى في طاعته، ويبذل نفسَه ومالَه، وغير ذلك، كلُّ هذا من الدلائل الواضحة المعجزة.

وهي كثيرةٌ جدًّا:

منها: إعجاز القرآن الذي هو معجِزٌ في نظْمِه، وفي معناه، وفي لفظه.

ومنها: إعجازه في أن الله ﷻ أخبر عن الماضي الذي لا عِلْمَ لهم فيه، وكذلك عن أمورٍ مستقبلةٍ، وكذلك فيه أنَّ التَّحدِّي لهؤلاء الذين هم كانوا أمراء البيان وفصحاء الكلام، فتحدَّاهم أن يأتوا بشيءٍ مثله، فعجزوا مع وجود العداوة والحرص على إبطال دعوته، إلى غير ذلك من الأمور الظاهرة.

وكذلك الأحوال التي صارت، فإنه كان مُستجاب الدعوة، ينصره الله ﷻ حتى ظهر أمره على الناس كلِّهم، وصار الأمر له ولمن اتَّبعه بعد ذلك، كلُّ هذه من آيات نبوته، التي تقتضي أن يتيقن الإنسان يقينًا أنه نبيٌّ من عند الله ﷻ، فقد جاء قومًا عادوْه وجاءهم وحده وتحدَّاهم، وقال: إن لم تتبعوني، سلَّطني الله عليكم فقتلتكم، وأخذت أموالكم، وسَبَيْتُ ذرارِيَكم، فهل يمكن عاقِلٌ أن يأتي إلى قومٍ أعداءٍ له

ثم يُغرِيَهم على نفسه بمثل هذا؟ لولا أنه واثقٌ بالله ﷻ وبوعده، وعالمٌ بأن الله سينصره، ما كان له أن يقول ذلك، هذا أيضًا من دلائل النبوة لرسول الله ﷺ.

* * *

﴿ «وروينا هذا في حديث جابر بن عبد الله وفيه، من الزيادة فيما حكى عتبة لأصحابه قال: فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللهِ مَا هُوَ سِحْرٌ وَلَا شِعْرٌ وَلَا كَهَانَةٌ، قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: ١، ٢] حَتَّى بَلَغَ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١٣] فَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ فَخِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ(١).

﴿ وروينا عن عكرمة، عن ابن عباس، وعن عكرمة مرسلًا في قصة الوليد بن المغيرة أنه قال لرسول الله ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل: ٩٠] قَالَ: أَعِدْ، فَأَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ، وَقَالَ لِقَوْمِهِ: وَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ هَذَا الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيُحَطِّمُ مَا تَحْتَهُ»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٠)، وأبو يعلى (١٨١٨)، والحاكم (٣٠٠٢)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٢ _ ٢٠٤).

(٢) أخرجه الحاكم (٣٨٧٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (٨٩٩)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١٣٣).

الشَّرح

قوله: «وروينا عن عكرمة مرسلًا في قصة الوليد بن المغيرة...» ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ عن الصحابة؛ لأنه كان صغيرًا حين تُوفِّي رسول الله ﷺ، فإذا كانت الواسطة الصحابة، فلا يصح أن نقول: «مرسل»، وإن كان لم يحضر القصة، أو حضرها وكان صغيرًا، فجملة ما يرويه ابن عباس رضي الله عنهما من هذا القبيل.

فقد كان ابن عباس رضي الله عنه حريصًا على طلب العلم ويتتبَّعه، قال: «لمَّا تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ، قُلْتُ لرجُلٍ من الأنصَارِ يا فُلانُ هلُمَّ فلنَسأل أصحابَ النَّبيِّ ﷺ، فإنَّهُم اليومَ كثيرٌ». فقالَ: واعجبًا لكَ يا ابن عبَّاسٍ، أتَرَى النَّاسَ يَحتاجُونَ إليكَ، وفي النَّاسِ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ من ترَى؟ فترَكَ ذلكَ، وأقبَلْتُ على المسألَةِ، فإنْ كانَ ليَبلُغُنِي الحدِيثُ عنِ الرَّجُلِ فآتِيهِ، وهو قائِلٌ، فأَتَوسَّدُ رِدائِي على بَابِهِ، فَتَسفِي الرِّيحُ على وجْهِي التُّرابَ، فيَخْرُجُ، فيَرَانِي، فيَقُولُ: يا ابنَ عَمِّ رسولِ اللهِ ما جاءَ بِكَ؟ ألا أرْسَلْتَ إليَّ فآتِيَكَ؟ فأقُولُ: لا، أنَا أحقُّ أنْ آتِيَكَ. فأَسألُهُ عنِ الحديثِ. قالَ: فبَقِيَ الرَّجُلُ حتَّى رآنِي، وقد اجتَمَعَ النَّاسُ عليَّ، فقَالَ: «كانَ هذا الفَتَى أعْقَلَ مِنِّي»[1].

* * *

(١) أخرجه الدارمي (٥٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٩٢).

﴿ «وروينا في حديث أم سلمة في قصة دخول جعفر بن أبي طالب على النجاشي وقوله للنجاشي: بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَعَفَافَهُ وَتَلَا عَلَيْنَا تَنْزِيلًا لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ غَيْرُه(١).

﴿ والأخبار الصحيحة المشهورة المروية من طرق شتى في معجزات رسول الله ﷺ كثيرة وهي في كتاب (دلائل النبوة) مكتوبة، والمعرفة بها لمن وقف عليها وأنعم النظر فيها حاصلة وإنما يذكر في هذا الكتاب من الدلائل أطرافها ومن الآيات والمعجزات ما يكون بلغة لمن لم يصل إلى معرفة جميعها فمنها:

﴿ ما أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران العدل ببغداد، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، ثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، ثنا يونس بن محمد، ثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: إِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا نَبِيَّ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ»(٢).

الشَّرح

انشقاق القمر مِنَ الآيات التي تحدَّاهم بها، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، ومع ذلك لم يؤمنوا، فرأوا فَلْقَة نصفِه على جبل أبي قبيس، والآخر على جبل قينقاع، يعني: واحدٌ من جهة الشمال، وواحدٌ من جهة الجنوب، فقالوا فيما بينهم: هذا سحَرَ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٣)، وابن خزيمة (٢٢٦٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص١١٩ ـ ٢٠٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢).

أعيُنَنا، ولكن اسألوا الذين يَرِدُون من بعيدٍ؛ أي: القوافل، فسألوا الناس، فأخبروهم: أنهم رأوه.

فهو آية من آيات الله ﷻ، ولكن الآيات لا تنفع الذي أراد الله ﷻ عدم إيمانه، ولو جئتهم بكلِّ آية لا يؤمنون، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

فالآيات لا تغني عن الإنسان إن أراد الله ﷻ إضلالَه.

والآيات كثيرة؛ منها: تكثير الماء؛ الذي يكون بإناء صغير، يتوضأ منه مئات الناس، ويشربون منه، وهو على ما هو عليه، ثم يشاهدون الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ، وكذلك الطعام القليل الذي يكفي ثلاثة أفراد، يكفي الجيش كله، ويبقى كما هو، وكذلك دعوته للشجرة فتأتي إليه تمشي، ثم يأمرها أن ترجع إلى مكانها فترجع[(١)]، وكذلك استجابة الدعاء، وغير ذلك من الآيات، وقد جُمِعت في كُتب «دلائل النبوة»، **وفي هذا يكفينا مثل هذه الأشياء، بلا تطويل.**

* * *

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٢٣٥ ـ ٢٣٦)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢٨٠٢).

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد، ثنا سعيد بن سليمان، ثنا هشيم، ثنا مغيرة، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ، قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَقَالَ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، انْظُرُوا السُّفَّارَ، فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ، قَالَ: فَسُئِلَ السُّفَّارُ وَقَدِمُوا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَقَالُوا: رَأَيْنَا»[١].

﴿ ومنها: ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو زكريا بن أبي إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسن ومحمد بن موسى بن الفضل قالوا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا عثمان بن عمر، ثنا معاذ بن العلاء، عن نافع، عن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ حَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَالْتَزَمَهُ»[٢].

﴿ «وحدثنا السيد أبو الحسن العلوي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سعيد النسوي، ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن فهد، ثنا عبد الله بن رجاء، ثنا أبو حفص بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء فذكره بإسناده ومعناه قال: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَهُ فَسَكَنَ»[٣].

---

(١) أصل الحديث عند البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٦٠١) تعليقًا، والترمذي (٥٠٥)، والدارمي (٣١)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨)، وفي «السنن الكبرى» (٣/ ١٩٦).

(٣) تقدم تخريجه.

ﷺ وأخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن خنب البخاري، أخبرنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي، ثنا أيوب بن سليمان بن بلال، قال: حدثني أبو بكر بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، قال: قال يحيى بن سعيد: أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك الأنصاري، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: كَانَ الْمَسْجِدُ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا صُنِعَ الْمِنْبَرُ كَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ(١).

ﷺ ورواه عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله وقال في آخره: «فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، كَانَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسْكَتُ كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»(٢).

ﷺ وفي حديث سهل بن سعد الساعدي، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ حَنِينِ هَذِهِ الْخَشَبَةِ؟» فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا فَرَقُّوا مِنْ حَنِينِهَا حَتَّى كَثُرَ بُكَاؤُهُمْ(٣).

ﷺ وفي حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٥). (٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٥).

(٣) حديث سهل بن سعد أصله في «الصحيحين»؛ فقد أخرجه البخاري (٣٧٧)، ومسلم (٥٤٤)، دون قصة حنين الخشبة، فقد أخرجها أحمد (٢٢٨٧١)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٦٠).

لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

ﷺ وفي حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ معنى قول ابن عباس، وفي حديثه في هذه القصة؛ فَلَمَّا قَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْبَرِ خَارَ الْجِذْعُ كَخُوَارِ الثَّوْرِ حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِخُوَارِهِ[٢].

ﷺ وفي حديث أم سلمة فلما فقدته - تعني: الخشبة - خَارَتْ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ حَتَّى سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ[٣]، وَأَمْرُ الْحَنَانَةِ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ وَالْأَعْلَامِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي أَخَذَهَا الْخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ، ورواية الأحاديث فيه كالتكلف.

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو محمد بن أبي الحسن، أخبرنا عبد الرحمٰن - يعني: ابن أبي حاتم الرازي -، قال: قال أبي: قال عمرو بن سواد: قال لي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: مَا أَعْطَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا مَا أَعْطَى مُحَمَّدًا ﷺ، فَقُلْتُ: أَعْطَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، فَقَالَ: أَعْطَى مُحَمَّدًا ﷺ الْجِذْعَ الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ إِلَى جَنْبِهِ حَتَّى هُيِّئَ لَهُ الْمِنْبَرُ فَلَمَّا هُيِّئَ لَهُ الْمِنْبَرُ حَنَّ الْجِذْعُ حَتَّى سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ، فَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ ذَاكَ».

الشرح

هذا مشهورٌ؛ كانت أعمدة المسجد من جذوع النخل، وسقفه من

(١) أخرجه أحمد (٢٤٠٠)، وابن ماجه (١٤١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٠٠)، والترمذي (٣٦٢٧)، والدارمي (٤١)، وابن خزيمة (١٧٧٧)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٥٨).

(٣) أخرجه المصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٦٣).

الجريد، فكان ﷺ يستند إلى جذع منها إذا أراد الخطبة، ثم لما اتخذ منبرًا؛ حيث أمر النبي امرأةً من الأنصار لها غلامٌ نجَّارٌ، أن تصنع له أعوادًا: منبرًا، فلما جلس عليه، سمع أهل المسجد حنين الجذع، وهو جذع يابس، مثل حنين الناقة إذا فقدت ولدها، حتى نزل النبي ﷺ مِنْ على المنبر والتزمه، فصار يهْدَأ حتى سَكَنَ.

قوله: «**فَهَذَا أَكْبَرُ مِنْ ذَاكَ**»: الجذع ليس فيه روحًا وليس فيه حياة، ومع ذلك حنَّ، فهو أعظم من إحياء الموتى، هكذا يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كذلك تسبيح الحصى، سَبَّح الحصى وهو بيده، وكذلك تسبيح الطعام، وتسبيح النوى، فهو من هذا النوع، والآيات كثيرة في هذا.

* * *

۞ «ومنها ما أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرني الحسن بن سفيان، ثنا محمد بن بشار العبدي، ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ـ هو: ابن مسعود ـ، قال: «إِنَّكُمْ تَعُدُّونَ الْآيَاتِ عَذَابًا وَكُنَّا نَعُدُّهَا بَرَكَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَدْ كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الطَّعَامَ وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ، وَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَقَال النَّبِيُّ ﷺ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ السَّمَاءِ»[(١)]، حَتَّى تَوَضَّأْنَا كُلُّنَا.

۞ وروينا في حديث أبي ذر: تَسْبِيحَ الْحَصَيَاتِ فِي كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ فِي يَدِ عُمَرَ ثُمَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ[(٢)].

۞ ومنها ما أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن، أخبرنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت سالم بن أبي الجعد، قال شعبة: وأخبرني حصين بن عبد الرحمٰن، قال: سمعت سالم بن أبي الجعد، قال: قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَ الشَّجَرَةِ؟ قال: كُنَّا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ، وَذَكَرَ عَطَشًا أَصَابَهُمْ، قال: فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَاءٍ فِي تَوْرٍ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١١٤٦)، والبزار في «مسنده» (٤٠٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٢٤٤)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٦٤ ـ ٦٥).

فَجَعَلَ الْمَاءُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ الْعُيُونُ، قال: فَشَرِبْنَا وَوَسِعَنَا وَكَفَانَا، قال: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قال: لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ كَفَانَا، كُنَّا أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ(١).

﴿ورواه عبد العزيز بن مسلم وابن فضيل، عن حصين وفيه من الزيادة: «فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا».

﴿وفي رواية الأعمش عن سالم، عن جابر: «فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا»، قال: فَجَعَلْتُ لَا آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ(٢).

﴿ورواه أيضًا عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، وفي بعض الروايات عنه قول النبي ﷺ: «حَيَّ عَلَى الْوَضُوءِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللهِ» فَأَقْبَلَ النَّاسُ فَتَوَضَّئُوا وَشَرِبُوا، وَجَعَلْتُ لَا هَمَّ لِي إِلَّا مَا أَجْعَلُ فِي بَطْنِي مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ «وَالْبَرَكَة مِنَ اللهِ»(٣).

﴿وفي رواية ابن عباس قال: فَرَأَيْتُ الْعُيُونَ تَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، قال: فَأَمَرَ بِلَالًا يُنَادِي فِي النَّاسِ: الْوَضُوءُ الْمُبَارَكُ، وَهَذَا يَكُونُ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَشْهَدِ الْحُدَيْبِيَةَ(٤).

﴿ورواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه صنع ذلك، والأشبه أن ذلك كان بالمدينة».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٩)، ومسلم (٧٤، ١٨٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٦٨)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٤/١٢٧ ـ ١٢٨).

الشَّرح

هذا الحدث تكرَّر، كان في الحديبية، ثم كان في المدينة، فالآيات التي تخرج على يد رسول الله ﷺ كثيرة، ويكفي نوعٌ واحد من هذه الأنواع، كما أنَّ الأنبياء قبله، كلُّ نبيٍّ يأتي بآية، كما في «الصحيحين»: **«ما منَ الأنبيَاءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعطِيَ ما مِثْلهُ آمنَ عليه البَشَرُ، وإنَّمَا كانَ الَّذِي أُوتِيتُ وحيًا أوحَاهُ اللهُ إلَيَّ، فأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ»**[1]، وليس الوحي فقط، فآياته ﷺ متعدِّدة ومتنوِّعة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

❁ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا علي بن حمشاذ العدل، أخبرنا أبو المثنى، ثنا مسدد، ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، أن رسول الله ﷺ دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه.

❁ قال أنس: فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مِنْهُ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ[1].

❁ ورواه عبيد الله بن عمر، عن ثابت، عن أنس قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى قُبَاءَ، ورواه حميد عن أنس، قال: حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ يَتَوَضَّأُ وَبَقِيَ قَوْمٌ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَذَكَرَ عَدَدَ الثَّمَانِينَ وَزِيَادَةً.

❁ وفي كل ذلك دلالة على أنه كان في وقت آخر سوى ما رواه جابر ومن تابعه.

❁ وروى قتادة عن أنس، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَانُوا بِالزَّوْرَاءِ - وَالزَّوْرَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ - فَدَعَا بِقَدَحٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ غَيْرَ أَنَّهُ قال: قُلْتُ لِأَنَسٍ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، كَمْ كَانُوا؟ قال: زُهَاءُ ثَلَاثِمِائَةٍ.

❁ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَرَّةً أُخْرَى.

❁ وفي حديث زياد بن الحارث الصدائي أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥)، ومسلم (٢٢٧٩).

فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، قال: فَتَبَرَّزَ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيَّ، وَقَدْ تَلَاحَقَ أَصحَابُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مِنْ مَاءٍ يَا أَخَا صُدَاءَ؟» فَقُلْتُ: لَا إِلَّا شَيْءٌ قَلِيلٌ لَا يَكْفِيكَ، فَقال النَّبِيُّ ﷺ: «اجْعَلْهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ ائْتِنِي بِهِ»، فَفَعَلْتُ، فَوَضَعَ كَفَّهُ فِي الْمَاءِ، قال الصُّدَائِيُّ: فَرَأَيْتُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيْنًا تَفُورُ(١).

۞ فهذا يكون خبرًا عن قصة أخرى.

۞ ومنها: ما أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الْفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، نَزَلْنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ - وَهِيَ بِئْرٌ - فَوَجَدْنَا النَّاسَ قَدْ نَزَحُوهَا، فَلَمْ يَدَعُوا فِيهَا قَطْرَةً، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا بِدَلْوٍ فَنَزَعَ مِنْهَا ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُ بِفِيهِ فَمَجَّهُ فِيهَا، وَدَعَا اللهَ فَكَثُرَ مَاؤُهَا حَتَّى صَدَرْنَا وَرَكَائِبُنَا وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً(٢).

۞ ورواه أيضًا سلمة بن الأكوع والمسور بن مخرمة وقد صنع مثل هذا رسول الله ﷺ بآبار، وقد ذكرنا صنعه بكل واحدة منها في كتاب «الدلائل» ومنها ما:

۞ أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٠٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٢٨٥)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٤/ ١٢٥ - ١٢٧)، وفي «السنن الكبرى» (١/ ٣٨٠ - ٣٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٠).

ببغداد، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبد الرزاق، (ح).

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الصغاني بمكة، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن عوف عن أبي رجاء العطاردي، عن عمران بن حصين، قال: سَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، قال: فَأَصَابَهُمْ عَطَشٌ شَدِيدٌ فَأَقْبَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصحَابِهِ - قال: أَحْسَبُهُ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ أَوْ غَيْرَهُمَا -، قال: إِنَّكمَا سَتَجِدَانِ بِمَكَانِ كَذَا وَكذَا امْرَأَةً مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ عَلَى الْبَعِيرِ فَائْتِيَانِي بِهَا، قال: فَأَتَيَا الْمَرْأَةَ فَوَجَدَاهَا رَكِبَتْ بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ عَلَى الْبَعِيرِ فَقَالَا لَهَا: أَجِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: وَمَنْ رَسُولُ اللهِ؟ أَهَذَا الصَّابِئُ؟ قَالَا: هُوَ الَّذِي تَعْنِينَ، وَهُوَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَجَاءَا بِهَا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ مِنْ مَزَادَتَيْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ قال فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَفِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ: قال مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ أَعَادَ الْمَاءَ فِي الْمَزَادَتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ بِغِطَاءِ الْمَزَادَتَيْنِ فَفُتِحَتْ، ثُمَّ أَمَرُوا النَّاسَ فَمَلَئُوا آنِيَتَهُمْ وَأَسْقِيَتَهُمْ، فَلَمْ يَدَعُوا يَوْمَئِذٍ إِنَاءً وَلَا سِقَاءً إِلَّا مَلَؤُوهُ، قال عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ: فَكَانَ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَمْ يَزْدَادَا إِلَّا امْتِلَاءً، قال: فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِثَوْبِهَا فَبُسِطَ، ثُمَّ أَمَرَ أَصْحَابَهُ فَجَاءُوا مِنْ أَزْوَادِهِمْ حَتَّى مَلَأَ لَهَا ثَوْبَهَا، ثُمَّ قال لَهَا: «اذْهَبِي فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكَ شَيْئًا وَلَكِنَّ اللهَ سَقَانَا»، قال: فَجَاءَتْ أَهْلَهَا فَأَخْبَرَتْهُمْ، فَقَالَتْ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَسْحَرِ النَّاسِ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ حَقًّا، قال: فَجَاءَ أَهْلُ ذَلِكَ الْحِوَاءِ حَتَّى أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ.

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا الحسن بن يعقوب، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، أنا عوف بن أبي جميلة، فذكره بإسناده ومعناه يزيد وينقص، وقال في آخره قال: فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُغِيرُونَ عَلَى مَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يُصِيبُونَ الصِّرْمَ الَّذِي هِيَ فِيهُ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِقَوْمِهَا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَمْدًا يَدعُونَكُمْ، هَلْ لَكُمْ فِي الْإِسْلَامِ؟ فَأَطَاعُوهَا، فَجَاءُوا جَمِيعًا فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ[1].

ﷺ قال الشيخ: وهذا لأنه ﷺ كان يرجو إسلامهم بما أرى المرأة منهم من معجزاته فأخبرتهم بذلك فعلموا تصديقه فأسلموا».

الشَّرْح

هذه القصة كانت في غزوة تبوك، حال رجوعه منها ﷺ.

وزيادة الشيء القليل حتى يكون كثيرًا جدًّا، ليس في مقدور المخلوق، فهو من قدرة الله ﷻ.

وهذا فيه آية لرسول الله ﷺ، فإن الله استجاب دعاءه، وأوجد الشيء المعدوم الذي ليس عنده، وفي هذا أنهم ملؤوا أوعيتهم.

والمزادة: هي القِربة التي تتخذ من جلد الضأن.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).

۞ «وحديث الميضأة الذي رواه عمران وأبو قتادة الأنصاري من هذا الباب، فإن النبي ﷺ قال لأبي قتادة: «أَمَعَكُمْ مَاءٌ؟»، قال: قُلْتُ: نَعَمْ مِيضَأَةٌ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ وَبَقِيَ فِي الْمِيضَأَةِ جَرْعَةٌ، فَقَالَ: «ازْدَهِرْ بِهَا يَا أَبَا قَتَادَةَ فَإِنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا شَأْنٌ».

۞ فذَكَرَ الحدِيثَ في سَيرِهِم، فلمَّا اشتدَّتْ بِهِمُ الظَّهِيرَةُ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكْنَا عَطَشًا، قال: «لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ» ثُمَّ قال: «يَا أَبَا قَتَادَةَ، ائْتِنِي بِالْمِيضَأَةِ»، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ: حُلَّ لِي غُمَرِي - يَعْنِي: قَدَحَهُ -، فَحَلَلْتُهُ فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَجَعَلَ يَصُبُّ وَيَسْقِي النَّاسَ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحْسِنُوا الْمَلْءَ فَكُلُّكُمْ سَيَصْدُرُ عَنْ رِيٍّ»، فَشَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، فَصَبَّ لِي فَقَالَ: «اشْرَبْ يَا أَبَا قَتَادَةَ» قُلْتُ: اشْرَبْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «إِنَّ سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا»، فَشَرِبْتُ ثُمَّ شَرِبَ بَعْدِي، وَبَقِيَ فِي الْمِيضَأَةِ نَحْوٌ مِمَّا كَانَ فِيهَا، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثُمِائَةٍ[1].

۞ أخبرنا علي بن بشران، أخبرنا أبو جعفر الرزاز، أخبرنا محمد بن عبيد الله بن يزيد، ثنا يزيد بن هارون، أنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الله بن رباح، عن أبي قتادة فذكره.

۞ وفي آخره تصديق عمران بن حصين عبد الله بن رباح في روايته.

۞ ورواه سليمان بن المغيرة، عن ثابت فقال فيه: فلما رأى

(١) أخرجه مسلم (٦٨١).

النَّاس ما في الميضأة تكالبوا عليها، فقال: «أَحْسِنُوا الْمَلْءَ كُلُّكُمْ سَيُرْوَى»»[١].

الشَّرح

هذا أيضًا نوعٌ آخرُ، وهي كلُّها أنواع متعدِّدة، ومنها ما في «صحيح البخاري»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأنه كان يقولُ: «أَللهِ الذي لا إلٰه إلَّا هو، إنْ كنتُ لأَعتمِدُ بِكبدي على الأَرض من الجوعِ، وإنْ كنتُ لأشُدُّ الحَجَرَ على بطْنِي من الجوعِ، ولقد قَعَدتُ يومًا على طَرِيقِهِمُ الذي يخرجونَ منهُ، فمَرَّ أبو بكرٍ، فسَألتُهُ عن آيةٍ من كتابِ الله، ما سألتُهُ إلَّا لِيُشبِعنِي، فمَرَّ ولم يفعَلْ، ثمَّ مرَّ بِي عمَرُ، فسألتُهُ عن آيةٍ منْ كِتابِ اللهِ، ما سألتُهُ إلَّا لِيُشبِعنِي، فمَرَّ فلم يَفعَلْ، ثمَّ مرَّ بِي أبو القاسمِ ﷺ، فتَبَسَّمَ حينَ رآنِي، وعرَفَ ما في نَفسِي وما في وجهِي، ثمَّ قال: «**يا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ، قال: «**الحَقْ**» ومَضَى فتَبِعْتُهُ، فدَخلَ، فاستَأذنَ، فأذِنَ لِي، فدَخلَ، فوجدَ لبَنًا في قدَحٍ، فقال: «**مِنْ أينَ هذا اللَّبَنُ؟**» قالُوا: أهْدَاهُ لكَ فلانٌ أو فُلانةُ، قالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ، قال: «**الحَقْ إِلَى أهلِ الصُّفَّةِ فادْعُهُمْ لِي**» قال: وأهلُ الصُّفَّةِ أضيَافُ الإسلامِ، لا يأْوُونَ إلى أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتَتْهُ صدَقةٌ بَعَثَ بها إليهِم ولم يَتناوَل منها شيئًا، وإذا أتَتْهُ هدِيَّةٌ أرسلَ إليهم وأصَابَ منها وأشرَكهُمْ فيها، فسَاءنِي ذلكَ، فقُلْتُ: وما هذا اللَّبَنُ في أهل الصُّفَّةِ، كنتُ أحقُّ أنا أن أُصِيبَ من هذا اللَّبَنِ شَربَةً أَتَقَوَّى بها، فإذا جاءَ أَمرَنِي، فكُنْتُ أنا أعطِيهِم، وما عسَى أنْ يَبلُغَنِي من هذا اللَّبَنِ، ولم

---

(١) انظر: التخريج السابق.

يَكُنْ من طاعَةِ الله وطاعةِ رسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فأَتَيْتُهُم فدَعَوتُهُم فأَقبَلُوا، فاستَأْذَنُوا فأذِنَ لهم، وأخَذُوا مجالِسَهُم من البيتِ، قال: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قلتُ: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ، قال: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**» قالَ: فأَخذْتُ القدَحَ، فجعَلتُ أُعطِيهِ الرَّجلَ فيَشرَبُ حتَّى يَروى، ثمَّ يرُدُّ عليَّ القدَحَ، فأُعطِيهِ الرَّجُلَ فيَشرَبُ حتَّى يَروى، ثمَّ يردُّ عليَّ القدَحَ فيَشرَبُ حتَّى يَروى، ثمَّ يَرُدُّ عليَّ القدَحَ، حتَّى انْتهَيتُ إلى النَّبِيِّ ﷺ وقد روِيَ القومُ كُلُّهُمْ، فأخذَ القدَحَ فوضعَهُ على يَدِهِ، فنَظَرَ إليَّ فتَبَسَّمَ، فقالَ: «**أبَا هِرٍّ**» قُلتُ: لبَّيكَ يا رسول اللهِ، قال: «**بَقِيتُ أنَا وأَنْتَ**» قُلْتُ: صَدَقتَ يا رسولَ اللهِ، قالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ فشَرِبْتُ، فقالَ: «**اشْرَبْ**» فشَرِبْتُ، فما زالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**» حتَّى قُلْتُ: لا والذي بَعثَكَ بِالحَقِّ، ما أجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قالَ: «**فأَرِنِي**» فأَعطَيْتُهُ القَدَحَ، فحَمِدَ اللهَ وسمَّى وشرِبَ الفَضْلَةَ»[١].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

❁ «ومنها: ما أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا تمتام وهو محمد بن غالب، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا عكرمة، عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَصَابَنَا جَهْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى هَمَمْنَا أَنْ نَنْحَرَ بَعْضَ ظَهْرِنَا، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اجْمَعُوا بَعْضَ مَزَاوِدِكُمْ» فَأَمَرَ نَبِيُّ اللهِ بِنِطْعٍ فَمُدَّ، قال: فَجَاءَ الْقَوْمُ بِشَيْءٍ فِي جُرُبِهِمْ فَنَبَذُوهُ، قال: فَتَطَاوَلْتُ أَحْزِرُهُ حَتَّى كَمْ هُوَ؟ فَإِذَا هُوَ كَرَبْضَةِ الشَّاةِ وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا أَجْمَعِينَ.

❁ قال: ثُمَّ تَطَاوَلْتُ لَهُ بَعْدَمَا شَبِعَ الْقَوْمُ أَحْزِرُهُ كَمْ هُوَ؟ فَإِذَا هُوَ كَرَبْضَةِ الشَّاةِ!

❁ قال: فَحَشَوْنَا جُرُبَنَا مِنْهُ ثُمَّ أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنُطْفَةٍ فِي إِدَاوَةٍ فَصَبَّهَا فِي قَدَحٍ فَرَفَعْنَا مِنْهَا حَتَّى تَطَهَّرْنَا بِأَجْمَعِنَا ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ نَفَرٍ قَالُوا: هَلْ مِنْ وَضُوءٍ؟ فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَرَغَ الْوَضُوءُ»[١].

❁ ورواه النضر بن محمد، عن عكرمة بن عمار، وقال في الحديث: فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا نُدَغْفِقُهُ دَغْفَقَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً[٢].

❁ وروى أبو هريرة قصة الأزواد وقال: فَدَعَا عَلَيْهَا حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ. وروي في مثل ذلك عن أبي عمرة الأنصاري، وعن أبي خنيس الغفاري، وعن ابن عباس، كلهم عن النبي ﷺ.

(١) أصل الحديث في البخاري (٢٤٧٧)، ومسلم (١٨٠٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٩).

﴿ ومنها: ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا جعفر بن محمد بن شاكر، ثنا محمد بن سابق، ثنا شيبان، عن فراس، قال: قال الشعبي: فحدثني جابر بن عبد الله، أن أباه، استشهد يوم أُحد وترك ست بنات وترك عليه دينًا كثيرًا، فلما حضر جذاذ النخل أتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أُحد وترك عليه دينًا كثيرًا فأنا أحب أن يراك الغرماء، قال: «اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرَةٍ عَلَى حِدَةٍ»، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ أُغْرُوا بِي تِلْكَ السَّاعَةَ، فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدَرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: «ادْعُ أَصْحَابَكَ» فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى أَدَّى اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي، وَأَنَا وَاللهِ رَاضٍ أَنْ يُؤَدِّيَ اللهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعُ إِلَى إِخْوَتِي بِتَمْرَةٍ، فَسَلَّمَ اللهُ الْبَيَادِرَ كُلَّهَا حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدَرِ الَّذِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ تَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ»[(١)].

الشَّرح

هذا القصة رواها البخاري في صحيحه: عن جابرٍ رضي الله عنه، قال: تُوُفِّيَ عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو بن حَرَامٍ وعليهِ دَيْنٌ، فاستَعَنتُ النَّبيَّ ﷺ على غُرَمَائِهِ أنْ يَضَعُوا من دَيْنِهِ، فطلَبَ النَّبيُّ ﷺ إليهم فلم يَفعَلُوا، فقالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: **«اذهَبْ فصَنِّفْ تمرَكَ أصنَافًا، العجوَةَ على حِدَةٍ، وعَذْقَ زيدٍ على حِدَةٍ، ثُمَّ أرسِلْ إليَّ»**، ففَعَلْتُ، ثمَّ أرسلْتُ إلى النَّبيِّ ﷺ، فجَاءَ فجَلسَ على أعلَاهُ، أو في وسَطِهِ، ثمَّ قالَ: **«كِلْ لِلْقَوْمِ»**، فكِلتُهُم حتَّى

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٧، ٢٤٠٥).

أوفَيتُهُمُ الذي لهم وبقِيَ تَمْرِي كأَنَّهُ لم يَنقُصْ منهُ شيءٌ، «**فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حتَّى أَدَّاهُ**»، قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**جُذَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ**»[١].

وهذا تكثير للطعام، ببركة دعائه ﷺ، فهو آية من آيات الله ﷻ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٧).

ﷺ «ومنها: ما أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أبو النضر الفقيه، ثنا عثمان بن سعيد، أنا القعنبي، فيما قرأ على مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك، يقول: قال أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ بِهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أُنَاسٌ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟»، قال: فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «طَعَامٌ»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ: «قُومُوا نَنْطَلِقْ»، قال: فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ.

ﷺ قال أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ، فَقَالَتِ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ»، فَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَفُتَّ وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قال فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا،

وَالْقَوْمُ سَبْعونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ[١].

ﷺ ورواه سعد بن سعيد، عن أنس بن مالك، وزاد في آخره قال: ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها.

ﷺ ورواه النضر بن أنس، عن أنس وقال: وَأَكَلَ مِنْهَا بِضْعٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا، وَفَضَلَ مِنْهَا فَضْلٌ فَدَفَعَهَا إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ فَقَالَ: «كُلِي وَأَطْعِمِي جِيرَانَكِ».

ﷺ وفي حديث جابر بن عبد الله: أَنَّهُ دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ، فَدَعَا اللهَ عَلَى الْقِدْرِ وَالتَّنُّورِ، فَأَكَلُوا وَهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ، قال: وَأَكَلْنَا وَأَهْدَيْنَا لِجِيرَانِنَا، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَهَبَ ذَلِكَ[٢].

ﷺ قال الشيخ: وربو الطعام بتبريكه فيه حتى أكل منه عدد كثير، وزيادة الماء بدعائه قد رويناهما من أوجه أخرى.

ﷺ وفي حديث سمرة في القصعة التي كانت تمد من السماء[٣].

ﷺ وفي حديث أبي أيوب فيما صنع من الطعام[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٢) انظر: التخريج السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٢، ١٨)، والترمذي (٣٦٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦٧٤٠)، والحاكم (٢/ ٦١٨)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٩٣).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠٩٠)، والترمذي (٣٦٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦٧٤٠)، والحاكم (٢/ ٦١٨)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٩٣)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٩٤).

۞ وفي الشاة التي اشتراها من الأعرابي(١).

۞ وفي اللبن الذي دعا عليه أهل الصفة(٢).

۞ وفيما خلف على عائشة من الشعير(٣).

۞ وفيما أعطى الرجل من الشعير(٤).

۞ وفيما بقي عند المرأة من السمن في العكة(٥)، وغير ذلك في سائر هذه الأحاديث وغيرها مما في معناها بأسانيدها مما يطول به الكتاب، وفيما أشرنا إليه كفاية وبالله التوفيق.

۞ ومنها: ما أخبرنا به أبو علي الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري، وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان الغزال، في آخرين قالوا: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه **فقال: «يَا غُلَامُ هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟»، قال: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، فَقَالَ: «هَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهَا الْفَحْلُ» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ فَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَنَزَلَ لَبَنٌ فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، قال: ثُمَّ قال لِلضَّرْعِ: «اقْلِصْ» فَقَلَصَ، قال: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَمَسَحَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٦، ٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٦، ٦٤٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٩٧، ٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٨١).

(٥) انظر: التخريج السابق.

رَأْسِي وَقَالَ: «يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ»(١).

۞ ورواه حماد بن سلمة وغيره، عن عاصم فقال: هل عندك من جذعة لم ينزل عليها الفحل بعد؟ فأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا فحفل الضرع، وقد صنع مثل هذا في غير موضع.

۞ وصنع ذلك بشاة أم معبد حين مر بها في الهجرة حتى قال فيها الهاتف الأبيات المذكورة في قصتها(٢).

۞ ومنها: ما أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا عبيد الله بن موسى، وعبد الله بن رجاء أبو عمرو الغداني (ح).

۞ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو بكر بن إسحاق، أنا محمد بن سليمان بن الحارث، ثنا عبيد الله بن موسى، وعبد الله بن رجاء، قالا: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهمًا فَقَال: أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْهُ إِلَى رَحْلِي، فَقال لَهُ عَازِبٌ: لَا حَتَّى تُحَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمَا، قال: أَدْلَجْنَا مِنْ مَكَّةَ لَيْلًا فَأَحْيَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٥٩٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٤٤)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٩ ـ ١٠)، والبغوي في «السُّنَّة» (٣٥٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٦٠٥)، والمصنف في «دلائل النبوة» (١/ ٢٧٦ ـ ٢٨١).

ظِلٌّ نَأْوِي إِلَيْهِ؟ فَإِذَا صَخْرَةٌ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهَا فَإِذَا بَقِيَّةُ ظِلٍّ لَهَا، قال: فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَرْوَةً، ثُمَّ قُلْتُ: اضْطَجِعْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَاضْطَجَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَيْهِ أَنْفُضُ مَا حَوْلِي، هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا؟ فَإِذَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أُرِيدُ ـ يَعْنِي: الظِّلَّ ـ، فَسَأَلْتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَال: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَمَّاهُ، فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قال: نَعَمْ، قُلْتُ: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لِي؟ قال: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ، فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ وَأَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، فَضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَقَدْ رَوَّيْتُ مَعِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَوَافَقْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ، قال: فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ، لَقَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»، فَلَمَّا دَنَا مِنَّا وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قِيدَ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟» فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي وَلَكِنَّنِي إِنَّمَا أَبْكِي عَلَيْكَ، قال: فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ»، قال: فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا فَوَثَبَ عَنْهَا، ثُمَّ قال: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُنْجِيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ؛ فَوَاللهِ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَبِ، وَهَذِهِ كِنَانَتِي

فَخُذْ مِنْهَا سَهْمًا؛ فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي بِمَكَانِ كَذَا وَكذَا فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا حَاجَةَ لَنَا فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ»، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ رَاجِعًا إِلَى أَصْحَابِهِ وَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا.

۞ ورواه زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن البراء، عن أبي بكر قال فيه: وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُتِينَا، فَقَالَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا[(١)].

۞ ورواه الزهري، عن عبد الرحمن بن مالك المدلجي، عن أبيه، عن سراقة، فذكر قصة خروجه خلف النبي ﷺ، قال: حَتَّى سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ التَّلَفُّتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتِ الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَاهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا غُبَارٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، قال: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ مُنِعَ مِنِّي وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ[(٢)].

۞ والأحاديث في دعائه على آحاد المشركين، ودعائه لآحاد المسلمين، واستسقائه، ودعائه بالحبس وإجابة الله تعالى إياه فيما سأل كثيرة، وهي في كتاب «الدلائل» بأسانيدها مذكورة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٣٩، ٣٦١٥، ٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩)، والمصنف في «دلائل النبوة» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

۞ ومنها: ما أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ومحمد بن موسى، قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن إسماعيل بن عبد الملك، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْبَرَازَ تَبَاعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا بِفَلَاةٍ مِنْ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ وَلَا شَجَرٌ، فَقال لِي: «يَا جَابِرُ، خُذِ الْإِدَاوَةَ وَانْطَلِقْ بِنَا»، فَمَلَأْتُ الْإِدَاوَةَ مَاءً وَانْطَلَقْنَا فَمَشَيْنَا حَتَّى لَا نَكَادَ نُرَى فَإِذَا شَجَرَتَانِ بَيْنَهُمَا أَذْرُعٌ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ، انْطَلِقْ فَقُلْ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ: يَقُولُ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْحَقِي بِصَاحِبَتِكِ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا»، فَفَعَلْتُ، فَزَحَفَتْ حَتَّى لَحِقَتْ بِصَاحِبَتِهَا، فَجَلَسَ خَلْفَهُمَا حَتَّى قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ رَجَعْنَا فَرَكِبْنَا رَوَاحِلَنَا فَسِرْنَا فَكَأَنَّمَا عَلَيْنَا الطَّيْرُ تُظِلُّنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ قَدْ عَرَضَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهَا صَبِيٌّ تَحْمِلُهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا يَأْخُذُهُ الشَّيْطَانُ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَا يَدَعُهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَنَاوَلَهُ، فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُقَدَّمَةِ الرَّحْلِ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ، أَنَا رَسُولُ اللهِ»، فَأَعَادَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا رَجَعْنَا، فَكُنَّا بِذَلِكَ الْمَاءِ عَرَضَتْ لَنَا الْمَرْأَةُ مَعَهَا كَبْشَانِ تَقُودُهُمَا وَالصَّبِيُّ تَحْمِلُهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْبَلْ مِنِّي هَدِيَّتِي؛ فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنْ عَادَ إِلَيْهِ بَعْدُ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خُذُوا أَحَدَهُمَا مِنْهَا وَرُدُّوا الْآخَرَ».

۞ ثُمَّ سِرْنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَنَا، فَجَاءَ جَمَلٌ نَادٍ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ خَرَّ سَاجِدًا، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ

صَاحِبُ هَذَا الْجَمَلِ؟»، فَقال فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ: هُوَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «فَمَا شَأْنُهُ؟»، قال: سَنَوْنَا عَلَيْهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً فَلَمَّا كَبُرَ سِنُّهُ وَكَانَتْ عَلَيْهِ شُحَيْمَةٌ فَأَرَدْنَا نَحْرَهُ لِنَقْسِمَهُ بَيْنَ غِلْمَتِنَا، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَبِيعُونِيهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ لَكَ، قال: «فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ مِنَ الْبَهَائِمِ، قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ النِّسَاءُ لِأَزْوَاجِهِنَّ»(١).

❁ وقد روى عبادة بن الوليد، عن جابر بن عبد الله قصة انقياد الشجرتين لنبيِّنا ﷺ واجتماعهما حتى استتر بهما، ثم افتراقهما(٢).

❁ وروى يعلى بن مرة، عن أبيه، وقيل: عنه دون أبيه أنه شهد هذه المعجزات الثلاث من رسول الله ﷺ كما شهدهن جابر(٣).

❁ وروينا في حديث ابن عباس دعاء رسول الله ﷺ العذق ونزوله من النخلة ومشيه إليه ورجوعه إلى مكانه(٤).

❁ وفي حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ دُعَاءَهُ الشَّجَرَةَ وَإِقْبَالَهَا إِلَيْهِ حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَشْهَدَهَا ثلاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قال، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا(٥).

---

(١) أخرجه الدارمي (١٧)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ١٨ ـ ١٩).
وقد أخرجه أبو داود (٢)، وابن ماجه (٣٣٥)، وابن عدي (١/ ٢٧٩) كلهم مختصرًا.

(٢) أخرجه مسلم (٣٠١٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، وابن ماجه (٣٣٩)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٧ ـ ١٠).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٣)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٥) أخرجه الدارمي (١٦)، وابن حبان (٦٥٠٥)، وأبو يعلى (٥٦٦٢).

❁ وفي حديث سلمان الفارس: حِينَ كَاتَبَ قَوْمَهُ عَلَى كَذَا وَكذَا نَخْلَةً يَغْرِسُهَا لَهُمْ، وَيَقُومُ عَلَيْهَا حَتَّى تُطْعَمَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَغَرَسَ النَّخْلَ كُلَّهَا إِلَّا نَخْلَةً وَاحِدَةً غَرَسَهَا غَيْرُهُ، فَأَطْعَمَ نَخْلَهُ مِنْ سَنَتِهِ إِلَّا تِلْكَ النَّخْلَةِ(١).

❁ وفي حديث جابر وغيره في قصة خيبر إِخْبَارَ الذِّرَاعِ إِيَّاهُ بِأَنَّهَا مَسْمُومَةٌ(٢).

❁ وفي حديث أبي سعيد الخدري: شَهَادَة الذِّئْبِ لِنَبِيِّنَا ﷺ بِالرِّسَالَةِ(٣).

❁ وفي حديث النعمان بن بشير وسعيد بن المسيب: شَهَادَة زَيْدِ بْنِ خَارِجَةَ الْأَنْصَارِيِّ بَعْدَمَا مَاتَ لِنَبِيِّنَا ﷺ بِالرِّسَالَةِ(٤).

❁ وفي حديث روي عن عمر وغيره: فِي شَهَادَةِ الضَّبِّ لِنَبِيِّنَا ﷺ بِالرِّسَالَةِ(٥).

❁ وفي حديث ربعي بن حراش: شَهَادَةَ أَخِيهِ بَعْدَمَا مَاتَ لِنَبِيِّنَا ﷺ بِالرِّسَالَةِ(٦).

---

(١) أخرجه البزار (٤٤٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٠)، والدارمي (٦٧)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (١١٧٩٢)، وابن حبان (٦٤٩٤)، والحاكم (٤/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨)، والترمذي (٢١٨١) مختصرًا.

(٤) حديث النعمان بن بشير أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٦٨٧)، وحديث سعيد بن المسيب أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ١١٠٥).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٩٦)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٦).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٨٧)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٥٤).

ﷺ وفي حديث الأعمش، عن شمر بن عطية، عن أشياخه: شَهَادَةَ الصَّبِيِّ الَّذِي شَبَّ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ لِنَبِيِّنَا بِالرِّسَالَةِ[١].

ﷺ وفي حديث معيقيب: شَهَادَةَ الرَّضِيعِ لِنَبِيِّنَا ﷺ بِالرِّسَالَةِ[٢].

ﷺ وَفِي قِصَّةِ أُحُدٍ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ أَعْطَى عَبْدَ اللهِ بْنَ جَحْشٍ عَسِيبًا مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ سَيْفُهُ، فَرَجَعَ فِي يَدِ عَبْدِ اللهِ سَيْفًا[٣].

ﷺ وفي «مغازي» محمد بن إسحاق بن يسار، ثم الواقدي في قصة بدر: أَنَّ عُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ انْقَطَعَ سَيْفُهُ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا فَإِذَا هُوَ سَيْفٌ أَبْيَضُ طَوِيلُ الْقَامَةِ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى هَلَكَ[٤].

ﷺ وفي كتاب الواقدي أَنَّهُ انْكَسَرَ سَيْفُ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَضِيبًا كَانَ فِي يَدِهِ فَقَالَ: اضْرِبْ بِهِ؛ فَإِذَا هُوَ سَيْفٌ جَيِّدٌ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ جِسْرِ أَبِي عُبَيْدٍ[٥].

ﷺ وفي قصَّة بَدرٍ ـ وقِيلَ: أُحدٍ ـ عن قتَادةَ بنِ النُّعمَانِ أنَّهُ أُصِيبَتْ عَينُهُ، فَسالَتْ حدَقَتُهُ علَى وجنَتِهِ، فدَعَا بِهِ رسُولُ اللهِ ﷺ، فَغَمَزَ حَدَقَتهُ بِرَاحَتِهِ، فَكَانَ لَا يَدْرِي: أَيُّ عَيْنَيْهِ أُصِيبَتْ؟[٦].

ﷺ وعن رِفاعةَ بْنِ رَافِعٍ أَنَّهُ رُمِيَ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَهْمٍ فَفُقِئَتْ عَيْنُهُ،

---

(١) أخرجه المصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه المصنف في «دلائل النبوة» (٣/ ٩٩).

(٣) أخرجه معمر بن راشد (٢٠٥٣٩)، ومن طريقه أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢١٤٦٣)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٠).

(٤) الخبر في مغازي الواقدي (١/ ٩٣)، ورواه المصنف في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٠).

(٥) الخبر في مغازي الواقدي (١/ ٩٣).

(٦) أخرجه أبو يعلى (١٥٤٩)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٣/ ٩٩).

فَبَصَقَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدَعَا لَهُ فَمَا آذَاهُ[١].

۞ وَبَصَقَ فِي عَيْنِ عَلِيٍّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ رَمَدٍ كَانَ بِهَا وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، ثُمَّ لَمْ يَشْكُ عَيْنَيْهِ بَعْدُ[٢].

۞ وله من دعواته واستسقائه واستشفائه وإجابة الله تعالى إياه في جميع ذلك آيات كثيرة ودلالات واضحة، ومعجزاته أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تخفى؛ وإنما نشير هاهنا من كل جنس إلى مقدار ما يتضح به ما قصدناه في هذا الكتاب.

۞ وقد روينا أن جماعة من أصحاب النبي ﷺ رأوا جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي ودحية غائب[٣].

۞ ورأى جماعة من المشركين جماعة من الملائكة الذين أمد بهم رسول الله ﷺ يوم بدر[٤].

۞ ورأى سعد بن أبي وقاص يوم أُحد رجلين أحدهما عن يمين النبي ﷺ والآخر عن يساره عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه أشد القتال ما رآهما قبل ذلك ولا بعده وإذا هما ملكان[٥].

۞ وأما إخبار النبي ﷺ عن الكوائن أيام حياته وبعد وفاته وظهور صدقه في جميع ذلك فهي كثيرة وهي في كتاب الدلائل منقولة.

---

(١) أخرجه البزار (٣٧٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٩١٢٤)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٣/ ١٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١).
(٤) أخرجه مسلم (١٧٦٣).
(٥) أخرجه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

ﷺ فإنه ﷺ أخبر حين كان بمكة بما أفسدت الأرضة من صحيفة قريش، فأتي بها فوجدت كما قال[(١)].

ﷺ وحين أخبر عن مسراه إلى بيت المقدس، ثم إلى السماوات السبع وكذب فيه؛ أخبر عن عيرهم التي رآها في طريقه: عن قدومها، وعن نبأ بيت المقدس، فكان كما قال[(٢)].

ﷺ وأخبر أصحابه بما وقع لزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة بمؤتة، ونعاهم قبل أن يجيء خبرهم[(٣)].

ﷺ ونعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه[(٤)].

ﷺ وأخبر عن كتاب حاطب بن أبي بلتعة[(٥)].

ﷺ وأخبر عن أشياء وجد تصديقه في جميعها، ورواية جميع ذلك هاهنا مما يطول به الكتاب.

ﷺ ووعد أمته الفتوح التي وجدت بعده[(٦)].

ﷺ وحذرهم الفتن التي بدت في آخر خلافة عثمان وظهرت عند قتله وبعده[(٧)]، وأخبرهم بمدة بقاء الخلفاء بعده[(٨)].

---

(١) أصل الحديث أخرجه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١)، ورواه المصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ٣١١ ـ ٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٦، ٢٧٩٨، ٣٠٦٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤)، ورواه المصنف في «دلائل النبوة» (٥/ ١٦ ـ ١٨).

(٦) ومنها قوله ﷺ لعدي بن حاتم: **«لتفتحن كنوز كسرى»**. والحديث أخرجه البخاري (٣٥٩٥)، وأخرجه مسلم من حديث جابر بن سمرة (٢٩١٩).

(٧) ذكر كثيرًا منها المصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٠٥ ـ ٤٠٩).

(٨) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦).

ﷺ وأشار إلى الملوك الذين يكونون بعدهم من بني أمية، ثم بني العباس فكانوا كما قال[١].

ﷺ وسمى جماعة من أصحابه شهداء، فأدركوا الشهادة بعده[٢].

ﷺ وأخبر بأن عبد الله بن سلام لا يدرك الشهادة غير أنه يموت على الإسلام فكان كما أخبر[٣].

ﷺ وأخبر عن البلاء الذي أصاب عثمان بن عفان[٤].

ﷺ وعن قتل عمار بن ياسر[٥].

ﷺ وقتل ابن ابنته الحسين بن علي[٦].

ﷺ وإصلاح الحسن بن علي ابن ابنته بين فئتين عظيمتين من المسلمين[٧]، فوجد تصديقه في جميع ذلك.

ﷺ ونعى نفسه إلى ابنته فاطمة، وأخبر بأنها أول أهله لحوقًا به[٨]، فكان كما قال.

ﷺ وبشر أمته بكفاية الله شر الأسود العنسي ومسيلمة

---

(١) أخرجه المصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٠٩).

(٢) كما جاء في صحيح مسلم (٢٤١٧): عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي، أو صِدِّيقٌ، أو شهيد**».

(٣) أخرجه البخاري (٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٥).

(٦) أخرجه أحمد (١٣٥٣٩)، وأبو يعلى (٣٦٣).

(٧) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

الكذابين[١]، فكان كما أخبر.

ﷺ وذكر أويسًا القرني ووصفه بما وجد تصديقه بعده[٢].

ﷺ وارتد رجل من الأنصار، ولحق بالكفار وكان قد قرأ البقرة وآل عمران، ثم مات، فقال النبي ﷺ: «لَا تَقْبَلُهُ الْأَرْضُ»، فدفن مرارًا، فلم تقبله الأرض[٣].

ﷺ ولكل جنس من أجناس دلائل صدقه أشياء ذكرناها في كتاب «دلائل النبوة»، ومن أراد معرفتها بأسانيدها رجع إليها إن شاء الله تعالى.

ﷺ ولنبيِّنا ﷺ مرتبة عظيمة ومنزلة شريفة بما كان له من خاتم النبوة، وكانت له علامة ظاهرة في كتفه عرفه بها أهل الكتاب، وبسائر صفاته التي وجدوه مكتوبًا بها في كتبهم.

ﷺ ثم بما كان من شق قلبه، واستخراج حظ الشيطان منه، وغسله، وكان أمرًا ظاهرًا شاهده جماعة كانوا معه، وكان أنس بن مالك يقول: كُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ[٤].

ﷺ ثم بما كان له من المعراج ليلة أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى، وكان ذلك في اليقظة، وكل ما أخبر عنه من رؤية من رآه تلك الليلة من الملائكة والنبيين والجنة والنار وغير ذلك من آيات ربه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٠)، ومسلم (٢٢٧٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).
(٤) أخرجه مسلم (١٦٢).

كان رؤية عين[(١)].

﴿﴾ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، قال: وهي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به[(٢)].

﴿﴾ وقد ذكرنا قصة المعراج وشق الصدر وصفة خاتم النبوة في كتاب «دلائل النبوة»، وأما قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣]، فَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ هَذَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»[(٣)].

﴿﴾ وفي حديث عبد الله بن مسعود في هذه الآية: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٩]، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عليه السلام لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»[(٤)].

﴿﴾ وعن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم: ١٣]، قال: رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، وَعَنْ أَبِي هريرةَ مثلُ ذلكَ[(٥)].

---

(١) ينظر: دلائل النبوة، للمصنف (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨، ٤٧١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١٧٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٥) أخرجه مسلم (١٧٥).

ﷺ وذهب ابن عباس إِلَى أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ وَحَمَلَ الْآيَتَيْنِ عَلَى رُؤْيَتِهِ رَبَّهُ ﷻ[١] وَاللهُ أَعْلَمُ.

ﷺ وقد مضى ذِكْرُ أقاويلِهِم وأقاوِيلِ غيرهم في ذلك بأَسانِيدِها في كتابِ «الأسماء والصِّفات» وكتابِ «الرُّؤيةِ»».

الشَّرح

قوله: «وفي حديث جابر بن عبد الله: أَنَّهُ دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى صَاعٍ مِنْ شَعِيرٍ وَعَنَاقٍ، فَدَعَا اللهَ عَلَى الْقِدْرِ وَالتَّنُّورِ، فَأَكَلُوا وَهُمْ ثلاثمِائَةٍ، قال: وَأَكَلْنَا وَأَهْدَيْنَا لِجِيرَانِنَا، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَهَبَ ذَلِكَ» قال جابر بن عبد الله ﷺ: لمَّا حُفِرَ الخندقُ رأيتُ بالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا شدِيدًا، فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأتِي، فقلتُ: هل عِندَكِ شيءٌ؟ فإنِّي رأيتُ برَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فأَخْرَجَتْ إليَّ جِرَابًا فيه صاعٌ من شعِيرٍ، ولَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فذَبَحتُهَا، وطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، ففَرَغتْ إلَى فرَاغِي، وقطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا، ثمَّ ولَّيْتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَتْ: لا تَفضَحنِي بِرسولِ الله ﷺ وبِمنْ معَهُ، فجِئْتُهُ فسَارَرْتُهُ، فقلتُ: يا رسولَ الله ذبَحنَا بُهَيْمَةً لنا وطحَنَّا صاعًا منْ شعِيرٍ كانَ عِندنَا، فتَعَالَ أنْتَ ونفَرٌ معَكَ، فصاحَ النَّبِيُّ ﷺ فقالَ: **«يا أهلَ الخَندَقِ، إنَّ جابِرًا قد صنَعَ سُورًا، فحَيَّ هلا بِهلّكُمْ»**، فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتكُمْ، ولا تَخْبِزُنَّ عجِينَكُمْ حتَّى أَجِيءَ»**. فجِئْتُ وجاءَ رسولُ الله ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حتَّى جِئْتُ امرَأتِي، فقالَتْ: بِكَ وبِكَ، فقُلْتُ: قد فعَلْتُ الذي قُلْتِ، فأَخرَجَتْ لهُ عجِينًا فبَصَقَ فيه وبارَكَ، ثمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنَا فبَصَقَ وبَارَكَ، ثمَّ قالَ: **«ادْعُ خابِزَةً فلْتَخْبِزْ معِي، واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ ولا تُنْزِلُوهَا»** وهُمْ أَلْفٌ، فأُقْسِمُ بِاللهِ لقد أكَلُوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦).

حتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا، وإنَّ بُرْمَتَنَا لتَغِطُّ كما هِيَ، وإنَّ عجِينَنَا لَيُخْبَزُ كما هُوَ»[١].

فهذه أنواعٌ متعدِّدةٌ من آيات رسول الله ﷺ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩).



فصل

﴿ «والأنبياء عليهم السلام بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء.

﴿ وقد رأى نبيّنا ﷺ جماعة منهم ليلة المعراج وأمر بالصلاة عليه والسلام عليه[١].

﴿ وأخبر - وخبره صدق - أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه، وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتابًا[٢].

﴿ فنبيُّنا ﷺ كان مكتوبًا عند الله ﷻ قبل أن يخلق نبيًّا ورسولًا، وهو بعدما قبضه نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه، والذين يبلغون عنه أوامره ونواهيه خلفاؤه، فرسالته باقية وشريعته ظاهرة حتى يأتي أمر الله ﷻ[٣]، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧، ٣٣٩٤)، ومسلم (١٦٤، ١٦٦، ١٦٧).

(٢) ينظر: السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥)، وحياة الأنبياء (١٥)، وشعب الإيمان (١٥٨١) للمصنف.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٠٩)، والحاكم (٢/ ٦٠٩)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٢/ ١٣٠) وما بعدها.

الشَرح

قوله: «فهم أحياء عند ربهم كالشهداء»: فيه نظرٌ، بل هم أكملُ حياةً مِن الشهداء، وقد حرَّم الله ﷻ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء(١)، فهم أحياءٌ في قبورهم حياةً برزخيَّةً لا يعلم حقيقتها إلا الله، فلهذا تُعرَض عليه ﷺ أعمالُ أمَّته، ويعرض عليه والسلام إذا سَلَّم عليه أحدٌ، قال ﷺ: **«ما مِنْ أَحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ، إلَّا ردَّ اللهُ ﷻ إليَّ رُوحِي حتَّى أَرُدَّ عليه السَّلام»**(٢).

قوله: «فنبيُّنا ﷺ كان مكتُوبًا عند الله ﷻ قبل أن يُخلقَ نبيًّا ورسولًا».

وهذا ليس خاصًّا، هذا في كلِّ الأمور التي تقع، كتبها الله ﷻ وقد عَلِمَها، فلهذا صار من عقيدة أهل الإسلام الإيمانُ بالقدر، وقالوا: الإيمان بالقدر عبارةٌ عن علم الله الأزليِّ القديمِ، ثم كتابته لعلمِه، ثم خَلْقِه ومشيئته، تعالى وتقدَّس، أما أن تكون ذاتُه موجودةً فهذا كله تجاوُزٌ وخروجٌ عن الحقِّ.



(١) أخرجه أحمد (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٦٣٦)، عن أوس بن أوس ﵁.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٨١٥)، وأبو داود (٢٠٤١)، عن أبي هريرة ﵁.

باب القول في كرامات الأولياء

❁ «قال الله ﷻ في قصة مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

❁ وقال في قصة سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ [النمل: ٤٠] وآصف لم يكن نبيًّا، وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين، فأما على الصادقين فإنه يجوز ويكون ذلك دليلًا على صدق من صدقه من أنبياء الله ﷻ.

❁ وقد حكى نبيّنا ﷺ من الكرامات التي ظهرت على جريج الراهب(١).

❁ والصبي الذي ترك السحر وتبع الراهب(٢).

❁ والنفر الذين آووا على غار من بني إسرائيل، فانحطت عليهم الصخرة(٣)، وغيرهم ما يدل على جواز ذلك، وقد ظهر على أصحابه في زمانه وبعد وفاته، ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه وبالله التوفيق».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

الشَّرح

كرامات الأولياء هي تبعٌ لآيات الرُّسُل؛ لأنهم أُعطوا هذا؛ لإيمانهم بالرسول ﷺ، فهي من معجزات الرسول ﷺ.

والكرامة تكون لأمرين:

الأمر الأول: لحاجة الإنسان إليها؛ يكرمه الله بإجابة دعوته أو إيجاد شيء يضطر إليه؛ وذلك مثلما حصَلَ لمُطرِّفِ بن عبد الله بن الشِّخِّير من الأكل والطعام، وكذلك ما حَصَلَ لإبراهيم التيميِّ، فإنه كان فقيرًا، وكان يجلس للحديث ويعلم الناس، وكان همُّه تعليم تلامذتِه، فجاءته زوجتُه يومًا وقالت: ليس عندنا أكلٌ، وعيالُك جياعٌ، فاذهب وابحث لنا عن طعامٍ، فذهب ثم رجع بلا فائدة، فكَرِه أن يدخل البلد كما خرج، ويشاهِدُهُ الناسُ، فأناخ ناقته عند كَثِيب رملٍ، فملأ الإناء الذي معه من الرمل، ثم وصل البلد ودخل بيته، وذهب إلى مجلسه، فجاءت زوجته تنظر للإناء، فإذا هو حبٌّ أحمرُ من أحسن ما يكون، فشكرَتْه، وقالت: جزاك الله خيرًا، أتيتنا بحبٍّ لا يحتاج إلى تطييبٍ!

هذا من كرامة الله ﷻ له، وهو آية من آيات الله ﷻ، وهذا كثيرٌ، ولا تزال الكرامات إلى يوم القيامة، للذين آمنوا وكانوا يتَّقون، كما قال الله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

المؤمن المتقي هو وليُّ الله، أما أن يدَّعي الإنسان أنه من الأولياء، ويدَّعي أن له كراماتٍ، فهذا من الشيطان، ودعوةٌ لنفسه أنه يكون له عند الناس مقامٌ.

الأمر الثاني: إظهار دين الله ونصرته.

قوله: «وقال في قصَّةِ سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ

أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٤٠]، **وآصَفُ لم يكُنْ نبيًّا**» (لا يصح) تسميته بـ «آصَف»؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٤٠].

يقول العلماء عنه: رجل يعرف اسم الله الأعظم(١)، دعا الله به فحضر العرش كما قال.

أنكر المعتزلةُ الكرامات، وقالوا: لا يجوز أن نقول بآياتٍ من هذا الشكل؛ حتى لا يلتبس الأمر على الناس بأنهم أنبياء؛ لأنَّ المعجزات خاصَّة بالأنبياء.

يقالُ لهم: الكرامات لا تكون لمن يدَّعي النُّبوَّة، فمن ادعى النبوة بها فذلك درب من دروب الشعوذة أو السحر أو الحِيَل، أما الكرامة فيكون لمن كان مؤمنًا متَّقيًا.

* * *

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ١٩٢): «قال ابن عباس: وهو آصف كاتب سليمان. وكذا روى محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان: أنه آصف بن برخياء، وكان صدّيقًا يعلم الاسم الأعظم. وقال قتادة: كان مؤمنًا من الإنس، واسمه آصف. وكذا قال أبو صالح، والضحاك، وقتادة: إنه كان من الإنس ـ زاد قتادة: من بني إسرائيل. وقال مجاهد: كان اسمه أسطوم. وقال قتادة ـ في رواية عنه ـ: كان اسمه بليخا. وقال زهير بن محمد: هو رجل من الأندلس [وفي نسخة: من الإنس] يقال له: ذو النور. وزعم عبد الله بن لهيعة: أنه الخضر. وهو غريب جدًّا» اهـ.

﴿ «وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر الأصبهاني، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عمرو بن أسيد بن حارثة، حليف بني زهرة، وكان من أصحاب أبي هريرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدْأَةِ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقال لَهُمْ: بَنُو لِحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِمِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمُ التَّمْرَ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ، فَقَالُوا: انْزِلُوا وَلَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَلَّا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا.

﴿ فَقال عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَوَاللهِ لَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ الْيَوْمَ، اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّكَ السَّلَامَ، فَقَاتَلُوهُمْ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، وَنَزَلَ ثَلَاثَةٌ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ وَكَتَّفُوهُمْ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ، قال: هَذَا وَاللهِ أَوَّلُ الْغَدْرِ، فَعَالَجُوهُ فَقَتَلُوهُ وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ، وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَبَاعُوهُمَا، وَذَلِكَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَاشْتَرَى بَنُو الْحَارِثِ خُبَيْبًا ـ وَقَدْ كَانَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ ـ قَالَتِ ابْنَةُ الْحَارِثِ: فَكَانَ خُبَيْبٌ أَسِيرًا عِنْدَنَا، فَوَ اللهِ إِنْ رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ مِنْ ثَمَرِهِ، وَإِنْ هُوَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا.

ﷺ قَالَتْ: وَاسْتَعَارَ مِنِّي مُوسًى يَسْتَحِدُّ بِهِ لِلْقَتْلِ، قَالَتْ: فَأَعَرْتُهُ إِيَّاهُ، وَدَرَجَ ابْنٌ لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ، فَرَأَيْتُهُ يُجْلِسُهُ عَلَى صَدْرِهِ، قَالَتْ: فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ، قَالَتْ: فَفَطِنَ لِي فَقَالَ: أَتَحْسَبِينَ أَنِّي قَاتِلُهُ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، قال لَهُمْ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ بِي جَزَعًا لَزِدْتُ، قَالَتْ: وَكَانَ خُبَيْبٌ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الصَّلَاةَ لِمَنْ قُتِلَ صَبْرًا، ثُمَّ قال: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا.

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي جَنْبِ الْإِلٰهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[(١)]

ﷺ قالَ: وَبَعَثَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ لِيُؤْتَوْا مِنْ لَحْمِهِ بِشَيْءٍ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا».

الشَّرح

قوله: «وَذَلِكَ فِي جَنْبِ الْإِلٰهِ»: في «صحيح البخاري»:

ما أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... علَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وذلِكَ فِي ذاتِ الإلٰهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[(٢)]

قال خُبَيْبٌ: **«وذلك في ذَاتِ الإلٰهِ فذَكَرَ الذّاتَ بِاسمِهِ تعَالى»**[(٣)] والظاهر: أنه اختلاف مِنَ الرُّواة، يختلف لفظٌ من لفظٍ، والبخاري استدلَّ به على كلمة «ذَاتِ الإلٰهِ»، وقال: «بابُ مَا يُذْكَرُ في الذَّاتِ

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢٠). (٢) انظر: التخريج السابق.
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٤٥)، (٣٩٨٩)، (٤٠٨٦)، (٧٤٠٢).

والنُّعُوتِ وأسامِي اللهِ»[١].

وفي القصة من الكرامات أن خبيبًا كان يأتيه العنب، فيأكل منه في بيت المرأة وهو أسيرٌ، ومكة ليس فيها عنبٌ، وليس هذا وقته[٢]، فهذه كرامة لخبيب رضي الله عنه.

ومثله: ما ذكر عن مريم عليها السلام، كان إذا دخل عليها زكريا عليه السلام، وجد عندها رزقًا، قال الله جل جلاله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

ومثله: قصَّة أصحاب الكهف، وغيرها من القصص الكثير.

والكرامات قليلةٌ في حقِّ الصحابة؛ لأنَّ الصحابة لا يحتاجون إليها؛ لأنَّ الإيمان عندهم ثابتٌ؛ كأمثال الجبال، وكثرتْ في التَّابعين وأتباعهم، ولا تزال الكراماتُ في هذه الأمة، ولكنها قد تَلتبِس بالحيل والأمور الشيطانية وغيرها.

فلهذا يقول الشافعي: «إذا رأيتم الرَّجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغترُّوا به حتى تعرضوا أمرَهُ على الكتاب والسُّنَّة»[٣] عند ذلك يقال: إنها كرامة، وإلا لا يُنظر إلى نفس الفعل الذي يقع؛ لالتباسه بالحيل وأمور الشياطين، فالشياطين تحمل الإنسان وتطير به، وتأتيه بأشياء ليس بمقدوره، حتى يكون ذلك فتنةً.

قوله: «فَبَعَثَ اللهُ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا»: الدَّبْرِ: نوع من النحل[٤] إذا قَرُبُوا له لَسَعَهم فهربوا منه.

---

(١) صحيح البخاري (٩/ ١٢٠). (٢) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).
(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٣٣).
(٤) تهذيب اللغة (١١/ ١٨٦)، ولسان العرب (١١/ ٦٤٩).

كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول ـ حين بلَغَهُ أنَّ الدَّبْرَ منَعَهُ ـ: «حفِظَ اللهُ العبدَ المُؤمِنَ، كانَ عاصمٌ بن ثابت قدْ وفَّى لِلَّهِ في حياته، فمَنعَهُ الله منهم بعدَ وفاته، كما امتنع منهم في حياته»[1] حماه الله جل وعلا، فما مسُّوه، وهذه من العجائب في حقه والكرامة له!.

* * *

(١) سيأتي تخريجه.

﴿ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا إسماعيل بن محمد بن الفضل البيهقي، ثنا جدي ثنا أبو ثابت، حدثني إبراهيم بن سعد، فذكره بإسناده ومعناه، وذكر قول المرأة: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يأكل قطفًا من عنب، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة.

﴿ وقال في الشعر، وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلٰهِ، وزاد واستجاب الله لعاصم يوم أصيب فأخبر رسول الله ﷺ أصحابه يوم أصيبوا خبرهم[(١)].

﴿ وذكر في عاصم ما بعث الله عليه من الدبر حتى حمته، وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في المغازي، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وزاد:

﴿ فَلَمَّا حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالُوا: دَعُوهُ حَتَّى يُمْسِيَ فَتَذْهَبَ عَنْهُ فَنَأْخُذَهُ، فَبَعَثَ اللهُ الْوَادِيَ، فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا، فَذَهَبَ بِهِ، قال: وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ أَعْطَى اللهَ عَهْدًا لَا يَمَسُّ مُشْرِكًا وَلَا يَمَسُّهُ مُشْرِكٌ أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ.

﴿ قال ابن إسحاقَ: فكانَ عمرُ بن الخطَّابِ يقول: يحفَظُ اللهُ المُؤمِنَ، فمَنَعَهُ اللهُ بعدَ وفاتِهِ كمَا امتَنعَ مِنْهُمْ فِي حياتِهِ[(٢)].

﴿ وروينا عن بريدة بن سفيان استجابة الله دعاء خبيب على

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥، ٣٩٨٩، ٤٠٨٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٧٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١١٠).

الذين قتلوه، فلم يحل الحول ومنهم أحد غير رجل لبد بالأرض حين رآه يدعو، وفي هذا الحديث الصحيح كرامات ظهرت على من سمى فيه.

❁ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور الرمادي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن ثابت، عن أنس بن مالك، أن أسيد بن حضير الأنصاري، ورجلًا آخر من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله(١).

❁ ورواه حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: كان عباد بن بشر، وأسيد بن حضير ورواه قتادة، عن أنس، فلم يسم الرجلين قال: ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما(٢).

❁ وقد روينا عن حمزة بن عمرو الأسلمي(٣) وأبي عبس بن جبر أنهما أكرما بقريب من ذلك فأضاءت أصابع حمزة، ونور في عصا أبي عبس(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥).
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٤٥)، وابن حبان (٢٠٣٠، ٢٠٣٢).
(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٩٩١)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٧٩).
(٤) أخرجه المصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٧٨ ـ ٧٩).

❁ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، ثنا إسماعيل بن محمد الصفار، ثنا أحمد بن منصور، ثنا عبد الرزاق، ثنا معمر، عن قتادة، قال: كان مطرف بن عبد الله بن الشخير وصاحب له سريا في ليلة مظلمة، فإذا طرف سوط أحدهما عنده ضوء، فقال لصاحبه: أما إنا لو حدثنا الناس بهذا كذبونا، قال مطرف: المكذب أكذب. يقول: المكذب بنعمة الله أكذب.

❁ ومطرف بن عبد الله كان من كبار التابعين، وإنما أوردته عقيب حديث الصحابة لكونه شبيهًا بما أكرموا به.

❁ وقد روينا نزول الملائكة للقرآن عند قراءة أسيد بن حضير؛ وذلك أنه رأى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فقال النبي ﷺ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْتِكَ»[(١)].

❁ وروينا تسليم الملائكة على عمران بن حصين[(٢)]، وروينا عن جماعة من الصحابة أن كل واحد رأى جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي[(٣)].

الشَرح

كانت الملائكة تأتي عمران بن حصين رضي الله عنه لِتُسَلِّم عليه، ثم أصيب بالبواسير، فاكتوى لمعالجتها، فامتنعت عن زيارته، ثم تاب فعادت، وكان هذا شيئًا بينه وبين ربه جل جلاله.

وعن مُطرِفٍ بن عبد الله بن الشِّخِّير، قال: بعثَ إليَّ عِمرانُ بن

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٨)، ومسلم (٧٩٦).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٦٥).
(٣) تقدم تخريجه.

حصينٍ رضي الله عنه في مرَضهِ الذي تُوفِّيَ فيه، فقال: «إنِّي كنتُ مُحدِّثَك بأحاديثَ، لعَلَّ اللهَ أنْ يَنفعَكَ بها بَعدِي، فإنْ عِشتُ فاكتُمْ عنِّي، وإنْ مُتُّ فحَدِّثْ بها إنْ شِئتَ: وقد كانَ يُسلِّمُ عليَّ، حتَّى اكْتوَيتُ، فتُرِكتُ، ثمَّ ترَكتُ الكيَّ فعَادَ»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٦٧) (١٢٢٦)، (١٦٨) (١٢٢٦).

ﷺ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق بن أيوب الفقيه، أنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان، أنه حدثه عبد الرحمٰن بن أبي بكر، أن أصحاب الصفة، كانوا ناسًا فقراء وأن رسول الله ﷺ قال مرة: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ» أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ، وَهُم: أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَأُمِّي، وَلَا أَدْرِي قال: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَمَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ، أَوْ قَالَتْ: عَنْ ضَيْفِكَ؟ قال: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَغَلَبُوهُمْ، قال: فَذَهَبْتُ أَنَا وَاخْتَبَأْتُ، وَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا، وَذَكَرَ كَلِمَةً، وَقَالَ: وَاللهُ لَا طَعِمْتُهُ أَبَدًا، قال: وَايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ لُقْمَةً إِلَّا وَرَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، قال: وَشَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، قال: فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ، قال لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا وَقُرَّةِ عَيْنِي، لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مَرَّاتٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَقال أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ـ يَعْنِي: يَمِينَهُ ـ ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قال: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَى الْأَجَلُ، فَعَرَفْنَا اثْنَيْ عَشَرَ

رَجُلًا مَعَ كُلِّ رَجُلٍ أُنَاسٌ، اللهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، قال: فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ[(١)].

﴿ قال الشيخ رضي الله عنه: وقد روينا كرامات ظهرت على عدة من الأولياء في حياة نبيّنا ﷺ وله شواهد كثيرة ذكرناها في كتاب «دلائل النبوة» وغيره.

﴿ وقد روينا في فضائل الصحابة كرامات ظهرت على بعضهم بعد وفاة النبي ﷺ، وإعادتها في هذا الكتاب مما يطول شرحه؛ فاقتصرنا منها على بعضها وفيه كفاية.

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا حمزة بن العباس العقبي، ثنا عبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولي، حدثنا أحمد بن صالح، ثنا ابن وهب، أخبرني يحيى بن أيوب، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر، أن عمر بن الخطاب، بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَى سَارِيَةَ، قال: فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ، قال: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، قال: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ[(٢)]، قال ابنُ عجلانَ: وحدَّثني إياسُ بنُ مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ بذلكَ».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٣٦٠)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٥٢٦).

الشَّرح

قوله: «فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ، قال: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ»: هذا الصياح لعمر ﵁ وهو على المنبر في المدينة، وهؤلاء كانوا بالعراق، فسمعوا صوته، فانحازوا إلى الجبل، وهزم الله عدوَّهم.

وهذا من آيات الله ﷻ أيضًا، وهو كرامة لعمر ﵁، مع أنَّ عمر ﵁ جاء على لسانه ذلك وهو لا يشعر، ولا يدري ما القصة، ولكن أراد الله ﷻ إظهار ذلك لهم، حتى يكون من آياته المؤيِّدَة لهم في قتالهم للكفار، وكذلك كون ذلك داعيًا إلى أن يؤمنوا بالله ﷻ؛ لأن هذا ليس بمقدور البشر.

* * *

❁ «وقد روينا من أوجه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما كنا ننكر ونحن متوافرون أن السكينة تنطق على لسان عمر(١)».

الشَّرح

قوله: «السكينة»: قالوا: هي الملائكة، وقد دلَّت على ذلك الآيات، بأنَّ الملائكة تنطِقُ على لسانه، وهذا يقابِلُه أولياء الشياطين، فإنَّ الشياطين تنطق على ألسنتهم.

* * *

(١) أخرجه أحمد (٨٣٤)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

﴿ «وعن عبد الله بن مسعود: ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه ملكًا يسدده[١].

﴿ وعن عبد الله بن عمر قال: كان عمر يقول القول فننتظر متى يقع[٢].

﴿ قال الشيخ: وكيف لا يكون، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ كَانَ فِي الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»[٣].

﴿ وهذا الحديث أصل في جواز كرامات الأولياء».

الشَّرح

قوله: «إِنَّهُ كانَ في الأممِ مُحدَّثونَ»: المحدَّث غيرُ المُوحَى إليه، فالتحديث أمرٌ يحدث في النفس، يُلقِيه المَلَك عليه، يَنْفُثُه في نفسه فيُحدِّث به، بأن يقول: أظنُّ يكون كذا وكذا، فيصير كما قال، فالأمم السابقة فيهم محدَّثون، وإن يكن في أمة الإسلام محدَّثون فمنهم عمر رضي الله عنه؛ لأنه رضي الله عنه كان يتكلم القولَ، فينزل الوحيُ بما قال؛ كما في قصة مظاهرة نساء النبي ﷺ[٤]، وقصة الأسرى، وقصة الحجاب[٥]، وغيرها.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩٨٣).
(٢) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.
(٣) أخرجه مسلم البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨).
(٤) أخرجه البخاري (٤٩١٦)، ومسلم (١٤٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) أخرجه البخاري (١٤٦)، ومسلم (٢٣٩٩)، عن ابن عمر، قال: قال عمر رضي الله عنهما: «وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أُسارى بدر».

ﷺ «وفي قراءة أُبي بن كعب: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ)، وقرأها ابن عباس كذلك في بعض الروايات عن النبي ﷺ أنه قيل: كَيْفَ يُحَدَّثُ؟ قال: «تَتَكَلَّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى لِسَانِهِ»، وذلك يوافق ما روينا عن علي وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم[(١)].

ﷺ وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، قال: ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا محمد بن عزيز الأيلي، عن سلامة بن روح، عن عقيل، حدثني ابن شهاب، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ»، وَإِنَّ الْبَرَاءَ لَقِيَ زَحْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا بَرَاءُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: لَوْ أَقْسَمْتَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّكَ، فَأَقْسِمْ عَلَى رَبِّكَ، قال: أُقْسِمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ، فَمُنِحُوا أَكْتَافَهُمْ، ثُمَّ الْتَقَوْا عَلَى قَنْطَرَةِ السُّوسِ، فَأَوْجَعُوا فِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: أَقْسِمْ يَا بَرَاءُ عَلَى رَبِّكَ، قال: أُقْسِمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّ لَمَا مَنَحْتَنَا أَكْتَافَهُمْ وَرَزَقْتَنِي الشَّهَادَةَ فَمُنِحُوا أَكْتَافَهُمْ وَقُتِلَ الْبَرَاءُ شَهِيدًا»[(٢)].

الشرح

قوله ﷺ: «كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ...»؛ يعني: لا يُؤبَه له، وليس له قيمةٌ عند النَّاس، هذا معنى أنه يُدفع بالأبواب، **قوله: «لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»**؛ أي: استجاب الله دعوته وحقق له طلبه.

---

(١) ينظر: الدر المنثور، للسيوطي (٦/ ٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٢٤٧٦)، والترمذي (٣٨٥٤)، مختصرًا، وبتمامه أخرجه الحاكم (٥٢٧٤)، والمصنف في «شعب الإيمان» (١٠٠٠١).

قال ﷺ: «كان في بني إسرائيل رجلانِ، كانَ أحدُهُمَا مُجتهِدًا في العبادة، وكان الآخرُ مُسرفًا على نفسه، فكانَا مُتآخِيينِ، فكان المُجتهِدُ لا يزالُ يرَى الآخرَ على ذَنْبٍ، فيقولُ: يا هذا، أَقْصِرْ. فيقولُ: خلِّنِي ورَبِّي، أَبُعِثْتَ عليَّ رَقِيبًا؟» قال: «إلى أنْ رآهُ يومًا على ذَنْبٍ استَعظمَهُ، فقالَ لَهُ: ويحَكَ، أَقْصِرْ. قالَ: خلِّنِي ورَبِّي، أَبُعِثْتَ عليَّ رَقِيبًا»، قال: «فقال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ، أو لا يُدخِلُكَ اللهُ الجنَّةَ أبدًا. قال أحدُهُمَا، قال: فبَعَثَ اللهُ إليهِما ملَكًا، فقَبَضَ أرواحَهُمَا، واجتَمَعَا عِندَهُ، فقال لِلْمُذْنِبِ: اذهب فادخُلِ الجنَّةَ برحمَتِي. وقال لِلآخَرِ: أَكُنتَ بِي عالِمًا، أَكُنتَ على ما في يدِي قادرًا، اذهبُوا بهِ إلى النَّارِ». قال: «فوالَّذِي نفسُ أَبِي القاسمِ بِيدِهِ، لتَكَلَّمَ بكلِمةٍ أوبَقَتْ دُنيَاهُ وآخِرتَهُ»(١).

وفي صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ، حَدَّثَ: «أنَّ رجُلًا قالَ: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، وإنَّ اللهَ تعالى قال: مَنْ ذا الَّذِي يَتألَّى عليَّ أَنْ لا أغفِرَ لِفُلَانٍ، فإنِّي قد غفَرتُ لِفُلانٍ، وأَحبطتُ عمَلَكَ»(٢).

فلا يجوز الحكم على الله، والقسم على الله حكمٌ عليه وهذا لا يجوز، أما قوله البراء رضي الله عنه: «أُقْسِمُ عليكَ يا رَبِّ لمَا مَنَحتَنَا أكتَافَهُمْ...» فهذا من باب الرجاء والدعاء، وليس من باب الحكم على الله تبارك وتعالى.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢١)، عن جندب رضي الله عنه.



﴿ «أخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق، أنا أبو عبد الله بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الوهاب، أنا جعفر بن عون، أنا أسامة بن زيد، عن محمد بن عمرو، عن محمد بن المنكدر، عن سفينة، مولى النبي ﷺ قال: رَكِبْتُ سَفِينَةً فِي الْبَحْرِ فَانْكَسَرَتْ بِي، فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْهَا فَأَخْرَجَنِي إِلَى أَجَمَةٍ فِيهَا أَسَدٌ؛ إِذْ أَقْبَلَ الأَسَدُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، أَنَا سَفِينَةُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ نَحْوِي حَتَّى ضَرَبَنِي بِمَنْكِبِهِ، ثُمَّ مَشَى مَعِي حَتَّى أَقَامَنِي عَلَى الطَّرِيقِ، قال: ثُمَّ هَمْهَمَ وَضَرَبَنِي بِذَنَبِهِ، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي[1].

﴿ قال الشيخ: محمد بن عمرو هذا هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، ورواه أيضًا سعيد بن عبد الرحمٰن الجحشي، عن ابن المنكدر».

الشَّرح

هذه القصة من عجائب الله أيضًا، فالأسد حيوانٌ مفترسٌ، ومن أشدِّ السباعِ افتراسًا، وعداوته للإنسان مطبوعةٌ معروفةٌ، وسبعٌ هذا صفاتُه صار يدلُّ إنسانًا على الطريق، ثم يُودِّعه، فلا شكَّ أنَّ الله سخَّره لهذا الإنسان، وفي ذلك كرامة له.



(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٤٣٢)، والحاكم (٤٢٣٥)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٥ ـ ٤٦).

باب القول في أصحاب رسول الله ﷺ وعلى آله ورضي عنهم

«قال اللهُ - تباركَ وتعالى -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩]، فأثنى عليهم ربهم وأحسن الثناء عليهم، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ثم وعدهم المغفرة والأجر العظيم فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]».

الشَّرح

إنَّ أصحاب الرسول ﷺ يجب أن يتولَّاهم المسلم، وأن يترضَّى عنهم، ويدعو لهم؛ لأنهم هم أفضل الأمة، بل هم أفضل الناس بعد الأنبياء، فإن الله ﷻ اختارهم لصحبة نبيِّه، وهم الوساطة بيننا وبين نبيِّنا، وهم الذين نقلوا لنا الإيمان والشرع، فلهم الفضل الكبير، وهم الذين بلَّغوا ما جاء به المصطفى ﷺ، وقاموا بأمر الله، فتَوَلِّيهم والدعاءُ لهم ومحبَّتُهم دينٌ يُدان به، وعداوتُهم كفرٌ بالله ﷻ.

ولهذا لما ذُكِر الثناء عليهم، أثنى الله على المهاجرين ثم الأنصار، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ٩، ١٠].

هؤلاء هم الذين يعطون من الفيء، ومن لم يكن كذلك فلا نصيبَ له منه.

قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، روي عن الإمام مالك يقول: «كلُّ من غاظه شأنُ الصحابة فليس من المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾»[(١)].

* * *

(١) لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية، للسفاريني (٢/ ١٠٢)، قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٦٢): «... ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم» اهـ.

۞ «وأخبر في آية أخرى برضاه عنهم ورضاهم عنه، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ثم بشَّرهم بما أعد لهم، فقال: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

۞ وأمر رسول الله ﷺ بالعفو عنهم والاستغفار لهم، فقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

۞ وأمره بمشاورتهم تطييبًا لقلوبهم وتنبيهًا لمن بعده من الحكام على المشاورة في الأحكام، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وأن لا يجعل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

۞ وأثنى رسول الله ﷺ وعلى آله عليهم وشبههم بالنجوم، ونبه بذلك أُمته إلى الاقتداء بهم في أمور دينهم كما يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر في مصالحهم فقال:

۞ أخبرنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، ثنا أبو حامد بن الشرقي، ثنا أبو صالح أحمد بن منصور زاج، ثنا الحسين بن علي الجعفي، عن مجمع بن يحيى، عن أبي بردة - يعني: سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري -، عن

أبيه، عن أبي موسى، قال: صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَغْرِبَ فَقُلْنَا: لَوِ انْتَظَرْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَفَعَلْنَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا»؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْنَا: نُصَلِّي مَعَكَ الْعِشَاءَ، قَالَ: «أَصَبْتُمْ وَأَحْسَنْتُمْ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُونَ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

❁ وروي عنه في حديث موصول بإسناد آخر غير قوي.

❁ وفي حديث منقطع أنه قال: «إِنَّ مَثَلَ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ؛ مَنْ أَخَذَ بِنَجْمٍ مِنْهَا اهْتَدَى»[2].

❁ وَالَّذِي رُوِّينَاهُ هاهُنَا مِن الحديث الصَّحيحِ يُؤدِّي بعضَ معناه، وقد أشارَ النَّبِيُّ ﷺ إلى الحوارِيِّينَ والأصحابِ الَّذِينَ يَنصرُونَ دِينهُ ويأخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ويقتدُونَ بأمرِهِ، فقال في روايةِ عبد الله بن مسعودٍ، عنهُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ ﷻ فِي أُمَّةٍ إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ»[3].

❁ ثم إنه ﷺ شهد بكونهم خير أمته، فقال في رواية عبد الله بن مسعود عنه، وفي رواية عائشة وعمران بن الحصين وأبي هريرة:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١).

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل»، وعبد بن حميد (٧٨٣)، والمصنف في «المدخل إلى السنن الكبرى» (١٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٥٠).

«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»(١)، وفي بعضها: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِ»(٢).

ﷺ وقال في رواية عمر بن الخطاب: «أَكْرِمُوا أَصْحَابِي؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ»(٣).

ﷺ وفي رواية أخرى: «احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي»(٤)، وأمر فيما روي عنه بمحبتهم، ونهى عن سبِّهم، وأخبر أمته بأن أحدًا منهم لا يدرك محلهم ولا يبلغ درجتهم وأن الله تعالى غفر لهم.

ﷺ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري، ثنا جعفر بن محمد القلانسي، ثنا آدم بن أبي إياس، ثنا شعبة، عن الأعمش، قال: سمعت ذكوان، يحدث، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ، وَلَا يَبْغُضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»(٥).

ﷺ حدثنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر، محمد بن الحسين

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أصل الحديث في «الصحيحين»، كما في التخريج السابق، وبهذا اللفظ أخرجه أحمد (١٩٨٢٠)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢٢).

(٣) أخرجه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٧١٠)، والشافعي في «مسنده» (ص٢٤٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢١٦٣٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٣٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، دون قوله: **«ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»**، فقد أخرجها المصنف في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٤٥).

القطان، ثنا علي بن سعيد النسوي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، ثنا عبيدة بن أبي رائطة الكوفي، عن عبد الرحمٰن بن زياد، عن عبد الله بن مغفل المزني، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أحبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»[(١)].

❁ أخبرنا أبو محمد بن يوسف، أنا أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا الحسن بن محمد الزعفراني، ثنا عفان، ثنا أبو عوانة، ثنا الحصين، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمٰن السلمي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، **أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب** رضي الله عنه: **«وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ» فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا عُمَرَ**[(٢)].

❁ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس، محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابرًا، يقول: أخبرتني أم مبشر، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ

(١) أخرجه أحمد (١٦٨٠٣)، والترمذي (٣٨٦٢)، وابن حبان (٧٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).

﴿وَنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ٧٢﴾ [مريم: ٧٢]»[(١)].

ﷺ ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ النَّاسِ، فَاخْتَارَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ وَانْتَخَبَهُ بِعِلْمِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بَعْدَهُ، فَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابَهُ، فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ وَوُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، فَمَا رَآهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْهُ قَبِيحًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ قَبِيحٌ[(٢)].

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو بكر بن إسحاق، أنا زياد بن الخليل التستري، ثنا كثير بن يحيى أبو مالك، ثنا أبو عوانة عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، قال: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: أَخْبَرَنَا اللهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ، فَهَلْ حدَّثنا أَنَّهُ سَخِطَ عَلَيْهِمْ بَعْدُ؟[(٣)].

ﷺ وأخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر القطان، ثنا أحمد بن يوسف، ثنا محمد بن يوسف، ثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك بن مزاحم، قال: أَمَرَ اللهُ ﷻ **بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ - يَعْنِي: لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ - وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُحْدِثُونَ مَا أَحْدَثُوا**[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٨٣)، والطيالسي (٢٤٩٦)، والمصنف في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص٤٩).

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٣٥٥).

(٤) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٣٥٨).

ﷺ حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن الأزهر بن منيع، ثنا أبو أسامة، عن سفيان، عن نسير بن ذعلوق، قال: سمع ابن عمر، يقول: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِهِمْ سَاعَةً أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَهُ»(١).

الشَّرح

فضلُ صحابةِ الرسول ﷺ أمرٌ مجمَعٌ عليه بين أهل السُّنة، ولا نزاع بينهم أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، وهذا بالأدلة التي اعتمدوها من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأول من يدخل في هذا صحابة الرسول ﷺ، ولفظ «الناس» دخل فيه كلُّ ما يتناوله هذا اللفظ، ثُمَّ كذلك أحاديث رسول الله ﷺ مستفيضةٌ في هذا، ثم إنهم يتفاضلون، فالذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح أفضل من الذين جاءوا بعده، والمهاجرون أفضل منهم، كذلك الذين شَهِدوا بدرًا ثم الذين شَهِدوا بيعة الرضوان، وكذلك العقبة، وهي خاصة بالأنصار، والأدلة على هذا كثيرة.

وقوله: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»**: قيل هذا الكلام لخالد بن الوليد ﷺ، وخالدُ بن الوليد أسلم بعد الحديبية، تكلَّم في حقِّ عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غَضِب، وقال: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «الفضائل» (١٥، ١٧٣٦)، وابن ماجه (١٦٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٥٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، (٢٥٤١).

قوله: «**وَلَا نَصِيفَهُ**»؛ أي: ولا نصف المُدِّ، والمدُّ هو ثلث الصاع، فإذا كان هذا يقال لأحد الصحابة الذين تأخر إسلامهم، فكيف بمن أتى بعدهم؟!

ولهذا فمن الأمور المجرَّبة والتي سُبرتْ ونُظِرَ إليها: أنَّ كلَّ من كان في قلبه غِلٌّ للصحابة فالله لا يوفِّقُه ويموت منحرفًا بعيدًا عن الحقِّ، وقد يُعاقَب قبل أن يموت، حتى إنَّ أحدَ العلماء كتب كتابًا فيمن سبَّ الصحابة(١)، ذكر قضايا كثيرةً - والله أعلم بها -؛ أنَّ أحدَهم يُجعَل قردًا، وأحدَهم يُجعَل كلبًا، وعلى كلِّ حالٍ فالذي ينتظرهم بعد الموت أشدُّ وأعْظَم.



(١) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، (ص٨٩) وما بعدها.



باب القول في أهل بيت رسول الله ﷺ وآله وأزواجه

۞ «قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وابتداء الآية في نساء النبي ﷺ وتخييرهن فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة كان لهن ما أعد الله لهن من الأجر العظيم، ثم ميّزهن عن نساء العالمين في العذاب والأجر، ثم أبانهن منهن فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فساق الكلام إلى قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وإنما ورد بلفظ الذكور لإدخال غيرهن معهن في ذلك، ثم أضاف البيوت إليهن بقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤] وجعلهن أمهات المؤمنين فقال: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، وحَرَّمَ نِكَاحَهُنَّ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

۞ وأنزل في براءة عائشة بنت الصديق مما رميت به في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ﴾ [النور: ١١] إلى آخر الآيات، فهي

تتلى في مساجد المسلمين وفي صلواتهم وفي محاريبهم وتكتب في مصاحفهم وألواحهم إلى يوم الدين، وفيها بيان عفتها وحصانتها وطهارتها، وكبير إثم من رماها وعظيم عذابه ولعنه في الدنيا والآخرة، وكفى لها بذلك شرفًا ولمن وقع فيها عذابًا معدًّا ولعنًا متتابعًا عاجلًا وآجلًا.

ﷺ أخبرنا أبو محمد جناح بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة، ثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم، ثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري، ثنا جعفر ـ يعني: ابن عون ـ ويعلى، عن أبي حيان التيمي، عن يزيد بن حيان، قال: سمعت زيد بن أرقم، قال: قَامَ فِينَا ذَاتَ يَوْمٍ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: «أَمَّا بَعْدُ؛ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يأْتِيَ رَسُولُ ربِّي فَأُجِيبُهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ؛ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَاسْتَمْسِكوا بِكِتَابِ اللهِ وَخُذُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قال: «وَأَهْلَ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ فَقال لَهُ حُصَيْنٌ: يَا زَيْدُ، مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قال: بَلَى، إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قال: وَمَنْ هُمْ؟ قال: آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ الْعَبَّاسِ، وَآلُ عَقِيلٍ، فَقَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ يُحَرَّمُ الصَّدَقَةَ؟ قال: نَعَمْ[1].

ﷺ قال الأستاذ الإمام رضي الله عنه: قد بيَّن زيد بن أرقم أن نساءه من أهل بيته، واسم أهل البيت للنساء تحقيق وهو متناول للآل، واسم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

الآل لكل من يحرم الصدقة من أولاد هاشم وأولاد المطلب؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ»[(١)].

ﷺ وإعطائه الخمس الذي عوضهم من الصدقة بني هاشم وبني المطلب، وقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، وقد يسمى أزواجه آل بمعنى التشبيه بالنسب، فأراد زيد تخصيص الآل من أهل البيت بالذكر، ولفظ النبي ﷺ في الوصية بهم عام يتناول الآل والأزواج وقد أمرنا بالصلاة على جميعهم فقال:

ﷺ ما أخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حبان بن يسار الكلابي، حدثني أبو مطرف عبيد الله بن طلحة بن عبيد الله بن كريز، حدثني محمد بن علي الهاشمي، عن المجمر، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مِنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٢)].

ﷺ قال الشيخ: وأمر في حديث أبي حميد الساعدي بالصلاة عليه وعلى أزواجه وذريته ويحتمل أنه أفردهن بالذكر من جملة أهل البيت على وجه التأكيد كما أفرد الذرية على وجه التأكيد، ثم رجع

---

(١) أصله في البخاري (١٤٨٥، ١٤٩١، ٣٠٧٢)، ومسلم (١٠٦٩)، وقد أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٦٢٩)، وابن حبان (٦٥٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٩٨٢)، والبخاري في «التاريخ» (٣/ ٨٧)، والمصنف في «الكبرى» (٢/ ١٥١).

إلى التعميم في حديث أبي هريرة ليدخل فيها غير الأزواج والذرية من آله الذين يقع عليهم اسم أهل البيت، والله أعلم».

الشَّرح

أزواج الرسول ﷺ في الدنيا هنَّ أزواجُه في الآخرة، كما ثَبَتَ ذلك عنه صلواتُ الله وسلامُه عليه، وأزواجُه ـ كما نصَّ الله ﷻ ـ لَسْنَ كغيرهنَّ مِنَ النِّساء، فقد فضَّلهنَّ ﷻ على سائر النِّساء، ولا شكَّ في ذلك، ولهذا جعلهنَّ أمهاتٍ للمؤمنين، فهنَّ أمهاتُهنَّ من ناحية الحرمة والاحترام ووجوب الرعاية، وحَرَّمَ كذلك نكاحَهُنَّ بعده؛ لأنهن أزواجه صلوات الله وسلامه عليه، وهنَّ داخلاتٌ في آل البيت، وذلك للآية التي ذكرها فيهن.

وهنَّ أيضًا مثل غيرهن من أولياء الله، بعضهنَّ أفضل من بعضٍ، وقد فُضِّلتْ عائشة عليهنَّ بمحبة الرسول ﷺ لها، فهي حِبُّه من النِّساء، ولهذا ثبت في «الصحيحين» من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه قال: «أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليكَ؟ قال: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**» فَعَدَّ رِجَالًا»[(١)]، ورسول الله ﷺ لا يخشى أحدًا ولا يجامل أحدًا، فإنَّ كثير من الرجال يستحيي أن يقول في جمعٍ من الناس: إني أحب زوجتي أو أنها أحبُّ الناس إليّ.

ثم إنَّ الله ﷻ أنزل ثلاثة عشر آيةً تتلى في كتاب الله في طهارتها وتبرئتها مما رماها به المنافقون، فهي مبرَّأة من فوق سبع سماوات، وقد خَذَل الله بعض أتباع الشيطان، فصاروا يلعنونها ولا يزالون يرمونها

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

بالفجور، وهذا من أعظم الأذيَة لرسول الله ﷺ، ومَنْ آذى رسولَ الله يُوشِك اللهُ أنْ يأخذَه، ولكنه حليمٌ لا يعجل ولا يَفُوتُه شيءٌ، وسوف يَلْقَون جزاءهم إن شاء الله.

قلنا: إن الزكاة محرمة على آل رسول الله ﷺ، وهم كما قال زيد بن أرقم رضي الله عنه: «...**آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ الْعَبَّاسِ، وَآلُ عَقِيلٍ، فَقَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ يُحَرَّمُ الصَّدَقَةَ**»، أقرباؤه ﷺ من المؤمنين، أما أقرباؤه من المشركين فقد تبرأ منهم، فثبت في «الصحيح» عن عمرو بن العاص، قال: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ جِهارًا غيْرَ سِرٍّ، يقولُ: «**ألا إنَّ آلَ أَبِي، يعني: فلَانًا، ليسُوا لي بِأولِيَاءَ، إنَّما ولِيِّيَ اللهُ وصالِحُ المُؤمِنِينَ**»[1].

وعلى ذلك، فهؤلاء يجب أن يُراعى رسول الله ﷺ فيهم، بأن يُحَبُّوا ويُعرَفَ قدرُهم؛ لأنه وصى بهم، فوصى بكتاب الله ووصى بحقِّ أهل بيته، يحفظوه في أهل بيته.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي من أصل كتابه قالا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن بن مكرم، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد الرحمٰن بن عبد الله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة، قَالَتْ: فِي بَيْتِي أُنْزِلَتْ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى فَاطِمَةَ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ أَهْلِي»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَا أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ قال: «بَلَى إِنْ شَاءَ اللهُ»[(١)].

﴿ قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح سنده ثقات رواته.

﴿ قال الشيخ: وهذا يؤكد ما ذكرنا من دخول آله وأزواجه في أهل بيته وعلينا محبة جميعهم وموالاتهم في الدين».

الشَّرح

هذا أمرٌ ظاهِرٌ، أنَّ زوجة الرجل من أهل بيته بلا إشكال، وكذلك بناته وذريته من بناته، فإنهم أيضًا من أهل بيته، كما نُصَّ على ذلك، فهذا لا خلافَ فيه، لأنَّ الله ﷻ ذكر في كتابه أن عيسى من ذرية إبراهيم ﵇، قال الله ﷻ عن الخليل ﵇: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ

(١) أخرجه أحمد (٢٦٥٠٨)، والترمذي (٣٨٧١)، والحاكم (٣/ ١٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٦٢٧).

وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي ذكر «عيسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، في ذرية «إبراهيم» أو «نوح»، على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال؛ لأن «عيسى» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إنما ينسب إلى «إبراهيم» عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بأمه «مريم» عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، فإنه لا أب له.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا سهل بن يحيى العسكري، حدثنا عبد الرحمٰن بن صالح، حدثنا علي بن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي، عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعْمُر فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ، تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ حتى بلغ ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾؟ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم، وليس له أبٌ؟ قال: صدقت»[1].

* * *

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٨).



﴿ «أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الفقيه، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا علي بن بحر بن بري، ثنا هشام بن يوسف الصنعاني، ثنا عبد الله بن سليمان النوفلي، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»[1].

الشَّرح

هذه من الأمور الواضحة التي وضَّح بها رسول الله ﷺ حقَّ الله وحقَّه.

قوله: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ»، هذا الحب يجبُ أن يكون حبَّ عبادةٍ وذلٍّ وخضوعٍ.

قوله: «وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ»، يعني: أنَّ محبَّة الرسول ﷺ تبعًا لمحبَّة الله وليست محبَّة مستقلَّة، ليست محبَّةً تكون مع الله بل هي محبة في الله ولله، فهي مكمِّلة لمحبة الله ﷻ، ولا بدَّ منها، فيجب أن يكون حبُّه أكثر من حبِّ الإنسان لنفسه فضلًا عن ولده ووالده والناس أجمعين، كما جاء النص في ذلك.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٩)، والحاكم (٣/ ١٤٩ - ١٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٦٤)، والمصنف في «شعب الإيمان» (٤٠٨، ١٣٧٨).

﴿ «حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الأصبهاني، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا إبراهيم بن الحارث البغدادي، ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا زهير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: «مَا بَالُ رِجَالٍ يَقُولونَ: إِنَّ رَحِمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا يَنْفَعُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلَى وَاللهِ، إِنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنِّي أَيُّهَا النَّاسُ فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»[(١)].

﴿ قال الشيخ: وقد روينا في فضائل أهل البيت والصحابة رضي الله عنهم في كتاب الفضائل ما ورد فيهما، وفيما روينا عن عائشة، عن فاطمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ»[(٢)]، وفيما روي عن حذيفة وأبي سعيد وغيرهما، عن النبي ﷺ: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[(٣)].

﴿ زاد أحدهما في روايته: «إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ»[(٤)].

﴿ وفي رواية ابن عباس: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٨، ٦٢)، والحاكم (٤/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠) تعليقًا، وأخرجه موصولًا أحمد (٢٣٣٢٩)، والترمذي (٣٧٨١).

(٤) أخرجه أحمد (١١٧٥٦).

خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَمرِيمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ»[١].

ﷺ وفي حديث أبي موسى وأنس بن مالك، عن النبي ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[٢].

ﷺ وقال لابنتِهِ فاطمة: «أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» قَالَتْ: بَلَى، قال: «فَأَحِبِّي هَذِهِ - يَعْنِي: عَائِشَةَ -»[٣].

ﷺ وقال عمَّارُ بن ياسرٍ بِمَشْهَدِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما لِمَنْ نَالَ مِنْ عَائِشَةَ: اسْكُتْ مَقْبوحًا مَنْبُوحًا تُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٤].

ﷺ وقال عمار: إنها زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة»[٥].

الشرح

يقول العلماء: إنَّ من سبَّ عائشة وقذفها بعدما برَّأها الله ﷻ فهو كافرٌ؛ لأنه مكذِّب لكتاب الله ﷻ.

واختلفوا في سبِّ الصحابة وسبِّ أزواج النبي ﷺ:

منهم من حكم بأنه كافرٌ؛ لأن الله أثنى عليهم، وذكر أنه قد رضي عنهم، وكذلك عن أزواجه، فهو أيضًا تكذيبٌ لله ﷻ، وكفى بهذا إثمًا وضلالًا لمن وقع في ذلك، وهذا معروف من الناس الذين لا خير فيهم، وشرُّ خلقِ الله هم الذين يقْدُمون على مثل هذه الأمور.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١١، ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨١)، ومسلم (٢٤٤٢).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٨٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢)، والآجري في «الشريعة» (١٩٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٧٢، ٧١٠٠، ٧١٠١).

قوله: «وقال عمار ﷺ: إنها زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة».

كلُّ زوجات النبي زوجاته في الآخرة.

واختُلف أيهما أفضل: خديجة أو عائشة؟

الفضل عند الله ﷻ، ولكن حسب النُّصوص، فخديجة رضي الله تعالى عنها لها موقفٌ لم يشاركها فيه أحدٌ مع رسول الله، فهي التي ناصرَتْه في أول الدَّعوة وواسَتْه، وكان إذا اشتد عليه الأمر تزيل عنه ذلك، وقالت ﷺ: «كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[١]، وهذا من خصائصها، وكانت امرأة عاقلة، وهي التي منها أولاده كلُّهم ـ ما عدا إبراهيم فمن مارية ـ وأرسل الله إليها السلام[٢].

أما عائشة ﷺ فقد قال النَّبيُّ ﷺ لها: «**يَا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**»[٣]؛ أي: من جبريل ﷺ، وعائشة لها خصيصة وهي: نشر العلم، فهي من أعلم الصحابة، فانتشر العلم عنها، ولذلك كانت مرجعًا للصحابة إذا اختلفوا في شيء.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢١٧)، ومسلم (٢٤٤٧).

❁ «وفي حديث أبي سعيد وغيره، عن النبي ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[(١)].

❁ وجميع ذلك مع غيره من فضائلهم مذكور في كتاب «الفضائل» بأسانيدها، ومن أراد الوقوف عليها رجع إليه إن شاء الله تعالى».



الشرح

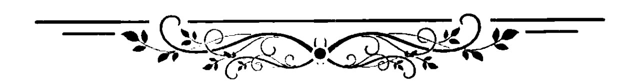
هذا في كُتُبِ السُّنَّة كلِّها، وليس في كتاب «الفضائل» الذي ذكره المؤلف فقط، فالفضائل كثيرة، قال البخاري رحمه الله في «صحيحه»: «باب فضائل أصحاب النبي ﷺ»[(٢)]، وذكر بعض ما جاءت النصوص به في هذا.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٩٩٩)، وابن ماجه (١١٨)، والترمذي (٣٧٦٨)، والنسائي (٨١١٣)، وابن حبان (٨١١٣)، والحاكم (٤٧٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٥/٢ ـ ٣٠)، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وما بعده.



باب تسمية العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ فيما روي عنه بالجنَّة

الشَرح

شَهِدَ ﷺ لأهل بيعة الرضوان بالجنة، قال: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشَّجرة**»[(١)]، وجاء أنه ﷺ قال: «**لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ من بايعَ تحتَ الشَّجرةِ إلَّا صاحِبَ الجمَلِ الأحمرِ**»[(٢)]. «الجَدَّ بن قَيسٍ اخْتبَأ تحتَ بَطنِ بَعِيرٍ»[(٣)].

يقول ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: الصحابة كلهم في الجنة[(٤)]، وهذا يعني على مقتضى الأدلة، وإلا الشهادة لمعيَّنٍ بعينِه لا تنفع إلا بدليل.

والصحابة هم أفضل الخلق بعد الأنبياء، ولا شكَّ في ذلك، قال غلام حاطب بن أبي بلتعة أنه كان يضربه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لَيَدْخُلَنَّ حاطِبٌ النَّار، قال: «**كذَبتَ لا يَدخُلُها، فإنَّهُ شهدَ بدرًا والحُديبِيَةَ**»[(٥)]، وكذلك حادثته مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لما كتب حاطب الكتاب الذي أرسله إلى قريش في قصة الفتح، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك**

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٣).
(٣) أخرجه أحمد (١٥٢٥٩)، والمصنف في «معرفة السنن والآثار» عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) انظر: المحلى (١/ ٦٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩٥)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[١].

وجاء في الاستثناء رجلٌ واحدٌ، وهذا الرجل لم يُبايِع، وهو الجدُّ بن قيسٍ المنافق، كان الصحابة يبايعون وهو تحت جملِه لاصقٌ لجنْبِه، فلهذا قال: «**لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ من بايعَ تحتَ الشَّجرةِ إلَّا صاحِبَ الجمَلِ الأحمرِ**»[٢].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، وعن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

ﷺ «أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو الرزاز، ثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن منصور، ثنا يحيى بن سعيد، عن صدقة بن المثنى، حدثني جدي، رياح بن الحارث أن المغيرة بن شعبة كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَكْبَرِ وَعِنْدَهُ أَهْلُ الْكوفَةِ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْوِي عَنْهُ كَذِبًا يَسْأَلُنِي عَنْهُ إِذَا لَقِيتُهُ، إِنَّهُ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ»، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَتَاسِعُ الْمُسْلِمِينَ، لَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَهُ لَسَمَّيْتُهُ»[1].

ﷺ قَالَ: فَرَجَعَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ يُنَاشِدُونَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَنِ التَّاسِعُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ، وَاللهُ عَظِيمٌ، أنا تَاسِعُ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ الْعَاشِرُ. ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ يَمِينًا: وَاللهِ، لَمَشْهَدٌ شَهِدَهُ رَجُلٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ وَلَوْ عُمِّرَ عُمْرَ نُوحٍ»[2].

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو حامد أحمد بن علي بن الحسن المقرئ، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٩)، وأبو داود (٤٦٤٨)، والترمذي (٣٧٤٨)، وابن ماجه (١٣٣).

(٢) انظر: التخريج السابق، وهذه الزيادة عند أحمد وأبي داود.

صالح بن مسمار، حدثني ابن أبي فديك، عن موسى بن يعقوب، عن عمر بن سعيد، عن عبد الرحمٰن بن حميد، عن أبيه، أن سعيد بن زيد، حَدَّثَهُ فِي نَفَرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قال: «عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ»، قال: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ، فَقال الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ، وَأَنْتَ الْعَاشِرُ؟ قال: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ، تَاللهِ، أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ»[1].

ﷺ وقد روي عن النبي ﷺ أنه شهد لجماعة سواهم بالجنة وروينا في الباب قبله قوله فيمن شهد بدرًا وفيمن بايع تحت الشجرة».

الشَّرح

قوله: «وقد روي عن النبي ﷺ أنه شهد لجماعة سواهم بالجنَّة وروينا في الباب قبله قوله فيمن شهد بدرًا وفيمن بايع تحت الشجرة»: هذا مثل عبد الله بن سلام[2]، وثابت بن قيس بن شماس[3]، والحسن والحسين[4]، وعكاشة بن مُحصن[5]، وفاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[6]، وآل ياسر[7]، وبلال بن رباح[8]، ﷺ، وغيرهم الكثير.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٤٨)، والترمذي (٣٧٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٥)، والحاكم (٣/ ٤٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم (٦٣٣٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٦).
(٦) أخرجه مسلم (٢٤٥٠).
(٧) أخرجه الحاكم (٥٦٤٦)، والطبراني (٧٦٩)، والمصنف في «شعب الإيمان» (٧٦٩).
(٨) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٧).

وصحابة الرسول ﷺ كلهم ذوو فضلٍ وإحسانٍ، وهم أَوْلَى من يُكرم، وهم الذين قاتلوا مع رسول الله وأنفقوا أموالهم وهجروا بلادهم وأموالهم وديارهم في الله ﷻ، ثم قاموا بالأمر بعد رسول الله ﷺ بالجهاد، وقد أثنى الله عليهم ﷻ في كتابه، وأخبر أنه رضي عنهم، والله علَّام الغيوب، يعلم أنه سيقع بينهم ما يقع، وما وقع كان لبعضهم وليس كلهم وقع في الفتنة، وكلهم في ذلك مجتهدٌ لا نخطِّئ أحدًا، وكلهم لا يخلو إما من أجرين أو أجر؛ لأن قيامهم بهذه الأمور التي وقعت من باب الاجتهاد ومن باب طلب الحق وإظهاره، فهم على حقٍّ.

وعقيدة أهل السُّنَّة في الصحابة أنهم يقولون: من الواجب الإعراض عما شجر بينهم.

أما الرافضة عليهم من الله ما يستحقون هم الذين سجلوا الفتنة ونقلوها، فصار في هذا أمور كثيرة محذورة، ولهذا يجب على الإنسان أن يتثبَّتَ في الأمور التي رُوِيَتْ عنهم، فبعضها غير صحيحٍ وبعضها مبدلٌ مزيدٌ، فيجب أنها تمحَّص من أهل الحديث في كتبهم.



باب تسمية الخلفاء الذين نبه رسول الله ﷺ على خلافتهم بعده وعلى مدة بقائهم

۞ «أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا حشرج بن نباتة، حدثني سعيد بن جمهان، عن سفينة، مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ».

۞ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ وَخِلَافَةُ عُمَرَ وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ وَخِلَافَةَ عَلِيٍّ فَنَظَرْنَا فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً.

۞ تابعه عبد الوارث بن سعيد، عن سعيد بن جمهان»[(١)].

الشَّرح

خلافة الأربعة ﷺ كانت ثلاثين سنة إلا ستة أشهر، وكملت بخلافة الحسن رضي الله عنه؛ لأن خلافة الحسن كانت ستة أشهر، ثم تنازل عن الأمر لمعاوية، فمعاوية هو أول الملوك رضي الله عنه، فهو ملكٌ وليس خليفةً، ثم صار الناس يسمون الوالي الذي يتولى عليهم يسمونه خليفة، هذا من باب الاصطلاح فقط، وإلا المقصود هنا خلافة النبوة، وخلافة النبوة ثلاثون سنة فقط، كما في هذا الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦).

﷽ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن مرزوق البصري بمصر، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد، حدثني أبي، ثنا سعيد بن جمهان، عن سفينة أبي عبد الرحمٰن مولى رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خِلَافَةُ النُّبُوَةِ ثَلَاثونَ سَنَةً»[(١)]، وروي عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر، عن أبيه، عن النبي ﷺ.

﷽ أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو عمرو بن السماك، ثنا حنبل بن إسحاق، وحدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ثنا إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر (ح).

﷽ قال: وحدثنا حنبل، قال: ثنا عاصم بن علي، ثنا أبو معشر، قال: اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَاتَ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِي سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَتَيْنِ وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا عَشَرَ لَيَالٍ، وَقُتِلَ عُمَرُ يَوْمَ الْأَرْبعَاءِ لِأَرْبعٍ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذي الْحِجَّةِ تَمَامَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشرِينَ فَكَانَتْ خلَافتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ أَيَّام، وَقُتِلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِثَمَانِ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ ذي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثلَاثِينَ فَكَانَتْ خلافتُهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا، وَقُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رَمَضَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ فَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: إِلَّا شَهْرَيْنِ».

---

(١) انظر: التخريج السابق، وهذا لفظ أبي داود.

الشَّرح

من العجب البيِّن أنَّ خلفاء الرسول ﷺ كلَّهم قُتلوا ما عدا أبا بكرٍ؛ إما اغتيالًا مثل عمر رضي الله عنه، اغتاله أبو لؤلؤة ـ عليه لعنة الله ـ، هذا الذي يعظِّمه الرافضة لأجل ذلك، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله الخوارج، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتله الغوغاء الذين أغراهم ابن سبأ، وحملهم على ذلك، فدخلوا عليه في بيته فقتلوه، وقد كان الصحابة غافلين عن هذا، بل كان هو ينهى عن مناصرته ويحرج على من يأتي ويقول: «لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء»[(١)]، فصبر حتى قُتل في بيته صبرًا رضي الله عنه.

* * *

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٧/ ٢٣٦).

﴿ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا محمد بن المثنى، ثنا عفان بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، عن أشعث بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن سمرة بن جندب، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ[1].

﴿ قال الأستاذ الإمام ﷺ: ضعف شرب أبي بكر ﷺ قصر مدته والانتضاح منه على علي ﷺ ما أصابه من المنازعة في ولايته ـ والله أعلم ـ، وشواهد هذا الباب قد ذكرناها في كتاب «الفضائل» وفي كتاب «دلائل النبوة»».

الشَّرح

قوله: «ضعف شرب أبي بكر ﷺ»: لوجود الرِّدَّة في وقت أبي بكرٍ ﷺ، فقاتل المرتدين حتى أرجعهم إلى دين الله ﷻ، وقُتل من قُتل منهم، ثم تُوفِّي ﷺ.

أما عمرُ ﷺ استتب الأمر بأمنه وكثرت الفتوح والخيرات، ولهذا جاء في الرؤيا الأخرى، ورؤيا رسول الله ﷺ ما تؤيد هذا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٢٤٢)، وأبو داود (٤٦٣٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٨٢)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٤٩).

❁ «أخبرنا أبو عبد الرحمٰن السلمي، أنا إدريس بن علي المؤدب قال: سمعت أبا بكر عبد الله بن محمد بن زياد قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: «سمعت الشافعي يَقُولُ فِي الْخِلَافَةِ وَالتَّفْضِيلِ: نَبْدَأُ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﷺ».

❁ أخبرنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر الفقيه، أخبرنا أبو أحمد الحافظ قال: سمعت أبا عروبة السلمي يقول: سمعت الميموني يقول: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَقِيلَ: إِلَى مَا تَذهبُ فِي الْخِلَافَةِ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، فَقِيلَ لَهُ: كَأَنَّكَ تَذهبُ إِلَى حَدِيثِ سَفِينَةَ قَالَ: أَذْهَبُ إِلَى حَدِيثِ سَفِينَةَ وَإِلَى شَيْءٍ آخَرَ، رَأَيْتُ عَلِيًّا فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ لَمْ يَتَسَمَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يُقِمَ الْجُمُعَ وَالْحُدُودَ ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَعَلِمتُ أَنَّهُ قَدْ وَجَبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ.

الشرح

لا خلافَ بين أهل السُّنَّة في ذلك، وإنما وقع أوَّل الأمر خلافٌ في التفضيل بين عليٍّ وعثمان ﷺ، ثم استقرَّ أمر أهل السُّنَّة على تقديم عثمان، كما قال أيوب السَّختياني رحمه الله: «من قدَّم عليًّا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار»[1]؛ لأنَّ تقديمه بإجماعهم.

حتى بقي عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ يستشير الناس فيهما، ويجمع

(١) السنة، للخلال (٢/ ٣٩٢)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٦).
وقد روي هذا الكلام عن أيوب السختياني وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري والدارقطني رحمهم الله.

رأي المسلمين برأي رؤوس الناس وأقيادهم جميعًا وأشتاتًا، مثنى وفرادى، ومجتمعين، سرًّا وجهرًا، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة، في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقديم عثمان بن عفان[١].

فقدَّموه بالإجماع، فصار أمرًا مجمَعًا عليه فيما بعد.

أما الخلافة فلا يجوز أن يكون فيها خلافٌ، فأولهم أبو بكر، ثم عمر باستخلاف أبي بكرٍ له، ثم عثمان بإجماع الصحابة عليه، ثم علي، وإن كان عليٌّ صار عليه خلاف.

عن علقمة، قال: سمعتُ عليًّا على المنبر، فضربَ بيده على مِنبَرِ الكوفة، يقول: «**بلغني أن قومًا يفضِّلونني على أبي بكرٍ وعمرَ، ولو كنتُ تقدمتُ في ذلك لعاقبتُ فيه، ولكني أكرهُ العقوبة قبل التَّقدمة، من قال شيئًا من هذا فهو مُفترٍ، عليه ما على المُفتري. إن خِيرةَ الناس رسولُ الله ﷺ، وبعد رسول الله ﷺ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، وقد أحدثنا أحداثًا يَقضي اللهُ فيها ما أحَبَّ**»[٢].

عن عون بن أبي جُحيفَة، عن أبيه، عن عليٍّ رضي الله عنه، أنه قال: «**خيرُ هذه الأُمَّة بعدَ نبيِّها أبو بكرٍ، وخيرُها بعدَ أبي بكرٍ، عمَرُ، ولو شئْتُ سمَّيتُ الثَّالثَ**»[٣].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٦٤ ـ ١٦٥) مختصرًا، وتاريخ الطبري (٤/ ٢٣٨).
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٩٩٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (٢٦٧٨).
(٣) أخرجه أحمد (٨٧٩).

وقد قال علي رضي الله عنه - وهو على المنبر - : «**ألا أُخبركم بخيرِ هذه الأُمة بعد نبيّها أبو بكرٍ، ثم عمر، ثم رَجلٌ آخر**»[1].

❁ ❁ ❁

(١) فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل (٤٠٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٨٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٥٩).



باب تنبيه رسول الله ﷺ على خلافة أبي بكر الصديق بعده، وبيان ما في الكتاب من الدلالة على صحة إمامته وإمامة من بعده من الخلفاء الراشدين

﴿ «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا الحسين الجعفي، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قَالَ: مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، مَتَى يَقُومُ مَقَامَكَ لَا يَسْتَطِيعُ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، قَالَ: فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّ بِالنَّاسِ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ»، قَالَ: فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١].

﴿ أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، قال، أخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر، عن عائشة، قَالَتْ: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتِي قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ، فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

بَكْرٍ؟ قَالَتْ: وَاللهِ مَا بي إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَوَّلِ مِنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ: «لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ»[١].

الشَّرح

هذا لا إشكال فيه بل الدلائل على هذا واضحة وكثيرة، ولكن الخلاف فيه لأهل البدع من أمثال الرافضة؛ كالزيدية ونحوهم، فهم الذين خالفوا فيه، أما أهل السُّنَّة فليس عندهم في ذلك خلافٌ، بل الأمر فيه واضحٌ.

ومن التنبيهات التي يقصدها ﷺ: استخلافه على الصلاة، حتى لما راجعته عائشة وأمرتْ حفصة أنها تُراجِعُه، غضب ﷺ، وقال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فصار أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس في مرض رسول الله حتى توفاه الله ﷻ، فقالوا: هذا إشارة إلى أنه خليفة رسول الله[٢]، وقالوا: إن رسول الله رَضِيَه لديننا فلنرضاه لدنيانا، ثم صار شيءٌ من التردد عند الأنصار، ولكن بعد ذلك أجمعوا على بيعته ببيعة عمر له، أما البقية فلا خلافَ عليهم إلا في عليٍّ رضي الله عنه؛ لأن خلافته كانت وقت فتنةٍ واختلاف.

* * *

(١) انظر: التخريج السابق.

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٦٠).

ﷺ «أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك الأنصاري، ـ وكان تبع النبي ﷺ عشر سنين وخدمه وصحبه ـ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقُ مُصْحفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحكُ، قال: فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ برؤيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ، قال: فَأَشَارَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَرْخَى السِّتْرَ، فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ»(١).

ﷺ قال الشيخ: وهذا الذي رواه أنس بن مالك من إرخاء الستر بعدما نظر إليهم وأظهروا الفرح بمكانهم صفوفًا خلف أبي بكر كان في الركعة الأولى من صلاة الصبح ثم أنه وجد في نفسه خفة فخرج فأدرك الركعة الثانية فصلاها خلف أبي بكر فلما سلم أبو بكر أتم رسول الله ﷺ الركعة الأخرى وتوفي من يومه ذلك.

ﷺ هكذا ذكره موسى بن عقبة في مغازيه وكذلك عروة بن الزبير، وبمعناه ذكره عبد الله بن أبي مليكة، ويشهد له:

ﷺ ما أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

المؤذن، أنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن خنب، ثنا محمد بن إسماعيل الترمذي، ثنا أيوب بن سليمان، ثنا أبو بكر بن أبي أويس، عن سليمان بن بلال، عن حميد الطويل، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك أَنَّهُ قال: آخِرُ صَلَاةٍ صَلَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ الْقَوْمِ صَلَّى فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُوشَّحًا بِهِ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ[١].

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، في آخرين قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا بحر بن نصر، ثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أن سعيدًا، أخبره أنه، سمع أبا هريرة، يقول: «بَيْنَا أنا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُهُ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ مِنْهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»[٢]. وكذلك رواه ابن عمر، عن النبي ﷺ[٣].

۞ قال الشافعي: رؤيا الأنبياء وحي.

۞ وقوله: «وفي نزعه ضعف» قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته.

۞ أخبرنا بذلك أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس، أنا الربيع، قال: قال الشافعي، ـ فَذَكَرَهُ ـ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٦١٧)، والترمذي (٣٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٦)، ومسلم (٢٣٩٣).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، في المخرج على كتاب مسلم، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان، أنا الشافعي، أنا إبراهيم بن سعد، (ح).

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله، أخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني، ثنا جدي، ثنا أبو ثابت، ثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ ـ كَأَنَّهَا تَعْنِي: الْمَوْتَ ـ، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَائْتِ أَبَا بَكْرٍ»[1].

ﷺ وَقَدْ رُوِّينَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ فِي قِصَّةِ الْمِيضَأَةِ عُمومَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدوا»[2].

ﷺ أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد وقبيصة، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن مولى لربعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْتَدُوا بِالَّلذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩، ٧٢٢٠)، ومسلم (٢٣٨٦).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه ابن ماجه (٩٧)، والترمذي (٣٦٦٢)، والمصنف في «السنن الكبرى» (٨/ ١٥٣)، وفي «دلائل النبوة» (٤/ ٢٨٢).

﴿ ورواه إبراهيم بن سعد، عن سفيان، عن عبد الملك، عن هلال مولى ربعي، عن حذيفة، ورواه عمرو بن هرم، عن أبي عبد الله وربعي، عن حذيفة، وروي عن أبي الزعراء، عن ابن مسعود، كلاهما عن النبي ﷺ.

﴿ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن عبد الله السعدي، ثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُدِئَ بِهِ، فَقُلْتُ: وَارَأْسَاهُ، قال: «لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ، فَأُصَلِّيَ عَلَيْكِ وَأَدْفِنَكِ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ غَيْرَةً: كَأَنِّي بِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُعَرِّسًا بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قال: «وَأَنَا وَارَأْسَاهُ، ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه»(١).

﴿ قال رحمه الله: وقد روينا في حديث أبي سعيد الخدري وفي حديث ابن عباس جلوس النبي ﷺ على المنبر في ابتداء مرضه، وَقَوْلَهُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ»(٢).

﴿ وفي حديث ابن المعلى: «مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنَ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ»(٣).

(١) أصل الحديث عند البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨)، ورواه المصنف في «السنن الكبرى» (٣/٣٩٦)، وفي «دلائل النبوة» (٧/١٦٨ - ١٦٩).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ سوى في هذا الموضع للمصنف.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩٢٢)، والترمذي (٣٦٥٩).

ﷺ وفي حديث أبي الدرداء وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذِبَ، وَقال: أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي»(١).

ﷺ فهذه الأخبار وما في معناها تدل على أن النبي ﷺ رأى أن يكون الخليفة من بعده أبو بكر الصديق فنبه أمته بما ذكر من فضيلته وسابقته وحسن أثره، ثم بما أمرهم به من الصلاة خلفه، ثم بالاقتداء به وبعمر بن الخطاب رضي الله عنهما على ذلك، وإنما لم ينص عليه نصًا لا يحتمل غيره والله أعلم؛ لأنه علم بإعلام الله إياه أن المسلمين يجتمعون عليه، وأن خلافته تنعقد بإجماعهم على بيعته، وقد دل كتاب الله ﷻ على إمامة أبي بكر ومن بعده من الخلفاء، قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

ﷺ وقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]، فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي دل على أن خلافتهم حق، ودلَّ أيضًا على إمامة الصديق قول الله ﷻ في سورة براءة للقاعدين عن نصرة نبيّه ﷺ والمتخلفين عن الخروج معه في غزوة الحديبية: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وقال في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١).

ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]؛ يعني: قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٥]، وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ [الفتح: ١٦]، الدَّاعِيَ لَكُمْ إِلَى قِتَالِهِمْ: ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ [الفتح: ١٦]، يعني: تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم كما توليتم من قبل: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩]، وهل الداعي لهم إلى ذلك غير النبي ﷺ الذي قال الله له: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وقال في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] فمنعهم من الخروج مع نبيِّه ﷺ وجعل خروجهم معه تبديلًا لكلامه، فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيّه ﷺ.

۞ وقد قال مجاهد في قوله: ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]: هُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، وَكَذَلِكَ قال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقال عَطَاءٌ: هم فارس والروم، وكذلك قال الحسن البصري وقال عطاء: هم فارس.

۞ وفي رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: فارس، وفي رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: هم بنو حنيفة يوم اليمامة، فإن كانوا أهل اليمامة فقد قتلوا في أيام أبي بكر الصديق وهو الداعي إلى قتال مسيلمة وبني حنيفة من أهل اليمامة وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا أيام عمر وهو الداعي إلى قتال كسرى وأهل فارس، وإن كانوا أهل فارس والروم فإنه أراد تنحية

أهل الروم عن أرض الشام وقد قوتلوا في أيام أبي بكر ثم تم قتالهم وتنحيتهم عن الشام في أيام عمر مع قتال فارس، فوجب بذلك إمامة أبي بكر وعمر، وفي وجوب إمامة أحدهما وجوب إمامة الآخر.

ﷺ وقد احتج بما ذكرنا من الآيات علي بن إسماعيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من علمائنا في إثبات إمامة الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ﷺ ودلَّ أيضًا على إمامة الصديق قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فكان في علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ما يكون بعد وفاة رسول الله ﷺ من ارتداد قوم فوعد رسوله ووعده صدق أنه يأتي الله: ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، فلما وجد ما كان في علمه في ارتداد من ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ وجد تصديق وعده بقيام أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقتالهم فجاهد بمن أطاعه من الصحابة من عصاه من الأعراب، ولم يخف في الله لومة لائم حتى ظهر الحق وزهق الباطل وصار تصديق وعده بعد وفاة رسوله ﷺ آية للعالمين ودلالة على صحة خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب قال: نا إبراهيم بن مرزوق، قال: نا روح بن عبادة، عن عوف، عن الحسن، في قوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال: هم الذين قاتلوا مع أبي بكر أهل الردة من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام بعد

رسول الله ﷺ[١]، وكذلك قاله عكرمة وقتادة والضحاك.

ﷺ وروينا عن عبد الله بن الأهتم أنه قال لعمر بن عبد العزيز: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَامَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَا إِلَى سُنَّتِهِ وَمَضَى عَلَى سَبِيلِهِ، فَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ أَوْ مَنِ ارْتَدَّ مِنْهُمْ، فَعَرَضُوا أَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا يُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَابِلًا فِي حَيَاتِهِ، فَانْتَزَعَ السيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهَا وَأَوْقَدَ النِّيرَانَ فِي شُعَلِهَا، وَرَكِبَ بِأَهْلِ حَقِّ اللهِ أَكْتَافَ أَهْلِ الْبَاطِلِ، حَتَّى قَرَّرَهُمْ بِالَّذِي نَفَرُوا مِنْهُ، وَأَدْخَلَهُمْ مِنَ الْبَابِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ.

ﷺ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن علي الميموني، ثنا الفريابي، ثنا عباد بن كثير، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: وَالَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللهُ، ثُمَّ قال: الثَّانِيَةَ ثُمَّ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ: مَهْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَجَّهَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِ مِائَةٍ إِلَى الشَّامِ فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي خَشَبٍ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، رُدَّ هَؤُلَاءِ، تُوَجِّهُ هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ وَقَدِ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: وَالَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، لَوْ جَرَتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا حَلَلْتُ لِوَاءً عَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَجَّهَ أُسَامَةَ فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدونَ الِارْتِدَادَ إِلَّا قَالُوا: لَوْلَا أَنَّ لِهَؤُلَاءِ قُوَّةً مَا

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٦/ ١٨٢ - ١٨٣).

خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا الرُّومَ، فَلَقَوُا الرُّومَ فَهَزَمُوهُمْ، وَقَتَلُوهُمْ وَرَجَعُوا سَالِمِينَ، فَثَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ»[١].

الشَّرْح

وجاء في «الصحيحين» حديث ابن عباس ﵄: أنه ﷺ، قال لمَّا اشتَدَّ بالنَّبِيِّ ﷺ وجَعُهُ قَالَ: «**ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ**» قالَ عُمَرُ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ غلَبَهُ الوَجَعُ، وعِندَنَا كِتَابُ اللهِ حَسبُنَا. فاختَلَفُوا وكَثُرَ اللَّغَطُ، قالَ: «**قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ**»[٢].

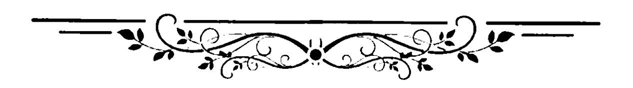
وقوله: «وَأَنَا وَارَأْسَاهُ، ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ﵁»[٣]، فرأى أنه تركهم بلا كتابةٍ أولى حتى يجتمعوا على ذلك، وإلا لو أراد أن يكتب فلا أحد يمنعه، كما يقوله الرافضة؛ حيث يقولون: إن عمر بن الخطاب هو الذي منع الرسول أن يكتب الكتاب، وكان يريد أن يكتب الكتاب لعليٍّ! وكل هذه دعاوي باطلة على خلاف الأدلَّة.

* * *

(١) ذكره ابن كثير «البداية والنهاية» (٦/٣٠٨ ـ ٣٠٩)، ولم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤)، ومسلم (١٦٣٧).

(٣) تقدم تخريجه.



باب اجتماع المسلمين على بيعة أبي بكر الصديق وانقيادهم لإمامته

ﷺ «وهو: أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي.

ﷺ أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ بن الحمامي ببغداد، نا أحمد بن سلمان النجاد قال: قرئ على محمد بن الهيثم وأنا أسمع، ثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قال عُمَرُ: وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ ﷻ فَيُقَطِعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللهُ ﷻ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا».

ﷺ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ، عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] وَقَالَ: ﴿وَمَا

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الْآيَةُ كُلُّهَا، فَنَشَجَ النَّاسُ يبْكونَ، وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ فَقَالُوا: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ، فَأَسْكَتَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ هَيَّأْتُ كَلَامًا أَعْجَبَنِي، فَخَشِيتُ أَلَّا يُبَلِّغَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَتَكَلَّمَ وَأَبْلَغَ، وَقال فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ، قال الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللهِ، لَا نَفْعلُ أَبَدًا، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقال أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأَمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الْوُزَرَاءُ - يَعْنِي: الْمُهَاجِرِينَ هُمْ أَوْسطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعَزُّهُمْ أَحْسَابًا - فَبَايِعُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، فَقال عُمَرُ: بَلْ نبَايِعُكَ، أَنْتَ خَيْرُنَا وَسيِّدُنَا، وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقال قَائِلٌ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقال عُمَرُ: قَتَلَهُ اللهُ[١].

ﷺ ورواه عبد الله بن عباس، عن عمر بن الخطاب في قصة السقيفة بمعنى ما روته عائشة وفيه من الزيادة عن عمر قال: فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قال غَيْرَهَا، كَانَ وَاللهِ أَنْ أُقْدِمَ فَتُضْربَ عُنُقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ إِلَى إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُؤَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ[٢].

ﷺ وزَادَ أَيْضًا: قال عُمَرُ: فَكَثُرَ اللَّغَطُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ حَتَّى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧)، ومسلم (٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٧).

أَشْفَقْتُ الِاخْتِلَافَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَبَسَطَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وقد ذكرناه في كتاب «الفضائل بالتمام».

الشَّرح

قوله: «قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقال عُمَرُ: قَتَلَهُ اللهُ»: كان سعدٌ نائمًا مريضًا، فلما صارت البيعة صار بعض الناس يطأه؛ فلهذا قالوا: «قتلتم سعد»، فقال عمر: «قتله الله»؛ لأنه لم يقم ليبايع وقتها، ثم بايع بعد ذلك، وكذلك علي بن أبي طالب ﵁ تأخَّرت بيعَتُه، فكانت بعد سِتَّة أشهرٍ.

روى البخاري في «صحيحه» عن عائشة ﵂، أن فاطمة ﵂، بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر ﵁ تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذَا المَالِ**» وإنِّي واللهِ لا أغيِّرُ شيئًا من صدقة رسولِ الله ﷺ عن حَالِهَا التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأَعْمَلَنَّ فيها بما عملَ به رسولُ الله ﷺ. فأبَى أبو بكرٍ أن يَدفعَ إلى فاطمةَ منها شيئًا، فوجدتْ فاطمةُ على أبي بكرٍ في ذلك، فهجرتهُ فلم تُكلِّمهُ حتى تُوفيتْ، وعَاشتْ بعد النبيِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ، فلمَّا تُوفيتْ دفَنهَا زوجُها عليٌّ ليلًا، ولم يُؤذِنْ بها أبَا بكرٍ وصَلَّى عليها، وكان لعليٍّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمةَ، فلمَّا تُوفيت استَنْكَرَ عليٌّ وجوهَ النَّاس، فالتَمسَ مُصالَحَةَ أبي بكرٍ ومُبايعتَهُ، ولم يكن يُبايعُ تلك الأشهرَ، فأرسلَ إلى أبي بكرٍ: أن ائتِنا ولا يَأتِنَا أحدٌ مَعكَ، كراهيةً لمحضرِ عُمرَ، فقال عُمرُ: لا واللهِ لا تدخلُ عليهم وَحدكَ، فقال أبو بكرٍ: وما عَسيتَهُم أن يفعلوا بِي، واللهِ لآتينَّهم، فَدخلَ

عليهم أبو بكرٍ، فتشهَّد عليٌّ، فقال: إنَّا قد عَرفنَا فَضلكَ وما أعطاكَ اللهُ، ولم نَنْفَسْ عليك خيرًا ساقهُ اللهُ إليكَ، ولكنَّكَ استَبْدَدتَ علينا بالأمرِ، وكنَّا نَرى لِقرابتِنَا من رسولِ الله ﷺ نصيبًا، حتى فَاضتْ عَينَا أبي بكرٍ، فلمَّا تَكلَّم أبو بكرٍ قال: والذي نفسي بيدهِ لَقَرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي، وأما الذي شجرَ بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آلُ فيها عن الخيرِ، ولم أترك أمرًا رأيتُ رسول الله ﷺ يصنعُهُ فيها إلا صَنَعتُهُ، فقال عليٌّ لأبي بكرٍ: موعدُكَ العَشيَّة للبيعَةِ، فلما صلى أبو بكر الظهر رَقِيَ على المنبر، فتشهَّد، وذكرَ شأنَ عليٍّ وتخلُّفه عن البيعة، وعُذرهُ بالذي اعتذَرَ إليه، ثم استغفَرَ وتشهَّد عليٌّ، فعظَّم حقَّ أبي بكرٍ، وحدَّث: أنه لم يحمِلهُ على الذي صنعَ نفاسةً على أبي بكرٍ، ولا إنكارًا للذي فضَّلهُ اللهُ به، ولكنَّا نرى لنَا في هذا الأمر نصيبًا، فاستبدَّ علينا، فوجدنا في أنفُسِنا، فسُرَّ بذلك المسلمونَ، وقالوا: أصَبْتَ، وكان المسلمون إلى عليٍّ قريبًا، حين راجعَ الأمرَ المعروفَ»[١].

وروى الحاكم في «مستدركه»: «قال علي رضي الله عنه والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا لِأنَّا قد أُخِّرْنَا عن المشاورة، وَإِنَّا نرى أبا بكرٍ أَحَقَّ الناس بها بعدَ رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بِشَرَفِهِ وَكِبَرِهِ، ولقد أَمَرَهُ رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حَيٌّ» هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه[٢].

إنَّ أبا بكر رضي الله عنه هو سيد الصحابة، ولم يقع شيء من الإشكالات إلا ويكون عنده شيء من العلم بها، وهو أعلم الناس برسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٤٠)، ومسلم (١٧٥٩).

(٢) المستدرك على الصحيحين (٤٤٢٢)، عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف.

ولهذا انظر، كيف كان الفاروق عمر حين مات رسول الله وكيف كان الصديق؟

«حَمِدَ اللهَ أبو بكرٍ وأثْنَى عليه، وقال: ألا منْ كانَ يَعبدُ محمَّدًا ﷺ فإنَّ محمَّدًا قد ماتَ، ومن كانَ يعبُدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤]، نَشَجَ النَّاسُ يبكُونَ، واجتمَعَتِ الأنصَارُ إلى سعد بن عبادة في سقِيفَةِ بني ساعدةَ، فقالوا: منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فذهبَ إليهم أبو بكرٍ، وعمر بن الخطَّابِ، وأبو عبيدةَ بن الجرَّاحِ، فذَهَبَ عمرُ يتَكَلَّمُ فأسكتهُ أبو بكرٍ، وكانَ عمرُ يقولُ: واللهِ ما أردْتُ بذلِكَ إلَّا أنِّي قد هيَّأتُ كلامًا قد أعجبَنِي، خشِيتُ أنْ لا يَبلُغهُ أبو بكرٍ، ثمَّ تكلَّمَ أبو بكرٍ فتَكَلَّمَ أبلغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُم الوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لَا وَاللهِ لا نفعَلُ، منَّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فقالَ أبو بكرٍ: لا، ولكنَّا الأُمراءُ، وأنتم الوزرَاءُ، هم أوسطُ العرَبِ دارًا، وأعربهُمْ أحسابًا، فبَايِعُوا عمَرَ، أو أبا عبيدَةَ بن الجرَّاحِ، فقالَ عمرُ: بل نُبايِعُكَ أنتَ، فأنتَ سيِّدُنَا، وخيرُنَا، وأحبُّنَا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخذَ عمَرُ بِيدِهِ فبايَعَهُ، وبَايعَهُ النَّاسُ»[1].

وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ، جلَسَ على المنبر فقال: **«عَبْدٌ خيَّرَهُ اللهُ بينَ أنْ يُؤتِيهُ زهرةَ الدُّنيا وبينَ ما عِندهُ، فاختَارَ ما عِندَهُ»** فبَكَى أبو بكرٍ، فقالَ: فدَينَاكَ بآبائِنَا وأمَّهاتِنَا، قالَ: فكَانَ رسولُ الله ﷺ هو المُخَيَّرُ، وكانَ أبو بكرٍ أعْلَمَنَا بهِ، وقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أَمنَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧)، عن عائشة رضي الله عنها.

النَّاسِ عليَّ في مالِهِ وصُحبَتِهِ أبو بكرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خلِيلًا لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ خلِيلًا، ولكنْ أخُوَّةُ الإسلامِ، لا تُبقيَنَّ في المسجدِ خوخةٌ إلَّا خوخةَ أبِي بكرٍ»(١).

وأبو بكر رضي الله عنه هو الذي لم يتردَّد ولم يشُكَّ في قتال أهل الرِّدَّة، وهو الذي ثبَّت الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

فأبو بكر رضي الله عنه هو أفضلهم وأعلمهم بالله جل وعلا وأقربهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بلا منازع، ولهذا سمَّوه خليفة رسول الله، ولم يُسَمَّ أحدٌ بعده بذلك.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢) واللفظ له، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

ﷺ «وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن خالد بن خلي، ثنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة، عن أبيه، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك، أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَتَشَهَّدَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي قَدْ قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً وَإِنهَا لَمْ تَكُنْ كَمَا قُلْتُ، وَإِنِي وَاللهِ مَا وَجَدْتُ الْمَقَالَةَ الَّتِي قُلْتُ لَكُمْ فِي كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ ﷻ وَلَا عَهْدٍ عَهِدَهُ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ رَجَوْتُ أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى يُدْبِرَنَا - يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ -، فَقال عُمَرُ: وَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، بِهِ هَدَى اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَاعْتَصِموا بِهِ تَهْتَدوا لِمَا هَدَى اللهُ لَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، قال: ثُمَّ ذَكَرَ عُمَرُ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَثَانِيَ اثْنَيْنِ، وَإِنَّهُ أَحَقُّ الْمُسْلِمِينَ بِأَمْرِهِمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ، وَقَدْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَتُهُ عَلَى الْمِنْبَرِ بَيْعَةَ عَامَّةً[1].

ﷺ أخبرنا الفقيه أبو علي الحسين بن محمد بن محمد بن علي الروذباري رَحِمَهُ اللهُ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، ثنا أبو جعفر أحمد بن عبد الحميد الحارثي الكوفي، ثنا الحسين بن علي

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١، ٣٩٦، ٤٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٣)، والحاكم (٣/ ٦٧)، والمصنف في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٥٦).

الجعفي، عن زائدة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله، قال: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَتِ الْأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، قال: فَأَتَاهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلستُمْ تعْلمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى، قال: فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟ قَالُوا: نعوذُ بِاللهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ[(١)].

❁ أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنا أبو الفضل بن حميرويه، ثنا أحمد بن نجدة، ثنا إبراهيم بن زياد، ثنا عبد الله بن داود، عن سلمة بن نبيط، عن نعيم بن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد، قال: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي أَمْرِهِ أَبَا بَكْرٍ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ، ثُمَّ فِي وَفَاتِهِ، ثُمَّ فِي رُجوعِ النَّاسِ إِلَى أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ فِي وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَفْنِهِ، ثُمَّ فِي مَوْضِعِ دَفْنِهِ، ثُمَّ فِي أَمْرِهِ بَنِي عَمِّهِ بَغْسِلِهِ، ثُمَّ خُرُوجِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَقال قَائِلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقال عُمَرُ - وَأَخَذَ بيَدِ أَبِي بَكْرٍ -: مَنْ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي لِأَبِي بَكْرٍ: قال الله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] مَنْ هُمَا؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ [التوبة: ٤٠] مَنْ صَاحِبُهُ؟ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] مَنْ كَانَ اللهُ مَعَهُمَا؟ ثُمَّ بَسَطَ يَدَ أَبِي بَكْرٍ وَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ بَيْعَةً حَسَنَةً جَمِيلَةً»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨٤٢)، والنسائي (٧٧٧).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١١٥٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٣٦٧).

الشَّرح

قوله: «ثُمَّ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَفْنِهِ، ثُمَّ فِي مَوْضِعِ دَفْنِهِ، ثُمَّ فِي أَمْرِهِ بَنِي عَمِّهِ بِغَسْلِهِ»: هذه ليست مواضع للخلاف، وإنما أثارها الذين يريدون نشْرَ فِرْيَة الاختلاف بين الصحابة.

* * *

ﷺ «وحدثنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي حامد المقرئ قراءة عليه قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا جعفر بن محمد بن شاكر، ثنا عفان بن مسلم، ثنا وهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَامَ خُطبَاءُ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْكُمْ قَرَنَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَّا، فنَرَى أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ رَجُلَانِ؛ أَحَدُهُمَا مِنْكُمْ وَالْآخَرُ مِنَّا، قال: فَتَتَابَعَتْ خُطبَاءُ الْأَنْصَارِ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَإِنَّ الْإِمَامَ يَكُونُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: جزَاكُمُ اللهُ خَيْرًا يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ وَثَبَّتَ قَائِلَكُمْ، ثُمَّ قال: أَمَا لَوْ فَعَلْتُمْ غَيْرَ ذَلِكَ لَمَا صَالحناكم، ثُمَّ أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايِعُوهُ، ثُمَّ انْطَلَقوا، فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَامَ نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقال أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَتَنُهُ، أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَايَعهُ، ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ، قال: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحَوَارِيُّهُ، أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقال مِثْلَ

قَوْلِهِ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَايَعَهُ»[(١)].

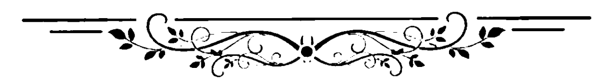
الشَّرح

وغاب عنهم قوله ﷺ: «**إنَّ هذا الأمرَ في قُريشٍ لا يُعادِيهِمْ أَحدٌ، إلَّا كَبَّهُ اللهُ على وجْهِهِ، ما أقَامُوا الدِّينَ**»[(٢)].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٢١٦١٧)، والحاكم (٤٤٥٧)، والمصنف في «الكبرى» (١٦٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٠٠)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.



﴿ «وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن السقا الإسفراييني، نا أبو علي الحسن بن علي الحافظ، ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وإبراهيم بن أبي طالب قالا: حدثنا بندار بن بشار، ثنا أبو هشام المخزومي، ثنا وهيب فذكره بإسناده ومعناه غير أنه قال: فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: صَدَقَ قَائِلُكُمْ، أَمَا لَوْ قلتُمْ غَيْرَ هَذَا لَمْ نُتَابِعْكُمْ، وَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُكُمْ فَبَايِعُوهُ، وَبَايَعَهُ عُمَرُ، وَبَايَعَهُ الْمهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ[(١)]».

﴿ وحدثنا محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن صالح بن هانئ، ثنا الفضل بن محمد البيهقي، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، ثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن سعد بن إبراهيم، قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف، في هذه القصة قال: ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَخَطَبَ النَّاسَ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ ـ يَعْنِي: إِلَى عَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَمَنْ تَخَلَّفَ ـ وَقَالَ: وَاللهِ مَا كُنْتُ حرِيصًا عَلَى الْإِمَارَةِ يَوْمًا وَليلَةً قَطُّ، وَلَا كُنْتُ فِيهَا رَاغِبًا وَلَا سَأَلْتُهَا اللهَ فِي سِرٍّ وَلَا عَلَانِيَةٍ، وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَمَا لِي فِي الْإِمَارَةِ مِنْ رَاحَةٍ، وَلَكِنْ قُلِّدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ طَاقَةٌ وَلَا يَدَانِ إِلَّا بِتَقْوِيَةِ اللهِ، وَلوَدِدْتُ أَنَّ أَقْوَى النَّاسِ مَكَانِي عَلَيْهَا الْيَوْمَ، فَقَبِلَ الْمهَاجِرُونَ مِنْهُ مَا قال، وَمَا اعْتَذَرَ بِهِ، وَقال عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ: مَا غَضِبْنَا إِلَّا أَنَّا أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشَاوَرَةِ، وَإِنَّا

---

(١) أصل الحديث عند البخاري (٢٤٦٢)، وبلفظه أخرجه البزار (١٩٤)، وابن حبان (٤١٣).

نَرَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِنَّهُ لَصَاحِبُ الْغَارِ، وَثَانِي اثْنَيْنِ، وَإِنَّا لَنَعْرِفُ شَرَفَهُ وَكِبَرَهُ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ(١).

﴿ وكذلك رواه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمه موسى بن عقبة.

﴿ وكذلك ذكره محمد بن إسحاق بن يسار في «المغازي» وقال في اعتذار أبي بكر إلى علي وغيره ممن تخلف عن بيعته: أَمَا وَاللهِ، مَا حَمَلْنَا عَلَى إِبْرَامِ ذَلِكَ دُونَ مِنْ غَابَ عَنْهُ إِلَّا مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَتَفَاقُمَ الْحِدْثَانِ، وَإِنْ كُنْتُ لَهَا لَكَارِهًا لَوْلَا ذَلِكَ مَا شَهِدَهَا أَحَدٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ يَشْهدَهَا منكَ إِلَّا مَنْ هُوَ بِمِثْلِ مَنْزِلتِكَ، ثُمَّ أَشْرفَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا بَيعَةَ لِي فِي عُنُقِهِ، وَهُوَ بِالْخِيَارِ مِنْ أَمْرِهِ، أَلَا وَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ جَمِيعًا فِي بيْعَتِكُمْ إِيَّايَ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ لَهَا غَيْرِي فَأَنَا أَوَّلُ مِنْ يُبَايِعُهُ، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَلِيٌّ مِنْ قَوْلِهِ، تَحَلَّلَ عَنْهُ مَا كَانَ قَدْ دَخَلَهُ، فَقَالَ: لَا حِلَّ، لَا نَرَى لَهَا غَيْرَكَ، فَمَدَّ يَدَهُ فَبَايَعَهُ هُوَ وَالنَّفَرُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَقال جَمِيعُ النَّاسِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْتَقْدَمَهُ عَلَى الصَّلَاةِ بَعْدَهُ، فَكَانُوا يُسمُّونَهُ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى هَلَكَ(٢).

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٢٦)، والحاكم (٤٤٢٢).

(٢) انظر: التخريج السابق.

يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، فذكر قصة السقيفة ثم ذكر بيعة العامة من بعد يوم السقيفة ثم ذكر ما نقلناه، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ذهب فيما خيرهم فيه من مبايعته مذهب التواضع وليستبرئ قلوبهم في استخلافه حتى إذا عرف منهم الصدق سكن إلى اجتماعهم على ذلك في السر والعلانية[١].

❁ وقد صح بما ذكرنا اجتماعهم على مبايعته مع علي بن أبي طالب فلا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن علي أو غيره بخلاف ظاهره فكان علي أكبر محلًّا وأجل قدرًا من أن يقدم على هذا الأمر العظيم بغير حق أو يظهر للناس خلاف ما في ضميره، ولو جاز هذا في اجتماعهم على خلافة أبي بكر لم يصح إجماع قط، والإجماع أحد حجج الشريعة، ولا يجوز تعطيله بالتوهم.

❁ والذي روى أن عليًّا لم يبايع أبا بكر ستة أشهر ليس من قول عائشة إنما هو من قول الزهري فأدرجه بعض الرواة في الحديث في قصة فاطمة رضي الله عنها، وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصلًا وجعله من قول الزهري منقطعًا من الحديث.

❁ وقد روينا في الحديث الموصول، عن أبي سعيد الخدري ومن تابعه من أهل المغازي أن عليًّا بايعه في بيعة العامة التي جرت في السقيفة، ويحتمل أن عليًّا بايعه بيعة العامة، كما روينا في حديث أبي سعيد الخدري وغيره.

❁ ثم شجر بين فاطمة وأبي بكر كلام بسبب الميراث؛ إذْ لم

---

(١) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

تسمع من رسول الله ﷺ في باب الميراث ما سمعه أبو بكر وغيره، فكانت معذورة فيما طلبته، وكان أبو بكر معذورًا فيما منع، فتخلف علي عن حضور أبي بكر حتى توفيت، ثم كان منه تجديد البيعة والقيام بواجباتها كما قال الزهري، ولا يجوز أن يكون قعود علي في بيته على وجه الكراهية لإمارته، ففي رواية الزهري: أنه بايعه بعد وعظم حقه ولو كان الأمر على غير ما قلنا لكانت بيعته آخر خطأ، ومن زعم أن عليًّا بايعه ظاهرًا وخالفه باطنًا فقد أساء الثناء على علي، وقال فيه أقبح القول، وقد قال علي في إمارته وهو على المنبر: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ؟ قَالُوا: بَلَى، قال: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ[١]، ونحن نزعم أن عليًّا كان لا يفعل إلا ما هو حق ولا يقول إلا ما هو صدق وقد فعل في مبايعة أبي بكر ومؤازرة عمر ما يليق بفضله وعلمه وسابقته وحسن عقيدته وجميل نيته في أداء النصح للراعي والرعية، وقال في فضلهما ما نقلناه في كتاب «الفضائل».

❁ فلا معنى لقول من قال بخلاف ما قال وفعل. وقد دخل أبو بكر الصديق على فاطمة في مرض موتها وترضاها حتى رضيت عنه فلا طائل لسخط غيرها ممن يدعي موالاة أهل البيت، ثم يطعن على أصحاب رسول الله ﷺ ويهجن من يواليه ويرميه بالعجز والضعف واختلاف السر والعلانية في القول والفعل، وبالله العصمة والتوفيق.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١)، وبهذا اللفظ أخرجه أحمد (٨٣٣).

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو عبد الله، محمد بن يعقوب الحافظ، ثنا محمد بن عبد الوهاب، ثنا عبدان بن عثمان العتكي، بنيسابور، أنا أبو حمزة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: لَمَّا مرضَتْ فَاطِمَةُ أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، فَقَالَتْ: أَتُحِبُّ أَنْ آذَنَ لَهُ؟ قال: نَعَمْ، فَأَذِنَتْ لَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرَضَّاهَا، وَقَالَ: وَاللهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالْمَالَ وَالأَهْلَ وَالْعشيرَةَ إِلَّا ابْتغَاءَ مرْضاةِ اللهِ وَمرضاةِ رَسُولِهِ وَمرضاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيتْ[١].

﴿ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله الصفار، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا نصر بن علي، ثنا ابن داود، عن فضيل بن مرزوق، قال: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي: أَمَّا أَنَا فَلَوْ كُنْتُ مكَانَ أَبِي بَكْرٍ لَحَكَمْتُ بِمِثْلِ مَا حَكَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ فِي فَدَكَ[٢].

﴿ وأما حديث الموالاة فليس فيه ـ إن صح إسناده ـ نص على ولاية علي بعده، فقد ذكرنا من طرقه في كتاب الفضائل ما دل على مقصود النبي ﷺ من ذلك، وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه وأظهروا بغضه فأراد النبي ﷺ أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته فقال: «مِنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ»[٣].

---

(١) أخرجه المصنف في «الكبرى» (١٢٧٣٥)، وفي «دلائل النبوة» (٧/ ٢٨١).
(٢) أخرجه الدارقطني في «فضائل الصحابة» (٤٦)، والمصنف في «الكبرى» (١٢٧٤٤).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٩٦١).

❁ وفي بعض الروايات: «مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالِاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ»[١].

❁ والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضًا ولا يعادي بعضهم بعضًا، وهو في معنى ما ثبت عن علي ﵁ أنه قال: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»[٢].

❁ وفي حديثِ بُريدةَ: شَكَا عَلِيًّا فقال النَّبِيُّ ﷺ: أَتَبْغِضُ عَلِيًّا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «لَا تُبْغِضْهُ وَأَحْبِبْهُ وَازْدَدْ لَهُ حُبًّا»، قال بُرَيْدَةُ: فَمَا كَانَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ بَعْدَ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٣].

❁ أخبرنا أبو عبد الله السلمي، ثنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي، ثنا العباس بن يوسف الشكلي قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي ﵀ يقول في معنى قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﵁: «مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ».

❁ يَعْنِي بِذَلِكَ وَلَاءَ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ⑪﴾ [محمد: ١١].

❁ وَأَمَا قَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لِعَلِيٍّ: أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ، يَقُولُ: وَلِيُّ كُلِّ مُسْلِمٍ.

❁ أخبرنا يحيى بن إبراهيم بن محمد بن علي، أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال: ثنا محمد بن عبد الوهاب، أنا جعفر بن

---

(١) أخرجه أحمد (٩٥٠). (٢) أخرجه مسلم (٧٨).
(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥٠)، وبلفظ قريب من لفظ المصنف أخرجه أحمد (٢٢٩٦٧).

عون، أنا فضيل بن مرزوق، قال: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»؟ قال لِي: بَلَى وَاللهِ، لَوْ يَعْنِي بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْإِمَارَةَ وَالسُّلْطَانَ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَنْصَحَ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكِمْ وَالْقَائِمُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَاللهِ لَئِنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ اخْتَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَجَعَلَهُ الْقَائِمَ بِهِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ مَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَكَانَ عَلِيٌّ أَوَّلَ مِنْ تَرَكَ أَمْرَ اللهِ وَرَسُولِهِ»[1].

۞ وَرَوَاهُ شَبَابَةُ بْنُ سِوَارٍ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، قال: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحَسَنِ أَخَا عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ وَهُوَ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُمْ، فَذَكَرَ قِصَّةً ثُمَّ قال: وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولونَ: إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ اخْتَارَ عَلِيًّا لِهَذَا الْأَمْرِ وَلِلقِيَامِ بِهِ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِنْ كَانَ عَلِيٌّ لَأَعْظَمَ النَّاسِ خَطِيَّةً وَجُرْمًا فِي ذَلِكَ؛ إِذْ تَرَكَ أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا أَمَرَهُ، أَوْ يَعْذِرُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ، قال: فَقال الرَّافِضِيُّ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، فَقال: أَمَا وَاللهِ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنْ كَانَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمْرَةَ وَالسُّلْطَانَ وَالْقِيَامَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ لَأَفْصَحَ لَهُمْ بِذَلِكَ، كَمَا أَفْصَحَ لَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَصِيَامِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَلقال لَهُمْ: إِنَّ هَذَا وَلِيُّ أَمْرِكُمْ مِنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، فَمَا كَانَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا شَيْءٌ، فَإِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه الخلال في «السُّنَّة» (٤٦٥).

ﷺ أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا شبابة بن سوار، أنا الفضيل بن مرزوق، فَذَكَرَهُ.

ﷺ وأما حديث سعد بن أبي وقاص: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَلَّفَ عَلِيًّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بمنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟»[(١)]. وفي رواية: «مَعِي»، فإنه لا يعني به استخلافه بعد وفاته وإنما يعني به استخلافه على المدينة عند خروجه إلى غزوة تبوك كما استخلف موسى هارون عند خروجه إلى الطور، وكيف يكون المراد به الخلافة بعد موته وقد مات هارون قبل موسى؟!

ﷺ ثم الجواب عن هذا وعن جميع ما روي في معناه: ما روينا عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من تنزيه علي رضي الله عنه عن كتمان ما أمره به رسول الله ﷺ.

ﷺ وكذلك قاله أخوه عبد الله بن الحسن، فإنا روينا عنه أنه قال: من هذا الذي يزعم أن عليًّا كان مقهورًا وأن رسول الله ﷺ أمره بأمور لم ينفذها فكفى ازدراء على علي ومنقصة بأن يزعم قوم أن رسول الله ﷺ أمره بأمر فلم ينفذه.

ﷺ أخبرنا أحمد بن الحسن، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا يحيى بن أبي طالب، أنا شبابة، أنا حفص بن قيس، عن عبد الله بن الحسن؛ فَذَكَرَهُ.

---

(١) تقدم تخريجه.

❁ وقد اعترف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدًا بعد وفاته في أحاديث قد ذكرناها في مرض النبي ﷺ في آخر كتاب «دلائل النبوة» وفي كتاب «الفضائل».

❁ ونحن نذكر هاهنا منها:

❁ ما أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو جعفر الرزاز، ثنا عبد الرحمٰن بن مرزوق، ثنا شبابة بن سوار، ثنا شعيب بن ميمون، ثنا حصين بن عبد الرحمٰن، عن الشعبي، عن شقيق بن سلمة قال: قِيلَ لِعَلِيٍّ: اسْتَخْلِفْ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَسْتَخْلِفَ، وَلَكِنْ إِنْ يُرِدِ اللهُ بِالنَّاسِ خُيْرًا جَمَعَهُمْ عَلَى خَيْرِهِمْ كَمَا جَمَعَهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ﷺ عَلَى خَيْرِهِمْ[(١)].

❁ وأخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن شوذب الواسطي بها، ثنا شعيب بن أيوب، ثنا أبو داود الحفري، عن سفيان، عن الأسود بن قيس، عن عمرو بن سفيان، قال: لَمَّا ظَهَرَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْجَمَلِ، قال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إِلَينَا فِي هَذِهِ الْإِمَارَةِ شَيْئًا حَتَّى رَأَيْنَا مِنَ الرَّأْيِ أَنْ نَسْتَخْلِفَ أَبَا بَكْرٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَأَى مِنَ الرَّأْيِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ عُمَرَ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ، ثُمَّ إِنَّ أَقْوَامًا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا فَكَانَتْ أُمُورٌ يَقْضِي اللهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٧٨)، والحاكم (٣/ ٧٩)، والآجري في «الشريعة» (١٢٤٨).

(٢) أخرجه أحمد (٩٢١)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٢١٨).

ﷺ ورواه الضحاك بن مخلد أبو عاصم، عن سفيان، عن الأسود بن قيس بن عمرو بن سفيان، عن أبيه أن عليًّا خطب فقال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْنَا عَهْدًا فِي الْإِمَارَةِ نَأْخُذُ بِهِ وَلَكِنَّهُ رَأْيٌ رَأَيْنَاهُ، اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَأَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ(١).

ﷺ أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا محمد بن أبي بكر، ثنا الضحاك بن مخلد، ثنا سفيان، فَذَكَرَهُ.

ﷺ أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو حامد بن بلال، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا المحاربي، ثنا محمد بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن الحكم بن جحل، قال: خَطَبَنَا عَلِيٌّ بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ: أَلَا لَا يُفَضِّلْنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، لَا أُوتَى بِأَحَدٍ فَضَّلَنِي عَلَيْهِمَا إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي(٢).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أحمد بن علي المقرئ، في التاريخ، ثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا الحسن بن عرفة، حدثني محمد بن الفضيل، عن سالم بن أبي حفصة، قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد، عن أبي بكر، وعمر، فقالا لي: يَا سَالِمُ تَوَلَّاهُمَا وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا فَإِنهمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدًى.

ﷺ قال سَالِمُ: وَقال لِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: يَا سَالِمُ أَيَسُبُّ

---

(١) انظر: التخريج السابق.

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٤٩)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١٢١٩).

الرَّجُلُ جَدَّهُ؟ أَبُو بَكْرٍ جَدِّي لَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَتَوَلَّاهمَا وَأَبْرأُ مِنْ عَدُوِّهِمَا»[١].

ﷺ قال أَبُو عِيسَى: وَكَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أُمَّ فَرْوَةَ بِنْتَ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ، أَخْبرَنِي بِذَلِكَ بَعْضُ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ.


الشَّرح

جاء في الأثر أن فاطمة رضي الله عنها أتت إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه وقالت: أريد إرث أبي، فقال لها: قال رسول الله ﷺ: «**لا نُورَّث، ما تركنا صدقة**»[٢]، فغضبت فاطمة رضي الله عنها لأجل ذلك، فاسترضاها أبو بكر؛ وإن لم ترضَ فلا لوم على أبي بكر؛ لأن الحق معه عملًا بقول رسول الله ﷺ، فالذي تركه ﷺ هو في سبيل الله، قالت عائشة رضي الله عنها، قالت: «**تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ ودِرْعُهُ مرهُونَةٌ عند يهُودِيٍّ، بثلاثِينَ صاعًا من شعِيرٍ**»[٣]، ففُكَّت بعد وفاته ﷺ؛ لأنه لم يترك مالًا، وإنما ترك ما أفاءه الله عليه من بني النضير[٤]، وهو في سبيل الله.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٦)، والآجري في «الشريعة» (١٧٠٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩١٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٩٤)، عن مالك بن أوسٍ.

باب استخلاف أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

❁ «وهو: أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوي رضي الله عنه.

❁ أخبرنا الشيخ الإمام الزاهد أبو علي إسماعيل بن أحمد البيهقي قراءة بمدينة تبريز بعد صلاة العصر، أنا الشيخ والدي رحمه الله، أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا إبراهيم بن الحارث، ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة قال: قال عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: الْمَلِكُ حِينَ تَفَرَّسَ فِي يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِيهِ زَاهِدُونَ، وَابْنَةُ شُعَيْبٍ فِي مُوسَى، فَقَالَتْ لِأَبِيهَا: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦]، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ تَفَرَّسَ فِي عُمَرَ فَاسْتَخْلَفَهُ»(١).

❁ ورواه جماعة عن سفيان بن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله.

❁ أخبرنا أبو عبد الرحمٰن السلمي، أخبرنا أبو عبد الله بن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٠٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٢٩)، والحاكم (٣٣٢٠).

محمد بن موسى الكعبي، ثنا محمد بن أيوب، ثنا محمد بن كثير، ثنا سفيان، فَذَكَرَهُ.

❁ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو بكر أحمد بن الحسن وأبو صادق محمد بن أبي الفوارس قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن سليمان البرلسي، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا يحيى بن أيوب، عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيب، قال: لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ خَطَبَ النَّاسَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَصِفُونَ مِنِّي شِدَّةً وَغِلْظَةً، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ عَبْدَهُ وَخَادِمَهُ، وَكَانَ كَمَا قال الله تبارَكَ وَتَعَالَى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، وَكُنْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالسَّيْفِ الْمَسْلُولِ، إِلَّا أَنْ يَغْمِدَنِي أَوْ يَنْهَانِي عَنْ أَمْرٍ فَأَكُفَّ، وَإِلَّا أَقْمَتُ عَلَى النَّاسِ لِمَكَانِ لِينِهِ فَلَمْ أَزَلْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ وَهُوَ عَنِّي رَاضٍ، فَالْحمدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرًا وَأَنَا بِهِ أَسْعَدُ، ثُمَّ قُمْتُ ذَلِكَ الْمَقَامِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَهُ، وَكَانَ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ فِي كَرَمِهِ وَدَعَتِهِ وَلِينِهِ فَكُنْتُ خَادِمَهُ كَالسَّيْفِ الْمَسْلُولِ عَلَى النَّاسِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَخْلِطُ شِدَّتِي بلِينِهِ إِلَّا أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيَّ فَأَكُفَّ وَإِلَّا خَدَمْتُ، فَلَمْ أَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ وَهُوَ عنِي رَاضٍ، فَالْحمدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرًا وَأَنَا بِهِ أَسْعَدُ، ثُمَّ صَارَ أَمْرُكُمْ إِلَيَّ الْيَوْمَ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُولُ قَائِلٌ: كَانَ يَشْددُ عَلَيْنَا وَالْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا صَارَ إِلَيْهِ؟! وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتمونِي وَقَدْ عَرَفْتُ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ مَا عَرَفْتُ، وَمَا أَصْبَحْتُ نَادِمًا عَلَى شَيْءٍ يَكُونُ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا وَقَدْ سَأَلْتُهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِدَّتِي الَّتِي كُنْتُمْ تَرَوْنَ مِنِّي قَدْ زَادَتْ أَضعَافًا ـ إِذْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ ـ عَلَى الظَّالِمِ وَالْمُعتدِي وَالْأَخْذِ لِلْمُسْلِمِينَ لِضعيفِهِمْ مِنْ قَوِّيِهِمْ، وَإِنِي بَعْدَ شِدَّتِي تِلْكَ وَاضِعٌ خَدَّيَّ بِالْأَرْضِ بِأَهْلِ الْكَفَافِ وَالْكَفِّ مِنْكُمْ وَالتَّسْلِيم، وَإِنِي لَا أُبَالِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ فِي أَحْسَابِكُمْ أَنْ أَمْشِيَ مَعَهُ إِلَى مَنْ أَحْبَبْتُمْ مِنْكُمْ فَيَنْظُرَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَأَعِينُونِي عَلَى أَنفُسِكُمْ بِكَفِّهَا عنِّي، وَأَعِينُونِي عَلَى نَفْسِي بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِحْضَارِ النَّصِيحَةِ فِيمَا وَلَّانِي اللهُ»، ثُمَّ نَزَلَ.

❁ قال ابنُ المُسيِّبِ: فواللهِ، لقد وَفَى بما قال، وزادَ في موضِعٍ: «الشدَّة عَلَى أَهْلِ الرِّيبَةِ وَالظَّلَمَةِ، وَالرِّفْق بأَهْلِ الْحَقِّ مَنْ كَانُوا»[١].

❁ أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، ثنا أبو محمد عبد الله بن عمر بن شوذب الواسطي، ثنا شعيب بن أيوب، ثنا يعلى بن عبيد الطنافسي وأبو نعيم، عن سفيان، عن القاسم بن كثير بياع السابري، عن قيس الخارفي قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ: سَبَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، وَثَلَّثَ عُمَرُ، ثُمَّ أَصَابَتْنَا فِتْنَةٌ، فَهُوَ مَا شَاءَ اللهُ عز وجل.

❁ وكذلك رواه عبد خير، عن علي وقال فيه: «يَعْفُو اللهُ عَمَّنْ يَشَاءُ»[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (٢٥٢٦)، بتمامه، وأخرجه الحاكم مختصرًا (٤٣٤).
(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥)، والحاكم (٣/ ٦٧ ـ ٦٨).

۞ أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنا أحمد بن عبيد الصفار، ثنا محمد بن الفضل بن جابر، ثنا الحكم بن موسى، ثنا شهاب - يعني: ابن خراش -، ثنا الحجاج بن دينار، عن أبي معشر، عن إبراهيم، قال: ضَرَبَ عَلْقَمَةُ هَذَا الْمِنْبَرِ، وَقَالَ: خَطَبَنَا عَلِيٌّ عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَذكُرَهُ ثُمَّ قال: بَلَغَنِي أَنَّ نَاسًا يُفَضِّلونَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلَوْ كُنْتُ تقَدَّمْتُ فِي ذَلِكَ لَعَاقَبْتُ فِيهِ، وَلَكِنْ أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّم، وَمَنْ قال شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُفْتَرٍ، عَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُفْتَرِي، إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَحدَثْنا بَعْدَهُمَا أَحْدَاثًا يَفْعلُ اللهُ فِيهَا. - أَظُنُّهُ قال: مَا أَحَبَّ -[1].

۞ ولهذا شواهدُ عن عليٍّ رضي الله عنه، ذكرْنَاهَا في كتاب «الفَضائِلِ»».

۞ الشَرح ۞

قوله: «وَلَكِنْ أَكْرَهُ الْعُقُوبَةَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ»: يعني: قبل الإعلام بذلك والإخبار.

وقصده: التقدُّم بأن يخبرهم أولًا حتى ما يكون للقائل عذرٌ أو حجة، فيقول: إني ما تقدَّمت إليكم قبل هذا، وإلا لعاقبت الذي يُفضِّلُني على أبي بكر وعمر، فكان في وقت علي رضي الله عنه من يتشيَّع له، وهم الذين يسمُّونهم «الشيعة» في اصطلاح المحدِّثين وهم الذين فضَّلوا عليًّا على عثمان.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٣٣)، وابن ماجه (١٠٦)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٩٩٣).

وهذه المسألة؛ كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السُّنَّة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعليٍّ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكرٍ وعمر؛ أيهما أفضلُ؟

- فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربعوا بعليٍّ.
- وقدم قوم عليًّا.
- وقوم توقفوا.

لكن استقر أمرُ أهل السُّنَّة على: تقديم عثمان، ثم عليٍّ.

وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعليٍّ ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السُّنَّة.

لكن المسألةَ التي يضللُ المُخالِفُ فيها: مسألةُ الخلافة، وذلك بأنهم يُؤمنونَ: بأن الخليفةَ بعدَ رسول الله ﷺ: أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم، ومن طعنَ في خلافة أحدٍ من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضلُّ من حمارِ أهلِهِ»[1].

❋ ❋ ❋

(١) العقيدة الواسطية (ص١١٧ ـ ١١٨).

۞ «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو العباس القاسم بن القاسم السياري، بمرو، ثنا أبو الموجه، أخبرنا عبدان، أنا عبد الله بن المبارك، عن عمرو بن سعيد، عن ابن أبي مليكة، قال: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: لَمَّا وُضِعَ عُمَرُ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعونَ وَيُصلُّونَ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَجُلٌ أَخَذَ بِمَنْكِبِي فَالْتفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: وَاللهِ مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ منكَ وَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ، اللهُ مَعَ صَاحِبَيْكِ، إِنْ كَنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللهُ مَعَهُمَا[١].

۞ ورواهُ أيضًا جعفرُ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍّ، عن أبِيهِ، عن جابِرٍ، عن عليٍّ مُختصَرًا.

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ، ثنا أبو العباس أحمد بن خالد الدامغاني، ثنا أبو مصعب الزهري، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه أنه قال: ما رأيت هاشميًّا أفقه من علي بن الحسين، سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ - وَهُوَ يُسْأَلُ: كَيْفَ كَانَتْ مَنْزِلَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ - فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْقَبْرِ، ثُمَّ قال: مَنْزِلَتُهُمَا مِنْهُ السَّاعَةَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٧)، ومسلم (٢٣٨٩).

ﷺ ورواه يعقوب بن محمد الزهري، عن عبد العزيز، وقال في الجواب: كَمَنْزِلَتِهِمَا مِنْهُ السَّاعَةَ، هُمَا ضَجِيعَاهُ[١].

ﷺ أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنا الحسن بن يعقوب العدل، ثنا يحيى بن أبي طالب، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، أنا داود بن أبي هند، عن عامر، عن ابن عباس، قال: دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ حِينَ طُعِنَ فَقُلْتُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَسْلَمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ، وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ، وَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي خِلَافَتِكَ اثْنَانِ، وَقُتِلْتَ شَهِيدًا.

ﷺ فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ، لَوْ أَنَّ لِي مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضاءَ لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَطْلَعِ.

ﷺ زاد فيه غيره، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَوُلِّيتَ فَعَدَلْتَ.

ﷺ وفِيهِ سِمَاكٌ الْحَنَفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ مَصَّرَ بِكَ الأَمْصَارَ، وَدَفَعَ بِكَ النِّفَاقَ، وَأَفْشَى بِكَ الرِّزْقَ.

ﷺ وقال فيه ابن أبي مليكة مرة عن ابن عباس ومرة عن المسور بن مخرمة: أن ابن عباس قال له: لَقَدْ صَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ، وَصَحِبْتَ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْسَنْتَ صُحبَتَهُمْ، وَلَئِنْ فَارَقْتَهُمْ لَتُفَارِقَنَّهُمْ وَهُمْ عَنْكَ رَاضُونَ»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٢).



قوله: «**لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هوْلِ الْمَطْلَعِ**»، يعني: حينما يوضع الإنسان في قبره، فيطَّلعَ على ما أُعِدَّ له وعلى أعماله، فإذا كان عمرُ رضي الله عنه يقول مثل هذا فكيف بغيره؟! ولكنْ معلومٌ أنَّ كلَّ من كان لله أتقى فهو منه أخوف.

❁ ❁ ❁

باب استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه

❁ «وهو: أبو عبد الله وقيل: أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي.

❁ حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عبد الرحمٰن بن أبي الوزير التاجر، ثنا أبو حاتم الرازي، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، ثنا أشعث بن عبد الملك الحمراني، عن الحسن، عن أبي بكرة، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فقال رَجُلٌ: أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

❁ وأخبرنا أبو علي الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد، عن علي بن زيد، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن أبيه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال ذَاتَ يَوْمٍ: «أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا».

❁ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ - يَعْنِي: سَاءَهُ ذَلِكَ - فَقَالَ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤتي اللهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٤٤٥)، وأبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧).

الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»(١).

ﷺ وحدثنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، ثنا أحمد بن مهدي بن رستم، ثنا موسى بن هارون البردي، ثنا محمد بن حرب، حدثني الزبيدي، عن الزهري، عن عمرو بن أبان بن عثمان، عن جابر بن عبد الله، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قال: «رَأَى اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ»، قال جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ قُلْنَا: الرَّجُلُ الصَّالِحُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَمَّا مَا ذُكِرَ مِنْ نَوْطِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَهُمْ وُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ(٢).

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو عبد الرحمٰن السلمي، قالا: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبدوس، ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي مَقْتَلِهِ، قال: فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوِ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ، قال: يُشْهِدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ - كَالتَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ مِنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ.

(١) انظر: التخريج السابق، وهي رواية أحمد.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٨٢١)، وأبو داود (٤٦٣٦).

۞ وَقال: أَوْصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي، فَذَكَرَ وَصِيَّتِهِ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ، ثُمَّ بِأَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ بِالْأَعرَابِ، ثُمَّ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ، ثُمَّ ذَكَرَ دَفْنَهُ.

۞ ثُمَّ قال: فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ وَرَجَعُوَا، اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ:

۞ فَقال عَبْدُ الرَّحْمٰنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ.

۞ قال الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ.

۞ وَقال طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ.

۞ وَقال سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمٰنِ.

۞ فَقال عَبْدُ الرَّحْمٰنِ: أَيُّكُم يَبْرَأُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَنَجْعلُهُ إِلَيْهِ، وَاللهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ، لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ وَلَيَحْرِصَنَّ عَلَى صَلَاحِ الْأُمَّةِ.

۞ قال: فَأَسْكَتَ الشَّيْخَانِ.

۞ فَقال عَبْدُ الرَّحْمٰنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ، وَاللهُ عَلَى أَلَّا آلُو عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟

۞ فَقَالَا: نَعَمْ.

۞ قال: فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا.

۞ فَقَالَ: لَكَ مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقِدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَاللهُ عَلَيْكَ، لَئِنْ أَنَا أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ فَقال: لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ، قال: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.

﴿ وَرَوَاهُ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ وَقَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ، ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ يَا عَلِيُّ، فإِنِي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ فَلَمْ أَرَهُمْ يَعْدِلونَ بعُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا.

﴿ قال: وَأَخَذَ بِيَدِ عُثْمَانَ، وَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى سُنَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، فَبَايَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَأُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ وَالْمُسْلِمُونَ، وَهَذَا بَعْدَ أَنْ شَاوَرَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَخْلُو بِهِ رَجُلٌ ذُو رَأْيٍ فَيَعْدِلُ بعُثْمَانَ[1].

﴿ حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا أبو سلمة الخزاعي، ثنا عبد العزيز الماجشون، ثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كُنَّا فِي زمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدًا بأَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»[2].

الشَّرح

ثبت في صحيح البخاري، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنهم**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٢، ٣٠٥٢، ٣١٦٢، ٣٧٠٠، ٤٨٨٨، ٧٢٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٨١)، وأحمد مختصرًا (١٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

الكلام في هذا الباب عن الخلافة والاستخلاف، أمَّا الفضائل فلها مثل ما مضى، أنَّ بعضهم أفضل من بعض، كما أن الرسل فضَّل الله بعضَهم على بعضٍ، قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فكلُّ من كان أقربَ إلى الله بالتُّقَى وأعلم بالله ﷻ وبصفاته يكون أفضل عند الله ﷻ، ولكنَّ الصحابة كلَّهم أهلُ فضلٍ، وأهلُ تَقدُّمٍ لصحبة رسول الله ﷺ، وبالإنفاق في سبيل الله، في وقتٍ عاداه أهل الأرض كلُّهم، حتى استتبَّ الأمر وثبتَ، ثم بعد ذلك مَضَوْا في الأرض يجاهدون، فلم يبق في المدينة منهم إلا قلة، وماتوا جُلُّهُم في بلادٍ متفرِّقة، جهادًا في سبيل الله ﷺ، فهم لا يَبْغُضُهم إلا منافقٌ أو كافر.


* * *



﴿ «أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري، أنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا محمد بن كثير، أنا سفيان، ثنا جامع بن أبي راشد، ثنا أبو يعلى، عن محمد بن الحنفية، قال: قُلْتُ لِأَبِي - يَعْنِي: عَلِيًّا -: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قال: أَبُو بَكْرٍ، قال: قُلْتُ: ثُمَّ مِنْ؟ قال: ثُمَّ عُمَرُ، قال: ثُمَّ خَشِيتُ أَنْ أَقُولَ: ثُمَّ مَنْ؟ فَيَقُولَ عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ يَا أَبِي؟ قال: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ[1].

﴿ أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي عثمان، عن أبي موسى، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الْحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ آخَرُ، فَسَكَتَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ قال: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ بَلْوَى سَتُصِيبُهُ»، فَإِذَا عُثْمَانُ[2].

﴿ قال حماد: فحدثني علي بن الحكم وعاصم الأحول أنهما سمعا أبا عثمان يحدثه عن أبي موسى نحوًا من هذا غير أن عاصمًا زاد فيه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ فِي مَكَانٍ فِيهِ مَاءٌ، قَدْ كَشَفَ عَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣).

رُكْبَتَيْهِ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عُثْمَانُ غَطَّاهُمَا[(١)].

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك، ثنا عبد الرحمٰن بن محمد بن منصور، ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي سهلة، مولى عثمان، عن عائشة، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «ادْعُ لِي أَوْ لَيْتَ عندي رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِي»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ؟ قال: لَا، قُلْتُ: عُمَرُ؟ قال: لَا، قُلْتُ: ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ قال: لَا، قُلْتُ: فَعُثْمَانُ؟ قال: نَعَمْ، قَالَتْ: فَجَاءَ عُثْمَانُ فَقَالَ: قُومِي، قال: فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَى عُثْمَانَ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ قُلْنَا: أَلَا تُقَاتِلُ؟ قال: لَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ أَمْرًا فَأَنَا صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ[(٢)].

ﷺ رُوِّينا من حديثِ ابن عُمَرَ[(٣)]، وأبي هريرةَ[(٤)]، وعبد اللهِ بنِ حوَالَةَ[(٥)]، ومُرَّةَ بنِ كعبٍ[(٦)]، عنِ النَّبِيِّ ﷺ في فتنَةٍ ذكَرَهَا وأشَارَ إلى عُثمَانَ بأنَّهُ يكُونُ فيها على الحقِّ أو قال: «علَى الْهُدَى»، وَفِي رِوَايَةِ بَعْضِهِمْ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَمِيرِ وَأَصْحَابِهِ»، وَأَشَارَ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١).
(٢) أخرجه أحمد (٢٤٢٥٣)، والترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٣).
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١١٥)، والترمذي (٣٧٠٨).
(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥)، والحاكم (٣/ ٩٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٩١)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٩٣).
(٥) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، والحاكم (٣/ ١٠١)، وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١١٧٧)، والمصنف في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٩٢).
(٦) أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٦)، والحاكم (٣/ ١٠٢)، والآجري في «الشريعة» (١٤٧٤، ١٤٧٥).

وَفِي كُلِّ ذَلِكَ مَعَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْفَضَائِلِ دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَتِهِ.

۞ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي، وهو يحتج في تثبيت خبر الواحد، قال: وَمَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ وَاحِدًا، فَاسْتَخْلَفُوا أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، ثُمَّ عُمَرُ أَهْلَ الشُّورَى؛ لِيَخْتَاروا وَاحِدًا، فَاخْتَارَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ[1].

۞ وروينا عن الشافعي أنه كان يقول: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٌّ.

۞ وأخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه الدينوري، ثنا صفوان بن الحسين، ثنا محمد بن إبراهيم بن زياد، ثنا الربيع بن سليمان، سمعت الشافعي يقول مثل ذلك.

۞ وكذلك روي عن ابن عبد الحكم، عن الشافعي، وروي عن الربيع في رواية أخرى، عن الشافعي أنه قال: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ.

۞ وروينا عن أبي ثور، عن الشافعي أنه قال: مَا اخْتَلَفَ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي تفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَتَقْدِيمِهِمَا عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ مَنِ اخْتَلَفَ مِنْهُمْ فِي عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ، وَنَحْنُ لَا نُخَطِّئُ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا فَعَلُوا.

۞ وقد ذكرنا أسانيدها في كتاب «الفضائل»، وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا وبالله التوفيق».

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٢٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١١٥).

الشَّرح

عن عائشة ﷺ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ مُضطجِعًا في بَيتِي، كاشِفًا عن فخِذَيْهِ، أو ساقَيهِ، فاسْتَأذَنَ أبو بكرٍ فأذِنَ لهُ، وهو على تلكَ الحالِ، فتحَدَّثَ، ثمَّ استَأذَنَ عُمَرُ، فأذِنَ لهُ، وهو كذلكَ، فتَحدَّثَ، ثمَّ استَأْذَنَ عُثمانُ، فجَلَسَ رسولُ اللهِ ﷺ، وسوَّى ثِيَابَهُ، فدَخَلَ فتَحَدَّثَ، فلمَّا خرَجَ قالت عائشةُ: دخَلَ أبو بكرٍ فلم تَهتَشَّ لهُ ولم تُبَالِهِ، ثمَّ دخلَ عُمَرُ فلم تَهْتَشَّ لهُ ولم تُبَالِهِ، ثمَّ دَخَلَ عُثمانُ فجَلَسْتَ وسوَّيْتَ ثِيابَكَ، فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[1].



(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١).



باب استخلاف أبي الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه

﴿ «أخبرنا أبو علي الروذباري، ثنا أبو بكر بن داسة، ثنا أبو داود، ثنا سوار بن عبد الله، ثنا عبد الوارث، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة، قال: قال رسول الله ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»، ثُمَّ ذَكَرَ سَفِينَةُ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ.

﴿ وَقال سَعِيدٌ: قُلْتُ لِسفينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ خَلِيفَةً، قال: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ[1].

﴿ أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا الحجاج بن أبي منيع، ثنا جدي، عن الزهري، قال: لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، بَرَزَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِلنَّاسِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ وَلَمْ يَعْدِلوا بِهِ طَلْحَةَ وَلَا غَيْرَهُ، وَهَذَا لِأَنَّ سَائِرَ مِنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الشُّورَى كَانُوا قَدْ تَرَكُوا حُقوقَهُمْ عِنْدَ بَيْعَةِ عُثْمَانَ كَمَا مَضَى ذِكْرُهُ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَمْ يَتْرُكْ حَقَّهُ إِلَّا عَلِيٌّ، وَكَانَ قَدْ وَفَّى بِعَهْدِ عُثْمَانَ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ أَفْضَلَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنْهُ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَبِدَّ بِهَا مَعَ

(١) تقدم تخريجه.

كَوْنِهِ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا حَتَّى جَرَتْ لَهُ بَيْعَةٌ وَبَايَعَهُ مع سَائِرُ النَّاسِ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ الشُّورَى(١).

ﷺ حدَّثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان إملاء، أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الدقاق، أنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن المديني، ثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، في مسنده، ثنا عبدة بن سليمان، ثنا سالم المرادي أبو العلاء، قال: سمعت الحسن يقول: لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الْبَصْرَةَ فِي إِثْرِ طَلْحَةَ وَأَصحَابِهِ، قَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْكَوَّا وَابْنُ عَبَّادٍ، فَقَالَا لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا، أَوَصِيَّةٌ أَوْصَاكَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْ عَهْدٌ عَهِدَهُ إِلَيْكَ، أَمْ رَأْيٌ رَأَيْتَهُ حِينَ تَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ، وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهَا؟

ﷺ فَقَالَ: مَا أَكونُ أَوَّلَ كَاذِبٍ عَلَيْهِ، وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْتَ فَجأَةٍ وَلَا قُتِلَ قَتْلًا، وَلَقَدْ مَكَثَ فِي مَرَضِهِ كُلَّ ذَلِكَ يَأْتِيهِ الْمُؤَذِّنُ فُيُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ فَيَقُولُ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ»، وَلَقَدْ تَرَكَنِي وَهُوَ يَرَى مَكَانِي، وَلَوْ عَهِدَ إِلَيَّ شَيْئًا لَقُمْتُ بِهِ، حَتَّى عَرَّضَتْ فِي ذَلِكَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ؛ إذا قَامَ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ؟ قال لَهَا: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ».

ﷺ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَظَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي أَمْرِهِمْ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ وَلَّى أَبَا بَكْرٍ أَمْرَ دِينِهِمْ فَوَلُّوهُ أَمْرَ دُنيَاهِمْ فَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَبَايَعْتُهُ مَعَهُمْ، فَكُنْتُ أَغْزُو إِذَا أَغْزَانِي وَآخُذُ إِذَا أَعْطَانِي

---

(١) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.

وَكُنْتُ سَوْطًا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ، فَلَوْ كَانَتْ مُحَابَاةً عِنْدَ حُضُورِ مَوْتِهِ لجَعَلَهَا لِوَلَدِهِ فَأَشَارَ بعُمَرَ، وَلَمْ يَأْلُ فَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَبَايَعْتُهُ مَعَهُمْ، فَكُنْتُ أَغْزُو إِذَا أَغْزَانِي وَآخُذُ إِذَا أَعْطَانِي، وَكُنْتُ سَوْطًا بَيْنَ يَدَيْهُ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ، فَلَوْ كَانَتْ مُحَابَاةً عِنْدَ حُضُورِ مَوْتِهِ لَجَعَلَهَا لِوَلَدِهِ وَكَرِهَ أَنْ يَنْتَخِبَ مِنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ رَجُلًا فَيُوَلِّيهِ أَمْرَ الْأُمَّةِ، فَلَا يَكُونُ فِيهِ إِسَاءَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُ إِلَّا لَحِقَتْ عُمَرَ فِي قَبْرِهِ، فَاخْتَارَ مِنَّا سِتَّةً أَنَا فِيهِمْ لِنَخْتَارَ لِلْأُمَّةِ رَجُلًا مِنَّا فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا وَثَبَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ فَوَهَبَ لَنَا نَصِيبَهُ مِنْهَا عَلَى أَنْ نُعْطِيَهُ مَوَاثِيقَنَا عَلَى أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الْخَمْسَةِ رَجُلًا فَيُوَلِّيهِ أَمْرَ الْأُمَّةِ، فَأَعْطَيْنَاهُ مَوَاثِيقَنَا، فَأَخَذَ بِيَدِ عُثْمَانَ فَبَايَعَهُ، وَلقَدْ عَرَضَ فِي نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَمَّا نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا عَهْدِي قَدْ سَبَقَ بَيْعَتِي، فَبَايَعْتُ وَسَلَّمْتُ، فَكُنْتُ أَغْزُو إِذَا أَغْزَانِي وَآخُذُ إِذَا أَعْطَانِي، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ نَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا الرِّبْقَةُ الَّتِي كَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي عُنُقِي قَدِ انْحَلَّتْ، وَإِذَا الْعَهْدُ لِعُثْمَانَ قَدْ وَفَيْتُ بِهِ، وَإِذَا أَنَا برَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لِأَحَدٍ عندي دَعْوَى وَلَا طَلَبٌ، فَوَثَبَ فِيهَا مِنْ لَيْسَ مِثْلِي - يَعْنِي: مُعَاوِيَةَ - لَا قَرَابَتُهُ كَقَرَابَتِي وَلَا عِلْمُهُ كَعِلْمِي وَلَا سَابِقَتُهُ كَسَابِقَتِي، وَكُنْتُ أَحَقَّ بِهَا مِنْهُ.

۞ قَالَا: صَدَقْتَ.

۞ فَأَخْبِرْنَا عَنْ قِتَالِكَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ - يَعْنِيَانِ: طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ -؛ صَاحِبَاكَ فِي الْهِجْرَةِ، وَصَاحِبَاكَ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وَصَاحِبَاكَ فِي الْمَشُورَةِ.

۞ قال: بَايَعَانِي بِالْمَدِينَةِ وَخَالَفَانِي بِالْبَصْرَةِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ

بَايَعَ أَبَا بَكْرٍ خَلَعَهُ لَقَاتَلْنَاهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ بَايَعَ عُمَرَ خَلَعَهُ لَقَاتَلْنَاهُ(١).

❁ سمعت الشيخ الإمام أبا الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، وهو يذكر ما يجمع هذا الحديث من فضائل علي رضي الله عنه ومناقبه ومزاياه ومحاسنه ودلالات صدقه وقوة دينه وصحة بيعته، قال: وَمِنْ كِبَارِهَا أَنَّهُ لَمْ يَدَعْ ذِكْرَ مَا عَرَضَ لَهُ فِيمَا أَجْرَى إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ وَإِنْ كَانَ يسيرًا، حَتَّى قال: وَلَقَدْ عَرَضَ فِي نَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُوَضِّحُ أَنَّهُ لَوْ عَرَضَ لَهُ فِي أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ شَيْءٌ، وَاخْتَلَفَ لَهُ فِيهِ سِرٌّ وَعَلَنٌ لَبَيَّنَهُ بِصَرِيحٍ أَوْ نَبَّه عَلَيْهِ بِتَعْرِيضٍ، كَمَا فَعَلَ فِيمَا عَرَضَ لَهُ عِنْدَ فِعْلِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ مَا فَعَلَ.

❁ قال الشيخ: وكان السبب في قتال طلحة والزبير عليًّا أن بعض الناس صور لهما أن عليًّا كان راضيًا بقتل عثمان فذهبا إلى عائشة أم المؤمنين وحملاها على الخروج في طلب دم عثمان والإصلاح بين الناس بتخلية علي بينهم وبين من قدم المدينة في قتل عثمان، فجرى الشيطان بين الفريقين حتى اقتتلوا، ثم ندموا على ما فعلوا وتاب أكثرهم، فكانت عائشة تقول: وَدَدْتُ أَنِّي كُنْتُ ثَكِلْتُ عَشَرَةً مِثْلَ وَلَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَأَنِّي لَمْ أَسِرِ مَسِيرِي الَّذِي سِرْتُ(٢).

❁ وروي أنها ما ذكرت مسيرها قط إلا بكت حتى تبل خمارها

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٨٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨١١)، والحاكم (٤٦٠٩).

وتقول: يَا لِيتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا[(١)].

ﷺ وروي أَنَّ عَلِيًّا بَعَثَ إِلَى طَلْحَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»، قال: نَعَمْ، قال: فَلِمَ تُقَاتِلُنِي؟ قال: لَمْ أَذْكُرْ، قال: فَانْصَرَفَ طَلْحَةُ[(٢)].

ﷺ ثُمَّ رُوِيَ أَنَّهُ حِينَ رُمِيَ، بَايَعَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ، فَأُخْبِرَ عَلِيٌّ بِذَلِكَ، فَقال: الله أَكْبَرُ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَبَى اللهُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا وَبَيْعَتِي فِي عُنُقِهِ[(٣)].

ﷺ وَرُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا بَلَغَهُ رُجوعُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ مَا رَجَعَ جُبْنًا، وَلَكِنَّهُ رَجَعَ تَائِبًا[(٤)].

ﷺ وَحِينَ جَاءَ ابْنُ جَرْمُوزٍ قَاتِلُ الزُّبَيْرِ، قال: «لِيَدْخُلْ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ النَّارَ»، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ»[(٥)].

ﷺ وأخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا محمد بن يوسف، قال: ذكر سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال عَلِيٌّ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أكونَ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنَ الَّذِينَ قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٠٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٥٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٣)، ولم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.
(٤) لم أقف عليه سوى في هذا الموضع للمصنف.
(٥) أخرجه أحمد (٧٩٩)، واللفظ له، والترمذي (٣٧٤٤).

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧][(١)]، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ ﵁ بَرِيئًا مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ وَكَانَ يَقُولُ: وَاللهِ مَا قَتَلْتُ وَلَا أَمَرْتُ وَلَا رَضِيتُ وَلَا شَارَكْتُ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ، وَلَكِنْ غُلِبْتُ[(٢)]، وَكَانَ يَقُولُ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧][(٣)].

❁ أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي المقرئ، أنا الحسن بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا عمرو بن مرزوق، ثنا شعبة، عن منصور بن عبد الرحمٰن، أنه سمع الشعبي، يقول: أَدْرَكْتُ خَمْسَمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ أَكْثَرَ، كُلُّهُمْ يَقُولُ: عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ[(٤)].

❁ وأما خروج من خرج على أمير المؤمنين ﵁ مع أهل الشام في طلب دم عثمان ثم منازعته إياه في الإمارة فإنه غير مصيب فيما فعل، واستدللنا ببراءة علي من قتل عثمان بما جرى له من البيعة، ثم بما كان له من السابقة في الإسلام والهجرة والجهاد في سبيل الله، والفضائل الكثيرة والمناقب الجمة التي هي معلومة عند أهل المعرفة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٩٠١)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٩٤).

(٢) أخرجه معمر بن راشد (٢٠٩٧٢).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٧).

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (٢٧١٣)، والخلال في «السُّنَّة» (٤٥٥).

ﷺ إن الذي خرج عليه ونازعه كان باغيًا عليه، وكان رسول الله ﷺ قد أخبر عمار بن ياسر بأن الفئة الباغية تقتله، فقتله هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في حرب صفين.

ﷺ أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد السبعي النيسابوري، ثنا أبو العباس الأصم، ثنا إبراهيم بن مرزوق، ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا شعبة، عن خالد الحذاء، عن سعيد بن أبي الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «تَقْتُلكَ الفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»[1].

ﷺ قال الأصم: وحدثنا إبراهيم بن مرزوق، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن خالد الحذاء، عن الحسن بن أبي الحسن، عن أمه، عن أم سلمة، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال لِعَمَّارٍ: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ».

ﷺ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا بكر محمد بن جعفر المزكي وأبا الطيب محمد بن أحمد الكرابيسي وأبا أحمد بن أبي الحسن الدارمي يقولون: سمعنا أبا بكر محمد بن إسحاق يقول وهو - ابن خزيمة - رحمه الله: خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَوْلَاهُمْ بِالْخِلَافَةِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، ثُمَّ عُمَرُ الْفَارُوقُ، ثُمَّ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ، ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَحْمَةُ اللهُ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

ﷺ قال: وَكُلُّ مَنْ نَازَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي إِمَارَتِهِ فَهُوَ بَاغٍ، عَلَى هَذَا عَهِدْتُ مشَايِخَنَا وَبِهُ قال ابْنُ إِدْرِيسَ، يَعْنِي: الشَّافِعِيَّ رحمه الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٦).

﴿ قال الشيخ: ثم لم يخرج من خرج عليه ببغيه، عن الإسلام، فقد كان رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»[(١)].

﴿ أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر القطان، ثنا أحمد بن يوسف السلمي، ثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ؛ فَذَكَرَهُ[(٢)].

﴿ قال الشيخ: ويعني بقيام الساعة: انقراض ذلك العصر والله أعلم.

﴿ وصحيح عن علي رضي الله عنه أنه قاتلهم قتال أهل العدل مع أهل البغي فكان أصحابه لا يجيزون على جريح ولا يقتلون موليًا ولا يسلبون قتيلًا.

﴿ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا علي بن حمشاذ، ثنا الحارث بن أبي أسامة أن كثير بن هشام حدثهم، ثنا جعفر بن برقان، ثنا ميمون بن مهران، عن أبي أمامة قال: شَهِدْتُ صِفِّينَ، فَكَانُوا لَا يُجْهِزونَ عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا يَقْتُلُونَ مُوَلِّيًا، وَلَا يَسْلُبونَ قَتِيلًا[(٣)].

﴿ وكان رسول الله ﷺ أخبر بفرقة تكون بين طائفتين من أمته فتخرج من بينهما مارقة يقتلها أولى الطائفتين بالحق، فكانت هذه الفرقة بين علي ومن نازعه، وقد جعلهما جميعًا من أمته، ثم خرجت

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٨، ٣٦٠٩، ٦٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٢٧٨)، والحاكم (٢٦٦٠).

هذه المارقة وهي أهل النهروان قتلهم علي وأصحابه وهم أولى الطائفتين بالحق، وكان النبي ﷺ وصف المارقة الخارجة وأخبر بالمخدج الذي يكون فيهم فوجدوا بالصفة التي وصف ووجد المخدج بالنعت الذي نعت.

۞ وذلك بيِّن في حديث أبي سعيد الخدري وغيره، وكان إخبار النبي ﷺ بذلك ووجود تصديقه بعد وفاته من دلائل النبوة.

۞ ومما يؤثر في فضائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في كونه محقًّا في قتالهم مصيبًا في قتل من قتل منهم، وحين وجد المخدج سجد علي رضي الله عنه شكرًا لله تعالى على ما وفق له من قتالهم[1]، وقد ذكرنا هذه الأحاديث في الفضائل وهذا الكتاب لا يحتمل أكثر من هذا.

۞ وقد أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا الحميدي، ثنا سفيان، ثنا إسرائيل أبو موسى قال: سمعت الحسن قال: سمعت أبا بكرة يقول: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ مَعَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَلْتَفِتُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[2]، قال سُفْيَانُ: قَوْلُهُ: «فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» يُعْجِبُنَا جِدًّا.

۞ قال الشيخ: وإنما أعجبهم لأن النبي ﷺ سماهما جميعًا مسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) تقدم تخريجه.

﴿ وهذا خبر من رسول الله ﷺ بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان.

﴿ وقال في خطبته: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ هَدَاكُمْ بِأَوَّلِنَا وَحَقَنَ دِمَاءَكُمْ بِآخِرِنَا، وَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي اخْتَلَفْتُ فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ مَا هُوَ حَقٌّ لَامْرِئٍ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنِّي، بَلْ حَقٌّ لِي تَرَكْتُهُ لِمُعَاوِيَةَ، إِرَادَةَ إِصْلَاحِ الْمُسْلِمِينَ وَحَقْنِ دِمَائِهِمْ، بَلْ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»(١).

﴿ قال الشيخ الإمام رضي الله عنه: هذا الذي أودعناه الكتاب اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة وأقوالهم.

﴿ وقد أفردنا كل باب منها بكتاب يشتمل على شرحه منورًا بدلائله وحججه.

﴿ واقتصرنا في هذا الكتاب على ذكر أصوله والإشارة إلى أطراف أدلته إرادة انتفاع من نظر فيه به، والله يوفقنا لمتابعة السُّنَّة واجتناب البدعة، ويجعل عاقبة أمورنا إلى رشد وسعادة بفضله وسعة رحمته.

﴿ إنَّهُ الحنَّان المنَّان الواسع الغُفْرَان». انتهى.

الشَّرح

آخرُ الخلفاء الراشدين هو الحسن بن عليٍّ، كما جاء في حديث سفينة الذي ذكره مرتين كما سبق، ثم وصَفُهم بأنهم راشدون؛ أي: أنهم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٦٩٨)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٥٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٥٥٩).

على الحق، وقد كتب الله ﷻ ما يقع من القتل والفتن وغير ذلك.

وقد أخبر الله ﷻ عن رضاه عن الصَّحابة مع علمه بما سيجري لهم، ثم الخلافة التي جرتْ بينهم كانت بالمشورة والنظر، وليست بالاستبداد أو القسر والقوة؛ لأنها في الواقع لمصلحة الدين والدنيا، فهم يرون من هو الأصلح والأحسن، فساروا على هذا المنهج الذي رسمه لهم رسولهم ﷺ، ثم بعد ذلك صار الحكم مُلْكًا عَضُوضًا، كما أخبر النبي ﷺ.

وخلافة عليٍّ ﷺ خلافةٌ دينيةٌ صحيحةٌ، قد بايعه أهل الحَلِّ والعقد، ولكن جرت الفتنة بأسبابٍ ولم تكن قيامًا عليه، فلما تولَّى عليٌّ الخلافة انطوى في جيشه قتَلَةُ عثمان، فرأى طلحة والزبير ومن معهما أنهما قد قصَّرا في نصرة عثمان، فطلبا القتلةَ الذين مع عليٍّ، فلما ذهبا إليه في العراق اتفق طلحة والزبير وعليٌّ على أخْذِ هؤلاء، فلما علموا بذلك أوقدوا الحرب بين الفريقين، وصاروا يقتلون من هنا ويقتلون من هنا، وكلٌّ فريقٍ يظنُّ أنَّ غيره هو الذي بدأ، فالتحم الطرفان واشتد القتال فجرتْ مقتلةٌ عظيمةٌ وهي «موقعة الجمل»؛ وسميت بذلك لأن عائشة ﷺ كانت راكبةً على جمل فعُقِر الجملُ وسقطتْ من عليه.

ثم لما علموا بهذه الفتنة المفتعلة انتهت المعركة ورجع الزبير إلى المدينة، وفي أثناء رجوعه تبعه شقيٌّ من الأشقياء، فوجده نائمًا فقَتَله غدرًا، وجاء يزعم أنه انتصر لعليٍّ، قال له عليٌّ: «**لِيَدْخُلْ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ النَّارَ**»، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيِّي الزُّبَيْرُ**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

المقصود: أنَّ هذه الفتنة جرتْ دون إرادة منهم، بل بمكر هؤلاء الخوارج الذين خرجوا على عثمان وقتلوه في بيته صابرًا مُحتسبًا مظلومًا ﷺ.

وقد مَنَع عثمانُ من جاءه من الصَّحابة للقتال، وقال: «لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء»[(١)]، وقد أخبره الرسول ﷺ، فقال له: «**يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ ﷻ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ، فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي...**»[(٢)]، - يعني: الخلافة -، فأبى أن يتركها وصَبَر، وقال عنه مرَّةً أخرى: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**»[(٣)]، فصبر على هذه حتى لَقِيَ ربَّه ﷻ، ثم لما قُتِل ورأى عليٌّ أنه هو الذي تعيَّن عليه أن يكون هو الخليفة، امتثل لذلك وبايعه من بايعه من الصحابة، فلما بويع بالخلافة طلب من معاوية أنه يخرج من الأمر ويسلمه له، فأبى وقال: حتى تُسْلِمَنا قَتَلة عثمان، فصارت الأمور بين قتالٍ وفِتن، ثم إنَّ عليًّا ﷺ تمنَّى أنه لو ترك الأمر لمعاوية لِمَا جرى من القتل العظيم، وهو ما أخبر الرسول ﷺ به.

لما قُتل عليٌّ ﷺ؛ بيدٍ آثمة لأحد الخوارج صار الأمر إلى ابنه الحسن، واجتمع عنده جيوشٌ عظيمةٌ، فلما رآها أهل الشام ومعاوية، قال: «لن تبقى مع هذه الجيوش باقيةٌ».

ثم بعد ذلك أقبل الحسن على الصلح حقنًا للدِّماء، فشكره العلماء على هذا الصنيع، واجتمع الناس على كلمة سواء، وسمي ذلك العام بعام الجماعة، حيث اجتمع فيه أهل العراق وأهل الشام والمسلمون على معاوية بأمرٍ قضاه الله ﷻ وقدره.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٥٦٦).

(٣) تقدم تخريجه.

قيل أن أهلُ الشام طلبوا التحاكم إلى الله؛ بكتاب الله ﷻ، فأخبرهم عليٌّ رضي الله عنه أن هذه مكيدةٌ، وأنهم لا يقصدون ذلك، وإنما يريدون التفريق بين جيش عليٍّ، فقال الذين معه: لا بدَّ أن تجيبهم لأنهم رفعوا المصاحف وطلبوا أن يُحكَم بها.

فعند ذلك نزل عند هذا الأمر، وأراد أن يبعث ابن عباس رضي الله عنهما ليكون هو الذي يحكم مع نظيره الذي يعيِّنه معاوية رضي الله عنه، فأبَوا وقالوا: لابد أن تبعث أبا موسى الأشعري.

دارت بين أبي موسى وعمرو بن العاص ـ الحكمين ـ محادثات، ثم قال عمرو: إذًا نخلع الرجلين عليًّا ومعاوية، وينظر المسلمون في أمرهم، فقال أبو موسى: نعم، فقال له: ابدأ؛ فخلع عليًّا، ثم قال عمرو بن العاص: إذًا أنا أُنصِّب معاوية[1].

عند ذلك ظهرتْ فرقةٌ كفَّرت الحَكَمَين، وكفَّروا عليًّا رضي الله عنه، وقالوا له: إنك حكّمت الرجال في دين الله، وهذا كفرٌ؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ثم خرجوا عليه، وصاروا يُغِيرُون على المسلمين وعلى أموالهم، فتعيَّن قتالُهم فقتَلَهم، وقال الرسول ﷺ عنهم: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[2]، فقتلهم عليٌّ رضي الله عنه، وهو أَوْلَى الطائفتين بالحق.

وقد صحَّت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بالنهي عن القتال، وقال: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[3]، وأمر باعتزال القتال.

---

(١) أورد هذه القصة الطبري في «تاريخه» (٥/٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك وقت أن كان النبي - صلوات الله وسلامه عليه - يبني المسجد، كان الصحابة رضي الله عنهم ينقلون اللَّبِنَ لبِنةً لبِنةً، وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه يحمل لَبِنَتَين، قال ﷺ لعمار: «**تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ**»[1]، وقد كان؛ حيث قتله أهل الشام، فصاروا هم البغاة.

وعن أبي بُردةَ رضي الله عنه، قال: مرَرتُ بالرَّبذةِ، فإذا فسطاطٌ، فقلتُ: لمن هذا؟ فقيل: لمحمَّدِ بن مسلمة، فاستَأذنتُ عليه، فدَخَلتُ عليه، فقلتُ: رحِمَكَ اللهُ إنَّكَ من هذا الأمر بِمكانٍ، فلو خرجتَ إلى النَّاسِ فأمرتَ، ونَهَيتَ. فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّهُ ستكون فِتنةٌ، وفُرقةٌ، واختلافٌ، فإذا كان ذلك فأتِ بِسيفِكَ أُحُدًا، فاضربْ به عُرْضهُ، واكْسِر نَبْلَكَ، واقطع وترَكَ، واجلِس في بَيتِكَ حتَّى تأتِيكَ يدٌ خاطِئةٌ، أو يُعافِيكَ اللهُ** عز وجل»، فقد كان ما قال رسولُ الله ﷺ، وفَعَلْتُ ما أمرَنِي به، ثمَّ اسْتنْزَلَ سَيفًا كانَ مُعلَّقًا بعمود الفسطاطِ، فاختَرَطَهُ فإذا سيفٌ من خشبٍ، فقال: قد فعَلْتُ ما أمرَنِي به رسولُ الله ﷺ»[2]، امتثل ذلك، وكذلك سعد بن أبي وقاص وغيره من الصحابة، أكثرهم اعتزل هذا الأمر، والذي حضر القتال من الصحابة قلَّةٌ لا يتجاوزون العشرات.

هذا هو خلاصة الأمر في هذه القضية، ثم هذا لا يُخرِج عليًّا رضي الله عنه من أنه من الراشدين، وأنَّ خلافته حقٌّ، وأن مُنازعة معاوية رضي الله عنه ليست بحقٍّ في الواقع، وإن كان يقول: إنه يأخذ بثأر عثمان، وهو وليُّه؛ لأنه من قبيلته وأنه ليس هناك من قام بأخذ الثأر لعثمان.

المقصود: أن هذا الأمر الذي وقع بينهم لا يُخرجهم عن كونهم هم أفضل الخلق بعد الرسل، وأن الله قد رضي عنهم ورضوا عنه، كما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٦٧١)، والترمذي (٢٢٠٣)، وابن ماجه (٣٩٦٠).

أخبر بذلك في كتابه في آياتٍ عدة، والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء، فهو يُخبر بأنه رضي عنهم ورضوا عنه مع ما يعلمه من أنه سيقع بينهم ما وقع، وجاءت الآيات تشير إلى هذا لقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]، فاختصامهم بهذا على ما هم فيه، فبعد ذلك صار الأمر مُلكًا، فأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو أفضل الملوك وخيرهم.

والأمر مثل ما جاء في «صحيح البخاري» من حديث أنس رضي الله عنه، قال: سمعت نبيّكم ﷺ يقول: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه، حتى تلقوا ربكم**»(١)، فكان الأمر هكذا، لا يأتي زمان إلا وما بعده شرٌّ منه، وليس الشرُّ بالزمان، وإنما الشرُّ بالناس الذين يتركون الحقَّ ويميلون إلى أمور الدنيا.

هذا وبالله التوفيق، ونسأله ﷻ أن يجعلنا من الذين عرفوا الحقَّ واتبعوه، وعرفوا الباطل واجتنبوه.

وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ على عبده ورسوله نبيِّنا محمد.



(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
الجبرية انشقوا عن القدرية	٣٦٠
استدراك الشارح على المصنف	٣٦٠
الجنة تُدخل برحمة الله ﷻ، ولكن بسبب العمل الذي يعمله الإنسان، والإنسان عاملٌ	٣٦١
استدراك الشارح على المصنف استحسانه ألفاظًا هي إلى الجبر أقرب	٣٦٢
الكسب عند الأشاعرة	٣٦٢
أثبت الله سبحانه كسب العباد	٣٦٣
تنبيه الشارح على كتاب للمصنف يحتوي على بعض المخالفات	٣٦٣
«إن الله يصنع كل صانع وصنعته» هذا من باب الخبر، وليس لنا أن نسمي الله ﷻ بالصانع	٣٦٤
الله ﷻ لا يُسمى زارعًا، وإنما يُخبر عنه بذلك	٣٦٤
تحذير الشارح من ابن فورك أستاذ المصنف	٣٦٥
تضعيف الشارح للحديث الذي استدل به المصنف	٣٦٥
الأعمال تُرى يوم القيامة، والله يجعل لها أجسامًا فتُرى، ولهذا يُنصب الميزان وتُوضع فيه الأعمال	٣٦٦
الله ﷻ خلقَ الخير والشر؛ لأنه خلق فاعل الخير وفاعل الشر، وجعله قادرًا على ذلك مختارًا له	٣٦٧
الشر مخلوق لله ﷻ، ولكن من باب الأدب لا يُضاف إلى الله ﷻ	٣٦٨
هل يقال: إن الله لا يفعل إلا الخير، والشر لا يفعله؟	٣٦٨
الخير والشر كله داخلٌ في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾	٣٩٦
الله ﷻ خلق الإنسان وجعل له قدرة واختيارًا، وبالقدرة والاختيار يعمل ما يريد	٣٧٠
القدريون ما استطاعوا أن يجمعوا بين قدر الله وشرعه	٣٧٠
استدراك الشارح على المصنف	٣٧٥
التفسير الصحيح للظلم	٣٧٥

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
باب القول في الشفاعة وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النار	٥١٣
تعريف الشفاعة	٥١٣
مقصود المؤلف من ذكر هذا الباب	٥١٤
الخوارج أضرُّ على المسلمين من المعتزلة	٥١٤
بداية ظهور الخوارج	٥١٥
الشفاعة ثابتة بالنصوص المتواترة من القرآن، ومن أحاديث رسول الله ﷺ، فالذي ينكرها ضال وحائد عن الحق	٥١٥
حقيقة الشفاعة	٥١٦
الشفاعة في كتاب الله جاءت على نوعين	٥١٦، ٥١٧
الصحيح أن الذي جاءت النصوص به أن المقام المحمود هو الشفاعة	٥١٧
جاءت النصوص بالتواتر، بأن الكثيرين من المسلمين يدخلون النار ثم يخرجون منها	٥١٨
الأُمة تنقسم إلى قسمين	٥٢٠
الشفاعة أقسام؛ بعض العلماء أوصلها إلى ثمانية	٥٢٧
الجنة محرمة على الكافرين	٥٣١
بعض الشباب يكون عنده شيء من الانحراف والتأثر بالدعوات الفاسدة الخبيثة	٥٣٤
أهل الجنة ثلاثة أقسام	٥٣٥
الله ﷻ يكلم أهل الجنة عمومًا	٥٤١
الجنة في أعلى عليين، والجحيم في أسفل سافلين	٥٤١
شفاعة الملائكة	٥٤٩
الشفاعات الخاصة بنبينا محمد ﷺ	٥٥٠
من أعرض عن كتاب الله ﷻ، وعن سنة رسوله ﷺ فإن الشيطان يتولاه	٥٥٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة